("Nine Commentaries on the Communist Party" [1 – 9], Arabic version, December 2013)

تسع مقالات عن الحزب الشيوعي

كتاب صدم جميع الصينيين في العالم

كتاب يبدّد الحزب الشيوعي

الإيبوك تايمز

The Epoch Times

الفهرس

المقدمة

المقالة الأولى: ما هو الحزب الشيوعيّ ؟

توطئة

I. الاعتماد على العنف والرعب للاستحواذ على السلطة والحفاظ عليها

II. اللجوء إلى الكذب لتبرير العنف

III. مبادئ متغيّرة دومًا

VI. كيف أنّ طبيعة الحزب تحلّ محلّ الطبيعة الإنسانية وتقضي عليها

V. شيطان يقف ضدّ الطبيعة والطبيعة الإنسانية

IV. بعض مظاهر هذا التملّك الشرّير

VII. أن ننظر إلى أنفسنا ونتخلّص من الح ش ص

المقالة الثانية: بدايات الحزب الشيوعي

توطئة

I. تكوّن الح ش ص بواسطة تراكم مستمرّ للشرور

1- أولى الملامح الموروثة: الفساد – ارتداء الصورة الفاسدة للماركسية-اللينينية

2- ثاني الملامح الموروثة: الكذب – ينبغي على الشرّ أن يكذب لكي يتظاهر بالاستقامة

3- ثالث الملامح الموروثة: الاستفزاز – إثارة الكره وتحريض الشعب على الصراع

4- رابع الملامح الموروثة: إخلاء المجال لحُثالة المُجتمع – منبوذو المُجتمع يُكوّنون فرق الح ش ص

5- خامس الملامح الموروثة: الجوسسة – التسرّب، بثّ الفتنة، التفكيك والتعويض

6- سادس الملامح الموروثة: النهب – سلب الناس عن طريق الحيلة أو عن طريق القوّة يُضحي "نظامًا جديدًا"

7- سابع الملامح الموروثة: الصراع – تحطيم النظام القوميّ وتحطيم الطبقات وتحطيم النظام الموروث

8- ثامن الملامح الموروثة: التصفية – وضع ايديولوجيا كاملة هي ايديولوجيّة المجزرة

9- تاسع الملامح الموروثة: السيطرة – استعمال مبادئ الحزب لمُراقبة الحزب ككُلّ وبالتالي استعمال باقي المجتمع

II. التأسيس المُخجل للح ش ص

1- تأسّس الح ش ص – نشأته في حضن الاتحاد السوفييتي

2- التحالف الأوّل بين الـك م ت والح ش ص – طفيليّ يتسرّب داخل بعثة الشمال ويُعرقلها [14]
3- حركة تمرّد قرويي هونان – تحريض حثالة المجتمع على الثورة
4- العمليّة العسكريّة "ضدّ اليابان" نحو الشمال – سرقة المغلوبين
5- حادثة سيآن – الح ش ص ينضمّ مرّة أخرى إلى الـك م ت
6- الحرب ضدّ اليابان – الح ش ص ينمو ويزداد ممارسًا القتال بأسلحة مستعارة
7- إصلاح يانآن – خلق طرق الاضطهاد الأكثر رعبًا
8- ثلاث سنوات من الحرب الأهلية – خيانة الوطن للحصول على السلطة
III. تجلّي ملامح الفساد
1- خوف متواصل يطبع مراحل تاريخ الحزب
2- الشرّ هو "السلاح السحري" الذي استُعمل لتأسيس الح ش ص
3- الح ش ص عصابة دنيئة ومُحترفة
4- الحزب الشيوعي هو الأشدّ إيذاءًا
خاتمة

المقالة الثالثة: طغيان الحزب الشيوعي الصيني

توطئة
I. الإصلاح الزراعي – تصفية طبقة أصحاب الأملاك
II. الإصلاح الصناعي والتجاري – تصفية طبقة الرأسماليين
III. قمع المجموعات الدينية والشعبية
IV. حركة ضدّ- اليمينيين – غسل دماغ على نطاق قوميّ
V. القفزة الكبرى نحو الأمام – اختلاق أكاذيب لاختبار ولاء الشعب
VI. الثورة الثقافية – استحواذ شيطاني يهزّ العالم
VII. عصر الإصلاح الاقتصادي – العنف يتطور مع الزمن
1- صنع القانون
2- التضليل المعلوماتي
3- التربية
4- تنفيذ السياسات
VIII. إخضاع كامل البلاد لغسل دماغي وتحويلها لـ"سجن فكري"
خاتمة

المقالة الرابعة: الحزب الشيوعي قوّة مناهضة للكون

توطئة
I. مكافحة الناس والقضاء على الطبيعة الإنسانية
انقلاب مفاهيم الحق والباطل يقضي على الإنسانية
الفساد يتجاوز قانون التناتج والتضادّ الدائمَيْن
II. مكافحة الأرض ومعارضة قوانين الطبيعة يتسبّب في كوارث لا تـنتهي
1- صراع الطبقات يمتدّ ليشمل الطبيعة
2- بإدخال الاضطراب على الطبيعة، يجني الـح ش ص ما زرعه
III. مكافحة السماء، بإزالة العقيدة وبرفض الإيمان بالله
1- أنّى لكائن محدود أن يُدرك الفضاء والزمان اللاّ- متناهيَيْن ؟
2- الح ش ص يدمّر العقيدة الحقّة للإنسانية
خاتمة

المقالة الخامسة: تواطؤ دجيانغ زمين والحزب الشيوعي الصيني معًا في اضطهاد الفالون غونغ

توطئة
I. الظروف المتشابهة تُفرز أحداثا متشابهة
II. حقّ رحمة صبر: كلمات تُرعب دجيانغ زمين والح ش ص
1- الفالون غونغ يعلّم "الحقّ، الرحمة، الصبر" والحزب الشيوعي ينشر "الكذب، الكره، الصراع"
2- أولئك الذين لديهم إيمان حقيقي بقلوبهم لا يعرفون الخوف؛ وخوف الناس ركيزة أساسية للح ش ص للحفاظ على حياته
3- القيم الأخلاقية العالية للفالون غونغ تُؤرق الح ش ص
4- الح ش ص تتملّكه الغيرة الشديدة من الطريقة التي انتشر بها الفالون غونغ وطريقة تسييره
5- الحزب الشيوعي يعتبر أنّ "الطابع الديني" للفالون غونغ يهدّد شرعيّة النظام
III. دجيانغ زمين والح ش ص يستعمل كلّ منهما الآخر
IV. كيف استعمل دجيانغ زمين الح ش ص ليقمع الفالون غونغ

1- استخدام وسائل الإعلام لمنع مرور المعلومة
2- فرض ضرائب والسطو على المنازل بدون مذكّرة قانونية
3- أعمال تعذيب قاسية وقتل تعسّفي
4- مكتب 610 يمدّ مجسّاته خارج الجهاز القضائي
5- استعمال الجيش والموارد المالية القومية لنشر الاضطهاد
V. دجيانغ زمين يسبّب انهيار الح ش ص من داخل الحزب
خاتمة

المقالة السادسة: كيف دمّر الحزب الشيوعي الثقافة الموروثة

توطئة
I. لماذا أراد الح ش ص تدمير الثقافة الصينية ؟
1- الإرث الطويل للثقافة الصينية ينبني على الإيمان والفضيلة
2- النظرية الشيوعية الفاسدة تقف على طرف النقيض من الثقافة والتراث
3- الثقافة العريقة حاجز أمام ديكتاتورية الح ش ص
4- الثقافة العريقة تتحدّى شرعيّة حكم الح ش ص
II. كيف يعرقل الحزب الشيوعي الثقافة الموروثة
1- تحطيم الديانات الثلاث في نفس الوقت
2- أسلوب خاص في القضاء على الدين
3- تخريب الآثار الثقافية
4- تدمير المعتقدات الروحية
5- تدمير بلا حدود
6- إصلاح المثقفين
7- خلق ظاهر ثقافة مع الحفاظ على شبه تراث واستبدال محتواه
III. ثقافة الحزب
1- جانب السيطرة والتحكّم
2- مظاهر الدعاية
3- جانب العلاقات بين الأفراد
4- الآثار الخفيّة على نفسيّة الناس وتصرّفاتهم
خاتمة

المقالة السابعة: تاريخ الحزب الشيوعي الصيني تاريخ تقتيل

توطئة
I. مجزرة مروّعة
1- قمع الرجعيّين والإصلاح الزراعي
2- "حملة الأضداد الثلاثة" و"حملة الأضداد الخمسة"
3- المجاعة الكبرى
4- من الثورة الثقافية إلى مجزرة ساحة تيانانمن وإلى الفالون غونغ
II. طرق في القتل على غاية من القسوة
1- المجازر في شمال الصين أثناء الحرب الصينية ـ اليابانية
2- الرعب الأحمر أثناء "أغسطس الأحمر" ووحشيّة غوانغسي
3- اضطهاد الفالون غونغ
III. صراع دون هوادة داخل الحزب
VI. تصدير الثورة، قتل الناس خارج البلاد
V. تدمير الأسرة
VI. أشكال القتل وعواقبه
1- إيديولوجية القتل لدى الح ش ص
2- أشكال مختلفة للقتل حسب الظروف
أ ـ الدعاية تسبق الفعل
ب ـ تشجيع الشعب على قتل بعضه بعضًا
ج ـ تدمير نفسيّة الشخص قبل قتله جسديًا
د ـ القتل عبر التحالف مع الناس أو استعبادهم
هـ ـ قتل التهديدات المُحتمَلة في الرحم وجرائم القتل اللاّ ـ قانونية والسرّية
و ـ قتل الفرد الواحد يصلح درسًا لبقيّة الأفراد
ز ـ استعمال القمع لإخفاء حقيقة القتل
خاتمة

المقالة الثامنة: كيف أن الحزب الشيوعي الصيني طائفة شريرة

توطئة

I. الخصوصيّات الطائفيّة للح ش ص

1- خلق المذاهب وتصفية المعارضين

2- نشر عبادة الفرد وتفوّق الرأي الواحد

3-غسل دماغيّ عنيف، تحكّم فكري، تنظيم مُحكم، وبعد الانخراط يُمنَعُ على الشخص منعًا باتًّا أن يستقيل

4- التحريض على العنف وعلى المجازر وعلى التضحية من أجل الحزب

5- رمي الاعتقاد بالله وقمع الطبيعة البشرية

6- استيلاء الجيش على السلطة، احتكار الاقتصاد، طموحات سياسية واقتصادية لا جماح لها

II. الأضرار التي سببتها طائفة الح ش ص

1- الطائفة تصير دينا حكوميا

2- التحكّم في المجتمع يصل إلى أقصى حدّ

3- الدعوة إلى العنف واحتقار الحياة

III.الطبيعة الطائفية للحزب الشيوعي

VI.نظرية الحزب الشيوعي حول نهاية العالم- الخوف من نهاية الحزب

V. الصراع القاسي: سلاح ثمين وفعّال تستعمله هذه الطائفة للبقاء

IV.تدهور الطائفة الشيطانية - طائفة الح ش ص

IIV. وقفة تأمّل في الحكم الشرّير للح ش ص

1-ما هو الحزب الشيوعي ؟

2-لماذا يظلّ الناس على جهلهم ؟

3-كيف الخلاص ؟

خاتمة

المقالة التاسعة: الطبيعة عديمة الضمير للحزب الشيوعي الصيني

توطئة

I.الطبع عديم الذمّة للح ش ص لم يتغيّر أبدًا

لأجل من قام الح ش ص بالإصلاح ؟

ماذا ستفعل الصين بدون الحزب الشيوعيّ ؟

ما هو السبب الأصلي للاضطراب ؟

II. الح ش ص يُضحّي بالنمو الاقتصادي

1- يبني الح ش ص مصداقيّته على عمل الآخرين وجهودهم

2- المساوئ الاقتصادية الناتجة عن رؤية على المدى القصير

التطوّر الاقتصادي للح ش ص باهظ الثمن

الح ش ص يخدع الفلاّحين بطريقة متكرّرة

الضغط على البلدان الغربية من خلال المصالح الاقتصادية

III. تقنيات غسل الدماغ التي يمارسها الح ش ص تتحوّل من العلن إلى الخفاء

IV. خداع الح ش ص بشأن حقوق الإنسان

من استخدام الديموقراطية للاستحواذ على السلطة إلى السلطة الاستبدادية والخداع بشأن حقوق الإنسان

ارتكاب أفعال مُشينة من وراء قناع والتخفّي وراء القانون

الح ش ص يُمسك بأكثر من مليار شخص رهائن لفلسفته الفاسدة

الجزرة والعصا، من منح "الحرّية" إلى تصاعد القمع

V. نواح مختلفة من طبيعة الح ش ص عديمة الضمير

بيع أرض الأمّة زهوًا وافتخارًا وخيانة البلاد تحت مُسمّى "الوحدة الوطنية"

رجال سياسة خونة وعديمو الأخلاق

استعمال الحيلة: من المقاومة الكاذبة أثناء الغزو الياباني إلى مكافحة الإرهاب المضلّلة

التظاهر بالصدق وقبول الأشياء ظاهريًا مع رفضها في الباطن

التخلّي عن الضمير والتضحية بالعدل خدمةً لمصالح الحزب

الح ش ص يستغلّ المشاعر الوطنية ليعبّأ الشعب

انعدام الضمير- وضع الحزب في مرتبة قبل البلاد وإجبار الناس على اعتبار عدوّهم مثل والدهم

لعبة "الإصلاح" ووصف أعمال إجرامية بأنها "نجاحات كبرى"

VI . شرّ الح ش ص يظهر في لجوءه لإرهاب الدولة لمهاجمة مبادئ "الحق، الرحمة، الصبر"

VII. اشتراكية جائرة بخصوصيّات صينية

طرق مزاجيّة وخدّاعة

حزب ما كيافلّي بـ"خصوصيّات صينية"

الأمّة الصينية تواجه أزمة أخلاقية لم يسبق لها مثيل

المقدمة

إثر مرور عشر سنين على انهيار الاتحاد السوفييتي سابقًا، والأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية، نجد اليوم أنّ العالم بأسره قد لفظ الحركة الشيوعية وأعرض عنها، ونظنّ أنه لم يبق في عمر الحزب الشيوعي الصيني (ح ش ص) غير أيّام معدوداتٍ.

ومع ذلك، وقبل أن ينهار تمامًا، يحاول الح ش ص جاهدًا أن يربط مصيره بالأمّة الصينية وحضارتها التي تمتدّ على خمسة آلاف سنة. هذه كارثة بالنسبة للشعب الصيني. كيف ننظر للح ش ص ؟ كيف نمرّ إلى مجتمع بدون ح ش ص ؟ كيف نحافظ على التراث الصيني وننقله ؟ هذه هي الأسئلة الكبرى التي يواجهها الشعب الصيني حاليّا. اليوم، تنشر صحيفة الإيبوك تايمز سلسلة خاصّة: تسع مقالات عن الحزب الشيوعي. وقبل أن ينطبق الغطاء على تابوت الح ش ص، بودّنا أن نطلق حكمًا نهائيّا عليه وعلى الحركة الشيوعية عبر العالم، هذه الحركة التي كانت - و لأكثر من قرن - كارثة كبرى على الإنسانية.

لمدّة أكثر من ثمانين سنة، كلّ ما وضع الح ش ص عليه يده كان دائمًا يتّصف بالخداع، والحروب، والمجاعة، والطغيان، والمجازر، والرعب. دُمّرت الاعتقادات والقيم الأصلية تدميرًا عنيفًا. ووقع تفكيك المفاهيم الأخلاقية والبنى الاجتماعية قسرًا. أبدِل الودّ والمحبة والانسجام بين الناس بالصراع والكراهية. تقديس السماء والأرض واحترامهما حلّت محلّه الرغبة المتغطرسة في مصارعة السماء والأرض. وما نتج عن ذلك هو انهيار تامّ للأنظمة الاجتماعية، والأخلاقية، والبيئية للمجتمع، وأزمة عميقة للشعب الصيني – وفي الحقيقة لكلّ المجتمع الإنساني. كلّ هذه المصائب حدثت نتيجة لتصرّفات الح ش ص، لتخطيط الح ش ص، وللهيمنة المقصودة للح ش ص.

على حدّ تعبير قصيدة صينية مشهورة تعود إلى فترة العائلة المالكة سونغ : "ما العمل، ونحن نقف عاجزين أمام مرأى الزهور وهي تذوي ؟" إنّ نهاية الح ش ص قريبة، هو الآن في وضع ميئوس منه وأيامه صارت معدودة. وقبل اختفاءه تمامًا، نظنّ أنه حان الوقت للتأمّل وإلقاء نظرة فاحصة ومتبصّرة على الماضي، لنكشف للعيان كلّ نواحي هذه المُنظمة الطائفية، أكبر مُنظمة وأكثرها فسادًا عبر التاريخ. نرجو أنّ أولئك الذين لا يزالون مخدوعين بهذا النظام سيتسنّى لهم أن يروْا بوضوح حقيقة طبيعته، أن يطهّروا أنفسهم من سمومه، أن ينعتقوا من سيطرته الفاسدة، أن يتحرّروا من نيْر الرعب ويتخلّصوا من كلّ الآمال الواهمة التي يعلّقونها عليه.

إنّ حكم الح ش ص هو أكثر صفحة قاتمة وأكثر صفحة سخيفة في تاريخ الصين. ضمن القائمة الطويلة لجرائمه، ربّما تكون أكثرها شرّا هي اضطهاد الفالون غونغ. بمعارضته لـ"حقّ، رحمة، صبر" دقّ الح ش ص بنفسه المسمار الأخير في نعشه. تعتقد أسرة صحيفة الإيبوك تايمز أنّ الفهم الحقيقي لتاريخ الح ش ص سيساعدنا على منع مثل تلك المآسي من الوقوع مرّة أخرى. وفي نفس الوقت، نأمل أنّ كلّ فردٍ منّا سيفكّر مليّا في وضعه، ويفكّر ماإذا كان جبننا وموافقتنا الصّامتة لم يجعلانا متواطئين في حدوث كثير من المآسي التي كان بالإمكان تجنّب حدوثها.

توطئة

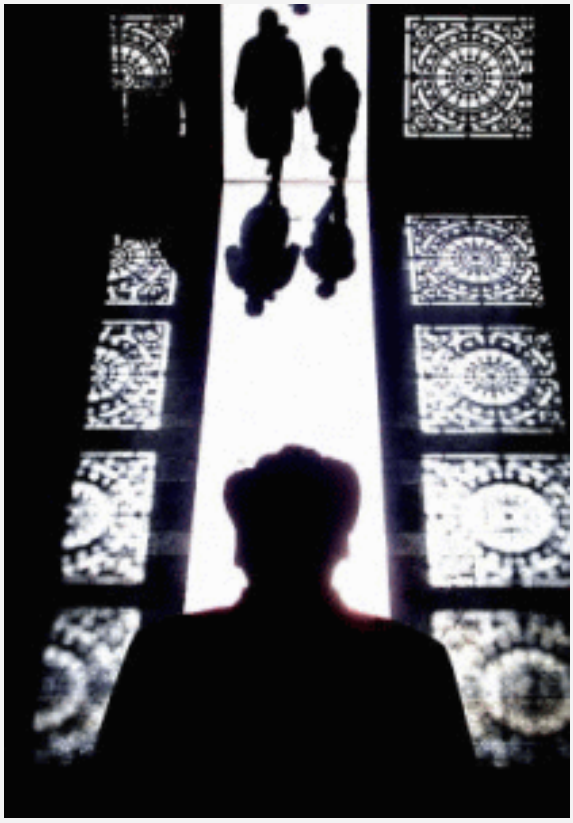

ظل ماوو: أم وابنها يعبران مدخل المتحف العسكري ببيكين، في استقبالهما تمثال كبير للديكتاتور السابق ماوو تسي تونغ. (ستيفان شايفر/أ.ف.ب/صور جاتي(

طيلة أكثر من 5000 سنة، أنشأ الشعب الصيني حضارة عظيمة على الأرض التي يرويها النهر الأصفر ونهر يانغتسي. على امتداد هذه الحقبة الطويلة من الزمن، وُلدت ممالك واندثرت ممالك، وازدهرت الثقافة الصينية وأفل نجمها. وتعاقبت أحداث كبرى ومُؤثرة على الساحة التاريخية للصين.

استنادًا لمُعظم المُؤرّخين، يفتتح عام 1840 بداية تاريخ الصين المُعاصر، بداية سفرها من الأصالة إلى الحداثة. لقد كان على الحضارة الصينية أن تُواجه أربعة مراحل عُظمى من التحدّيات والردود. المراحل الثلاثة الأولى تتمثل في هجوم قوات تحالف انكليزية-فرنسية على بيكين في مطلع السنوات 1860، ثمّ الحرب الصينية-اليابانية في 1894 (وتُسمّى أيضًا "حرب جياوو") والحرب الروسية-اليابانية في الشمال الشرقي للصين في 1906. وقد ردّت الصين على هذه التحدّيات الثلاثة بحركة تغريبٍ: استيراد البضائع والأسلحة الحديثة، وتغييرات هيكلية من خلال الحركة الإصلاحية في 1898 [1]، ومُحاولة وضع نظام تأسيسيّ مع نهاية مملكة تشينغ، وأخيرًا ثورة سينهاي [2] في 1911.

رغم أنّ الصين قد خرجت مُنتصرة في نهاية الحرب العالمية الأولى، فإنها لم تكُنْ من ضمن القوى الكبيرة. الكثير من الصينيّين كانوا يروْن ردود بلادهم على هذه التحدّيات الثلاثة الكبيرة على أنها فشل. وكانت حركة 4 مايو [3] هي التي ستقود إلى المحاولة الرابعة للردّ على التحدّيات السابقة، مُفضية إلى التغريب الكامل للثقافة الصينية وذلك عبر الحركة الشيوعية وثورتها الجذرية.

هذا المقال يتناول بالتحليل نتائج المرحلة الأخيرة، أي الحركة الشيوعية والحزب الشيوعي. فلننظر عن كثبٍ إلى نتيجة ما اختارته الصين، أو ربّما علينا القول، ما فُرِضَ عليها. 160 سنة قد مرّت، وقرابة مائة مليون شخص ماتوا موتةً غير طبيعية، وتقريبًا كلّ شيءٍ في الثقافة والحضارة الموروثتيْن الصينيتيْن وقع تدميره.

I. الاعتماد على العنف والرعب للاستحواذ على السلطة والحفاظ عليها

"الشيوعيون لا ينحدرون إلى مستوى إخفاء آرائهم ومشاريعهم. إنهم يُعلنون صراحةً أنّ أهدافهم لا يُمكن بلوغها سوى عبر الإطاحة العنيفة بكامل النظام الاجتماعي السابق" [4]. هذا الشاهد مأخوذ من الفقرة الأخيرة في بيان الحزب الشيوعي، النصّ الرسمي للحزب الشيوعي (ح ش). العنف هو الوسيلة الوحيدة والأساسية التي وصل الحزب الشيوعي بواسطتها إلى السلطة. وانتقلت هذه الخاصّية إلى كلّ الأشكال اللاحقة للحزب التي ظهرت منذ نشوءه.

في الواقع، الحزب الشيوعي الأوّل في العالم قد تأسّس بعد سنواتٍ كثيرةٍ من موت كارل ماركس. في السنة التي تَلتْ ثورة أكتوبر 1917، وُلِدَ "الحزب الشيوعي (البولشيفي) الروسي" (والذي عُرفَ أكثر فيما بعدُ باسم "الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي"). ونما هذا الحزب مستعملاً العنف ضدّ "الأعداء الطبقيين" وحافظ على وجوده أيضًا بواسطة العنف ضدّ أعضاء الحزب والمُواطنين العاديّين. أثناء عمليّات التطهير التي نظمها ستالين في السنوات 1930، قتّل الحزب الشيوعي السوفييتي أكثر من 20 مليونًا ممّن زُعِمَ أنهم جواسيس وخَوَنة، وأيضًا أولئك الذين يُشتَبَهُ أنّ لديهم آراءًا مُخالفة.

في البداية، بدأ الحزب الشيوعي الصيني (ح ش ص) بصفته فرعًا من الحزب الشيوعي السوفييتي أثناء العالمية الشيوعية الثالثة. إذن فقد ورث بطبيعة الحال نزعته للقتل. أثناء الحرب الأهلية الأولى بين الشيوعيين والكومينتانغ (ك م ت)، من 1927 إلى 1936 في الصين، أضحى عدد سكّان مقاطعة "دجيانغ تسي" بضعة عشرة ملايين نسمة بعد أن كانوا يزيدون على العشرين مليون نسمة. هذه الأرقام وحدها تُعبّر تعبيرًا بليغًا عن الكوارث التي سبّبها استعمال العنف.

العنف هو ربّما وسيلة لا مناص منها للاستحواذ على السلطة السياسية، ولكن لم يوجد أبدًا نظام له نزعة واستعداد للقتل مثل التي لدى الح ش ص، وخاصّةً في الفترات الهادئة. منذ 1949، تجاوز عدد القتلى الذين ذهبوا ضحيّة عنف الح ش ص مجموع عدد ضحايا الحرب الأهلية ما بين 1927 و 1949. المُساندة المُقدّمة للخمير الحُمر الكمبوديين هي مثال واضح على الطرق العنيفة للحزب الشيوعي. تحت حُكم الخمير الحُمر، تمّ قتل أكثر من رُبع الشعب الكمبوديّ، وهو يضمّ مُعظم الصينيين المُهاجرين وأبنائهم. والصين اليوم تُواصل منع المُجتمع العالمي من تتبّع الخمير الحُمر عدليًا بغاية الاستمرار في إخفاء الدور الهامّ الذي لعبه الح ش ص في تلك المجزرة.

لدى الح ش ص روابط وثيقة مع القوات المُسلحة الثورية ومع الأنظمة الاستبدادية الأكثر قسوة في العالم. إضافة إلى الخمير الحُمر، فإنّ الأحزاب الشيوعية لأندونيسيا، للفيليبين، لماليزيا، للفيتنام، لبيرمانيا، للاووس وللنيبال قد تمّ مُساندتها كلها من طرف الح ش ص. الكثير من مُسيّري هذه الأحزاب هم صينيّون، وبعضهم لا يزال مُختبئًا في الصين اليوم.

فظائع المجموعات الشيوعية الأخرى التي تنسبُ نفسها إلى الماويّة، مثل الدرب المُنير في أمريكا الجنوبية والجيش الأحمر في اليابان، قد وقع إدانتها من طرف المُجتمع العالمي.

إحدى النظريات التي يستعملها الشيوعيون هي الداروينية الاجتماعية. الحزب الشيوعي يُطبّق نظرية داروين في صراع الأجناس على العلاقات الإنسانية والتاريخ الإنساني، مُدّعيًا أنّ صراع الطبقات هو القوّة الوحيدة المُحرّكة لنموّ المُجتمع. وهكذا أصبح الصراع - "الدوغما" (الوثوقية) الأولى للح ش ص - وسيلةً للحصول على السيطرة السياسية والحفاظ عليها. العبارات الشهيرة لماوو تنمّ بوضوح عن منطق بقاء الأقوى هذا: "مع 800 مليون بشر، كيف يُمكن أن تسير الأمور دون صراع ؟"

حسب تأكيدٍ آخر لماوو شهير هو أيضًا، "يجبُ أن تُقادَ ثورة ثقافية كلّ سبع أو ثماني سنين" [5]. لقد استعمل الح ش ص القوّة بشكل مُتكرّر لكي يُرعب ويُخضع الشعب الصيني. كلّ صراع، كلّ حركة، كانا مُمارسةً للرعب، أرعدت قلب الشعب الصيني وأخضعته شيئًا فشيئًا للعبودية تحت نيْر الح ش ص.

اليوم، أصبح الإرهاب العدوّ الأوّل للعالم الحُرّ المُتحضر. لقد مارس الح ش ص، بفضل الجهاز الحكومي، إرهابًا عنيفًا، على نطاق أوسع بكثير، ولمُدّة أطول بكثير، وذا نتائج مُدمّرة ومُخرّبة أكثر. اليوم، في القرن الحادي والعشرين، حذار أن ننسى هذه الخاصّية الوراثية في الحزب الشيوعي، إذ ما كانه الحزب في الماضي، هو حتمًا الذي يُحدّد ما سيكونه في المُستقبل.

II. اللجوء إلى الكذب لتبرير العنف

يُمكن أن نقيس المستوى الحضاري من خلال مدى العنف الذي يستعمله نظام مّا. إنّ الأنظمة الشيوعية بلجوئها إلى العنف، قد تقهقرت بالحضارة الإنسانية خطوةً هائلةً إلى الوراء. ومن المؤسف أنّ الحزب الشيوعي قد تمّ اعتباره تقدّميًا من قِبَل أولئك الذين كانوا يظنّون أنّ العنف هو وسيلة ضرورية للتقدّم بالمُجتمع.

ينبغي أن نتأمّل الاستسلام للعنف على ضوء الخاصّية الوراثية الثانية للحزب الشيوعي: وهو مهارته الفائقة ومُنقطعة النظير في استعمال الكذب والخداع.

"منذ نعومة أظفارنا ونحن نرى في الولايات المُتحدة بلدًا صديقًا. هذه الفكرة مردّها، في ناحيةٍ منها، أنّ الولايات المُتحدة لم تحتلّ أبدًا بلدًا آخر، ولم تُهاجم أبدًا الصين. وبالأساس، الانطباع الطيّب الذي يحمله الصينيون عن الولايات المُتحدة يرتكز على طبيعتها المُنفتحة والديموقراطية".

هذا ما كان قد نُشِرَ بـ 4 يوليو 1947 في "السينهوا دايلي"، الجريدة الرسمية للح ش ص. ولم تكدْ ثلاث سنين تمرّ، إلاّ وكان الح ش ص قد أرسل جنودًا لكي يُحاربوا الفرق الأمريكية في كوريا الشمالية وكان يُصوّر الأمريكيين على أنهم الامبرياليون الأكثر فسادًا في العالم. كلّ صينيّ يعيش في شبه القارّة الصينية سيتفاجأ إن قرأ وجهة النظر تلك المكتوبة منذ أكثر من 50 سنةً. لقد منع الح ش ص كلّ إصدار يحتوي على فقرات مُماثلة لتلك وأصدر منها نُسَخًا تمّ إعادة كتابتها.

منذ وصوله إلى السلطة، استعمل الح ش ص الكذب في القضاء على أعداء الثورة (1950-1953)، أثناء "التعاون" بين الشركات العمومية والخاصّة (1954-1957)، وأثناء حركة "ضدّ-اليمينيين" (1957)، وأثناء الثورة الثقافية (1966-1976) وأثناء مجزرة تيانانمن (1989)، وكذلك أثناء ما وقع حديثا من تقتيل للفالون غونغ (1999). وأشهر مثال، وشهرته مليئة بالأسى، هو تقتيل المُثقفين في 1957. لقد طلب الح ش ص من المُثقفين أن يُعبّروا عن آرائهم ولكنه ما لبث إثر ذلك أن قتّلهم بحُجّة أنهم "يمينيّون" مُستدلاً بأقوالهم كبراهين على "جرائمهم". وعندما ندّد البعض بهذا التقتيل بكونه مقلبًا أو مُؤامرةً محبوكةً في الخفاء، أعلن ماوو على الملأ: "ليس بمُؤامرةٍ محبوكةٍ في الخفاء، إنها خطّة مكشوفة للجميع."

لعبت الخديعة والأكاذيب دورًا هامًا جدّا في استحواذ الح ش ص على السلطة والحفاظ عليها. إن للصين أطول تاريخ وأكمل تاريخ في العالم والمُثقفون الصينيون قد آمنوا دومًا بالتاريخ. استعمل الشعب الصيني التاريخ لكي يُقيّم الواقع الحاليّ بل وحتّى بغاية تحقيق تـقدّم روحي على المستوى الشخصيّ. ولكي يخدم التاريخ النظام الحاليّ، فقد لجأ الح ش ص بصفةٍ مُتكرّرةٍ ودائمةٍ إلى تحوير الحقيقة التاريخية وإخفاءها. في حملته الدعائية وفي إصداراته، أعاد الح ش ص كتابة التاريخ، من تاريخ الفترات البعيدة مثل فترات "الربيع والخريف" (770-476 ق م) و "الممالك المُحاربة" (475-221 ق م)، وصولاً إلى الثورة الثقافية قريبة العهد. منذ 1949، استغرقت هذه التحويرات مدّة أكثر من نصف قرن، وكلّ الجهود الرامية إلى إعادة الحقيقة التاريخية إلى أصلها اصطدمت بمعارضة الح ش ص.

عندما يُضحي العنف غير كافٍ للحفاظ على السيطرة، يلجأ الح ش ص إلى الخديعة والكذب اللذان يصلُحان كمُبرّر وقناع تتوارى وراءه سيادة العنف وهيمنته. طبعًا، علينا الإقرار بأنّ الكذب والخديعة ليسا من اختراع الحزب الشيوعي، بل إنّ هذه رذائل قديمة جدّا، كلّ ما في الأمر أن الح ش ص استعملها بكلّ حرّية ودون رادع. لقد وعد الح ش ص الفلاحين بأراض، ووعد العمّال بمصانع، ووعد المُثقفين بالحرّية والديموقراطية، ووعد الجميع بالسلام. ولم يتـمّ الوفاء بأيّ من هذه الوعود. جيل من الصينيين مات مخدوعًا، وجيل آخر تتواصل إلى اليوم عمليّة نهبه واستنزافه. نعم، وهذا هو الجانب الأكثر تعاسة في الأمّة الصينية، وهو ما سبّب شقاء الصينيين أكثر .

III. مبادئ متغيّرة دومًا

أثناء الحوار التلفزي الذي دار في 2004 بمناسبة الانتخابات الرئاسية الأمريكية، قال أحد المترشحين أنه بإمكان المرء تغيير خُططه التكتيكية إن اقتضى الأمر، ولكن عليه ألاّ يُغيّر أبدًا "مُعتقداته" أو "قيمه الأساسية"، وإلاّ فسيكون بكلّ بساطةٍ "غير جدير بالثقة" [6]. هذا التصريح يُساعد على فهم مبدأ عامّ.

الحزب الشيوعي هو مثال نموذجي على ذلك. منذ ولادته، منذ أكثر من 80 سنةً، عقد الح ش ص 16 مُؤتمرًا وطنيّا وغيّر 16 مرّةً المجلس التأسيسي للحزب. أثناء أكثر من 5 عقود من السلطة، قام الح ش ص بخمس تغييرات كُبرى في المجلس التأسيسي الصيني.

غاية الح ش ص المُثلى هي المساواة الاجتماعية والتي تُفضي إلى مجتمع شيوعي. ورغم ذلك، أصبحت الصين، في ظلّ الحكم الشيوعي، البلد الذي يشهدُ أكبر عدم تكافؤ اقتصادي. الكثير من أعيان الحزب أصبحوا أثرياء ثراءًا طائلاً بينما 800 مليون نسمة يعيشون تحت خط الفقر.

الخط النظري الرئيسي للح ش ص قد انطلق من الماركسية-اللينينية، وأضيفت إليه الماوية، ثمّ أضيفت إليه اليوم أفكار "دانغ سياوبينغ" ثمّ حديثًا أفكاردجيانغ "التمثيلات الثلاث". الماركسية واللينينية والماوية لا تـتفق أبدًا مع نظرية دانغ وايديولوجية دجيانغ، بل إنها على طرف النقيض منهما. إنّ هذه الخلطة العجيبة من النظريات الشيوعية المُستعملة من طرف الح ش ص لبالفعل أمر نادر في تاريخ الإنسانية.

لقد تضاربت مبادئ الحزب الشيوعي بشدّةٍ فيما بينها أثناء سيرورة تطوّرها، من فكرة الاحتواء الشامل الذي يتجاوز الدولة-الأمّة وصولاً إلى القوميّة المُتطرّفة اليوم، من القضاء على كلّ ملكيّة خاصّة وعلى كلّ الطبقات المُستغلّة وصولاً إلى المفهوم الحالي الذي يُشجّع الرأسماليين على الالتحاق بالحزب، مبادئ البارحة انقلبت رأسًا على عقبٍ في سياسة اليوم، ونتوقّع غدًا تغييراتٍ أخرى. مهما يكُن عدد المرّات التي يُغيّر فيها الح ش ص مبادئه، فإنّ غايته تبقى واضحة: الحصول على السلطة والحفاظ عليها، وتمديد الهيمنة المطلقة على المجتمع.

عرف الح ش ص لأكثر من عشر مرّاتٍ في تاريخه، صراعاتٍ داخلية، صراعات "حياة أو موت". في الحقيقة، كلّ هذه الصراعات كانت قد تزامنت مع انتقال للسلطة إثر تغييرات في المبادئ الأساسية للحزب.

كلّ تغيير في المبادئ قد ورد نتيجةً لأزمة حتمية واجهها الح ش ص، تُهدّد شرعيّته وتُهدّد بقاءهُ. إن يكُنْ العمل المُشترك مع حزب الكومينتانغ، أو سياسة خارجية مُوالية لأمريكا، أو الإصلاح الاقتصادي وانفتاح السوق، أو أيضًا الدعوة إلى القوميّة، كلّ واحد من هذه القرارات قد أتى في فترة أزمةٍ وكان الهدف منه هو الحصول على السلطة أو تدعيمها. كلّ دورةٍ من دَوَرات اضطهاد مجموعةٍ من الناس، متبوعة بقلبٍ للمعطيات وردّ الاعتبار للمضطهدين ومحاولة إنصافهم من جديد، كانت مرتبطة بتغييرات في المبادئ الأساسية للح ش ص.

هناك مَثل غربيّ يقول أنّ الحقيقة ثابتة لا تتغيّر وأنّ الكذب ذو وجهٍ مُتغيّر. هذا المَثل لا يخلو من حكمة.

VI. كيف أنّ طبيعة الحزب تحلّ محلّ الطبيعة الإنسانية وتقضي عليها

الح ش ص هو نظام مُستبدّ لينينيّ. منذ بدايات الحزب، تـمّ وضع ثلاثة خطوط عريضة أساسية: الخط الثقافي، الخط السياسي، والخط التنظيمي. الخط الثقافي يتمثل في الفلسفة التي أسّست الحزب الشيوعي. الخط السياسي يتمثل في رسم الأهداف. والخط التنظيمي يتمثل في الكيفيّة التي بها يتمّ بلوغ هذه الأهداف في إطار تنظيمٍ مُحكمٍ.

أعضاء الح ش ص، مثلهم مثل الناس الذين يُسيّرهم الح ش ص، يتلقّوْن أوّلاً وقبل كلّ شيئٍ أوامر ؛ والمطلوب منهم هو الطاعة العمياء. تلك هي طبيعة الخط التنظيمي.

في الصين، أغلبيّة الناس واعون بازدواجيّة الشخصية الموجودة لدى أعضاء الح ش ص. في حياتهم الخاصّة، هم بشر عاديّون لديهم مشاعر الفرحة والغضب والكآبة والمرح، ولديهم مزايا الناس العاديين وعيوبهم. ويُمكن أن يكونوا آباء، أو أزواج، أو زوجات، أو أصدقاء. ولكنّ طبيعة الحزب تقعُ فوق الطبيعة البشرية وفوق المشاعر. ما يقتضيه الحزب الشيوعي هو أنّ طبيعة الحزب تتجاوز الطبيعة البشرية. وبهذه الطريقة، يُصبح الشعور الإنساني نسبيّا وقابلاً للتطويع، بينما تُصبح طبيعة الحزب مُطلقة، فوق كلّ الشكوك وفوق كلّ التحدّيات.

أثناء الثورة الثقافية، آباء وأبناء تقاتلوا فيما بينهم، وأزواج وزوجات تصارعوا فيما بينهم، وأمّهات وبنات تبادلن الشتائم فيما بينهنّ، وطلبة وأساتذتهم عامل بعضهم بعضًا معاملة الأعداء. لقد شجّعت مبادئ الحزب على الصراع والكره. في الفترات الأولى لحكم الح ش ص، وجد بعض أعيان الحزب نفسه عاجزًا عندما تمّ وصم أفراد أسرته بأنهم أعداء طبقيّون وتـمّ قمعهم. لقد كان هذا، مرّةً أخرى، ينبع من طبيعة الحزب.

هيمنة طبيعة الحزب على الفرد هي نتيجة المذهبة الطويلة للح ش ص. يبدأ التدريب منذ الحضانة، حيث تُشفَعُ الأجوبة التي يُريدها الح ش ص بمكافأةٍ رغم أنها لا تـتّفق لا مع المنطق السليم ولا مع الطبيعة الإنسانية للطفل. يتلـقّى المُتعلّمون تعليمًا سياسيّا في التعليم الابتدائيّ، وفي التعليم الثانويّ، وصولاً إلى الجامعة. هم يتعلّمون اتّباع الأجوبة السائدة التي يُقرّها الحزب، وإلاّ فلا يُسمَحُ لهم باجتياز الامتحانات وإحراز الشهادات.

على عضو الحزب، مهما تكُنْ أفكاره الداخلية، أن يتّبع خط سيْر الحزب عندما يتكلّم في العَلَن. البُنية التنظيمية للحزب الشيوعي هي عبارة عن هَرَمٍ ضخمٍ، حيث نجدُ في قمّة الهَرَم السلطة المركزية التي تُهيمن على كلّ الدرجات. هذه البنية الفريدة هي إحدى الخاصّيات الأكثر أهمّية في نظام الح ش ص. وهي تُساهم في إعطاء امتثال أعمى.

اليوم، تدهور الح ش ص إلى كيان سياسيّ يُصارع للحفاظ على مصلحته الخاصّة. إنه لم يعُدْ يتّبع أيّا من الأهداف السامية للشيوعية. ومع ذلك، فإنّ البُنية التنظيمية للشيوعية قد تمّ الحفاظ عليها، واشتراطها للطاعة المُطلقة لم يتغيّر. هذا الحزب، الذي يضعُ نفسه فوق الإنسانية وفوق الطبيعة الإنسانية، يقضي على كلّ تنظيمٍ أو كلّ شخص يرى فيه تهديدًا أو إمكانيّة تهديدٍ لسيادته الخاصّة، إن يكُن هذا الشخص مُواطنًا عاديّا أو مُوظفًا ساميًا من موظفي الح ش ص.

V. شيطان يقف ضدّ الطبيعة والطبيعة الإنسانية

تحت قبّة السماء، كلّ المخلوقات تمرّ بالدورة التالية: ولادة، نضج، تقهقر، وموت.

خلافًا للنظام الشيوعي، فإنّ المجتمعات غير الشيوعية، حتّى تلك التي تُعاني من استبداد نظام كليانيّ، نجدُ أنها تسمحُ، أحيانًا كثيرة، بقدر مُعيّن من استقلاليّة التنظيم ومن حرّية اتّخاذ القرار. لقد كان المجتمع الصيني القديم يخضعُ لحكمٍ وفق بُنيةٍ ثنائيةٍ. في المناطق الريفية، كانت العشائر تُكوّن مركز تنظيم اجتماعي مُستقلّ بينما المناطق الحضريّة كانت تنتظمُ حول رابطة النقابات. نظام الحكم الذي كان يمتدّ من الأعلى إلى الأسفل، كان يقفُ عند مستوى الأرياف.

لقد كان النظام النازي، وهو ربّما أقسى نظام ديكتاتوري إلى جانب النظام الشيوعي، كان يسمحُ ببقاء الملكيّة الخاصّة. ولكنّ الأنظمة الشيوعية قد قضت على كلّ شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي المُستقلّ عن الحزب، وعوّضته ببُنىً سلطويّة مركزية، من الأعلى إلى الأسفل.

إن كانت البُنى الاجتماعية التي ترتفع انطلاقًا من القاعدة تسمحُ بصفة طبيعية باستقلاليّة الفرد أو المجموعة، إذن فالنظام الشيوعي في أساسه هو مُضادّ للطبيعة.

لا يقترح النظام الشيوعي مقاييس كونيّة للطبيعة الإنسانية. مفهوم الخير والشرّ، مثله مثل القوانين والقواعد، كلها يتمّ التعامل معها بطريقة اعتباطية. الشيوعيون لا يسمحون بالقتل، إلاّ بالنسبة لمن يُعتَبَرُ أنهم أعداء الحزب الشيوعي. برّ الأبناء بالآباء خصلة جيّدة، إلاّ إذا كان الآباء ممّن يُعتَبَرُ أنهم أعداء طبقيّون. الإحسان، والاستقامة، والتصرّف المُهذب، والحكمة والإخلاص، هي أشياء حسنة، ولكن لا يجوز تطبيقها عندما يكون الحزب غير

مُوافق أو عندما لا يُريد أن يضع في اعتباره هذه الفضائل الأصلية. الحزب الشيوعي يقلب تمامًا المقاييس الكونية للطبيعة الإنسانية، إنه ينبني على مبادئ تقعُ على طرف النقيض من الطبيعة الإنسانية.

المُجتمعات غير الشيوعية تضعُ عمومًا في اعتبارها ثنائية الطبيعة الإنسانية من خير وشرّ وهي تتأسّس على مواثيق اجتماعيّة موضوعة للحفاظ على توازن المجتمع. ومع ذلك، في المُجتمعات الشيوعية، ينتفي مفهوم الطبيعة الإنسانية في حدّ ذاته، ولا يتمّ الاعتراف لا بالخير ولا بالشرّ. حسب ماركس، القضاء على مفهوم الخير والشرّ يُمكّن من الإطاحة كلّيًا ببُنية المجتمع القديم.

الحزب الشيوعي لا يعتقد في وجود الله، ولا يحترم حتى الطبيعة. "مُحاربة السماء، مُكافحة الأرض، الصراع ضدّ الإنسان – الحياة التي تُعاشُ هكذا تكون مليئةً بالفرحة." كان هذا شعار الح ش ص أثناء الثورة الثقافية. وهكذا فقد عانى كلّ من الشعب والأرض قدرًا كبيرًا من العذاب.

يتوارث الصينيون الاعتقاد التالي وهو وحدة السماء والإنسان. لقد قال لاوو تسي في الداوو دي دجينغ (طاوو تي كينغ): "الإنسان يتبع الأرض، والأرض تتبع السماء، والسماء تتبع الطاوو، والطاوو يتبع الطبيعة" [7]. الإنسان والطبيعة يُوجدان داخل علاقة انسجام في رحاب التواصل الكونيّ.

الحزب الشيوعي هو أيضًا نوع من المخلوقات. ولكنه يتعارض مع الطبيعة، ومع السماء، ومع الأرض، ومع الإنسان. إنه شيطان شرّير يقف ضدّ الكون.

IV. بعض مظاهر هذاالتملّك الشرّير

أعضاء الح ش ص أنفسهم لا يُساهمون أبدًا في أنشطة إنتاجية أو إبداعية، عندما يحصلون على السلطة، يَعْلقون بالناس، يُهيمنون عليهم ويستخدمونهم. وخشية فقدان هذه الهيمنة، يبسطون نفوذهم إلى حدود أسفل السلّم الاجتماعي. يتحكّمون في موارد الإنتاج ويستنفدون ثروات المجتمع.

في الصين، يمتدّ الح ش ص إلى كلّ مكانٍ ويُسيطر على كلّ شيءٍ، ولكن لا أحد قد تمكّن أبدًا من رؤية حساب الح ش ص، بل فقط حسابات الدولة، وحسابات الولايات المحلّية والشركات. من الحكومة المركزية وصولاً إلى اللجان القروية في الأرياف، يشغَلُ الموظفون البلديون دائمًا منصبًا دون منصب الإطارات الشيوعية، وهكذا فالإدارات المحلّية يجب أن تخضع لتعليمات خلايا الحزب الشيوعي الموجودة معها في نفس المستوى. مصاريف الحزب تُغطّيها السّلط البلدية ويتمّ احتسابها مع نظام البلدية.

تنظيم الح ش ص، مثله مثل شيطان شرّير، يعْلقُ بكلّ خليّةٍ من خلايا المجتمع الصيني، مثلما يتبع الظلّ صاحبهُ. هذا التنظيم ينفَذُ بعُمق إلى كلّ شُعَيْرةٍ وكلّ خليّةٍ في المجتمع، بواسطة أوعيته الدقيقة، أوعية امتصاص الدماء لديه، مُهيمنًا بهذه الطريقة على المجتمع ومُستخدمًا إيّاه.

هذه البُنية الفريدة، بُنية التملّك الشرّير هذه، قد وُجِدت في التاريخ الإنساني القديم، بصفةٍ جزئية أو وقتية. ولكنها لم تُوجدْ أبدًا لفترةٍ طويلةٍ مثل التي استغرقها الح ش ص، ولم تُسيطر أبدًا على المجتمع بصفةٍ كُلّيةٍ مثلما فعل الح ش ص.

لهذا السبب يعيش الفلاحون الصينيون في ضنك العيش، ويقومون بأعمال تُقابَلُ بالجحود والنكران. لا فقط عليهم أن يُوفّروا حاجيات الموظفين البلديّين التقليديين، ولكن أيضًا حاجيات الإطارات الشيوعية، المُتواجدة أحيانًا بأعداد أكبر.

لهذا السبب، فقد العمّال الصينيون موارد رزقهم بأعدادٍ كبيرةٍ. أوعية امتصاص الدماء للح ش ص الموجود في كلّ مكان والمُتملّك بهم قد استنزفت خزائن مصانعهم طيلة سنواتٍ كثيرةٍ.

لهذا السبب يصعُبُ جدّا على المُثقفين الصينيين أن يحصلوا على حرّية التفكير. بالإضافة إلى رؤسائهم ومُسيّريهم في العمل، فإنّ ظلّ الح ش ص يُخيّم على كلّ مكان، لا همّ له سوى مراقبة الناس.

يحتاج الشيطان الشرّير إلى سيطرة تامّة ومُطلقة على عقل وروح من تملّك به لكي يستقي الطاقة التي يحتاجها لمواصلة العيش.

حسب علم السياسة الحديث، تتأتّى السلطة من ثلاثة موارد رئيسية: القوّة، الثروة، والمعرفة. لم يتردّد الح ش ص أبدًا في استعمال وتوظيف السيطرة والقوّة لنهب مُمتلكات الناس. بل وأسوء من ذلك: لقد حرم الناس من حرّية التعبير وحرّية الصحافة. لقد اغتصب عقول الناس وإرادتهم لكي يُحافظ على تحكّمه المُطلق في السلطة. ما سبق يُمكّننا أن نستنتج أن تملّك الح ش ص الشرّير يُسيطر على الناس بإحكامٍ يصعُبُ معه مقارنته بأيّ نظامٍ آخر في العالم.

VII. أن ننظر إلى أنفسنا ونتخلّص من الح ش ص

في بيان الح ش ص، أوّل وثيقة في برنامج الحزب الشيوعي، يُعلن ماركس: "في 1848، هناك شبح يُخيّم على أوروبّا: شبح الشيوعية" [8]. بعد قرن من ذلك، لم تعُدْ الشيوعية مُجرّد شبح، بل اكتست جسمًا مادّيًا مُحدّدًا. لقد انتشرت في جميع أنحاء العالم مثلما ينتشر الوباء، قاتلةً في طريقها مئات الملايين من الناس، وناهبةً مُمتلكات مئات الملايين من الأشخاص، بما في ذلك عقولهم وأرواحهم التي وُلِدت حُرّةً.

المبادئ الأساسية للحزب الشيوعي هي الاستحواذ على كلّ ملكيّة خاصّة من أجل القضاء على "الطبقة المُستغِلّة". الملكيّة الخاصّة هي القاعدة التي تقوم عليها كلّ الحقوق الاجتماعية وأحيانًا كثيرةً ما تنضوي داخلها الثقافة القومية. الناس الذين يقعُ نهب أملاكهم الخاصّة يفقدون أيضًا حرّية تفكيرهم وعقولهم ؛ ويُمكن حتّى أن يفقدوا حرّية التمتّع بحقوق اجتماعية وسياسية.

في مُواجهة أزمة حياة أو موت، وجد الح ش ص نفسه مُجبَرًا على القيام بإصلاح على مستوى الاقتصاد الصيني في السنوات 1980. بعض حقوق التمتّع بالملكيّة الخاصّة تمّ إرجاعها للناس. وقد خلق هذا ثغرةً في هذه المَكنة الضخمة، مَكنة السيطرة الدقيقة والمُحكمة للح ش ص. وهذه الثغرة آخذة في الاتّساع أكثر فأكثر تَبَعًا لسعي أعضاء الح ش ص المُتواصل لجمع ثروات خاصّة.

هذا الكائن الطفيليّ الذي هو الح ش ص، والذي بقي في مكانه بواسطة العنف، والكذب، والتغيير المتواصل للمظهر والصورة، قد أخذت تبدو عليه اليوم علامات التدهور والعصبية عند أدنى مشكلة: إنه يُحاول أن يبقى على قيد الحياة، ماضيًا في تجميع المزيد من الثروات ومُدعّمًا نفوذه، ولكنّ هذه الأفعال ليس من شأنها سوى أن تزيد من خطورة الأزمة.

تبدو الصين الحالية مُزدهرة، ولكنّ الصراعات الاجتماعية قد احتدمت فيها إلى درجة لم يتمّ بلوغها من قبلُ أبدًا. ربّما سيُحاول الح ش ص أن يتراجع خطوةً إلى الوراء، مُستعملاً الأساليب السياسية التي استُعمِلت في الماضي، فيُحاول أن يُصلح ما أفسده في مجزرة ساحة تيانانمن أو الفالون غونغ، أو يُحاول أن يتّخذ مجموعة أخرى كعدوّ، ويُواصل بهذا حكمه الإرهابيّ.

إزاء تحدّيات المائة سنة الأخيرة، كان جواب الأمّة الصينية هو استيراد الأسلحة، وإصلاح النظام وتحويره، وتفجير ثورات مُتطرّفة وعنيفة. أعداد لا تُحصى من الناس قد قُتِلت والثقافة الموروثة الصينية قد تمّ رميها. يبدو أنّ هذه الأجوبة باءت بالفشل. وعندما احتلّ الاضطراب والقلق مكانًا في نفوس الصينيين، استغلّ الح ش ص الظرف لكي يدخُل في مسرح الأحداث. ومنذ ذلك الحين وهو يُمسك في قبضة نفوذه هذه الحضارة، آخر الحضارات القديمة التي لا تزال حيّة في العالم.

في التحدّيات القادمة، سيكون على الشعب الصيني مرّةً أخرى أن يقوم بخيارات، لا مناص من ذلك. ومهما تكُنْ هذه الخيارات، فإنّ على كلّ مواطن صيني أن يعي أنه إن واصل تعليق أدنى أملٍ له على الح ش ص، فلن يكون في ذلك سوى زيادة في حدّة الأضرار التي أُلحِقت بالأمّة الصينية، ولن يكون ذلك سوى حقنًا لطاقة جديدة تنضاف للتملّك الشيطاني للح ش ص.

يجبُ علينا أن نتخلّى عن كلّ وهمٍ، أن نتمعّن في الأشياء بأنفسنا وألاّ نترك أنفسنا تكون مرتعًا للجشع والكره. فقط حينها سيتسنّى لنا فكّ عقالنا من نصف قرن من هذا الكابوس، من سيطرة التملّك الشيطاني للح ش ص على امتداد الـ 50 سنة الماضية. من أجل أمّةٍ حُرّةٍ، نستطيعُ أن نُعيد الحضارة الصينية إلى بريقها، هذه الحضارة التي تقوم على احترام الطبيعة الإنسانية وعلى الرحمة بالجميع.

ملاحظات:

1- إصلاح المائة يومٍ كان إصلاحًا دام 103 أيّامٍ، من 11 يونيو إلى 21 سبتمبر 1898. أمر الإمبراطور غوانغسو من مملكة تشينغ (1875-1908) بمجموعةٍ من الإصلاحات الرامية إلى إدخال تغييرات هيكلية واجتماعية عميقة. وقد قام أطراف من النخبة الحاكمة المُحافظة بمُعارضة هذا الإصلاح بشدّة. فقامت الإمبراطورة دواغر سيسي بتدبير عمليّة انقلاب سياسي في 21 سبتمبر 1898، مُجبرةً المُصلح الشابّ غوانغسو على الانسحاب، وقد ساندها في ذلك المُحافظون المُتطرّفون كما ساعدها التأييد الصّامت للانتهازيّ السياسي يوان شيكاي. أخذت سيسي السلطة بصفتها وصيّة على الحكم. وانتهى إصلاح المائة يومٍ بحلّ العقود الجديدة وبإعدام ستّة من المُدافعين الرئيسيّين عن الإصلاح.

2- ثورة سينهاي، سُمّيت باسم السنة الصينية سينهاي (1911)، وقعت فيها الإطاحة بحكم عائلة تشينغ الصينية (10 أكتوبر 1911، 12 فبراير 1912) وتأسيس الجمهورية الصينية.

3- حركة 4 مايو كانت أوّل حركة شعبية في تاريخ الصين الحديث، وبدأت في 4 مايو 1919.

4- الرابط:

http://marx.eserver.org/1848-communist.manifesto/cm4.txt

5- رسالة من ماوو تسي تونغ إلى زوجته دجيانغ تشينغ (1966).

6- هذه المعلومة مُستقاة من الموقع التالي:

http://www.debates.org/pages/trans2004a.html

7- طاوو تي كينغ، الفصل 25.

8- الرابط:

http://marx.eserver.org/1848-communist.manifesto/cm1.txt

جميع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة الثانية : بدايات الحزب الشيوعي

توطئة

رجل صيني يتأمل رسمًا يمثل الزعيم الشيوعي السابق ماوو تسي تونغ بصدد الإعلان عن نشأة الجمهورية الشعبية الصينية، عند بوابة المدينة المحرمة في 1949. تاريخ الحزب الشيوعي مخضب بدم الأبرياء ومليء بالأكاذيب رغم أنه، هو، يدعي العكس. (صورة غوه تشاي هين/أ.ف.ب/صور جاتي)

حسب ما هو وارد في كتاب "شرح الكلمات البسيطة وتجزئة الكلمات المركّبة" (شوو وان دجيتسي)، الذي كتبه المُؤلف سوشان في سنة 147م في ظلّ الأسرة الحاكمة هان الشرقية، فإنّ تعبير الكلمة الصينية القديمة "دانغ" أي "حزب" أو "زُمرة" يتمثل في جذريْن هما: "تنشئة، تكوين" أو "الدعوة إلى"؛ والآخر "ظلمة" أو "أسود". فإذا جمعنا الجذريْن معًا فإنّ الكلمة تعني: "إنجاح الظلمة". وتعبير "حزب" أو "عضو حزب" هو تعبير ذو معنى سلبي. لقد قال كونفوشيوس "الإنسان النبيل هو إنسان ذو عزّة وأنفة ولكنه ليس غليظًا، وهو إنسان اجتماعي ولكنه لا ينتمي لأيّ حزب". في الملاحظات (لون يو) التي تذيّل المختارات الأدبية، نجد الشرح التالي وهو أنّ "الناس الذين يتعاونون من أجل إخفاء أعمالهم يُعتَبَرُ أنهم يُكوّنون عُصبةً (حزبًا)". وفي تاريخ الصين، غالبًا ما سُمّيت الجماعات السياسية "بانغ دانغ" (مؤامرات). في الثقافة الصينية الموروثة، هذه العبارة مُرادفة لـ"عُصبة، زُمرة من الصعاليك" وهي تنطوي على معنى تكوين زُمرة ذات أهداف شخصية أنانية.

لماذا ظهر الحزب الشيوعي، وكبُرَ، ثمّ في النهاية استولى على السلطة في الصين الحديثة ؟ الحزب الشيوعي الصيني (ح ش ص) لم يفتأ يحقِنْ في ذهن الشعب الصيني أنّ التاريخ قد اختار الح ش ص، أنّ الشعب قد اختار الح ش ص، وأنه بدون الح ش ص لم تكُنْ لتوجد صين حديثة.

هل اختار الشعب الصيني الحزب الشيوعي ؟ أم أنّ الحزب الشيوعي هو الذي انبرى كعصابةٍ وفرض نفسه على الشعب الصيني ؟ علينا أن نجد الأجوبة في التاريخ.

منذ آخر أسرة حاكمة في التشينغ (1644-1911) وصولاً إلى السنوات الأولى من فترة النظام الجمهوري (1911-1949)، عاشت الصين كثيرًا من الصدمات الخارجية ومُحاولات مُتكرّرة للإصلاح الداخلي. لقد كان المُجتمع الصيني يوجد في حالة اضطراب مؤلمة. كثير من المثقفين وأشخاص

ذوي مُثل عليا سامية كانوا يُريدون إنقاذ البلاد والشعب. ومع ذلك، في خضمّ الأزمة الوطنية والفوضى، احتدّ شعورهم بالقلق والخوف، وقادهم ذلك إلى شعور بالخيبة في البداية ثمّ إلى اليأس التامّ. ومثل شخص مريض ينشُدُ أيّ طبيب، فقد بحثوا خارج الصين ليجدوا حلولاً. بعد أن فشل المثال البريطاني ثمّ الفرنسي، التفتوا إلى المثال الروسي. وتحت تأثير لهفتهم القلقة على النجاح، لم يتردّدوا في اختيار أقصى وأشدّ علاج للمرض، آملين أن تُصبح الصين قويّة بسرعةٍ.

وقد عكست حركة مايو 1919 بعُمق هذا اليأس. كان بعض الأشخاص يدعون إلى الفوضى ؛ وكان البعض الآخر يقترحون الإطاحة بتعاليم كونفوشيوس ؛ وآخرون يقترحون استيراد الثقافة الغربية. وباختصار فقد كانوا مُتّفقين على رمي الثقافة الموروثة وكانوا مُعارضين لتعاليم كونفوشيوس التي تدعو إلى اتّخاذ طريق الوسط. وقد حَدَت بهم رغبتهم في اختصار الطريق إلى الدعوة إلى تحطيم كلّ الموروثات. المُتطرّفون منهم لم يكُنْ بإمكانهم بتاتًا أن يخدموا البلاد من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى كانوا يعتقدون اعتقادًا قويًا في إرادتهم الذاتية ومُـثلهم. كانوا يُحسّون أنّ العالم أضحى بلا أمل، وأنهم هم الوحيدون الذين يعرفون المُقاربة النافعة من أجل التقدّم المُستقبلي للصين. لقد كانوا مُولعين بالثورة والعنف.

مختلف التجارب أدّت إلى مختلف النظريات والمبادئ والسّبُل داخل مختلف المجموعات. وفي النهاية، التقى بعضهم بمُمثلي الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي. كانت فكرة "استعمال ثورة عنيفة للاستيلاء على السلطة السياسية" - هذه الفكرة المستعارة من الماركسية-اللينينية، تجذب أفئدتهم القلقة وتتّفق مع رغبتهم في إنقاذ البلاد وشعبها. ومن ثمّ، أدخلوا الشيوعية للصين، وقد كانت الشيوعية حينها مفهومًا غريبًا تمامًا عن الصين. كان هناك في المُجمل 13 مُمثلين حاضرين في المؤتمر الأوّل للح ش ص. وفيما بعدُ، مات بعضهم، وهرب البعض الآخر، وعمِلَ البعض الآخر لصالح قوات الاحتلال اليابانية وأصبحوا خَوَنة للصين، وآخرون غادروا الح ش ص ليلتحقوا بالكومينتانغ (الحزب القومي الصيني، ك م ت). وفي سنة 1949، عندما وصل الح ش ص إلى السلطة، لم يكُن قد بقي من المجموعة الأولى ذات الـ13 عضوًا من أعضاء الحزب سوى ماوو تسي تونغ و دونغ بـيوو. من الصعب أن نجزم بما إذا كان مُؤسّسو الح ش ص واعين في ذلك الوقت أنّ تلك "الآلهة" التي جلبوها من الاتحاد السوفييتي كانت في الواقع شيطانًا، وأنّ الدواء الذين كانوا ينشدونه لتقوية الأمّة كان في الواقع سمّا زعافًا.

كان الحزب الشيوعي الروسي البولشيفي (والذي عُرفَ لاحقًا باسم الحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي)، والذي كان قد أتمّ لتوّه ثورته، كان مهووسًا بطموحاته وآماله التي يُعلّقها على الصين. في سنة 1920، أسّس الاتحاد السوفييتي مكتب الشرق الأقصى، فرعًا من العالمية الثالثة، أو الكومينتارن. كان هذا الكومينتارن مُكلّفًا بوضع أسس حزب شيوعي في الصين وفي بلدان أخرى. كان سوميتسكي رئيس المكتب وكان غريغوري فويتينسكي مُساعدًا. وشرعا في تحضير أساس الحزب الشيوعي الصيني بمعيّة شان دومياوو وآخرين. الاقتراح الذي تمّ تقديمه إلى مكتب الشرق الأقصى في يونيو 1921 والمُتمثل في وضع فرع صيني للكومينتارن، يُبيّن أنّ الح ش ص كان فرعًا يُسيّره الكومينتارن. وفي 23 يوليو 1921، وبمساعدة أعضاء مكتب الشرق الأقصى نيكولسكي و مارينغ، تكوّن الح ش ص بصفةٍ رسميّةٍ.

وعندها تمّ إدخال الحركة الشيوعية للصين على سبيل التجربة، ومنذ ذلك الحين، نصّب الح ش ص نفسه فوق كلّ شيءٍ، مُستوليًا على كلّ شيءٍ يعترضه في طريقه، وجارًا على الصين مصائبَ لا تنتهي.

I. تكوّن الح ش ص بواسطة تراكم مستمرّ للشرور

لم يكُن بالسهل إدخال شيطان غريب مثل الحزب الشيوعي إلى الصين، بلد الحضارة التي يمتدّ تاريخها على 5000 سنةٍ، شيطان يتعارض تمامًا مع الموروث الصيني. لقد خدع الح ش ص الشعب والمُثقفين الوطنيين الذين كانوا يُريدون أن يخدموا البلاد بوعود "المثالية الشيوعية". وقد شوّه هذا نظرية الشيوعيّة أكثر وأكثر، هذه النظرية التي كان قد شوّهها لينين تشويهًا خطيرًا في مرحلة أولى، وذلك لكي تكون قاعدة نظريّة لتحطيم كلّ المبادئ والقيم الأخلاقية الموروثة. ثمّ إنّ نظريّة الح ش ص المُشوّهة قد استُعمِلتْ لتدمير كلّ ما ليس في صالح حكم الح ش ص وسيادته، ولكي تُزيل كلّ الطبقات الاجتماعيّة والناس الذين يُمكن أن يُهدّدوا نفوذه. لقد تبنّى الح ش ص تحطيم كلّ المُعتقدات أثناء الثورة الصناعية وتبنّى الإلحاد في أشدّ وأقصى درجة يُمكن أن تكون في الشيوعية. لقد ورث الح ش ص إلغاء الملكيّة الخاصّة الذي تدعو إليه الاشتراكية واستورد نظرية الثورة العنيفة من لينين. وفي نفس الوقت، ورث الح ش ص أسوء ملامح النظام الملكيّ الصيني وعمّق هذه الملامح.

إنّ تاريخ الح ش ص هو مسار تراكم متواصل لجميع الشرور، المحلّية والأجنبية. لقد نمّق هذه الملامح التسعة التي ورثها مُضفيًا عليها "خصوصيّات صينية": الفساد، الكذب، الاستفزاز، تسيّب حثالة المجتمع، الجوسسة، النهب، الصراع، التصفية، والسيطرة. وكردّ على الأزمات المتواصلة، دعّم الح ش ص وقوّى الوسائل المُستعمَلة لتفعيل تلك الخصوصيّات الخبيثة وتوظيفها كما حرص على انتشار هذه الوسائل انتشارًا أوسع.

-1 أولى الملامح الموروثة: الفساد – ارتداء الصورة الفاسدة للماركسية-اللينينية

في البداية، جذبت الماركسية الشيوعيين الصينيين من خلال تصريحها بـ"استعمال الثورة العنيفة لتدمير الجهاز الحكومي وتأسيس ديكتاتورية البروليتاريا". ذاك هو بالتحديد جذر الشرّ في الماركسية واللينينية.

ترتكز المادّية الماركسية على المفاهيم الاقتصادية التالية: قوّة الإنتاج، العلاقات الإنتاجية، والقيمة المُضافة؛ وهي مفاهيم محدودة. أثناء المراحل الأولى، عندما كانت الرأسمالية لا تزال في طور نموّها، برهن ماركس على قصور في نظرته عندما تنبّأ بموت الرأسمالية وانتصار البروليتاريا، وهو ما فنّده التاريخ والواقع. الثورة العنيفة وديكتاتوريّة البروليتاريا عند الماركسية-اللينينية تُفضّلان سياسة السلطة وثورة البروليتاريا. وقد نسب

بيان الحزب الشيوعي القاعدة التاريخية والفلسفية للحزب الشيوعي للصراع ولمعركة الطبقات. لقد حطمت البروليتاريا الروابط التي تربطها بالقيم الأخلاقية الموروثة وبالعلاقات الاجتماعية لكي تستولي على السلطة. ومنذ أوّل ظهور له، تأسّس مذهب الشيوعية على طرف النقيض من كلّ القيم الموروثة.

إنّ الطبيعة الإنسانية بصفةٍ عامّةٍ ترفض العنف. العنف يُعوّد الناس على القسوة والطغيان. إذن ففي كلّ زمان ومكان، رفضت الإنسانية من الأساس بوادر نظريّة العنف التي نجدها في الحزب الشيوعي، هذه النظرية التي لم يسبقْ وأن وُجِدت قطّ في أيّ من أنظمة التفكير، أو الفلسفة، أو الأنظمة الموروثة من الماضي. وكأنّ نظام الرعب الشيوعي قد سقط على الأرض من حيثُ لا ندري.

إنّ الايديولوجية الفاسدة للح ش ص ترتكز على فكرة أنّ "الإنسان يستطيع أن يغزو السماء" وأنها تُريد أن تُغيّر وجه العالم بطريقة غير طبيعية. لقد جذب الحزب الشيوعي ناسًا كثيرين بشعاراته المُنادية بـ "تحرير كلّ الإنسانية" و"الوحدة العالمية". لقد خدع ناسًا كثيرين، وبالأخصّ أولئك الذين كانت تشغلهم وضعية الإنسان وكانوا حريصين على تحقيق النجاح في المجتمع. ثمّ فيما بعدُ، نسي هؤلاء الناس أنّ هناك سماءًا توجد فوق البشر. لقد كانت تملأ رؤوسهم تلك الفكرة الجميلة واللا- معقولة، فكرة "إقامة الجنّة فوق الأرض". لذلك رَمَوْا بالقيم الموروثة، واستهانوا بحياة الناس، وعاد عليهم ذلك بالتدهور والانحطاط على المستوى الشخصي. وقد فعلوا كلّ ذلك في محاولةٍ منهم لنيْل شرف إسداء خدمات قيّمة للح ش ص.

لقد قدّم الحزب الشيوعي فكرة "الجنّة الشيوعية" كما لو كانت حقيقية، وأثار حماس الشعب للذود عن هذه الفكرة: "العقل يُرعد ويُزبد في فوّهته، إنه الانفجار البركاني الأخير. فلنمسحْ كلّ أثر للماضي. ركائز العالم ستتغيّر ! "انهضوا ! يا حُشود العبيد، انهضوا ! ركائز العالم ستتغيّر" [1]. إذن بهذه الفكرة المستحيلة وعديمة المعنى، حطّم الح ش ص الصّلة بين الإنسان والسماء، وقطع خيط الحياة الذي يربط الشعب الصيني بأجداده وبتراثه القوميّ. وفي دعوته للناس إلى إعطاء حياتهم فداءًا للشيوعية، قوّى الح ش ص أكثر وأكثر قدرته على الإيذاء.

2- ثاني الملامح الموروثة: الكذب – ينبغي على الشرّ أن يكذب لكي يتظاهر بالاستقامة

يجب على الشرّ أن يكذب. عندما أراد الح ش ص أن يستفيد من طبقة العمّال، أطلق على نفسه ألقابًا مثل "الطبقة الأكثر تقدّمًا"، "الطبقة الخيرية"، "الطبقة المُسيّرة" و"روّاد الثورة البروليتارية". وعندما احتاج الحزب الشيوعي للفلاحين، وعدهم بـ"الأرض للمُزارع". كان ماوو يُصفّق للفلاحين ويقول: "لولا الفلاحون الفقراء، لَمَا كانت هناك ثورة؛ إنكار دور الفلاحين هو إنكار للثورة في حدّ ذاتها" [2]. وعندما احتاج الحزب الشيوعي لمُساعدة الطبقة الرأسمالية، سمّاها "رُفقاء الطريق في الثورة البروليتارية" ووعدها بـ"نظام جمهوري ديموقراطي". وعندما كان الحزب الشيوعي على وشك الموت على يد الك م ت، صاح عاليًا: "الصينيون لا يُحاربون الصينيين" ووعد بتسليم نفسه لقوّاد الك م ت. وحالما انتهت الحرب ضدّ اليابانيين (1937-1945)، انقلب الح ش ص بقوّةٍ على الك م ت وأطاح بحكومته. كما قضى الح ش ص على الطبقة الرأسمالية بعد وقتٍ قصير من تمكّنه من السيطرة على الصين، وفي النهاية، حوّل الح ش ص الفلاحين والعمّال إلى بروليتاريا فقيرة فقيرًا مُدقعًا.

فكرة "جبهة مُوحّدة" هي مثال نموذجي لأكاذيب الح ش ص. عندما كانت غاية الح ش ص هي الانتصار في الحرب الأهلية بينه وبين الك م ت، تخلّى عن تكتيكه المُعتاد والمُتمثل في قتل كلّ أفراد عائلات أصحاب الأراضي والفلاحين الأغنياء، فتبنّى سياسة "توحيد مُؤقت" مع أعدائه الطبقيين، بما فيهم أصحاب الأراضي والفلاحين الأغنياء. في 20 يوليو 1947 أعلن ماوو تسي تونغ: "باستثناء بعض العناصر المُرتدّة، يحسُنُ بنا أن نتبنّى سلوكًا ليّنًا أكثر إزاء طبقة البروليتاريا من أجل الحدّ من عدد العناصر المُعادية". ولكن بعد أن حصل الح ش ص على السلطة، لم يُفلت أصحاب الأراضي والفلاحون الأغنياء رغم ذلك من المجزرة.

قولُ شيءٍ وفعلُ شيءٍ آخر هو أمر عاديّ بالنسبة للحزب الشيوعي. عندما احتاج الح ش ص لاستعمال الأحزاب الديموقراطية، دفع كلّ الأحزاب إلى "البحث عن كيفيّة تعايش على المدى الطويل، وممارسة مُراقبة مُتبادلة، وأن يكون الفرد صادقًا تُجاه الآخر، وأن يتقاسما الشرف والعار". وكلّ من لم يكُن مُوافقًا أو كان يرفض الامتثال لمفاهيم الحزب، أو لعباراته، أو لأفعاله أو لتنظيمه كان يـقعُ تصفيته. ماركس، لينين ورؤساء الح ش ص، كلّهم قالوا أنّ السلطة السياسية للحزب الشيوعي لن يتقاسمها معه فرد ولا مجموعة. كانت الشيوعية منذ البداية تحملُ في أحشائها بذرة الديكتاتورية. إنّ الح ش ص مُستبدّ وإقصائيّ. وهو لم يتواجد أبدًا مع أيّ حزب سياسيّ آخر أو أيّ جماعةٍ أخرى بطريقةٍ صادقةٍ، إن كان ذلك عندما كان يُحاول الاستحواذ على السلطة أو بعد أن استحوذ عليها. وحتّى أثناء فترة "الهدنة" المزعومة، فإنّ تواجد الح ش ص مع آخرين كان مشهدًا كوريغرافيّا ليس إلاّ.

إنّ التاريخ يُعلّمنا ألاّ نُصدّق أيّ وعدٍ وعده الح ش ص، وألاّ نأملَ بأن يفي بالتزاماته. تصديق ما يقوله الحزب الشيوعي بخصوص أيّ موضوع يُمكن بسهولةٍ أن يُكلّفكم حياتكم.

3- ثالث الملامح الموروثة: الاستفزاز – إثارة الكره وتحريض الشعب على الصراع

إنّ الكذب يصلُحُ لإثارة الكره. إنّ الصراع يتوقف على الكره. وحيثُ لا يوجد الكره، فيُمكن خلقُهُ.

إنّ نظام العشيرة القَبَليّة المُتجذّر في الأرياف الصينية كان يُمثل العائق الأساسي أمام نشأة وتكوّن السلطة السياسية للحزب الشيوعي. كان المُجتمع الريفي من الأساس مُوَحّدًا ومُنسجمًا، والعلاقة بين أصحاب الأراضي والأجَرَاء لم تكون تقوم على المواجهة بصفة كُلّية. أصحاب الأملاك كانوا يمنحون الفلاحين وسيلة للعيش، وفي المُقابل كان الفلاحون يُعاضدون المالكين.

إنها بشكل أو بآخر علاقة تَبَعيّة مُتبادَلة، ولكنّ الح ش ص شوّهها مُحوّلاً إيّاها إلى عدم تكافؤ أقصى بين الطبقات وإلى استغلال طبقيّ أقصى. تحوّل الانسجام إلى عداوة، وإلى كره وإلى صراع. أصبح المنطقيّ غير منطقيّ، وأصبح النظام فوضى، وأصبح النظام الجمهوري استبدادًا. شجّع الحزب الشيوعي على مُصادرة الأملاك، وعلى القتل من أجل الأسلحة، وعلى تقتيل أصحاب الأملاك والمُزارعين الأغنياء وعائلاتهم. الكثير من الفلاحين لم تكُن لديهم القابليّة والاستعداد لأخذ مُمتلكات الآخرين. كان بعضهم يُرجعون في المساء ما كانوا قد أخذوه من أصحاب الأملاك في النهار، ولكن وقع انتقادهم من طرف فرق عمل الح ش ص في المناطق الريفية بكونهم "ذوو وعي طبقيّ مُتدنّ".

لكي يُثير الكره بين الطبقات، حوّل الح ش ص المسرح الصيني إلى مُجرّد وسيلة دعايةٍ. إحدى شخصيّات حكاية مشهورة عن الطبقات المُضطهَدَة، الفتاة ذات الشعر الأبيض [3]، كانت في الأصل شخصية ناسكة صالحة ولم تكُن لديها أيّ علاقة بالصراع الطبقي. ولكن تحت قلم الكُتّاب العسكريين، انقلبت الحكاية إلى "دراما" حديثة، وأوبرا وباليه، مُوظفة لإثارة الكره بين الطبقات. عندما اجتاحت اليابان الصين أثناء الحرب العالمية الثانية، لم يُناضل الح ش ص ضدّ الفرق اليابانية ؛ وبدلاً من ذلك، هاجم حكومة الك م ت مُتّهمًا إيّاها بأنها لم تُناضل ضدّ اليابان وأنها خانت البلاد. حتّى في تلك الآونة الحاسمة، في ملء كارثة وطنية، حرّض الشعب على الاعتراض على حكومة الك م ت.

تحفيز جماعات الشعب على الصراع بعضها ضدّ البعض الآخر هي حيلة كلاسيكية من حيل الح ش ص. لقد خلق الح ش ص صيغة 95 لـ5 لتحديد التوزيع الطبقي: 95% من الشعب يتمّ تقسيمه إلى مُختلف الطبقات التي يُمكن إقناعها ، بينما الـ5% الباقية يتمّ اعتبارها "أعداء طبقيين". الناس الموجودون في الـ 95% كانوا آمنين، بينما الـ5% الباقية كانوا أولئك الذين يجبُ "مُصارعتهم". كان الناس، بدافع الخوف ولحماية أنفسهم، يحشرون أنفسهم في الـ95%. وقد جرّ هذا حالاتٍ كثيرة آذى الناس فيها بعضهم البعض، "من سقط في البئر، تُرمى عليه الحجارة". لقد طوّر الح ش ص هذه الوسيلة من خلال استعمال الاستفزاز في كثير من حركاته السياسية.

4- رابع الملامح الموروثة: إخلاء المجال لحُثالة المُجتمع – منبوذو المُجتمع يُكوّنون فرق الح ش ص

إخلاء المجال لحُثالة المُجتمع يُؤدّي إلى الفساد، مثلما الفساد يحتاج إلى حُثالة المُجتمع. كثيرًا ما استخدمت الثورات الشيوعية تمرّد الحُثالة والمنبوذين من المُجتمع – عالميّة باريس مثلاً كانت تتضمّن أعمال قتل وحرائق وعنف بثّها المنبوذون من المُجتمع في كلّ مكان. حتّى ماركس نفسه كان ينظر نظرة احتقار للـ"البروليتاريا الرثة" [4]. لقد قال ماركس في بيان الحزب الشيوعي: "أمّا بالنسبة للـ"البروليتاريا الرثة"، هذا النتاج الذي أفرزه تعفّن الطبقات السفلى للمجتمع القديم، فيُمكن أن نجدهُ هنا وهناك، يحملُهُ عَرَضًا تيّار ثورة بروليتارية؛ ومع ذلك فإنّ ظروف عيشه غالبًا ما تؤهّله لأن يبيعَ نفسه لحركة التمرّد". من جهةٍ أخرى، فإنّ الفلاحين ليسوا مُؤهّلين، حسب ماركس و انغلس، لأن يُكوّنوا طبقة اجتماعيّة بسبب تشتّتهم وبسبب جهلهم.

لقد طوّر الح ش ص أكثر شيءٍ الجانب الظلامي في نظريّة ماركس. لقد كان ماوو تسي تونغ يقول: " المنبوذون من المُجتمع والصّعاليك كانوا دائمًا موضع احتقار من المُجتمع، ولكنهم في الواقع هم الثوريّون الأكثر همّةً والأكثر تطرّفًا والأكثر صلابةً في المناطق الريفية" [2]. إنّ البروليتاريا الرثة زادت من حدّة الطبيعة العنيفة للح ش ص، وهي من وضعت في البداية قواعد السلطة السياسية للح ش ص في المناطق الريفية. في اللغة الصينية، كلمة "ثورة" تعني حرفيّا "قتل كائن حيّ"، وهذا أمر مُفزع ومُؤلم في منظور كلّ إنسان طيّب. ورغم ذلك فقد توصّل الح ش ص إلى أن يصبغ "الثورة" بمعنًى إيجابيّ. وفي نفس المسار، أثناء الثورة الثقافية، وبمُناسبة نقاش بخصوص لفظة "بروليتاريا رثة"، ارتأى الح ش ص أنّ "بروليتاريا رثة" ليس لها وقع جيّد، فعوّضها بـ"بروليتاريا".

تصرّف آخر من تصرّفات منبوذي المجتمع وهو أن يلعبوا دور الصعاليك. عندما كان بعضهم يلوم مُوظفي الحزب بكونهم ديكتاتوريين، كانوا يكشفون عن نزعتهم الغليظة الفظة ولا يتورّعون عن قول أشياء مثل "أنتم مُحقّون، نحن هكذا بالضبط. الخبرة التي حصّلها الصينيون على مدى العشريّات الأخيرة، تُملي علينا أن نُمارس هذه السلطة، سلطة الديكتاتورية الديموقراطية. نحن نُسمّيها الأوتوقراطية الديموقراطية الشعبية".

5- خامس الملامح الموروثة: الجوسسة – التسرّب، بثّ الفتنة، التفكيك والتعويض

بالإضافة إلى الغشّ، والتحريض على العنف واستعمال منبوذي المُجتمع، كان يتمّ اللجوء أيضًا إلى تقنية الجوسسة وبثّ الفتنة. لقد كان الح ش ص موهوبًا في فنّ التسرّب والاندساس. منذ عدّة عقودٍ من السنين، "كبار العُملاء السرّيين" الثلاثة الذين يعملون لصالح الح ش ص: "تشيان جوانغ فاي"، "لي كينونغ"، و "هوبايفانغ"، كانوا في الحقيقة يعملون لصالح "شان غانغ" رئيس الفرع الثاني للجوسسة في اللجنة المركزية للح ش ص. في نفس الوقت الذي كان فيه تشيان جوانغ فاي يعمَل كأمين سرّ ورجل ثقة تحت إمرة سبو إينجنغ، مُدير مكتب مباحث الكومينتانغ (ك م ت)، في نفس ذلك الوقت، استعمل الأوراق الخاصّة بأقسام التنظيم التابعة للكومينتانغ لكتابة رسالتيْن. كانت هاتان الرسالتان تحتويان على معلوماتٍ سرّية بشأن المُخطط الاستراتيجي الأوّل والثاني للك م ت والمُتعلّقيْن بمُحاصرة فرق الح ش ص في مُقاطعة "دجيانغسي". وأرسلهما إلى "لي كينونغ" الذي سلّمهما يدًا عن يدٍ لِجو آنلاي – والتي تُكتَبُ أيضًا "شو آنلاي"[5]. في شهر أبريل 1930، تمّ في منطقة الشمال الشرقي للصين وضع قواعد مُنظمة خاصّة للعُملاء المُزدوجين أسّسها فرع المباحث المركزية للك م ت. في الظاهر كانت تنتمي للك م ت ويُديرُها "تشيان جوانغ فاي"، ولكنها في الخفاء كانت تحت سيطرة الح ش ص تحت إدارة شان غانغ.

وقد التحق لي كينونغ أيضًا بالقيادة المركزية للقوات المُسلّحة للك م ت بصفته مُختصّا في الكتابات القديمة. لقد كان "لي" هو من فكّ شفرة الرسالة العاجلة بخُصوص إيقاف غو شونجانغ [6] وثورته، وهو مُدير مكتب أمن الح ش ص. وقد أرسل تشيان جوانغ فاي في الحال الرسالة بعد فكّ رموزها إلى جو آنلاي، وبذلك حال دون وقوع مجموعةٍ كاملةٍ من الجواسيس في فخّ الشباك.

كان يانغ دانغيينغ مُمثلاً خاصّا - مُواليًا للشيوعية - عن المكتب المركزي لمباحث الك م ت الواقع في شانغهاي. كان الح ش ص يأمره بإيقاف وبإعدام أعضاء الحزب الذين كان الح ش ص لا يراهم جديرين بالثقة كثيرًا. في إحدى المرّات، حدث أن تهجّم مُوظف سامٍ في الح ش ص من مُقاطعة "هينان" على إطار من إطارات الحزب، فقام أعوانه أنفسهم بإيقاعه في حبل المصيدة، مُسبّبين اعتقاله في سجن الك م ت لسنواتٍ عديدةٍ.

أثناء "حرب التحرير" [7]، نجح الح ش ص في تنصيب عميلٍ سرّيٍ كان محلّ الثقة التامّة لشيانغ كاي- شك – والمُسمّى أيضًا بدجيانغ جيي شي" [8]. كان ليو باي، اللواء العامّ والوزير المُساعد في قسم الدفاع، مُكلّفًا بتوزيع الفرق المُسلّحة للك م ت. في الحقيقة، كان ليو عميلاً سرّيًا للح ش ص. وقبل أن يكون الك م ت قد عرف مهمّته المُقبلة، كانت المعلومات بخصوص المكان المُبرمج لانتشار الفرق قد وصلت إلى "يانآن"، القيادة المركزية للح ش ص. فرسم الحزب الشيوعي بمُقتضى ذلك خطـّةً دفاعيّة. وقد قام سيونغ سيانغي، الذي كان سكرتيرًا وعضُدًا أيمنًا لـ"هو تسوغنان" [9] بكشف خُطط "هو" بخصوص اجتياح "يانآن" لـ"جو آنلاي". وعندما وصل "هو" وفرقه إلى "يانآن"، لم يكُنْ قد بقي هناك أحد. لقد قال "جو آنلاي" مرّة: "لقد كان الرئيس ماوو يعرف الأوامر العسكرية الصّادرة عن "شيانغ كاي- شك" حتّى قبل أن تصل إلى قائد جيش شيانغ".

-6 سادس الملامح الموروثة: النهب – سلب الناس عن طريق الحيلة أو عن طريق القوّة يُضحي "نظامًا جديدًا"

كلّ ما يملكه الح ش ص حصل عليه بواسطة النهب. عندما كوّن الح ش ص الجيش الأحمر لكي يُرسي نفوذه بواسطة القوّة العسكرية، كان في حاجةٍ إلى المال لتوفير الأسلحة والزاد والثياب. لقد لجأ الح ش ص إلى "أخذ العقارات والأصول التجارية" وذلك بالأساس بواسطة قمع "الطغاة المحلّيين" وبواسطة نهب البنوك تمامًا مثل اللصوص. أثناء مُهمّةٍ قادها "لي سيانيان" [10]، وهو أحد الموظفين السّامين في الح ش ص، اختطف الجيش الأحمر العائلات الأكثر ثراءًا في المنطقة الغربية من مقاطعة "هوباي". ولم يكتفوا باختطاف شخص واحد، بل اختطفوا فردًا من كلّ أسرة تنتمي لعشيرة مُعيّنة. كانوا يُبقون على حياة أولئك المُختـَطفين وكانوا يفرضون الفدية على عائلاتهم مُقابل عودتهم، وذلك لتوفير حاجة الجيش المُتواصلة إلى المال. لم يكونوا يُرسلون الرهائن إلى بيوتهم إلاّ عندما يكون الجيش قد أخذ حاجته واكتفى أو عندما تستنفد عائلات المُختـَطفين كامل مواردها؛ وغالبًا ما يكون أولئك الرهائن في رمقهم الأخير عند العودة؛ بل إنّ بعضهم يكون قد عانى من أصناف الرعب والتعذيب إلى درجة أنه كان يموت قبل أن يتمكّن من العودة إلى بيته.

بواسطة "سيادته على الطغاة المحلّيين واحتجاز أراضيهم"، وسّع الح ش ص نطاق نهبه عن طريق الحيلة والعنف ليشمل المجتمع بأكمله، مُعوّضًا النظم الموروثة بـ"النظام الجديد". لقد اقترف الحزب الشيوعي مُختلف أصناف الأفعال السيئة، الصغيرة منها والكبيرة، دون أن يقوم بشيءٍ طيّبٍ أبدًا. إنه يمنحُ امتيازاتٍ صغيرة لأحدهم لِيدفع البعض إلى أن يُشهّر بالبعض الآخر. ونتيجةً لذلك اختفت الفضيلة واختفى الإحسان تمامًا، واستُبْدِلا بالصراع والقتل. في الواقع "المثاليّة الشيوعيّة" هي تورية وتلطيف لما هو في الأصل "النهب العنيف".

-7سابع الملامح الموروثة: الصراع – تحطيم النظام القوميّ وتحطيم الطبقات وتحطيم النظام الموروث

الكذب والاستفزاز وإخلاء المجال لحثالة المجتمع والجوسسة، الهدف منها كلّها هو النهب والصراع. الفلسفة الشيوعيّة تدعو إلى الصراع. لم تتلخّص الثورة الشيوعيّة مُطلقًا في مُجرّد أعمال ضرب وأعمال عنف ونهب فوضويّة. قال ماوو: "إنّ الأشياء الرئيسية التي تستهدفها مهاجمة الفلاحين هي الطغاة المحلّيون، الطبقة النبيلة الفاسدة وأصحاب الأملاك الذين لا ذمّة لهم ولادين، ولكنها تستهدف أيضًا مُختلف أصناف الأفكار والمُؤسّسات البطريركيّة، كما تستهدف الموظفين الفاسدين في المُدن والعادات والمُمارسات السيّئة في المناطق الريفيّة" [2]. لقد أمر ماوو صراحةً بتدمير النظام الموروث بأكمله وبتدمير تقاليد الأرياف.

إنّ الصراع الشيوعيّ يتضمّن أيضًا القوات المُسلّحة والصراع المُسلّح. "إنّ الثورة ليست دعوةً إلى العشاء، أو إلى كتابة مقالٍ، أو إلى رسم لوحةٍ، أو ممارسة التطريز، إنها لا يُمكن أن تكون شيئًا رقيقًا وهادئًا ووديعًا كهذا، شيئًا مُعتدلاً، لطيفًا، مُهذّبًا، رصينًا وأرْيحيًا. الثورة هي انقلاب، عملٌ عنيف بواسطته تقلِبُ طبقة طبقة أخرى." [2] لقد استعمل الح ش ص الصراع لمّا حاول الاستيلاء على السلطة بالقوّة. وبعد مرور بضعة عقودٍ من ذلك، استعمل الح ش ص الخاصّية نفسها، خاصّية الصراع، لـ"تربية" الجيل الناشئ أثناء "الثورة الثقافية الكبرى".

-8 ثامن الملامح الموروثة: التصفية – وضع ايديولوجيا كاملة هي ايديولوجيّة المجزرة

لقد قامت الشيوعية بأشياء كثيرة بقسوةٍ مُطلقةٍ. لقد وعد الح ش ص المُثقفين بـ"جنّة على الأرض"، وفيما بعدُ، أطلق عليهم لقب "يمينيّين"، ووضعهم في الصنف التاسع من الأصناف الثمانية [11]، أصناف الناس المُضطهدين، إلى جانب أصحاب الأراضي والجواسيس. لقد حرم أصحاب الأراضي والرأسماليّين من أملاكهم، وأباد طبقة أصحاب الأملاك والفلاحين الأغنياء، وحطم الأنظمة الجمعيّة والنظام السائد في الأرياف، وانتزع السلطة من الشخصيّات المحلّية، واختطف الأغنياء ورشاهم، وقام بغسل دماغ سُجناء الحرب، و"أصلح" الصناعيّين والرأسماليّين، وتسرّب داخل الك م ت وفكّكهُ، وانفصل عن "العالمية الشيوعيّة" وخانها، وتخلّص من كلّ المُنشقّين عنه عبر حركات سياسية مُتعاقبة بعد حصوله على السلطة سنة 1949، وهدّد أعضاءه أنفسهم بتبنّيه سياسة ضغط مُستمرّ. كلّ ما فعله الح ش ص ، فعله دون أن يترك أيّ مجال للآخرين لكي يُسيّروا شيئًا مّا أو يتصرّفوا.

الوقائع المذكورة أعلاه كلّها قد انبنت على نظريّة المجزرة عند الح ش ص. كلّ حركة من حركاته السياسية في الماضي كانت حملة رُعب تحمل في طيّاتها نيّة إحداث مجزرة. لقد بدأ الح ش ص في بناء نظريّة "المجزرة" في بداياتها بصفتها جُزءًا من نظريّاته الطبقيّة، نظريّاته عن الثورة، والصراع، والعنف، والنظام الديكتاتوريّ، وعن الحركات السياسية والأحزاب السياسية. وهذه النظرية تشملُ كلّ التجارب التي قام بها وتراكمت لديه أثناء مختلف أعماله الإباديّة.

نظريّة الإبادة عند الح ش ص تتمثل أساسًا في القضاء تمامًا على الوعي والتفكير الذاتيّيْن. وبهذه الطريقة تخدمُ "سيادة الرعب" المصالح الحيويّة للح ش ص. لا فقط سيُدمّرك الح ش ص إن وقفتَ ضدّهُ، ولكنه يُمكن أن يُدمّرك حتّى وإن كُنتَ حليفهُ أيضًا. إنه يُبيدُ أيّ شخص يرى من منظوره الخاصّ أنه يستحقّ الإبادة. ونتيجة لذلك، فإنّ كلّ شخص يعيش تحت سقف الرعب ويخشى الح ش ص.

-9 تاسع الملامح الموروثة: السيطرة – استعمال مبادئ الحزب لمُراقبة الحزب ككُلّ وبالتالي استعمال باقي المجتمع

كلّ الملامح الموروثة تهدف إلى تحقيق غايةٍ واحدةٍ: السيطرة على الشعب بواسطة الرعب. لقد برهن الح ش ص، بواسطة أعماله الشيطانيّة، أنه العدوّ الطبيعيّ لكلّ القوى الاجتماعيّة الموجودة منذ نشأته، واجه أزمة تلو الأخرى، وأشدّها هي أزمة حياته أو موته. إنّ الح ش ص يعيش في حالة خوفٍ مُستديمٍ من أجل بقاءه. هدفه الأوحد كان دائمًا الحفاظ على وجوده وسلطته – وهذا هو أعلى وأهمّ مكسب شخصيّ بالنسبة له. فلِيذْرَأ عن نفسه تدهور سلطته، كان عليه أن يكون شيطانيًا أكثر فأكثر. إنّ مصلحة الحزب ليست مصلحة أحد أعضاءه، أو مجموع مصالح شخصيّة، ولكن على الأحرى هي مصلحة الحزب بصفته كيانًا اجتماعيًا يعلو على كلّ طابعٍ شخصيّ.

وقد كانت "طبيعة الحزب" أكثر خاصّيةٍ خبيثةٍ من بين خاصّيات هذا الشيطان. لقد اكتسحت طبيعة الحزب الطبيعة الإنسانيّة بصفة كلّية إلى درجة أنّ الشّعب الصينيّ فقد طبيعته الإنسانيّة. مثلاً "جو آنلاي" و "سون بينغوان" كانا رفيقيْن في وقت من الأوقات. وبعد موت سون بينغوان، تبنّى جو آنلاي ابنتهُ "سون واييشي". وأثناء الثورة الثقافيّة، تمّ تأنيب سون واييشي. وفيما بعد ماتت في المُعتقل نتيجة غرز مسمار طويل في رأسها. وقد كان جو آنلاي، أبوها بالتبنّي، هو من أمضى على مُذكّرة القبض عليها.

أحد رؤساء الح ش ص الأوائل كان "ران بيشي"، وكان مُكلّفًا بعمليّات بيع الأفيون أثناء الحرب ضدّ اليابان. في ذلك الوقت، كان الأفيون رمزًا للغزو الأجنبيّ، وكان البريطانيّون يستعملون واردات الصين من الأفيون لإثقال كاهل الاقتصاد الصينيّ وتحويل الصينيين إلى مُدمني مخدّرات. ورغم الإجماع الوطنيّ على كره الأفيون والنفور منه، إلاّ أنّ ران، بسبب "حسّه الواعي بطبيعة الحزب"، تجرّأ على زرع الأفيون على مساحات كبيرة، مُعرّضًا نفسه للإدانة الجماعيّة. ونظرًا للطبيعة اللا- قانونية والحسّاسة لصفقات الأفيون، كان الح ش ص يستعمل كلمة "صابون" كشفرة للدلالة على الأفيون. كان الح ش ص يستعمل عائدات هذه التجارة السرّية - تجارة المخدّرات - مع البلدان المُجاورة، لكي يُموّل وجوده. في الذكرى المئويّة لميلاد ران، قام مُسيّر صينيّ من الجيل الجديد بالإثناء على الحسّ الحزبيّ المُرهف لدى ران بيشي، مُصرّحًا: "كان ران بيشي يملك طبيعة سامية، وكان عضوًا نموذجيًا في الحزب. وكان لديه أيضًا إيمان راسخ بالشيوعيّة وولاء لا حدود له لنُصرة قضايا الحزب."

وكان "جانغ سيدو" مثالاً للشخص الذي له قدرات طيّبة لخدمة الحزب. وقد قال الحزب أنه قد قُتِلَ نتيجة انهيار مُفاجئ لأحد الأفران، ولكنّ آخرين صرّحوا أنه مات وهو بصدد إحراق الأفيون. ونظرًا لكونه شخصًا كتومًا، وسبق وأن عمل في فيلق الحرس المركزيّ، ولكونه لم يطلُب أبدًا ترقية، فقد قيل: "إنّ موته أثقل علينا من جبل تايشان" [12]، أي أنّ حياته كانت غالية كثيرًا.

مثال آخر على طبيعة الحزب هو "لاي فانغ"، الذي كان يُدعى "البرغيّ الذي لا يصدأ أبدًا والذي يشتغل دَؤوبًا في المَكنَة الثوريّة". لفترةٍ طويلةٍ استُعمِلَ لاي و جانغ لتعليم الصينيين الولاء تجاه الحزب. قال ماوو تسي تونغ: "إنّ قوّة الأسوة ليس لها مثيل". شخصيّات كثيرة من شخصيّات الحزب البطوليّة كانت تُستَعمَلُ لنحت "العزيمة الفولاذيّة ومبدأ روح الحزب".

عندما حصل الح ش ص على السلطة، شنّ حملة عدوانيّة للسيطرة على العقول، بهدف تكوين "أدوات" و "لوالب" ضمن الأجيال المُتعاقبة. لقد كوّن الحزب جملة من "الأفكار الخصوصيّة" ومجموعة من السلوكيّات النموذجية. واستُعمِلتْ هذه القواعد والأنظمة في البداية داخل الحزب، ولكن سريعًا ما تمّ نشرها بين العموم. وكانت هذه الأفكار والأفعال - التي تختفي وراء قناع شعار الأمّة - تعملُ دَؤوبةً على غسل دماغ الناس لكي ينضوُوا داخل آليّات الح ش ص الشيطانيّة.

II. التأسيس المُخجل للح ش ص

إنّ الح ش ص يدّعي أنّ له تاريخًا مجيدًا، تاريخ سلسلة من الانتصارات. هذه ليست سوى محاولة من الح ش ص لتجميل صورته وتعظيمها في عيون الناس. في الواقع، ليس للح ش ص أيّ مجدٍ يُمكن أن يفخَرَ به. إنه في نهاية الأمر لم يتمكّن من تأسيس قواعد سلطته والحفاظ عليها سوى باستعمال الملامح التسعة الموروثة المذكورة آنفًا.

-1 تأسّس الح ش ص – نشأته في حضن الاتحاد السوفييتي

"إنّ أوّل طلقةٍ مدفعيّةٍ في ثورة أكتوبر قد حملت لنا معها الماركسيّة-اللينينيّة". هذا هو الوصف الذي وصف به الح ش ص نفسه للشعب. ومع ذلك، عندما تمّ تأسيس الحزب في البداية، لم يكُن سوى الفرع الآسيويّ للاتحاد السوفييتي. منذ بدايته، كان حزبًا خائنًا.

أثناء فترة تأسيس الحزب، لم يكن لديه مال، ولا ايديولوجيا، ولا أيّ أدنى تجربة. لم تكُن لديه أيّ ركيزة تُسندُ وجوده. لقد التحق الح ش ص بالكومينتارن لكي يربط قدَرهُ بالثورة العنيفة التي كانت قائمة. ثورة الح ش ص العنيفة لم تكُن سوى سليلة ثورة ماركس و لينين. كان الكومينتارن هو مركز القيادة للإطاحة بالسلطة السياسيّة في العالم أجمع ولم يكُن الح ش ص سوى فرعًا آسيويّا للشيوعيّة السوفييتية، خاضعًا لامبرياليّة الحرس

الأحمر الروسيّ. لقد طبّق الح ش ص التجربة البولشيفيّة في الاستيلاء على السلطة عن طريق العنف وديكتاتوريّة البروليتاريا، كان على مستوى السياسة والايديولوجيا والتنظيم يسير على نسق الحزب الشيوعيّ السوفييتي. لقد سرق الح ش ص الوسائل السرّية والمارقة عن القانون التي تُمكّن تنظيمًا خارجيًا ولا قانونيًا من البقاء حيًا، مُستعملاً المُراقبة ووسائل قصوى في السيطرة. لقد كان الاتحاد السوفييتي العمود الفقريّ للح ش ص ومُعلّمهُ.

كان المجلس التأسيسيّ للح ش ص، والذي تمّ انتخابُهُ في المؤتمر الأوّل للح ش ص، قد صِيغَ من طرف الكومينتارن وكان ينبني على الماركسيّة-اللينينيّة، وعلى نظريّات صراع الطبقات، وديكتاتوريّة البروليتاريا، وتكوين الحزب. ووفّر المجلس التأسيسيّ للحزب السوفييتي قاعدته الأساسيّة. روح الح ش ص تتمثل في ايديولوجيا مُستوردة من الاتحاد السوفييتي. كان لـ"شان دوشيو"، أحد أهمّ موظفي الح ش ص، وجهات نظر مُخالفة لوجهات نظر "مارينغ"، ممثل الكومينتارن. فكتب مارينغ مُذكّرة لشان مُصرّحًا أنه إن كان شان حقًا عضوًا في الحزب الشيوعيّ، فعليه بالإذعان لأوامر الكومينتارن. ورغم أنّ شان دوشيو كان أحد "آباء" الح ش ص ومُؤسّسيه، إلاّ أنه لم يكُن بوسعه فعل شيءٍ سوى السمع وطاعة الأوامر. هو والحزب لم يكونا بالفعل سوى أتباع للاتحاد السوفييتي.

أثناء المؤتمر الثالث للح ش ص في 1923، اعترف شان دوشيو عَلَنًا أنّ الح ش ص تُؤمّن معاشهُ بصفة كلّية تقريبًا نفقات الكومينتارن. لقد جلب الكومينتارن أكثر من 200.000 يوان في ظرف عامٍ واحدٍ، ورغم ذلك فإنّ النتائج لم تكُن مُرضية. وقد اتّهم الكومينتارن الح ش ص بالتراخي وبأنه لا يبذل الجهد الكافي.

استنادًا لإحصائيّات غير تامّة مأخوذة من وثائق الحزب التي تمّ إعادة نشرها بين العموم، تلقّى الح ش ص 16.655 يوان صيني من شهر أكتوبر 1921 إلى يونيو 1922. وفي 1924، تلقّى 1.500 دولار أمريكيّ و 31.927 يوان، وفي 1927، تلقّى 187.674 يوان. كانت المُساهمة الماليّة الشهريّة للكومينتارن تُقَدّرُ بـ20.000 يوان. إنّ الخطط التكتيكيّة التي يستعملها الح ش ص اليوم، مثل "اللوبيّة"، والخروج من الباب الخلفيّ، وإعطاء الرشوات، وممارسة التهديد؛ كانت مُستَعمَلة أيضًا في ذلك العهد. كان الكومينتارن يلوم الح ش ص على ممارسته الدائمة للّوبيّة بهدف الحصول على المال.

"إنهم يستغلّون مُختلف المُنظمات المُساعِدة (مكتب الاتّصالات العالميّة، مُمثلي الكومينتارن، مُنظمات عسكريّة،...الخ) ليحصلوا على مُساعداتها الماليّة، لأنّ مُنظمةً مّا لا تدري أنّ المُنظمة الأخرى قد سبق وأن دفعت مُساعدة [...]. المُضحك في الأمر هو أنهم يفهمون نفسيّة رفقاءنا السوفييتيين بسرعة. وأهمّ من ذلك هو أنهم يعرفون كيف يتعاملون بصفة مختلفة مع الرفقاء المسؤولين عن توزيع المُساعدات الماليّة. عندما يعلمون أنهم لن يحصلوا عليها عبر الطرق العاديّة، فهُم يُؤجّلون الاجتماعات. وفي النهاية، يستعملون الطرق الأكثر قسوةً للقيام بالابتزاز عن طريق التهديد، كأن يُروّجوا شائعة أنّ بعض موظفي القاعدة لديهم علاقات مع السوفييتيين وأنّ المال يُعطى لأغنياء الحرب بدلاً عن الح ش ص." [13]

2- التحالف الأوّل بين الك م ت والح ش ص – طفيليّ يتسرّب داخل بعثة الشمال ويُعرقلها [14]

طالما لقّن الح ش ص شعبه أنّ "شيانغ كاي- شك" قد خان حركة الثورة الوطنيّة [15]، ممّا أجبر الح ش ص على شنّ ثورة مُسلّحة.

في الحقيقة، الح ش ص هو كائن طفيليّ وشيطان لا يعيش سوى من خلال التملّك بالآخرين. لقد عاضد الك م ت في التحالف الأوّل بين الك م ت والح ش ص بغاية توسيع نطاق تأثيره مُستغلاً الثورة الوطنيّة. وبالإضافة إلى ذلك، كان الح ش ص ينتظر بفارغ صبر شنّ ثورةٍ تكون مدعومة من السوفييتيين والاستيلاء على السلطة. إنّ جشعه على السلطة قد خان في الحقيقة حركة الثورة الوطنيّة ودمّرها.

أثناء المؤتمر الوطنيّ الثاني للح ش ص، والذي أقيمَ في شهر يوليو 1922، سجّل المُعارضون للتحالف مع الك م ت حضورًا طاغيًا في المؤتمر، لأنّ أعضاء الحزب كانوا مُتلهّفين على السلطة، ورغم ذلك أصدر الكومينتارن فيتو مُعترضًا على القرار المُتّخَذ في المؤتمر وأمر الح ش ص بالالتحاق بالك م ت.

أثناء التحالف الأوّل بين الك م ت والح ش ص، أقام الح ش ص مؤتمره الوطنيّ الرابع بشانغهاي في يناير 1925 وأثار قضيّة الزعامة في الصين قبل موت "سون يات- سن" [16] في 12 مارس 1925. ولو لم يكُن قد مات، لكان قد تمّ استهدافه من قِبَل الح ش ص عوض شيانغ كاي- شك، في سعيه وراء السلطة.

بمُساندة الاتحاد السوفييتي، استحوذ الح ش ص بطريقة خبيثة على السلطة السياسيّة داخل الك م ت أثناء تحالفه مع الح ش ص. قد أصبح "تان بينغشان" (1886-1956)، وهو أحد المُسيّرين الأوائل للح ش ص في مقاطعة غوانغدونغ، وزيرًا للقسم المركزيّ لأعوان الك م ت. "فانغ جوبو" (1899-1954) (وهو أيضًا أحد المُسيّرين الأوائل للح ش ص في مقاطعة غوانغدونغ)، أصبح كاتبًا عامًا لوزارة الشغل، وأصبحت له كامل الصلاحيّات للنظر في كلّ الشؤون المُتعلّقة بالشغل. "لين جوهان" (أو لين بوكو، 1886-1960، أحد الأعضاء الأوائل للح ش ص)، كان وزيرالشؤون الريفيّة، بينما كان "بانغ باي" (1896-1929، أحد مُسيّري الح ش ص) الكاتب العامّ لهذه الوزارة. وكان ماوو تسي تونغ يقوم بدور وزير الدعاية في وزارة الدعاية التابعة للك م ت. وكان الح ش ص دائمًا يطمعُ في المدارس وفي الإدارة العسكريّة: فقد شغل جو آنلاي منصب مدير قسم السياسات في الأكاديميّة العسكريّة بهوانغبو (وهمبوا)، و "جانغ شاننو" (أو جانغ سونغنيان) 1893-1986، (أحد مؤسّسي الح ش ص وهو من قام بإدخال جو آنلاي)، كان المدير المُساعد في نفس الأكاديميّة. وكان جو آنلاي أيضًا رئيس شعبة قضاة الدفاع، وقد نصّب مُستشارين عسكريّين روس هنا وهناك. عديد الشيوعيّين كانوا يشغلون مناصب مُعلّمين وسياسيّين وأساتذة جامعيّين في المدارس العسكريّة للك م ت. بعض أعضاء الح ش ص كانوا أيضًا يتولّوْن مهمّة تمثيل حزب الك م ت على مختلف المستويات في الجيش الثوريّ الوطنيّ [17]. وكان أيضًا من المُصَرّح به أنه بدون إمضاء ممثل عن الحزب، لا يكون أيّ أمر ساري المفعول. وتَبَعًا لهذا اللصوق الطفيليّ بحركة الثورة الوطنيّة، ازداد عدد أعضاء الح ش ص بصفة جذريّة - من 1.000 في 1925 إلى 30.000 في 1928.

بدأت بعثة الشمال في فبراير 1926. ومع ذلك، من أكتوبر 1926 إلى شهر مارس 1927، شنّ الح ش ص ثلاث حركات تمرّد مُسلّحة بشانغهاي. وفيما بعدُ، هاجم الح ش ص مجلس القيادة العسكريّ لبعثة الشمال ولكنه فشل. وكانت فرق الإضرابات العامّة تشتبكُ كلّ يومٍ في خصوماتٍ عنيفةٍ مع الشرطة. مثل حركات العصيان هذه أدّت إلى تطهير الح ش ص من طرف الـك م ت في 12 أبريل 1927 [18].

وفي شهر أغسطس 1927، قام أعضاء الح ش ص داخل الجيش الثوريّ للح ش ص بإشعال حركة تمرّد نانشانغ، والتي تمّ إخمادها بسرعة. وفي سبتمبر، أطلق الح ش ص حركة العصيان المُسلّح لحصاد الخريف لمُهاجمة شانغشا، وهذا الهجوم بدوره تمّ إخماده. وبدأ الح ش ص في وضع شبكة مُراقبة تمّ من خلالها "خلقُ شُعَبٍ للحزب داخل الجيش على مستوى الفرق" وفرّ باتّجاه جهة جبل دجينغغانغشان في مقاطعة دجيانغسي [19]، واضعًا هنالك قواعد نفوذه على القرى.

3- حركة تمرّد قرويي هونان – تحريض حثالة المجتمع على الثورة

أثناء بعثة الشمال، أثار الح ش ص حركات تمرّد وعصيان في المناطق الريفية، محاولة منه للاستيلاء على السلطة، في حين كان الجيش الثوري القومي يقف في مواجهة أغنياء الحرب.

حركة تمرّد قرويّي هونان في 1927 كانت ثورة حثالة المجتمع، ثورة السّوقة والرّعاع، مثلما هو الحال في كومونة باريس الشهيرة (حكومة باريس الثوريّة) في 1871 – وهي الثورة الشيوعيّة الأولى. بعض الفرنسيّين والأجانب الذين كانوا آنذاك في باريس رأوْا عيانًا أنّ كومونة باريس كانت في الواقع مكوّنة من مجموعة لصوص مُتسكّعين وصعاليك مُخرّبين فاقدي كلّ أمل وطموح. كانوا يتنعّمون بالعيش في المباني الأنيقة والقصور الريفيّة وأكل الوجبات الفاخرة والباذخة، لم يكُن شغلهم الشاغل سوى مُتعهم الوقتيّة دون التفكير في المستقبل. أثناء ثورة كومونة باريس، منعوا الصّحافة، واختطفوا رئيس أساقفة باريس، "جورج دابوا" الذي كان يدعو لصالح الملك، ثمّ قتلوه رميًا بالرصاص. وقتلوا بقسوة 64 كاهنًا من أجل مُتعتهم الشخصيّة، وأحرقوا قصورًا، وهدموا مكاتب حكوميّة ومساكن خاصّة، وآثارًا وأعمدة منحوتة. إنّ الجمال البديع للعاصمة الفرنسيّة كان لا يُضاهَى في أوروبّا. ومع ذلك، أثناء ثورة كومونة باريس، حُوّلت المباني إلى رمادٍ والناس إلى هياكل عظميّة. إنّ مثل تلك القسوة ومثل تلك الفظاعة لأمرٌ ينذُرُ حدوثه في التاريخ.

ومثلما كان ماوو تسي تونغ يعترف:

> "صحيح أنّ القرويّين "عنيفون" في القرى. السلطة العليا هي الجمعيّة القرويّة، وهي لا تترك المجال لصاحب الأملاك وتذرو هيبته. وهو ما يجعله يعضّ التراب ويظلّ على تلك الحال. القرويّون يُهدّدون: "سوف نضعكم على القائمة الأخرى (قائمة الرجعيّين) !" هم يفرضون غراماتٍ ماليّة على الطغاة المحلّيين والطبقة النبيلة الفاسدة، ويطلبون منهم مساهماتٍ ماليّة ويهدمون عرشهم. يكتسح الناس منازل الطغاة المحلّيين والنبلاء الفاسدين المُعارضين لتنظيم القرويّين، ويقتلون خنازيرهم ويستهلكون حبوبهم، وحتّى أنهم يتمدّدون بعض الدقائق على أسرّة العاج التي تملكها الزوجات الشابّات في بيوت النبلاء والطغاة المحلّيين الفاسدين. إنهم عند أدنى استفزاز يُوقفون الناس، ويضعون على رأس الشخص الذي تمّ إيقافه قبّعة كبيرة من ورق، ويطوفون به في القرية، قائلين: "أنتم، يا أصحاب الأملاك القذرين، الآن تعرفون من نحنُ !" فاعلين ما يحلو لهم وقالبين كلّ شيءٍ يعترض طريقهم، لقد خلقوا نوعًا من الرّعب في القرى." [2]

إلاّ أنّ ماوو كان يُؤيّد تأييدًا كاملاً مثل هذه الأعمال "العنيفة" قائلاً :

> "للحديث بصراحة، من اللازم خلق الرّعب لفترةٍ مُعيّنةٍ من الزّمن في كلّ منطقةٍ ريفيّةٍ، وإلاّ فسيكون من المستحيل قمع أنشطة أعداء الثورة في القرى أو الإطاحة بسلطة النبلاء. الحدود المُتّفق عليها يجب أن يتمّ تجاوزها لتصويب ما هو خطأ وسيّء، وإلاّ فما هو خطأ وسيّء لن يكون من الممكن تصويبه. [...] الكثير من أعمالهم في تلك الفترة الثوريّة، يُعتَبَرُ أنها تذهبُ بعيدًا ومُشطّة، ولكنها في الواقع هي ما تحتاجه الثورة بالتحديد." [2]

إنّ الثورة الشيوعيّة تخلق نظامًا من الرّعب.

4- العمليّة العسكريّة "ضدّ اليابان" نحو الشمال – سرقة المغلوبين

لقد وصف الح ش ص العمليّة العسكريّة "ضدّ اليابان" باتّجاه الشمال بـ"المسيرة الطويلة". لقد تفنّن في الإشادة بـ"المسيرة الطويلة" على أنها حكاية ثوريّة صينيّة. لقد ادّعى أنّ "المسيرة الطويلة" كانت "بَيَانًا"، "فريق دعايةٍ"، و"مِذرّة"، وأنها انتهت بانتصار الح ش ص وبهزيمة أعداءه.

الأكاذيب الواضحة للعيان التي ألّفها الح ش ص بخصوص السّير باتّجاه الشمال لمحاربة اليابانيّين كانت تهدف إلى تغطية فشله وخيانته. من أكتوبر 1933 إلى يناير 1934، هُزِمَ الحزب هزيمة ذريعة. في العمليّة العسكريّة الخامسة للـك م ت، والهادفة إلى مُحاصرة الح ش ص ومحقه، فقدَ الح ش ص مواقعه المُحصّنة في الأرياف واحدًا تلو الآخر. وكانت قواعده الجهويّة تتراجعُ باستمرار، واضطرّت غالبيّة الجيش الأحمر إلى الفرار. ذلك هو الأصل الحقيقيّ لـ"المسيرة الطويلة".

كانت "المسيرة الطويلة" تهدف في الواقع إلى الخروج من الحصار والهروب إلى منغوليا الخارجيّة وإلى روسيا السوفييتية على امتداد قوس باتّجاه الغرب أوّلاً ثمّ باتّجاه الشمال. وعندما يصلُ إلى هنالك، سيكون بإمكان الح ش ص أن يفرّ إلى الاتحاد السوفييتي في حالة تعرّضه للهزيمة. لقد لاقى

الح ش ص صعوباتٍ كبيرةً على الطريق إلى منغوليا الخارجيّة. لقد اختار رجاله أن يقطعوا شآنسي و سوي يوان. من جهةٍ، كانوا عند سيْرهم عبر هذه المقاطعات الشماليّة، يستطيعون أن يدّعوا أنهم "أعداء اليابانيّين" وهكذا يكسَبون قلوب الناس. ومن جهةٍ أخرى، هذه المناطق لم تكن خطيرة إذ لا تنتشرُ فيها أيّ فرقة يابانيّة. كانت الأرض التي يحتلّها الجيش الياباني تمتدّ على طول السّور العظيم. وإثر مرور سنةٍ على ذلك، عندما وصل الح ش ص أخيرًا إلى شانباي (مقاطعة شماليّة من مقاطعات شآنسي)، أضحت قوّة الجيش الأحمر المركزيّ التي كانت تعُدّ 80.000 رجلاً لا تعُدّ سوى 6.000 رجلٍ.

5- حادثة سيآن – الح ش ص ينضمّ مرّة أخرى إلى الـك م ت

في ديسمبر 1936، قام "جانغ سويليانغ" و "يانغ هوشانغ" - وهما قائدان من قوّاد الـك م ت - باختطاف شيانغ كاي- شك بـ "سيآن". ومنذ ذلك الحين تُعرَفُ هذه الحادثة بـ"حادثة سيآن".

استنادًا للرواية المذكورة في الكتب المدرسيّة للح ش ص، كانت حادثة سيآن "عمليّة عسكريّة" قادها جانغ ويانغ، واللذان وضعا أمام شيانغ كاي-شك خيار الحياة أو الموت. وقد كان مُجبَرًا على اتّخاذ موقف ضدّ الاحتلال الياباني. ويُروى أنّ جو آنلاي وقع استدعاؤه في سيآن بصفته ممثلاً عن الح ش ص لكي يُساعد على التفاوض للوصول إلى قرار سلميّ. وبفضل مختلف المجموعات الصينيّة التي تدخّلت بصفتها وسيطة في الأمر، وقع فضّ الحادثة بطريقة سلميّة، وتمّ بهذا وضع حدّ لعشر سنين من الحرب الأهليّة، وانطلاق حلف وطنيّ مُوحّد ضدّ اليابانيّين. الكتب التاريخيّة للح ش ص تقول أنّ هذه الحادثة كانت مُنعَرَجًا جذريًا وحاسمًا للصين في أزمتها. ويصف الح ش ص نفسه بكونه الحزب المُحبّ للوطن، الذي يُراعي مصالح الأمّة جمعاء.

ولكنّ عددًا مُتزايدًا من الوثائق كشف أنّ العديد من جواسيس الح ش ص سَبَق وأن التقّوا حول يانغ هوشانغ وجانغ سويليانغ قبل حادثة سيآن. وكمثال على ذلك، أحد الأعضاء الخفيّين للح ش ص، "ليو دينغ"، تمّ تقديمه إلى جانغ سويليانغ من طرف "سونغ شينغلينغ"، زوجة "سون يات- سن"، وهي شقيقة السيّدة شيانغ وعضوة في الحزب. وبعد حادثة سيآن، هنّأه ماوو تسي تونغ: "لقد قام ليو دينغ بدوره بطريقة ممتازة في حادثة سيآن." وضمن أولئك الذين يعملون إلى جانب يانغ هوشانغ، كانت زوجته، "سي باووجن" عضوةً في الحزب وكانت تعملُ في القسم السياسيّ للجيش. تزوّجت سي يانغ هوشانغ في يناير 1928 بموافقة الح ش ص وتأييده. وزيادة على ذلك، "وانغ بينغنان"، عضو الح ش ص، كان آنذاك يحُلّ ضيف شرفٍ على يانغ. وقد أصبح وانغ فيما بعدُ نائب وزير في وزارة الشؤون الخارجيّة للح ش ص. لقد كان هؤلاء الأعضاء، أعضاء الح ش ص المتواجدين حول يانغ وجانغ هم من دبّروا هذه العمليّة مُباشرةً.

بالفعل، في بداية الحادثة، كان مُسيّروا الح ش ص يريدون قتل شيانغ كاي- شك وهكذا ينتقمون من قمعه السابق للح ش ص. في ذلك الوقت، كان للح ش ص قاعدة ضعيفة جدًا في مقاطعة شآنسي الشماليّة، وكان قد تعرّض لخطر أن يقع القضاء عليه نهائيًا في معركة واحدة. لذلك استجمع الح ش ص كلّ مؤهّلاته في فنّ الافتعال والكذب والخديعة، وأوعز لجانغ ولِيانغ بأن يتمرّدا. ولإبطال حركة اليابانيّين ولمنعهم من مهاجمة الاتحاد السوفييتي، كتب ستالين إلى اللجنة المركزيّة للح ش ص طالبًا منهم ألاّ يقتلوا شيانغ كاي- شك، وأن يتعاونوا معه مرّة أخرى. وأدرك ماوو تسي تونغ و جو آنلاي أنه ليس بمقدورهم تدمير الـك م ت بتلك القوّة المحدودة للح ش ص، وأنهم حتّى وإن قتلوا شيانغ كاي- شك، فإنهم سيُهزَمون بل وسيتمّ إبادتهم ثأرًا وانتقامًا من طرف جيش الـك م ت. حيال هذه الظروف، غيّر الح ش ص لهجته، فأجبر شيانغ كاي- شك على قبول التعاون والعمل المُشترك مرّة أخرى، باسم مقاومة موحّدة ضدّ اليابانيّين.

افتعل الح ش ص أوّلاً ثورةً عندما صوّب فوّهة البندقيّة نحو شيانغ كاي- شك، ولكنه سرعان ما تراجع، كما يفعل بطل على خشبة المسرح، وأرغمه من جديدٍ على قبول الح ش ص. وبهذه الطريقة، لا فقط تفادى الح ش ص أزمة موتٍ واندثار، بل واغتنم أيضًا الفرصة للانضمام إلى حكومة الـك م ت مرّة ثانية. ووقع تحويل الجيش الأحمر إلى جيش الطريق الثامن، وصار أكبر وأقوى ممّا كان عليه. ليس بوسعنا هنا سوى أن ننوّه بموهبة الح ش منقطعة النظير في فنّ الخداع.

6- الحرب ضدّ اليابان – الح ش ص ينمو ويزداد ممارسًا القتال بأسلحة مستعارة

في الواقع، عندما اندلعت الحرب ضدّ اليابان في 1937، كان الك م ت يملك ما يزيد على 1.7 مليون جندي مسلّح، وسفن حمولة تتجاوز 110.000 طن، وما يقارب 600 طائرة قتال من مختلف الأصناف. وفي المقابل، كان الحجم الكلّي لجيش الح ش ص، بما في ذلك الجيش الجديد والجيش الرابع الذي كان قد تمّ تجميعه في نوفمبر 1937، لا يتجاوز 70.000 رجلاً. كانت قوّته لا تزال بعدُ منهكة بسبب السياسات التقسيمية الداخلية وكان من الممكن القضاء على تلك القوّة في معركة واحدة. لقد أدرك الح ش ص أنه إن كان عليه مواجهة اليابانيين في المعركة، فلن يكون قادرًا أن يغلب حتّى فرقة واحدة من الفرق اليابانية. بالنسبة للح ش ص، النقطة الجوهرية في تركيزه وتكريسه للـ"وحدة الوطنية" كانت تدعيم سلطته هو أكثر منها إنقاذ حياة الأمّة. ونتيجةً لذلك، أثناء عمله المشترك مع الـك م ت، مارس الح ش ص سياسة داخلية "تعطي الأولوية للصراع من أجل السلطة السياسية، وهذا الصراع يجب أن يكون مُعلَنًا في الداخل ويتمّ تجسيمه في ممارسات فعلية."

بعد أن احتلّ اليابانيون مدينة شانيانغ في 18 سبتمبر 1931، باسطين سيطرتهم على رقعة أوسع فأوسع من مناطق الصين الشمالية، حارب الح ش ص يكاد يكون جنبًا إلى جنبٍ مع المحتلّ الياباني للتغلّب على الـك م ت. في تصريح كُتِبَ ردًا على الاحتلال الياباني، حرّض الح ش ص سكّان المنطقة التي يسيطر عليها الـك م ت على التمرّد، داعيًا "العمّال إلى الإضراب، والفلاّحين إلى اختلاق مشاكل، والطلاّب إلى مقاطعة الدروس، والفقراء إلى التوقف عن العمل، والجنود إلى الثورة" بهدف الإطاحة بالحكومة الوطنية.

رغم أنه كان يحمل كشعار لافتةً تدعو إلى مقاومة اليابانيين، إلاّ أنّ الح ش ص لم يكن يملك سوى أسلحة محلّية وقوات تقوم بحرب عصابات في معسكرات بعيدة عن خطوط الجبهة. باستثناء عددٍ من المعارك، بما فيها تلك التي وقعت في الممرّ الجبلي بـ"بينغسينغ"، لم يُساهم الح ش ص كثيرًا في الحرب ضدّ اليابانيين. وعوضًا عن ذلك، كانوا يصرف طاقته في توسيع قاعدته الشخصية. وعندما استسلم اليابانيون، أدخل الح ش ص في جيشه الجنود الذين كانوا يستسلمون، زاعمًا أنه قد وسّع قاعدة الجيش إلى 90.000 ألف جندي نظاميّ ومليونيْ جندي احتياطيّ. لقد كان جيش الـك م ت بالأساس بمفرده على خطوط الجبهة محاربًا اليابانيين، وقد فقد 200 جنرالاً في الحرب. أمّا قوّاد الوحدة العسكرية عند الح ش ص فيمكن القول أنهم لم يتكبّدوا خسائر. ومع ذلك فإنّ كُتب الح ش ص كانت دائمًا تدّعي أنّ الـك م ت لم يقاوم اليابانيين، وأنّ الح ش ص هو من قاد معركة النصرالكبير في الحرب ضدّ اليابان.

7- إصلاح يانآن – خلق طرق الاضطهاد الأكثر رعبًا

لقد جذب الح ش ص عددًا ضخمًا من الوطنيين الشبان في يانآن باسم محاربة اليابانيين، ولكنه إثر ذلك اضطهد الآلاف منهم أثناء حركة "الإصلاح" في يانآن. وبعد أن أمسك بزمام النفوذ على الصين، واصل الح ش ص تصوير يانآن على أنها "الأرض الثورية المقدسة"، ولكنه لم ينبس ببنت شفةٍ عن الجرائم التي ارتكبها أثناء "الإصلاح".

كانت حركة "الإصلاح" في يانآن هي أكبرلعبة من ألعاب السلطة وأقتمها وأكثرها ضراوة في العالم الإنساني. فبذريعة تطهير طبقة البورجوازيين الصغار من سمومها، قضى الحزب على الأخلاق، وعلى استقلالية التفكير، وعلى حرّية التصرف، وعلى التسامح وعلى الكرامة. كانت المرحلة الأولى في "الإصلاح" هي تكوين ملفّ أرشيف شخصيّ لكلّ فرد، وهذا الأرشيف يضمّ:

"1- تصريح شخصيّ

2- تاريخ الحياة السياسية للشخص

3- تاريخ العائلة والعلاقات الاجتماعية

4- ترجمة شخصية والتغيّر الايديولوجي

5- التقييم بناءًا على طبيعة الحزب"

في الأرشيف الشخصي، كان يجب على الفرد إعطاء قائمة في كلّ من يعرفهم، وفي كلّ الأحداث المهمّة التي وقعت له منذ الولادة، وأن يذكر الزمان والمكان الذي وقعت فيه. كانوا يطلبون من الناس أن يكتبوا في الأرشيف عدّة مرّات، وكانوا يقولون لهم أنّ عدم ذكر شيءٍ مّا سيُؤخَذ على أنه علامة من علامات الدّنس وعدم النقاوة. كان يجب على الفرد وصف كلّ الأنشطة الاجتماعية التي شارك فيها، وخصوصًا تلك المرتبطة بانتماءه للحزب. كان يتمّ وضع الثقل على المسار الذي يتّبعه فكر الشخص أثناء هذه الأنشطة الاجتماعية. وأهمّ من ذلك كان التقييم المبنيّ على طبيعة الحزب، كان على الشخص أن يعترف بكلّ فكرة أو سلوك مضادّيْن للحزب في وعيه، وفي أقواله، وفي تصرّفه في العمل وفي الحياة اليومية أو الأنشطة الاجتماعية. في مراجعة المرء لنفسه بإمعان، كان المطلوب منه أن يتفحّص ما إذا كان منشغلاً بمصلحته الشخصية، ما إذا كان قد استغلّ عمله في خدمة الحزب لبلوغ أهداف شخصية، ما إذا كانت ثقته في المستقبل الثوري قد خَبَتْ نوعًا مّا أوتراجعت، ما إذا كان قد خشي الموت أثناء المعارك، وما إذا كان قد اشتاق إلى أفراد عائلته وزوجته. لم تكن هناك أجوبة موحّدة ثابتة، إذًا فكلّ شخص تقريبًا كان يمكن اتّهامه بأنه يشكو من مشكل مّا.

كانوا يستعملون القسر والإكراه ليعتصروا "اعترافات" من الإطارات الذين كانوا يشكّون فيهم وذلك بهدف القضاء على "الخونة المختبئين". وقد أدّى هذا إلى مؤامرات لا تحصى ولا تعدّ، إلى اتّهامات صحيحة وباطلة، وتمّ قتل عددٍ كبير من الإطارات. أثناء "الإصلاح"، كانوا يُسمّون يانآن "موضعًا فيه يتمّ تطهير الطبيعة البشرية". ودخل فريق من فرق العمل إلى جامعة الشؤون العسكرية والسياسية ليتمعّن في السّيَر الذاتية للإطارات، مسبّبًا شهريْن من الرعب والدم. تمّ اللجوء إلى مختلف الوسائل لاعتصار الاعترافات، لقد أمروا الناس أن يعترفوا وبيّنوا لهم كيف يعترفون. كانت تحدث هناك أشياء مثل "الإقناع الجماعيّ"، "الإقناع في خمس دقائق"، "المجلس الخصوصيّ"، "تقارير عن المحادثات والاجتماعات"، و"تعريف الفجل (أحمر من الخارج وأبيض من الداخل)". كان هناك أيضًا "التقاط صور" يكون فيها الجميع مصطفّين صفًا واحدًا على المصطبة ليخضعوا للامتحان. أولئك الذين كانوا يبدون عصبيّين كانوا يُصنّفون على أنهم مشكوك فيهم وكان يتمّ إجراء بحثٍ بشأنهم.

حتّى مُمثلون عن الكومينتارن عبّروا عن نفورهم إزاء الوسائل المستعملة أثناء الإصلاح وقالوا أنّ الوضعية في يانآن مُحبطة. كان الناس لا يجرؤون على ربط علاقات مع بعضهم البعض. كان كلّ شخص يعمل من أجل مصلحته الشخصية وكان الكلّ عصبيًا ومُرتاعًا. لا أحد كان يجرؤ على قول الحقيقة أو على حماية الأصدقاء الذين عُومِلوا معاملة سيّئة، لأنّ كلّ شخص كان يسعى للحفاظ على حياته. الفاسدون، أولئك الذين يتملّقون، ويكذبون، ويُهينون الآخرين، كان يتمّ ترقيتهم؛ في يانآن، أصبحت الإهانة خبزًا يوميًا - إن كان ذلك إهانة الشخص لرفقاءه أو إهانته لنفسه. كان يتمّ دفع الناس إلى مصاف الجنون، بعد أن تمّ إجبارهم على ترك الكرامة والشرف والحياء والمحبّة المُتبادلة، سعيًا إلى النجاة بحياتهم والحفاظ على مركزهم المهنيّ. فلم يعبّروا بعدها عن آرائهم الخاصة، وبدلاً عن ذلك كانوا يحفظون ويردّدون مقالات مُسيّري الحزب.

وقد تمّ استعمال نفس نظام القمع هذا في كلّ الأنشطة السياسية للح ش ص منذ استحواذه على السلطة في الصين.

-8 ثلاث سنوات من الحرب الأهلية – خيانة الوطن للحصول على السلطة

كانت الثورة البورجوازية الروسية في فبراير 1917 انتفاضة صغيرة نسبيًا. كان القيصر يضع مصالح البلاد في المرتبة الأولى وتخلّى بنفسه عن العرش بدل أن يقاوم. وعاد لينين من ألمانيا إلى روسيا بسرعة، ودبّر انقلابًا آخر وقتل ثوريّي الطبقة الرأسمالية الذين أطاحوا بالقيصر، وهكذا فقد لوى عنق الثورة البورجوازية الروسية. الح ش ص، مثله مثل لينين، قطف هو الآخر ثمار الثورة الوطنية. بعد انتهاء الحرب ضدّ اليابان، شنّ الح ش ص "حرب تحرير" مزعومة (1946-1949) لكي يُطيح بحكومة الك م ت، جالبًا على الصين شؤم الحرب مرّة أخرى.

إنّ الح ش ص شهير بـ "استراتيجيّة الجماهير الكبيرة" لديه: التضحية بعددٍ كبير من الأفراد إذ يُصابون أو يُقتَلون في سبيل الانتصار في معركة. في عديد المعارك مع الك م ت، بما فيها تلك التي شنّوها في لياووسي- شانيانغ، بيكين- تيانجين وهواي- هاي [20]، استعمل الح ش ص تقنيات بدائية، همجية ووحشية، ولاإنسانية، تتمثل في تضحية الدولة بعددٍ كبير من أفراد شعبها. في حصاره على مدينة شانغشون في مقاطعة جيلين في الشمال الشرقي للصين، وبهدف استنفاذ المدّخرات الغذائية للمدينة، كان على جيش تحريرالشعب (ج ت ش) أن ينفّذ أوامر تتمثل في منع المدنيين من مغادرة المدينة. أثناء الشهريْن الذيْن استغرقهما الحصار على شانغشون، مات قرابة 200.000 شخص بردًا وجوعًا. ولكن الح ش ص لم يتركهم يغادرون. وعندما انتهت المعركة، ادّعى الح ش ص، بكلّ وقاحة، أنه قد "حرّر شانغشون دون أن يطلق رصاصة واحدة".

من 1947 إلى 1948، أمضى الح ش ص على "معاهدة هاربين" و"معاهدة موسكو" مع الاتحاد السوفييتي، متنازلاً عن الممتلكات الوطنية وموزعًا موارد الشمال الشرقي مقابل الدعم الكامل من طرف الاتحاد السوفييتي في العلاقات الخارجية والشؤون العسكرية. حسب الاتفاقيات، من المفترض أن يمدّ الاتحاد السوفييتي الح ش ص بـ50 طائرة، وأن يعطيه - على دفعتيْن - أسلحة اليابانيين الذين استسلموا للعدالة، وأن يبيعه بسعر منخفض العتاد الحربي والأدوات العسكرية تحت رقابة سوفييتية في الشمال الشرقي للصين. فإذا شنّ الك م ت عملية برمائية واحتلّ الشاطئ في الشمال الشرقي، يُفترضُ أن يدعم الاتحاد السوفييتي جيش الح ش ص سرّا. وزيادة على ذلك، يُفترضُ أن يساعد الاتحاد السوفييتي الح ش ص على المسك بزمام النفوذ على سيندجيانغ في الشمال الشرقي للصين، وأن يكوّن الح ش ص والاتحاد السوفييتي قوات جوّية حليفة، وأن يساعد السوفييتيون على تجهيز 11 فرقة من جيش الح ش ص، وأن ينقل ثلث أسلحته التي زوّدته بها الولايات المتحدة (بما قيمته 13 مليار دولار) إلى الشمال الشرقي للصين.

للحصول على المساندة السوفييتية، وعد الح ش ص الاتحاد السوفياتي بامتيازات في التنقّل في الشمال الشرقي، برّا وجوّا، وزوّد الاتحاد السوفييتي بمعلومات عن تحرّكات حكومة الك م ت وعن الجيش الأمريكي في نفس الوقت، وزوّد الاتحاد السوفييتي بمنتوجات قادمة من الشمال الشرقي (قطن، فاصوليا السوجا) وبالأدوات العسكرية في مقابل أسلحة متطوّرة، ومنح الاتحاد السوفييتي حقوقًا منجميّة تمييزية في الصين، وسمح لجيوش الاتحاد السوفييتي بالتوقّف في الشمال الشرقي والسيندجيانغ، وسمح للسوفييتيين بتأسيس مكتب مخابرات الشرق الأقصى في الصين. وإن اندلعت حرب في أوروبا، يُفترضُ أن يُرسل الح ش ص حملة عسكرية ذات 100.000 رجلاً، إضافة إلى 20 مليون عاملاً لمساندة الاتحاد السوفييتي. وزيادة على ذلك، كان الح ش ص يعِدُ بضمّ بعض المناطق الخاصة: مقاطعة لياوونينغ ومقاطعة آندونغ - إن اقتضى الأمر - مع كوريا الشمالية.

III. تجلّي ملامح الفساد

-1 خوف متواصل يطبع مراحل تاريخ الحزب

الخاصّية الأكثر بروزًا من خاصّيات الح ش ص هو خوفه المستمرّ. البقاء على قيد الحياة ظلّ دائمًا محور الاهتمام الجوهري بالنسبة للح ش ص منذ أن خُلق. وقد نجح محور الاهتمام هذا في تجاوز الخوف الذي يكمن وراء صورته الخارجية، المتغيّرة باستمرار. إنّ الح ش ص هو مثل خليّة سرطانية آخذة في الانتشار والتسرّب إلى كلّ جزءٍ من الجسم، مُسبّبةً موت الخلايا الطبيعية ومُتيحةً المجال لتكاثر الخلايا الخبيثة. في هذه الدورة التاريخية من تاريخنا المعاصر، لا يستطيع المجتمع أن يقضي على قوّة كهذه، قوّة طفرت مثل الح ش ص، ولا يملك المجتمع من حلّ سوى أن يتركها تنمو وتتنامى كما تشاء. لقد مرّت هذه القوّة بطفرة قويّة جدّا، قويّة إلى درجة أن لا شيء يقع داخل محيط توسّعها بإمكانه أن يوقفها. وبالتالي فإنّ جزءًا كبيرًا من المجتمع صار ملوّثًا، ومناطق شاسعة تمّ اكتساحها من طرف الشيوعية أو عناصر شيوعية. هذه العناصر مُدَعّمة ومُستغلّة من طرف الح ش ص، وقد جعلت الأخلاق والمجتمع البشري ينحطّان ويتدهوران من أساسهما.

لا يؤمن الح ش ص بأيّ مبدأ أخلاقي أو مبدأ عدالة مثلما هو سائد ومُتعارف بين الناس. كلّ مبادئه يوظفها بصفة كلّية لصالحه. إنه أنانيّ بالأساس، وليس هناك مبادئ من شأنها أن تحدّ من رغباته أو تسيطر عليها. وهو يحتاج إلى أن يغيّر - على قاعدة مبادئه الشخصية - بصفةٍ متواصلةٍ مظهره الخارجي، مثل ثعبان يكتسي جلدًا بعد آخر. أثناء الفترة الأولى، عندما كان بقاؤه على قيد الحياة في الميزان، التصق بالحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي، بالك م ت، بالهيئة المديرة للك م ت، وبالثورة الوطنية. وبعد أن استحوذ على السلطة، التصق بمختلف أشكال الانتهازية، بنفوس المواطنين ومشاعرهم، بالبُنى والأدوات الاجتماعية، وبكلّ شيءٍ أمكن له أن يضع عليه يده. لقد استعمل كلّ أزمةٍ كفرصةٍ لتحصيل المزيد من النفوذ وتدعيم وسائل سيطرته.

2- الشرّ هو "السلاح السحري" الذي استُعمِل لتأسيس الح ش ص

يدّعي الح ش ص أنّ النصر الثوري يتوقّف على ثلاثة "أسلحة سحريّة": تأسيس الحزب، القتال المسلّح، والجبهة الموحّدة. التجربة مع الك م ت منحت الح ش ص "سلاحيْن" آخريْن من نفس النوع: الدعاية والجوسسة. مختلف "الأسلحة السحرية" للحزب كلها مُستوحاة من الملامح التسعة الموروثة للحزب: الشرّ، الكذب، الاستفزاز، تمرّد حثالة المجتمع، الجوسسة، النهب، الصراع، التصفية، والسيطرة.

الماركسية-اللينينية شيطانيّة بطبعها. ومن سخرية الأقدار أنّ الشيوعيين الصينيين لا يفهمون جيّدًا الماركسية-اللينينية. قال لين بياو [21] أنّ هناك عددًا قليلاً جدًا من أعضاء الح ش ص قد قرأوا فعلاً أعمال ماركس أو لينين. في نظر العامّة، كان تشو تشيو باي [22] ايديولوجيًا، ولكنه كان يعترف بأنه لم يقرأ سوى القليل القليل عن الماركسية-اللينينية. ايديولوجية ماوو تسي تونغ هي نسخة ريفيّة من الماركسية-اللينينية تدعو إلى تمرّد الفلاحين. ونظرية دانغ سياوبينغ في المرحلة البدائية للاشتراكية تنضوي تحت عنوان: رأسمالية. "التمثيلات الثلاث" [23] لدجيانغ زمين تمّ جمعها انطلاقًا من لا شيء. لم يفهم الح ش ص أبدًا الماركسية-اللينينية حقًا، بل ورث بعض النواحي الشرّيرة أسّس على قاعدتها خصوصيّاته التي هي أكثر شرًا.

الجبهة الموحّدة للح ش ص هي ظرف مُكوّن من الخُدع والرشاوي على مدًى قصير. كان الهدف من هذا الاتحاد هو ترسيخ سيادته ومساعدته لينمو من عُصبة ضيّقة منعزلة إلى عُصبة ضخمة، وتحويل مجموعة أصدقاءه إلى مجموعة أعداءٍ له. كان الاتّحاد يحتاج إلى التمييز، فكان يُحدّد من هم الأعداء ومن هم الأصدقاء، ومن على اليسار، على الوسط، وعلى اليمين، ومع من ومتى يجب أن يربط علاقة صداقة، ومن يجب أن تتمّ مهاجمته ومتى. كان يُحوّل بسهولة أعداء قدماء إلى أصدقاء ثمّ إلى أعداء من جديدٍ. مثلاً، أثناء فترة الثورة الديموقراطية، تحالف الحزب مع الرأسماليين، وأثناء الثورة الاشتراكية، قام بتصفية الرأسماليين. ولْنتأمّل مثالاً آخر: تمّ استعمال مسيّري أحزاب ديموقراطية أخرى مثل جانغ بوجون [24] ولوو لونغدجي [25] - أحد مؤسّسي "الرابطة الديموقراطية للصين" - كمدافعين ومنافحين عن الح ش ص أثناء فترة استحواذه على السلطة، ولكن فيما بعد تمّ اضطهادهم بصفتهم "يمينيين **."**

3- الح ش ص عصابة دنيئة ومُحترفة

استعمل الح ش ص استراتيجيات ذات جانبين: جانب ليّن ومرن، والجانب الآخر قاس وصعب. استراتيجياته اللينة تضمّ الدعاية، الجبهات الموحّدة، زرع الفتنة والخلافات، الجوسسة، تنظيم حركات التمرّد، الرياء والنفاق، التسرّب والتغلغل داخل نفوس الناس، غسل الدماغ، الكذب والخداع، إخفاء الحقيقة، الانتهاك النفسي، خلق جوّ من الرعب. بصنعه لكلّ هذا، يخلق الح ش ص مرض الخوف في قلوب الناس، الأمر الذي يجعلهم ينسوْن بسهولة مساوئ الحزب. مجموعة الوسائل هذه تمكّنت من كبت الطبيعة الإنسانية ومن خلق جوّ ملائم للعدوانية عند الإنسان. الاستراتيجيات القاسية تضمّ العنف، الصراع المسلّح، الاضطهاد، الحركات الساسية، قتل شهود العيان، الاختطاف، تصفية الأصوات المعارضة، الهجومات المسلّحة، الاضطهادات الدورية، الخ. هذه الوسائل تخلق الرعب وتُثيره.

يستعمل الح ش ص الوسائل اللينة والقاسية في الآن نفسه. هذه الوسائل يُمكن أن تكون مُتسامحة في حالاتٍ، ومُتشدّدة في حالاتٍ أخرى، أو أنها قد تظهر مُتسامحة من الخارج ولكنها قاسية في أعماقها. في جوّ منبسط، شجّع الح ش ص الناس على التعبير عن مختلف الآراء، ولكن كمَثَل الثعبان الذي يقع إغراءه بهدف استدراجه خارج الجحر، فإنّ أولئك الذين تكلّموا بصراحة كان يقع اضطهادهم في الفترة الموالية - فترة الرقابة الصارمة. كثيرًا ما استعمل الح ش ص الديموقراطية ليتحدّى الك م ت، ولكن عندما كان يوجد هناك - في المناطق التي يسيطر عليها الح ش ص - مثقّفون لا يتّفقون مع الحزب، كان يتمّ تعذيبهم أو حتّى قطع رؤوسهم. مثلاً "حادثة السوسن البرّي" الشنيعة، وهي أنّ المثقّف وانغ شيويز (1906-1947) الذي كتب مقال "السوسن البرّي" مُعبّرًا فيه عن مثله الأعلى في المساواة والديموقراطية والإنسانية، تمّت "تصفيته" أثناء حركة إصلاح يانآن وتمّ إعدامه بالفأس من طرف الح ش ص في 1947.

أحد الأعيان القدماء ممّن تعذبوا من قلاقل حركة "الإصلاح" بيانآن يتذكّر أنه عندما كان يتمّ وضعه تحت ضغط شديد وإرغامه على أن يعترف، الأمر الوحيد الذي كان يستطيع فعله حينها هو أن يخدع ضميره ويختلق أكاذيب. كان يُحسّ داخليّا بالاستياء لتوريط رفقاءه واتّهامهم لأوّل مرّةٍ. وكره نفسه إلى درجة أنه أراد وضع حدّ لحياته. وبالصدفة، كانت هناك بندقية قد وُضِعت على الطاولة، فأخذها ووجّه الفوّهة نحو صدغه وضغط على الزناد. ولكن البندقية كانت غير مُعبّأة. ثمّ دخل الشخص الذي كان يستجوبه وقال: "إنه لأمر جيّد كونك تعترف بأنك قد ارتكبت شيئًا سيّئًا. سياسات الحزب رحيمة. الحزب الشيوعي يعرف أنك بلغت الحدّ الأقصى، ويعرف "ولاءك" تجاه الحزب، إذًا فقد اجتزت الاختبار بنجاح." يدفع الح ش ص الناس إلى فخاخ قاتلة؛ ثمّ يستمتع بمرأى عذابهم ومذلّتهم. وعندما يبلغون الحدّ الأقصى ولا يعودون يتمنّوْن سوى الموت، يرتدي الحزب رداء الطيبة ويهَبُهم فرصة حياةٍ أخرى. هناك مَثل يقول "جبان حيّ أفضل من بطل ميّت". فيصيرون مُمتنّين للحزب كما لو كان هو مُخلّصهم. وبعد مُضيّ سنواتٍ من ذلك، سمع ذلك الموظف في هونغ كونغ عن الفالون غونغ: طريقة تشيكونغ ووسيلة تهذيب للجسم والروح، قد انبثقت في الصين. كان يُدرك أنّ طريقة الممارسة هذه طيّبة، ولكن عندما بدأ اضطهاد الفالون غونغ، عادت إليه ذكريات الماضي المؤلمة ولم يجرؤ بعدئذٍ على قول أنّ فالون غونغ طيّب.

تجربة آخر امبراطور بو يي [26] كانت مماثلة لتجربة هذا الموظف. فقد حبسه الح ش ص في زنزانة، وعندما رأى أشخاصًا آخرين يُقتَلون، فكّر أنه لن يمرّ وقت طويل قبل أن يأتي عليه الدور هو أيضًا. وللبقاء على قيد الحياة، قبِل بالمذهبة وتعاون مع حرّاس السجن. وفيما بعد كتب قصّة حياته: "الشطر الأول من حياتي"، وقد استعمل الح ش ص هذا الكتاب كنموذج لإعادة التطويع الايديولوجي.

حسب دراسات طبّية معاصرة، عدد كبير من ضحايا الضغط الشديد والانعزال تنمو لديهم تبعيّة غير طبيعية تجاه غاصبيهم، ويُعرَف هذا المرض باسم مرض ستوكهولم. وتَبعًا لذلك، تصير أمزجة الشخص، سعادته أو غضبه، فرحته أو حزنه، يُمليها عليه غاصبه (أو جلاّده). وأدنى هبةٍ أو

معروفٍ تتقبّلهما الضحية بامتنان عميق. هناك حتّى حالات ينشأ فيها لدى الضحايا "حبّ" غاصبيهم. وقد استعمل الح ش ص منذ وقتٍ طويل هذه الظاهرة السيكولوجيّة بنجاح ضدّ أعداءه وللسيطرة على نفوس المواطنين.

-4 الحزب الشيوعي هو الأشدّ إيذاءًا

الأمناء العامّون العشرة الأوائل للح ش ص تمّ تلقيبهم بلقب "أعداء الشيوعية". يبدو من الواضح أنّ الح ش ص لديه حياته الخاصّة وكيانه المستقلّ. الحزب هو الذي يُقرّر مصير مسيّريه وليس العكس. في "المناطق السوفييتية" من مقاطعة دجيانغستي، عندما كان الح ش ص مُحاصَرًا من طرف الـك م ت وكان يُصارع من أجل العيش، حتّى في ذلك الظرف لم يتورّع عن القيام بعمليّات تطهير داخليّ، باسم مكافحة "الأقسام المعادية للبولشيفية"، حيث يُعدم جنوده ليلاً أو يقتلهم رجمًا بالحجارة لادّخار الرصاص. في المقاطعة الشمالية لشآنسي، ألفى الح ش ص نفسه في مأزق بين المطرقة والسندان: اليابانيين من جهةٍ والـك م ت من جهةٍ أخرى، فشنّ حركة إصلاح يانآن، حركة تطهير جماعيّ، قاتلاً كثيرًا من الأبرياء. هذا النوع من المجازر المتكرّرة، والمُقامة على نطاق واسع، لم يمنع الح ش ص من توسيع نطاق تأثيره حتّى انتهى به الأمر إلى أن يحكُمَ شبه القارّة الصينية. وانطلاقًا من تلك الرقعة السوفييتية الصغيرة، عمّمَ نموذج القتل ذاك على كلّ الصين.

إنّ الح ش ص أشبه ما يكون بالورم الخبيث. أثناء تناميه المتزايد، ورغم أنّ نواة الورم مُتحجّرة، إلاّ أنّ مساحة محيطها تنمو وتنتشر دائمًا في الجزء المُعافى من الجسم. وعندما يتمّ اكتساح هذا الجزء فإنه يُكوّن بدوره ورمًا آخر. مهما يكن الشخص جيّدًا أو سيّئًا في البداية، هذا لا يهمّ، حالما يلتحق بالح ش ص، يصير جزءًا من قوّته المدمّرة، وكلّما كان الشخص نزيهًا وجدّيًا، كلّما كانت هذه القوّة أكبر. طبعًا هذا الورم الذي هو الح ش ص سيستمرّ في النموّ إلى أن لا يبقى له شيء يتغذّى عليه. وبعد ذلك سيموت الورم بالتأكيد.

شان دوشيو، أحد مؤسّسي الح ش ص، كان مثقّفًا وأحد زعماء الحركة الطلابية في 4 مايو. لم يكن يحبّ العنف، وقد حذّر أعضاء الح ش ص من مغبّة أن يحاولوا إقناع الـك م ت بالايديولوجيات الشيوعية أو أن يُبدوا اهتمامًا كبيرًا بالسلطة، قائلاً لهم أنهم إذا فعلوا فإنّ ذلك سيقود بالتأكيد إلى توتّر العلاقات. كان شان من أنشط العناصر في جيل 4 مايو، وكان مُتسامحًا وحليمًا، ولكنه كان من بين الأوائل الذين تمّ نعتهم بـ "انتهازيّي الجناح الأيمن".

تشو تشيو باي كان مُسيّرًا آخر من مُسيّري الح ش ص، وكان يعتقد أنّ على أعضاء الح ش ص أن يدخلوا في معارك، ويُنظّموا حركات تمرّد، وأن يُطيحوا بالسلطات في جميع المستويات ويستعملوا وسائل تدمير قصوى لكي يعود المجتمع الصيني إلى سيرورته العاديّة. ومع ذلك، قبل موته، كان منه هذا الاعتراف: "أنا لا أريد أن أموت كثوريّ. لقد فارقت حركتكم منذ وقت طويل. لقد لعب بي التاريخ، وقاد قدميّ، أنا المثقّف، إلى الساحة السياسية – ساحة الثورة، وتركني هناك لمدّة أعوام كثيرة. وفي النهاية، أنا لم أتمكّن بعد من التغلّب على أفكاري الارستقراطية الإقطاعية. على كلّ حال، لا أستطيع أن أكون مُحاربًا من طبقة البروليتاريا." [27]

مُسيّر الح ش ص وانغ هينغ، وبإشراف مجلس من الكومينتارن، أيّد فكرة إقامة وحدةٍ مع الـك م ت في الحرب ضدّ اليابان، بدل فكرة توسيع قاعدة الح ش ص. في اجتماعات الح ش ص، لم يُفلح ماوو تسي تونغ وجانغ وانتيان [28] في إقناع رفيقهم، ولم يكشفا له كذلك حقيقة وضعيّتهم ؛ مع الموارد المحدودة للجيش الأحمر، لم يكُن باستطاعتهم ردّ حتّى فصيلة واحدة من فصائل اليابانيين. لو كان الح ش ص قرّر النضال، إذًا فتاريخ الصين كان يكون مختلفًا بالتأكيد. ووجد ماوو تسي تونغ نفسه مُرغمًا على البقاء صامتًا أثناء الاجتماعات. وفيما بعدُ، كان وانغ مينغ هو الأوّل الذي وقع طرده بسبب حياده عن "الجناح الأيسر" ثمّ نعْته بـ: "انتهازيّ ايديولوجيا الجناح الأيمن".

هو ياووبانغ كان أمينًا آخر من أمناء الحزب، تمّ إرغامه على الاستقالة في يناير 1987، وقد ناضل من أجل إنصاف عددٍ من الضحايا الأبرياء المُتّهمين بكونهم مجرمين أثناء الثورة الثقافية. كان يُريد إكساب الشيوعية بريقًا وحيويّة جديدَيْن في قلوب المواطنين. ورغم ذلك، فقد تمّ طرده في النهاية.

جاوو تسييانغ، آخر أمناء الحزب الذين سقطوا [29]، كان يُريد مساعدة الح ش ص على إصلاح نفسه أكثر. ورغم ذلك، فإنّ أعماله جرّت عليه عواقب وخيمة.

إذًا فماذا يمكن لكلّ مُسيّر جديد للح ش ص أن يفعله ؟ إصلاح الح ش ص حقًا كان يعني ضمنيًا قتله. ووجد المُصلحون أنفسهم بسرعة مُجرّدين من السلطة من طرف الح ش ص. هناك حدود تحُدّ ما يمكن لأعضاء الح ش ص فعله لتغيير نظام الح ش ص. إذًا فليس هناك أيّ أمل للح ش ص في أن يشهد إصلاحًا.

إن كان كلّ مُسيّري الحزب قد أصبحوا "أشخاصًا سيّئين"، إذًا فكيف استطاع الح ش ص أن يُنمّي ثورته ؟ في كثير من الأمثلة، عندما كان الح ش ص في أوج قوّته - وفي أوج شرّه - نجد أنّ موظفيه السّامين وكوادره العليا قد فشلوا في مهمّتهم. ذلك لأنّ درجة شرّهم لم تكن تستجيب للمقياس المطلوب من الحزب، الذي لم يقع اختياره أبدًا سوى على أكثر الأشياء شرّا. الحياة السياسيّة لعددٍ من مسيّري الحزب انتهت بتراجيديا، ولكن الح ش ص بقي رغم كلّ شيءٍ. مُسيّرو الح ش ص الذين ظلّوا على قيد الحياة لم يكونوا من الصنف الذي يستطيع أن يؤثّر على الحزب، بل من الصنف الذي يستطيع أن يفهم نواياه ويتّبع منهجه الشرّير. لقد دعّموا قدرة الح ش ص على البقاء على قيد الحياة أثناء الأزمات ووهبوا أنفسهم كُلّيةً للحزب. فليس من الغريب أنّ أعضاء الح ش ص تجرّؤوا على مصارعة السماء، محاربة الأرض، ومحاربة بشر آخرين. ولكنهم لم يستطيعوا أبدًا معارضة الحزب. إنهم كلّهم طوع أمر الحزب وأدوات تنفيذه، أو على الأكثر هم مرتبطون بالحزب ارتباطًا تكافليّا.

انعدام الحياء أصبح ميزةً للح ش ص اليوم. حسب الح ش ص، كلّ أخطاءه ارتكبها أفراد كانوا يُسيّرون الحزب، مثلاً جانغ غووتاو [30] أو زمرة الأربعة [31]. اعتبر الحزب أنّ ماوو تسي تونغ كان له ثلاثة أقسام من الخطأ وسبعة أقسام من الصواب، بينما دانغ سياوبينغ يقيّم نفسه فيعتبر أنّ

لديه أربعة أقسام من الخطأ وستّة أقسام من الصواب، ولكنّ الحزب في حدّ ذاته لم يرتكب أبدًا أخطاء. وحتّى وإن ارتكب خطأ فإنه يقول أنه قد صوّبه بنفسه. لذلك يطلب الحزب من أعضاءه أن "ينظروا إلى الأمام" و "ألاّ يظلّوا غارقين في أحداث الماضي". أشياء كثيرة يمكن أن تتغيّر: الجنّة الشيوعية يمكن أن تتحوّل إلى ملجأ اشتراكيّ متواضع؛ ماركس و لينين تمّ إبدالهما بـ"التمثيلات الثلاث"؛ ولا يجب أن يتفاجئ الناس عندما يروْن الح ش ص يدعو إلى الديموقراطية، أو ينفتح على حرّية الاعتقاد، أو يتخلّى بين عشيّةٍ وضحاها عن دجيانغ زمين، أو يقترح التكفير عن خطاياه في اضطهاد الفالون غونغ. ومع ذلك، هناك أشياء بخصوص الحزب لا تتغيّر: السعي وراء هدفه الأساسي – البقاء على قيد الحياة والحفاظ على السلطة والنفوذ.

لقد مزج الح ش ص العنف، والرعب، والمذهبة المفروضة فرضًا ليكوّن قاعدته النظرية، والتي تحوّلت فيما بعدُ إلى طبيعة الحزب، وأصبحت المبادئ العليا للحزب، وروح مسيّريه، وآليّة عمل وسير الحزب بأكمله والمقياس الذي يحدّد سلوك كلّ أعضاء الح ش ص. الحزب الشيوعي صلبٌ صلابة الفولاذ وهو يطبّق نظامه بيدٍ حديديّة. نوايا كلّ أعضاءه يجب أن تكون موحّدة وأعمالهم يجب أن توافق تمامًا البرنامج السياسي للحزب.

خاتمة

لماذا اختار التاريخ الحزب الشيوعي فوق كلّ قوّة سياسيّة أخرى في الصين ؟ مثلما نعلم جميعًا، توجد في هذا العالم قوّتان، خياران. أحدهما هو القديم والسيّء، وهدفه هو فعل الشرّ واختيار ما هو سلبيّ. والآخر هو العادل والطيّب، واختياره هو الخير والإحسان. الح ش ص هو خيار القوى القديمة. لقد جمع الح ش ص كلّ شرور العالم، الصينية والأجنبية، الماضية والحاضرة، لذلك وقع اختيار القوى القديمة على الح ش ص. إنه يُمثل بصفةٍ نموذجيّةٍ القوى الشريرة. منذ بداياته، استعمل الح ش ص البراءة الفطرية للناس وإحسانهم لكي يغالطهم، ثمّ تدريجيّا نما واكتسب قوّة حتّى اكتسب قوّة التدمير الحاليّة التي لديه.

ماذا كان الحزب يعني عندما صرّح أنه لم يكن لتكون هناك صين جديدة دون الحزب الشيوعي ؟ منذ تأسيسه في 1925 وإلى حدّ حصوله على السلطة السياسية في 1949، تُرينا الأحداث بوضوح أنّ الح ش ص لم يكن ليصل أبدًا للسلطة بدون الكذب والعنف. يختلف الح ش ص عن كلّ تنظيم آخر في التاريخ حيث أنه يتّبع ايديولوجيا ماركسية- لينينية مشوّهة ويفعل ما يبدو له. إنه يستطيع أن يفسّر كلّ ما يفعله مُستعملاً نظريّات كبيرة ويربطها ربطًا ذكيًا بشرائح مُعيّنة من جمهور الشعب، وهكذا "يُبرّر" أفعاله. إنه يبثّ دعايته كلّ يومٍ، مقنّعًا استراتيجيّاته بمختلف المبادئ والنظريات ومُبرّرًا ساحته بأنه دائمًا وإلى الأبد على صوابٍ.

نموّ الح ش ص كان مسار تراكمٍ للشرور، دون أيّ شيءٍ نبيل البتّة. تاريخ الح ش ص يُرينا بالتحديد عدم شرعيّته. الصينيون لم يختاروا الح ش ص، بالعكس، الح ش ص هو الذي فرض الشيوعية، هذا الشيطان الشرّير الغريب عن الشعب، مطبّقًا الملامح التسعة التي ورثها عن الحزب الشيوعي: الشرّ، الكذب، الاستفزاز، إخلاء المجال لحثالة المجتمع، الجوسسة، النهب، الصراع، التصفية، والسيطرة.

ملاحظات:

1- من النشيد الشيوعي.

2- من "تقرير عن تحقيق في حركة تمرّد الفلاّحين في هونان" لماوو (1927).

3- أسطورة شعبية صينية، "الفتاة ذات الشعر الأبيض" تروي قصّة شخصية ناسكة صالحة تسكن في مغارة وتمتلك قوىً خارقة، وهي تجازي الإحسان وتُعاقب الشرّ، تُشجّع الاستقامة وتحُدّ من الشرور. ولكن في النسخة "المعاصرة" من الباليه والأوبرا، تمّ تصويرها على أنها فتاة مُجبَرَة على الفرار وعلى الاختباء في مغارة بعد أن قتل والدها بسبب رفضه تزويجها من فلاّح ثريّ مُسنّ. وابيضّ شعرها بسبب سوء التغذية. وقد استُعمِلت هذه المسرحية لإثارة الكراهية ضدّ طبقة أصحاب الأملاك، وصارت إحدى أكثر المسرحيات "المُعاصرة" شهرة في الصين.

4- ترجمة "لمبونبروليتاريا" هي إجمالاً "عمّال الأحياء الشعبية الفقيرة". يرمز اللفظ إلى طبقة المُهمّشين، أو المنحطّين، أو طبقة العناصر المختبئة والذين يكوّنون شريحةً من سكّان المراكز الصناعية. وهي تضمّ المتسوّلين، المومسات، قطّاع الطرق، الابتزازيين، اللصوص والنصّابين، صغار المجرمين، المتسكّعين، العاطلين المؤقتين عن العمل أو العاطلين الدائمين، العمّال المطرودين من المصانع، وشتّى أنواع العناصر الساقطة والمنبوذة والمنحطّة. اللفظ هو من تأليف واختراع ماركس في صراع الطبقات بفرنسا، 1848-1850.

5- جو آنلاي (5 مارس 1898-8 يناير 1976)، كان الشخصية الثانية التي تلي ماوو تسي تونغ أهمّيةً في تاريخ الح ش ص. كان شخصيّة محورية في الح ش ص ورئيس الوزراء في الجمهورية الشعبية للصين من 1949 إلى حدّ موته.

6- غو شونجانغ كان في الأصل أحد قوّاد نظام المُخبرين السرّيين لدى الح ش ص. في 1931 وقع القبض عليه من طرف الـك م ت وساعدهم في معرفة الكثير من الأسرار المُخبّأة للح ش ص. وفيما بعد، جميع أفراد أسرة غو الثمانية تمّ خنقهم إلى حدّ الموت ودفنهم في المقبرة الفرنسية بشانغهاي. لمزيد المعلومات، راجع "تاريخ الح ش ص في التقتيل" -http://english.epochtimes.com/news/4-7-14/22421.html

7- الحرب بين الح ش ص والـك م ت في يونيو 1946. تتميّز الحرب بثلاث حملات متتالية: لياووسي-شانيانغ، هواي- هاي وبيكين- تيانجين، والتي إثرها أطاح الح ش ص بحكومة الـك م ت، مُنتهيًا إلى تأسيس النظام الشيوعي – الجمهورية الشعبية للصين 1 أكتوبر1949.

8- شيانغ كاي- شك كان يُسيّر الـك م ت، ثمّ فيما بعدُ، غادر إلى المنفى وأصبح رئيسًا لتايوان.

9- هو تسونغنان (1896-1962)، أصيل منطقة سياوو فانغ (المنتمية الآن إلى إقليم آنجي من مقاطعة جاجيانغ)، كان على التوالي قائدًا مساعدًا، قائدًا معوّضًا، ورئيس أعوان الجيش والقيادات المركزية الإدارية بالجنوب الغربي المُعتمَد لدى الـك م ت.

10- لي سيانّيان (1909-1992)، أحد أقدم مسيّري الح ش ص. كان رئيسًا للصين في 1983. وقد لعب دورًا هامًا ورئيسيًا بمساعدته لدانغ سياوبينغ على استرجاع الحكم في أكتوبر 1976 عند نهاية الثورة الثقافية.

11- عندما بدأ الح ش ص في إصلاح الأراضي، قام بتصنيف الناس. من بين الطبقات التي صنّفها على أنها عدوّة، كان المثقفون يقعون إلى جانب مالكي الأراضي، والرجعيّين، والجواسيس، الخ. وكان ترتيبهم هو الصنف التاسع.

12- مأخوذة من قصيدة لسيما تشيان (145-135 ق م إلى 87 ق م)، وهي مؤرّخة في حكم عائلة هان في الغرب. قصيدته الشهيرة يقول فيها:

"كلّ فردٍ مائت لا محالة
يمضي بعضهم جليلاً أجلّ من تايشان
ويمضي بعضهم هيّنًا أهون من ريشة".
وتايشان هو أحد الجبال الرئيسية في الصين.

13- ترجمة غير رسمية مأخوذة من كتاب يانغ كويسونغ "لمحة عن الدعم الماليّ الذي أمدّت به موسكو الحزب الشيوعي الصيني من 1920 إلى 1940" (1)، رقم 27، طبعة الانترنت في القرن 21 (30 يونيو 2004). موقع الانترنت: http://www.cuhk.edu.hk/ics/21c/supplem/essay/040313a.htm (بالصينية). الكاتب يانغ كويسونغ كان باحثًا في التاريخ المعاصر بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية. وحاليًا هو أستاذ في قسم التاريخ بجامعة بيكين وأستاذ مساعد بجامعة المعلّمين لشرق الصين.

14- بعثة الشمال كانت حملة عسكرية قادها شيانغ كاي- شك في 1927 بهدف توحيد الصين بتسيير من الـك م ت ووضع حدّ لحكم أسياد الحرب المحلّيين. وقد حقّقت هذه الحملة الأهداف التي رسمتها على نطاق واسع. أثناء بعثة الشمال، كان الح ش ص قد كوّن حلفا مع الـك م ت.

15- الحركة الثورية أثناء حلف الح ش ص-الـك م ت، وما يميّزها هو بعثة الشمال.

16- سون يات- سن (1866-1925)، مؤسّس الصين الحديثة.

17- الجيش الثوري الوطني تحت رقابة الـك م ت، كان الجيش الوطني لجمهورية الصين. أثناء فترة حلف الح ش ص- الـك م ت، كان هذا الجيش يضمّ أعضاء الح ش ص الذين انضمّوا إلى الحلف.

18- في الـ12 من أبريل 1927، شنّ الـك م ت الذي يقوده شان كاي- شك عمليّة عسكريّة ضدّ الح ش ص بشانغهاي وعديد المدن الأخرى. حوالي 5.000 إلى 6.000 عضو من أعضاء الح ش ص تمّ القبض عليهم والكثير منهم تمّ قتلهم بشانغهاي ما بين 12 أبريل ونهاية عام 1927.

19- منطقة جبل دجينغ غانغشان تُعتبَرُ القاعدة الريفية الثورية الأولى للح ش ص، وهي تُسمّى بـ"مهد الجيش الأحمر".

20- لياووسي- شانيانغ، بيكين- تيانجين، و هواي- هاي كانت ثلاث معارك رئيسية بين الح ش ص والـك م ت ما بين سبتمبر 1948 ويناير 1949. في هذه المعارك سقطت كثير من أفضل الفرق عند الك م ت. ملايين الرجال هلكوا في هذه المعارك الثلاث.

21- لين بياوو (1907-1971)، أحد مسيّري الح ش ص القدماء، لعب في فترة حكم ماوو تسي تونغ دور عضو المكتب السياسي الصيني، بصفته نائب رئيس (1958) ووزير دفاع (1959). يُعتبَرُ لين العقل المُدبّر للثورة الثقافية الكبرى في الصين. وقد تمّ تعيين لين ليكون خَلَفا لماوو في 1966، ولكنه في 1970، تقول الإشاعات أنّ لين قد أحسّ مُسبَقا بسقوطه، فشارك في تدبير انقلاب سياسي، ثمّ حاول الفرار إلى الاتحاد السوفييتي عندما انكشفت المؤامرة. أثناء محاولته الفرار من الملاحقة، تحطمت طائرته في منغوليا وكان بذلك موته.

22- تشو تشيو باي (1899-1935) هو أحد مسيّري الح ش ص الأوائل وأحد كتّاب اليسار المعروفين الأوائل. تمّ القبض عليه من طرف الـك م ت في 23 يناير 1935 ومات في 18 فبراير من نفس السنة.

23- "التمثيلات الثلاث" كانت قد ذكِرت في البداية في خطابٍ ألقاه دجيانغ زمين في فبراير 2000. حسب هذه النظرية، على الحزب أن يعكس دائمًا اتّجاه ازدهار ونموّ القوى المنتجة المتقدّمة للصين، وكذلك الاتّجاه الثقافي المتقدّم للصين والمصالح الأساسية للغالبية الساحقة من الشعب الصيني.

24- جانغ بوجون (1895-1969) كان أحد مؤسّسي الرابطة الديموقراطية الصينية، وحزب ديموقراطي صيني. وقد نعته ماوو تسي تونغ بـ"رجل اليمين رقم 1" في 1957، وهو يبقى إلى اليوم من بين القلائل الذين لم يتمّ ردّ الاعتبار إليهم بعد الثورة الثقافية.

25- لوو لونغجي (1898-1965) كان أحد مؤسّسي الرابطة الديموقراطية الصينية، وقد نعته ماوو تسي تونغ بـ"رجل يمين" في 1958، ولم يقع كذلك ردّ الاعتبار إليه بعد الثورة الثقافية.

26- بو يي، وهو منشوريّ (من منشوريا) ويُدعى إيسان جيورو (1906-1965)، آخر امبراطور صيني (1908-1912)، حكم تحت اسم هسوان تونغ. بعد تنحّيه عن العرش، منحته الحكومة الجمهورية الجديدة إقامة حكوميّة مُريحة وسمحت له بالعيش في المدينة المحرّمة إلى حدود 1924. بعد 1925، عاش في رقعة الأرض اليابانية مانشوكو أو منشوريا. قبض عليه الرّوس في 1945 وأبقوْا عليه سجينًا. في 1946، شهد بو يي في قضيّة جرائم الحرب التي ارتكبتها طوكيو، متعلّلاً بأنه كان - بدون إرادته - أداةً في يد العساكر اليابانيين، لا كما كانوا هم يدّعون، أداة الحكم والقرار الذاتيّيْن في منشوريا. في 1946، تمّ تسليمه إلى الشيوعيين الصينيين وسُجِنَ في شانيانغ إلى 1959، حيث منحه ماوو تسي تونغ العفو.

27- عن تشي تشيو باي "بضعة كلماتٍ أخرى" في 23 مايو 1935، قبيْل موته الذي كان في 18 يونيو 1935.

28- جانغ وانتيان (1900-1976)، كان أحد المسيّرين الهامّين للح ش ص منذ سنوات 1930. كان الوزير المساعد للشؤون الخارجية للصين ما بين 1954 و 1960، وقد تمّ اضطهاده إلى حدّ الموت في 1976 أثناء الثورة الثقافية. وقد تمّ ردّ الاعتبار إلى وضعيّته في أغسطس 1979.

29- آخر الأمناء العامّين العشرة للح ش ص، وقد وقع طرده بسبب عدم تأييده لاستعمال القوّة لوضع حدّ للمظاهرات الطلاّبية في ساحة تيانانمن سنة 1989.

30- جانغ غووتاوو (1897-1979)، أحد مؤسّسي الح ش ص، وقع إقصاءه من الح ش ص في أبريل 1938. وقد ذهب إلى تايوان في نوفمبر 1948، ثمّ إلى هونغ كونغ في 1949 قبل أن يهاجر إلى كندا في 1968.

31- تمّ تكوين "زمرة الأربعة" من قِبَل جانغ تشينغ (1913-1921)، زوجة ماوو تسي تونغ. كانت تضمّ أيضًا جانغ تشونتشياوو (1917-1991)، موظف قسم الدّعاية في شانغهاي، و ياوو وانيوان (1931)، ناقد أدبيّ، وعون أمن شانغهاي وانغ هونغوان (1935-1992). وقد وصلوا إلى السلطة أثناء الثورة الثقافية الكبرى (1966-1976) وكانوا يسيطرون على الساحة السياسية الصينية في بداية السنوات 1970.

جميع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة الثالثة: طغيان الحزب الشيوعي الصيني

توطئة

مثال حي عن الطغيان: في التاسع من نوفمبر 2000، الشرطة الصينية بالزي الرسمي وبالزي المدني - تعتقل عشرات الممارسين الذين أتوا للمشاركة في مظاهرة سلمية لوقف الاضطهاد.(غلوبال فوتو/ليبزون)

عندما نتحدث عن الطغيان، معظم الصينيين يتذكّرون تشين شي هوانغ (259-210 م)، أوّل امبراطور في الأسرة الحاكمة تشين، والذي في فترة حكمه الطاغي كان يتمّ إحراق الكتب الفلسفية ويتمّ دفن العلماء الكونفوشيوسيين أحياء. القسوة التي كان تشين شي هوانغ يُعامل بها شعبه كانت ناتجة عن سياسته المتمثلة في "الحفاظ على سيادته والإبقاء عليها بواسطة كلّ الوسائل الموجودة تحت السماء." [1]

كانت هذه السياسة تضمّ أربع نواحي كبرى: ضرائب ثقيلة جدّا، إهدار اليد العاملة في أعمال تهدف إلى تمجيد شخصه هو، اضطهاد عنيف بمقتضى القوانين الجائرة التي وضعها – مثل معاقبة أفراد عائلة المتّهمين وجيرانهم أيضًا، والسيطرة على العقول والنفوس عبر سدّ المنافذ أمام أشكال التفكير والتعبير الحرّ – كان يتمّ إحراق الكتب وكان يصل الأمر حتّى إلى دفن العلماء وهم على قيد الحياة، تحت حكم تشين شي هوانغ، كانت الصين تعدّ تقريبًا 10 ملايين ساكن؛ وقد أرسل حكم تشين ما يزيد على المليونين منهم إلى الأشغال الشاقة. لقد طبّق تشين شي هوانغ قوانينه الجائرة في عالم المثقفين، مانعًا حرّية التفكير على نطاق واسع وشامل. في عهده، آلاف العلماء الكونفوشيوسيين والأعيان الذين تجرّؤوا على انتقاد طريقة حكمه تمّ إعدامهم. [2]

عنف الحزب الشيوعي الصيني (ح ش ص) اليوم وانتهاكاته يفوقان عنف حكم الطاغية تشين وتعسّفه. تنبني فلسفة الح ش ص على الصراع، وقد انبنت سياسته على مجموعة من "الصراعات الطبقية"، "صراعات الجبهات"، و"الصراعات الايديولوجية"، سواءًا في الصين أو ضدّ البلدان الأخرى. لقد قال ماوو تسي تونغ صراحة:

"ما تباهى تشين شي هوانغ بفعله هو لا شيء. لقد دفن 460 عالمًا حيّا؛ أمّا نحن فقد دفنّا 460.000 مثقفًا. لقد نعتنا البعض بأننا ديكتاتوريون مثل تشين شي هوانغ، ونحن نرحّب بهذا النعت. إنها الحقيقة. للأسف، أنتم لا تزالون بعد في مستوى أدنى من هذه الحقيقة، فعلينا فعل المزيد إذًا."

ولْنُلق الآن نظرة على هذه الخمسة والخمسين سنة الصعبة تحت حكم الح ش ص في الصين. مع قاعدته الفلسفية التي تتمثل في "صراع الطبقات"، لم يدّخر الح ش ص جهدًا - منذ حصوله على السلطة - في ارتكاب مجزرة طبقاتٍ، مُنصّبًا حكمه الإرهابي بواسطة ثورة عنيفة. لقد تمّ استعمال القتل وغسل الدماغ معًا للقضاء على كلّ عقيدة أخرى غير العقيدة الشيوعية. لقد أطلق الح ش ص الحركة تلو الأخرى بهدف تصوير نفسه للناس على أنه إلهيّ ومعصوم. وسيرًا على منهج نظريته في صراع الطبقات وثورته العنيفة، حاول تصفية المُنشقّين والطبقات الاجتماعية المعارضة، مستعملاً العنف والحيلة لإرغام الشعب الصيني على أن يصبح الخادم المطيع تحت حكمه الطاغي.

I. الإصلاح الزراعي – تصفية طبقة أصحاب الأملاك

لم تكد ثلاثة أشهر تمرّ على خلق الحزب الشيوعي بالصين، حتى كان الح ش ص ينادي بتصفية طبقة مالكي الأراضي بصفتها إحدى الخطوط العريضة في برنامج الإصلاح الزراعي الوطني. شعار الحزب "الأرض للفلاحين" كان يثير الجانب الأناني في نفوس الفلاحين الذين لا يملكون أراض، وكان يشجّعهم على أخذ الأراضي عن طريق العنف دون اعتبار للمآخذ الأخلاقية لذلك العمل. حملة الإصلاح الزراعي، والتي تدعو صراحةً إلى تصفية طبقة أصحاب الأملاك – بدأت عبر تصنيف سكان الأرياف إلى أصناف اجتماعية مختلفة. عشرون مليون ريفيّ في كامل البلاد تمّ تصنيفهم على أنهم "مالكو أراضي، فلاّحون أغنياء، رجعيّون أو عناصر سيّئة". هذه الطبقة الجديدة من منبوذي المجتمع أصبحت عرضة للميز، والإهانة، ولفقدان حقوقها المدنية. وبينما كان برنامج الإصلاح الزراعي يمتدّ ليصل إلى المناطق النائية والقرى ذات الأقلّية العرقية، كانت تنظيمات الح ش ص تنمو أيضًا بسرعة. انتشرت لجان الحزب في كلّ مدينة، وانتشرت دوائر الحزب في كلّ قرية عبر الصين. كانت الخلايا المحلّية هي النائبة عن الحزب ولسانه الناطق، التي تبثّ تعليمات اللجنة المركزية للح ش ص: كانت هي من يوجد على جبهة صراع الطبقات، محرّضةً الفلاحين على التمرّد على مشغّليهم من أصحاب الأراضي. لقد هلك أكثر من 100.000 صاحب أرض أثناء هذه الفترة. وفي بعض الأماكن قتل الح ش ص والفلاّحون عائلاتٍ بأكملها ، دون تمييز في الجنس أو العمر، كمحاولة للقضاء نهائيّا على طبقة أصحاب الأملاك.

وفي الأثناء، شنّ الح ش ص حملته الدعائية الأولى، معلنًا "الرئيس ماوو هو المخلّص الأكبر للشعب" و"الح ش ص هو الوحيد القادر على إنقاذ الصين". أثناء الإصلاح الزراعي، حصل الفلاحون الذين لا يملكون أراض على كلّ ما يريدونه بدون جهدٍ يُذكر، بفضل السياسة الشيوعية التي تنصّ على الحصاد دون عمل، وعلى السرقة دون اعتبار للوسائل المستعملة. لقد نسب الفلاحون الفقراء للح ش ص فضل تحسين مستوى عيشهم، وهكذا فقد أيّدوا دعاية الح ش ص القائلة بأن الحزب يسعى لخدمة مصلحة الشعب.

بالنسبة للمالكين الجدد للأراضي التي تمّ الحصول عليها حديثًا، لم تدم سعادتهم بـ"الأرض للفلاحين" طويلاً. ففي ظرف سنتين، فرض الح ش ص عددًا من الممارسات على الفلاحين مثل: جماعات المتعاونين (التعاونيات)، التعاضديات الأساسية، التعاضديات العليا، وكومونات الشعب. لقد دفع الح ش ص بالفلاحين سنةً بعد أخرى إلى أن "يلقوا بأنفسهم" في الاشتراكية، واستعمل لذلك شعارًا يندّد بـ"النساء ذوات الأرجل المعصوبة"، أي أولئك اللائي تتحرّكن ببطءٍ، خطوة بعد أخرى. لقد وضع الحبوب، والقطن، والزيت الغذائي تحت نظام تموين موحّد على النطاق الوطني، ونتيجةً لذلك، أقصيت المنتوجات الفلاحية الرئيسية من سوق التبادل. وزيادةً على ذلك، وضع الح ش ص دفتر محلّ إقامة يمنع القرويين من الذهاب إلى المدن للعمل أو للسكن فيها. أولئك الذين يتمّ التصريح بأنهم من سكان الريف لا يُسمَحُ لهم باشتراء الحبوب من مخازن الدولة، ولا يُسمَحُ لأبنائهم بمزاولة التعليم في المدن. أبناءالقرويين يجب أن يظلّوا قرويين، وهو ما كان السبب - في بداية السنوات 50 - في تحويل 360 مليون ريفيّا إلى مواطنين من الدرجة الثانية.

انطلاقًا من 1978، أثناء السنوات الخمس التي أعقبت المرور من نظام جماعي إلى نظام تعاقد أسري، هناك - ضمن الـ900 مليون قرويّ - البعض ممّن شهد تحسّنًا طفيفًا في مستوى عيشه ووضعه الاجتماعي تحسّن بعض الشيء. ورغم ذلك، فإنّ هذا الربح الضئيل لم يصمد أمام نظام أسعار يعطي الأولوية للمنتوجات الصناعية على حساب المنتوجات الفلاحية؛ ومرّة أخرى، وقع القرويون من جديدٍ في الفقر. لقد اتسعت الهوّة بين مدخول المجتمع الريفي ومدخول المجتمع الحضري بشكل كبير، واستمرّت الفوارق الاقتصادية في الازدياد، وظهر أصحاب أملاك جدد وفلاّحون أغنياء في المناطق الريفية. وكالة الأنباء "سينهوا" - الناطق الرسمي باسم الح ش ص - تذكرُ أنه منذ 1997، "مدخول الفلاحين في المناطق الرئيسية لإنتاج الحبوب، ومدخول معظم العائلات الريفية قد ركد، بل وتراجع في معظم الحالات." بعبارة أخرى، مدخول الفلاحين الحاصل عن المنتوج الفلاحي لم يزدد، بل على العكس، تناقص. وازدادت نسبة مدخول حضري/مدخول ريفي من 1.8 مقابل 1 في منتصف السنوات 80 إلى 3.1 مقابل 1 اليوم.

II. الإصلاح الصناعي والتجاري – تصفية طبقة الرأسماليين

كان الح ش ص يريد تصفية طبقة أخرى، وهي الطبقة البورجوازية القومية التي كانت تملك رأسمالاً في المدن والتجمّعات الريفية. وفي الوقت الذي كان فيه الح ش ص يُدخل تغييرات على الصناعة والتجارة في الصين، ادّعى أن الطبقة الرأسمالية والطبقة العمّالية هما مختلفتان في طبعهما من الأساس: الأولى هي الطبقة المستغِلّة، بينما الثانية هي الطبقة المستغَلّة وضدّ الاستغلال. حسب هذا المنطق، الطبقة الرأسمالية قد خُلِقت لكي تستغلّ وهي لن تكفّ عن فعل ذلك حتى تموت؛ إذًا فالحلّ الوحيد هو تصفيتها لا إصلاحها. وانطلاقًا من هذا الاستدلال المنطقي، لم يتورّع الح ش ص عن استعمال القتل وغسل الدماغ لكي يغيّر الرأسماليين والتجار. لقد لجأ الح ش ص إلى طريقته القديمة المتمثلة في مساندة المطيعين وحمايتهم وتدمير أولئك الذين يعارضون. إذا وضعت كلّ أملاكك بين يدي الدولة وساندت الح ش ص، إذًا فلم تكن تُعتَبَرُ سوى مشكل طفيف ضمن أفراد الشعب. وأمّا إذا لم تكن موافقًا أو كُنت تتذمّر من سياسة الح ش ص، فقد كان يتمّ وصمك بأنك عدوّ الثورة وتصبح عرضةً لديكتاتورية الح ش ص الظالمة.

أثناء الحكم الإرهابي الذي نتج عن تلك الإصلاحات، سلّم الرأسماليون وأصحاب الشركات كلّهم أملاكهم. الكثير منهم لم يتحمّلوا الإذلال ووضعوا حدّا لحياتهم. شان يي - رئيس بلدية شانغهاي في ذلك الوقت - كان يسأل كلّ يوم: "كم من المظلّيين لدينا اليوم ؟" مشيرًا إلى الرأسماليين الذين انتحروا في ذلك اليوم مُلقين بأنفسهم من سطح البنايات الشاهقة. هكذا إذًا كيف قضى الح ش ص على الملكيّة الخاصة في الصين، في ظرف سنوات قليلة فقط.

وفي الوقت الذي كان الح ش ص يُنفّذ فيه برامجه في الإصلاح الزراعي والمالي، شنّ في الوقت نفسه حركات اضطهاد كبيرة ضدّ الشعب الصيني. هذه الحركات كانت تضمّ: قمع "أعداء الثورة"، حملات الإصلاح الإيديولوجي، تطهير عصبة المعارضين للح ش ص والتي كان يقودها غاوو غانغ و راوو شوشي، وبحث بشأن مجموعة "أعداء الثورة" بهوفانغ [3]، وأيضًا "حملة «الأضداد» الثلاثة" و "حملة «الأضداد» الخمسة"، والهدف الموضوع نصب الأعين هو القضاء على أعداء الثورة. لقد استعمل الح ش ص هذه الحركات لكي يستهدف ويضطهد عددًا لا يُحصى من الناس الأبرياء. وفي كلّ حركة سياسية، استعمل الح ش ص بصفة كاملة سيطرته على الموارد الحكومية، بالاتّفاق مع لجان الحزب، ودوائره، ونيابات دوائره. كان ثلاثة أعضاء من الحزب يشكّلون قوّة ضاربة صغيرة، متسرّبين إلى كلّ القرى وما يحيط بها. هذه القوّة الضاربة كانت متواجدة في كلّ مكان، لا تترك شبرًا من التراب دون أن تفحصه. شبكة السيطرة هذه عند الح ش ص والمتجذّرة بعمق، هي نتيجة وراثية لـ"شبكة الحزب الموضوعة داخل الجيش" لدى الح ش ص أثناء سنوات الحرب، وقد لعبت منذ ذلك الحين دورًا هامّا ورئيسيّا في الحركات السياسية التي تلت.

III. قمع المجموعات الدينية والشعبية

ارتكب الح ش ص فظاعة أخرى، متمثلة في قمعه العنيف للأديان ومنعه التامّ لكلّ المجموعات ذات الأصل الديني بعد خلق جمهورية الصين الشعبية. في سنة 1950، أعطى الح ش ص أوامره للسلطات المحلّية بمنع الاعتقادات الدينية غير الرسمية والطوائف السرية. كان يؤكّد أن هذه الجماعات الخفيّة "الإقطاعية" كانت مجرّد أدواتٍ في أيدي أصحاب الأراضي والفلاحين الأغنياء والرجعيّين وعملاء الـك م ت الخاصّين. في حركة القمع القومية هذه، عبّأت الحكومة الطبقات التي كانت تثق فيها لكي تعثر على أعضاء الجماعات الدينية وتضطهدهم. كانت السلطات، التي تقع على مستويات مختلفة، متورّطة بصفة مباشرة في تبديد "طوائف الخرافة" كما تسمّيهم، مثل الطائفة المسيحية، والكاثوليكية، والطاوية (وخصوصًا تلك التي تؤمن بـ: ايي- كوان طاوو) والبوذية. كانت تأمر كلّ أفراد الكنائس، أو المعابد أو الجماعات الدينية بأن يسجّلوا أسماءهم لدى الوكالات الحكومية وأن يتوبوا من انضوائهم تحتها. ومن يخالف ذلك الأمر يعرّض نفسه لعقوبة ثقيلة. في سنة 1951، أصدرت الحكومة رسميّا قوانين تهدّد أولئك الذين سيجرؤون على مواصلة نشاطاتهم ضمن جماعاتٍ دينيّة غير رسميّة، بالسجن على مدى الحياة، أو بالإعدام.

لقد اضطهدت هذه الحركة عددًا كبيرًا من المؤمنين الطيّبين والذين يحترمون القوانين. هناك إحصائيات غير كاملة تبيّن أنه، في السنوات الـ50، اضطهد الح ش ص (بما في ذلك عمليّات الإعدام) على الأقلّ ثلاثة ملايين شخص من ذوي المعتقدات الدينية وأفراد جماعات سرّية. كان الح ش ص يُفتّش تقريبًا كلّ بيت في البلاد، ويسأل أفراد البيت، بل وحتّى أنه يُحطّم الآلهة حارسة البيوت التي درج القرويون الصينيون على تقديسها. كانت الرسالة التي تحملها عمليّات الإعدام وتؤكّدها هي أن الايديولوجية الشيوعية هي الايديولوجية الوحيدة والعقيدة الشرعية الوحيدة. وسرعان ما ظهر مفهوم "المؤمن الوطني". كان دستور الدولة يحمي المؤمنين "الوطنيين". في الحقيقة، مهما يكن الدين الذي يعتقد فيه الشخص، لم يكن هناك سوى مقياس واحد: على الشخص اتّباع تعليمات الح ش ص والإقرار بأنه فوق كلّ الأديان. إن كُنت مسيحيّا، فإن الح ش ص كان ربّ ربّ المسيحيين.

وإن كُنت بوذيًا، فإن الح ش ص كان سيّد السيّد بوذا. وإن كُنت مسلمًا، فإن الح ش ص كان إله الله عند المسلمين. أمّا بالنسبة للبوذا الحيّ في البوذية التيبتية، فإن الح ش ص كان يتدخّل ويختار بنفسه من سيكون البوذا الحيّ. وملخّص القول أن الح ش ص لا يترك لك الخيار سوى فيما تقول وتفعل ما يطلب منك الح ش ص قوله وفعله. كلّ المتديّنين كانوا مرغمين على تطبيق أهداف الح ش ص غير مُبقين من ديانتهم سوى على الاسم. عدم الرضوخ لذلك كان يجعلك هدفًا لقمع الح ش ص ولديكتاتوريته. حسب تحقيق صادر على موقع الانترنت لمجلة "الإنسانية وحقوق الإنسان"، نجد أنّ 20.000 مسيحيّا قد زاولوا الدراسة ضمن الـ560.000 مسيحيّ التابعين لكنائس عائلية في 207 مدينة في 22 مقاطعة في الصين. أظهر البحث أنّ 130.000 عضوًا من بين أعضاء هذه الكنائس العائلية كانوا تحت رقابة الحكومة. في الكتاب المسمّى: "كيف اضطهد الحزب الشيوعي الصيني المسيحيين" (1958)، نكتشف أنّ الح ش ص قد قتل أكثر من 11.000 متديّنًا وأنه قام بإيقاف عدد أكبر من ذلك بكثير – إيقافهم بطريقة اعتباطية وابتزاز المال منهم. إذًا بتصفيته لطبقة أصحاب الأملاك والطبقة الرأسمالية، وباضطهاده لعدد كبير من المؤمنين والناس الذين يحترمون القوانين، كان الح ش ص يمهّد الأرضيّة لكي تصير الشيوعية الدين الأوحد والمهيمن في الصين.

IV. حركة ضدّ- اليمينيين – غسل دماغ على نطاق قوميّ

في 1956، شكلت نخبة من المثقفين المجريّين دائرة بيتوفي، وهي حلقة تنتقد الحكومة المجريّة أثناء المنتديات وحلقات النقاش. وسرعان ما شنّت هذه المجموعة ثورةً على نطاق وطني، ولكن هذه الثورة تمّ احتواءها ودكّها من طرف الجنود السوفيتيين. وتعلّم ماوو تسي تونغ درسًا من "الحادثة المجريّة". في 1957، دعا المثقفين الصينيين وأفرادًا آخرين إلى "مساعدة الح ش ص على إصلاح نفسه". هذه الحركة - والتي عُرفت باسم "حركة المائة زهرة" - كانت تحت شعار "فلنتركْ مائة زهرة تتفتّح ولنتركْ مائة مدرسة فكرية تتجابه". كان الهدف من هذه الحركة هو إخراج "العناصر التي هي ضدّ-الحزب من جملة الشعب" عن طريق الحيلة والدهاء. في 1957، وفي رسالة منه إلى رؤساء الحزب في المناطق الريفية، يتحدث ماوو عن نيّته في تركهم يعبّرون عن آرائهم بصراحة باسم حرّية الفكر ومن أجل إصلاح الح ش ص.

في ذلك الوقت، كانت الشعارات تشجع الناس على التعبير عن آرائهم وتعدهم بأنّ ذلك لن يؤدّي إلى عقوبات - الحزب "لن يبحث عن القمّل في الرؤوس، لن يعطي ضرباتٍ بالعصا، لن يضع قبّعاتٍ على الرؤوس، ولن يصفّي حساباته بعد الخريف" ومعنى ذلك أنّ الحزب لن يتحيّن الأخطاء، ولن يهاجم، ولن يقذف أحدًا بالنعوت، ولن يسعى للقمع. ولكن سريعًا إثر ذلك، أطلق الح ش ص حركة "ضدّ-اليمينيين" ناعتًا 540.000 ممّن تجرّؤوا على الكلام بأنهم "يمينيون". ومن بين هؤلاء، فقد 270.000 مراكز عملهم، وتمّ وصم 230.000 بأنهم "يمينيون معتدلون" أو "عناصر معادية للاشتراكية، معادية للح ش ص". وفيما بعد، قام بعضهم بتلخيص الاستراتيجيات السياسية التي يستعملها الح ش ص لاضطهاد الناس في أربع مراحل: "إخراج الثعبان من الجحر"؛ اختلاق وتلفيق جرائم، المهاجمة بطريقة مباغتة، والمعاقبة على عنصر اتّهام واحدٍ؛ المهاجمة دون هوادةٍ وذلك باسم تخليص الناس؛ والإرغام على الانتقاد الذاتي مستعملاً في ذلك أقسى النعوت والصّفات.

إذًا ما كانت تلك "الخطابات الرجعيّة" التي قضت على العديد والعديد من اليمينيين ومن أعداء الشيوعية بالمنفى لأكثر من ثلاثين سنة في أنأى مناطق البلاد ؟ "النظريات الرجعيّة الثلاثة الرئيسية"، والتي تعرّضت في ذلك الوقت لهجماتٍ شرسة من طرف الجميع، كانت تتمثل في بضعة خطابات لـ: لوو لونغجي، جانغ بوجون، وشو آنبينغ. وإذا نظرنا عن كثبٍ إلى تطلّعاتهم وما كانوا يقترحونه، سنكتشف أنّ تطلّعاتهم تلك لم تكن بالخطورة التي تمّ تصويرها.

كان لوو يقترح تكوين لجنة موحّدة تجمع الح ش ص ومختلف الأحزاب "الديموقراطية" لفحص الانحرافات والخلل في حملة "الأضداد الثلاثة"، وحملة "الأضداد الخمسة" وحركة تصفية الثوريين. كان مجلس شؤون الدولة في العادة هو نفسه يضع أمرًا جاهزًا تمّ القرار في شأنه بين يدي اللجان الاستشارية السياسية للشعب الصيني والتجمع الشعبي لكي يُدليا بملاحظاتهما وتعليقاتهما، وكان جانغ يقترح أن يشارك المؤتمر الاستشاري السياسي والتجمع الشعبي، كلاهما، في صنع القرار. أمّا شو، فكان اقتراحه هو الآتي: بما أن أولئك غير المنتمين للح ش ص كانت لهم أفكار جيدة، وكانوا جديرين بالاحترام، ولديهم روح المسؤولية، فإذًا لم تكن هناك حاجة لوضع عضو من أعضاء الح ش ص على رأس كلّ خليّة عمل، صغيرة كانت أو كبيرة، وفي كلّ البلاد، وأكثر من ذلك، لم تكن هناك أدنى حاجة لوضع عضو ح ش ص على رأس الفرق المتعلّقة بخلايا العمل. لم تكن هناك حاجة إلى أن كلّ شيءٍ، صغيرًا كان أو كبيرًا، كان بالضرورة يتمّ على الشكل الذي يُريده أعضاء الح ش ص. كلّ من الرجال الثلاثة قد عبّر عن رغبته في اتّباع الح ش ص ولم تتجاوز أيّ من اقتراحاتهم الحدود التي وصفها الأديب والناقد المعروف لو سون [4] كالتالي: "سيدي، ثوبك أصبح متّسخًا. من فضلك، دعني أنزعه عنك وأغسله لك." تمامًا مثل لو سون ، كان هؤلاء اليمينيون يعبّرون عن الطاعة والمرونة والاحترام.

لم يكن أيّ أحد من هؤلاء "اليمينيين" يقترح الإطاحة بالح ش ص، كان كلّ ما يقدّمونه هو النقد البنّاء. نتيجة لهذه الاقتراحات بالتحديد، فقد مئات الآلاف من الناس حرّياتهم. وقد أصابت هذه الكارثة ملايين العائلات. وتبع هذا ظهور المزيد من الحركات مثل "الاعتراف للح ش ص"، "اصطياد المتطرّفين في "حملة الأضداد الثلاثة" الجديدة، إرسال المثقفين إلى الأشغال الشاقة في الأرياف، والقبض على اليمينيين الذين أفلتوا من الموجة الأولى. أيّ شخص كان يختلف في الرأي مع رئيس خليّة العمل كان يُنعَتُ بأنه عدوّ الح ش ص. كان الح ش ص يُسلّط عليهم انتقادات دائمة ويُرسلهم إلى مخيّمات عمل إجباري ليتمّ إعادة تربيتهم. أحيانًا كان الحزب ينقل عائلاتٍ بأكملها إلى مناطق ريفية أو يمنع الأبناء من دخول المعهد أو الجيش. لم يكن من حقّهم المطالبة بمركز عمل لا في المدن ولا في القرى. كانت العائلات تفقد حقّها في مركز عمل آمن يقيها الحاجة وحقّها في خدمات الصحة العمومية. لقد أصبحوا في مؤخرة صف القرويين والمنبوذين، حتّى بين مواطني الدرجة الثانية.

بعد اضطهاد المثقفين، تكوّنت لدى بعضهم ازدواجية في الشخصية. إذ اتّبع بعضهم "الشمس الحمراء" وأصبحوا "المثقفين المُعيّنين من طرف الساحة الملكية" للح ش ص ، يقولون ويفعلون كلّ ما يطلبه الح ش ص منهم. وهناك آخرون ابتعدوا عن الأمور السياسية. إن المثقفين الصينيين لديهم في العادة وعي ناضج بمسؤوليتهم تجاه أمّتهم، ولكنهم منذ ذلك الحين وقع إخماد أصواتهم.

V. القفزة الكبرى نحو الأمام – اختلاق أكاذيب لاختبار ولاء الشعب

إثر حركة ضدّ-اليمين، نشأ لدى الصينيين خوف من الحقيقة. أخذ كلّ الناس يستمعون إلى الأكاذيب ويروون الأكاذيب، ويختلقون حكايات، ويتهرّبون من الواقع أويُخفونه عن طريق الأكاذيب والإشاعات. "القفزة الكبرى نحو الأمام" كانت ممارسة جماعيّة وطنيّة للكذب. شعبٌ بأكمله، بإشرافٍ وتوجيهٍ من الشيطان – الح ش ص، قام بأشياء سخيفة ومضحكة. أولئك الذين يكذبون وأولئك الذين يُكذَبُ عليهم، كلّهم قد تمّ التغرير بهم. في حملة الأكاذيب والأعمال السخيفة هذه، زرع الح ش ص طاقته العنيفة والخبيثة في العالم الروحي للشعب الصيني. في ذلك الوقت، كان الكثير يُنشدون الأغنية المناصرة للقفزة الكبرى نحو الأمام: "أنا امبراطور اليشب، أنا الملك-التنين، أنا قادر على تحويل الجبال والأنهار من أمكنتها، هاأنذا." [5] وسنة بعد أخرى، انخرط الجميع في سياسات مثل "بلوغ نسبة إنتاج حبوب تساوي 7.5 طن في الهكتار الواحد"، "مضاعفة إنتاج الصلب"، "التفوّق على بريطانيا العظمى في ظرف عشر سنوات وعلى الولايات المتحدة في ظرف خمسة عشر سنة". وقد أفضت هذه السياسات إلى مجاعة وطنية كبرى وأودت بحياة الملايين.

مَنْ مِنَ الأعضاء المشاركين في الجلسة المكتملة الثامنة للجنة المركزية الثامنة للح ش ص التي انعقدت بلوشان في 1959 لم يكن يشاطر القائد بانغ دوهواي [6] الرأي في أنّ القفزة الكبرى إلى الأمام التي أطلقها ماوو تسي تونغ كانت أمرًا جنونيًا ؟ كان الكلّ يرى أنها جنون. ولكن، تأييد سياسة ماوو أو عدم تأييدها كان يمثل الخط الفارق بين الولاء والخيانة، الخط الفارق بين الحياة والموت. إحدى حكايات التراث الصيني تروي أنه عندما كان جاوو غاوو [7] يدّعي أن الأيل حصان، فهو كان يعلم تمامًا الفرق بين الأيل والحصان، ولكنه كان - عن قصدٍ - يدعو الأيل حصانًا ليسيطر على الرأي العام، ويُسكت الأصوات المعارضة، ويبسط نفوذه أكثر. النتيجة التي أفضت إليها جلسة لوشان هي أن بانغ دوهواي نفسه اضطرّ إلى المصادقة على قرار يُدينه ويقضي بإقصاءه من الحكومة المركزية. وفي نفس السياق، في الأعوام التي تلت الثورة الثقافية، اضطرّ دانغ سياووبينغ إلى التعهّد بأنه لن يعترض مُطلقًا على قرار الحكومة بتجريده من مهامّه.

إنّ المجتمع يرتكز على تجارب الماضي لكي يفهم العالم المُحيط به، ويُوسّع آفاقه. ومع ذلك فإنّ الح ش ص قد انتزع من الناس كلّ إمكانية ليتعلّموا تجارب ودروسًا تاريخية. ولم تقم الرقابة الرسمية على وسائل الإعلام سوى بإضعاف قدرة الناس على التمييز بين الخير والشرّ. بعد كلّ حركة سياسية، تكون الأجيال الصغرى قد استمعت إلى وجهة نظر الحزب فقط، وتكون قد حُرمت من تجارب الأجيال السابقة وخبراتها ومُثلها. ممّا نتج عنه أنّ الناس لم يعد لديهم سوى معلومات متناثرة لكي يفهموا التاريخ ويحكموا على الأحداث، كان يذهب إلى ظنهم أن وجهة نظرهم صائبة في حين أنهم كانوا على بعد كيلومترات من الحقيقة. وهكذا فإنّ سياسة الح ش ص المتمثلة في إبقاء الناس في حالة الجهل، قد تمّ تطبيقها بدقة وعناية.

VI. الثورة الثقافية – استحواذ شيطاني يهزّ العالم

لقد كانت الثورة الثقافية استعراضًا كبيرًا قدّمه شيطان الح ش ص عندما كان مستحوذًا على كلّ الصين. في 1966، سرت موجة جديدة من العنف في الصين؛ رعبٌ أحمر لا يُكبَحُ جماحه رجّ الجبال وجمّد الأنهار. وقد صوّر الكاتب تشي مو الثورة الثقافية بواسطة هذه العبارات القاتمة:

> "لقد كانت كارثة لم يسبق لها مثيل: سجن الح ش ص ملايين الناس بسبب صلتهم بأفراد عائلتهم (المُستَهْدَفين)، ووضع حدّا لحياة ملايين الناس، وحطّم عائلات، وحوّل أطفالاً إلى متسكّعين ومتشرّدين، وأحرق كتبًا، وهدم معالم تاريخية، وخرب قبور مثقفين، واقترف كلّ أنواع الجرائم باسم الثورة."

حسب إحصائيات غير دقيقة، فإنّ عدد الوفيّات غير الطبيعية في الصين أثناء الثورة الثقافية يُقـدّر بـ 7.73 ملايين.

كثيرًا ما يظنّ الناس - خطأً- أنّ العنف والجرائم أثناء الثورة الثقافية قد حدثت خاصّةً نتيجة لحركات التمرّد وأنّ الحرس الأحمر والمتمرّدين هم من ارتكبوا المجازر. ولكن آلاف التقارير السنوية عن المقاطعات الصينية والصادرة رسميّا تشير إلى أن ذروة حالات الوفاة غير الطبيعية أثناء الثورة الثقافية لم تكن سنة 1966، حين كان الحرس الأحمر يسيطر على معظم المنظمات الحكومية، ولا سنة 1967، حين كان المتمرّدون يقاتلون ضمن مختلف المجموعات بأسلحة عسكرية، بل في 1968، عندما استعاد ماوو نفوذه على البلاد بأكملها. كثيرًا ما كان القتلة في هذه الأحداث البشعة هم ضبّاط عسكريون وجنود وميليشيات مسلحة وأعضاء من الح ش ص في مختلف المستويات الحكومية.

الأمثال التالية تبيّن إلى أيّ مدًى كان العنف أثناء الثورة الثقافية هو سياسة الح ش ص والحكومات الجهوية، وليس السلوك المتطرّف للحرس الأحمر. لقد أخفى الح ش ص مشاركته المباشرة في الحملة والتعليمات الصادرة عن مسيّري الحزب وموظفي الحكومة.

في أغسطس 1966، أطرد الحرس الأحمر سكان بيكين الذين سبق وأن صُنّفوا في حركات سابقة على أنهم "أصحاب أملاك، فلاّحون أغنياء، رجعيّون، عناصر سيئة، ويمينيون" وأرسلوهم إلى الريف. تشير إحصائيات رسمية غير تامّة إلى أنّ 33.695 منزلاً قد تمّ تفتيشه وأن 85.196 من سكان بيكين قد تمّ إخراجهم من المدينة وطردهم إلى من حيث جاء آبائهم في الأصل. لقد طبّق الحرس الأحمر هذه السياسة في كل البلاد، مُطردًا أكثر من 400.000 ساكن حضريّ إلى الريف. وحتّى موظفون سامون ممّن كان آبائهم أصحاب أراض اضطرّوا للذهاب إلى الريف.

في الحقيقة، لقد خطّط الح ش ص لحملة الطرد هذه حتّى قبل أن تبدأ الثورة الثقافية. نجد أن عمدة بيكين الأسبق بانغ جان، قد صرّح بأنّ سكّان مدينة بيكين عليهم أن يكونوا - ايديولوجيّا - أنقياء نقاوة "أعمدة الزّجاج والبلور"، ويقصد من ذلك أن كلّ المتساكنين الذين ينتمون إلى طبقة اجتماعية سيئة سيُطرَدون من المدينة. في مايو 1966، أمر ماوو أتباعه بـ"حماية العاصمة"، وتمّ وضع فريق عمل خاصّ بالعاصمة، يقوده يي دجيانيينغ، يانغ شانغوو و سيي فوجي. وكان من بين مهامّه أن يستعمل الشرطة لطرد سكان بيكين الذين لهم سوابق طبقية سيئة.

هذه الحكاية توضّح لماذا لم تتدخّل الحكومة والشرطة، بل ساندتا الحرس الأحمر في تفتيش المنازل وطرد أكثر من 2% من سكان بيكين. وزير الأمن العمومي، سيي فوجي، أمر بألاّ تتدخل الشرطة في عمليّات الحرس الأحمر، بل بأن تسدي لهم النصيحة والمعلومات. بكل بساطة، لقد تمّ استعمال الحرس الأحمر من طرف الحزب للقيام بعمليات منظمة. ثمّ، مع نهاية 1966، تخلّى الح ش ص عن هذا الحرس الأحمر. الكثير من أفراد الحرس تمّ تصنيفهم على أنهم أعداء الثورة وتمّ سجنهم، آخرون تمّ طردهم إلى الريف مع حضريّين شباب آخرين ليشتغلوا هناك ويتمّ "إصلاح عقليّاتهم". منظمة الحرس الأحمر غرب المدينة، والتي قامت بطرد المتساكنين من المدينة، تمّ تأسيسها بإشراف و"سهر" من زعماء الح ش ص. وفيما بعد، الأمر الذي يقضي بإدانة نفس هذا الحرس الأحمر، قد صدر هو أيضًا، بعد أن تمّت مراجعته من طرف الأمين العامّ لمجلس شؤون الدولة.

على إثر طرد البيكينيين الذين ينتمون للطبقة الاجتماعية السيّئة، في 26 أغسطس 1966، تمّ إبلاغ خطاب سيي فوجي إلى قسم الشرطة بداسينغ أثناء انعقاد اجتماع عمل. لقد أمر سيي الشرطة بمساعدة الحرس الأحمر في تفتيش منازل "الطبقات السوداء الخمس" (أصحاب الأراضي، الفلاّحون الأغنياء، الرجعيّون، العناصر السيئة، واليمينيون)، وذلك عبر إسداء النصيحة والمعلومات له، ومساعدته في هجوماته. إنّ مجزرة داسينغ [8] الشنيعة قد حدثت تبعًا للتعليمات المباشرة لأقسام الشرطة. من نظّم العملية كان المدير وأمين قسم شرطة الح ش ص، والقتلة الآخرين كانوا في معظمهم ميليشيات، ولم يستثنوا حتّى الأطفال. هناك الكثير الذين وقع إدخالهم في الح ش ص كمكافأة على "سلوكهم الجيد" أثناء المجازر. حسب إحصائيات منقوصة عن مقاطعة غوانغسي، نجد أن قرابة 50.000 عضوًا من أعضاء الح ش ص كان متورّطًا في المجازر. ونجد من بينهم 9.000 وقع إدخاله في الحزب فقط إثر مرور فترة قصيرة على ارتكابه لجريمة قتل. أكثر من 20.000 ارتكبوا جرائم القتل بعد انخراطهم في الحزب، وأكثر من 19.000 عضو آخر من أعضاء الحزب كانوا متورّطين في أحداث القتل بشكل أو بآخر.

أثناء الثورة الثقافية، كانت النظرية الطبقية تنطبق أيضًا على ممارسة الضرب. إذا ضُربَ الأشرار من طرف الأخيار، فذلك أنهم يستحقّون ذلك. وإذا ضُربَ شخص شرّير من طرف شخص شرّير آخر، فذلك يُعَدّ شرفًا للضارب. وإذا ضُربَ شخص خيّر من طرف شخص خيّر آخر، فتلك تُعَدّ هفوةً. هذه النظرية هي من اختراع ماوو، وكانت منتشرة بشكل واسع أثناء حركات التمرّد. كان العنف والتقتيل منتشريْن كثيرًا تبَعًا للمنطق القائل بأنّ أعداء الصراع الطبقي يستحقّون العنف الذي يُمارَسُ ضدّهم.

من 13 أغسطس إلى 17 أكتوبر 1967، قام الميليشيّون التابعون لمحافظة داوو من مقاطعة هونان بتقتيل عناصر منظمة "رياح وعواصف سيانغدجيانغ" وعناصر "الطبقات السوداء الخمس". ودامت المجزرة 66 يومًا؛ أكثر من 4.519 شخصًا من 2.778 أسرة تمّ قتلهم في 468 قرية إداريّة من 36 بلدية شعبية في 10 أقاليم. وفي المجموع 9.093 شخصًا تمّ قتلهم، 38% من بينهم كانوا ينتمون لـ"الطبقات السوداء الخمس" و44% كانوا أبنائهم. كان أكبر الضحايا سنّا عمره 78 عامًا، وأصغر الضحايا سنّا عمره 10 أيّام.

لم يكن هذا سوى حالة واحدة من حالات العنف، في حدود منطقة صغيرة، أثناء الثورة الثقافية - في منغوليا الداخلية، نجد أنه بعد وضع "اللجنة الثورية" في بداية عام 1968، قتل التطهير الطبقي وعمليّات تطهير الحزب المُختلق -"الحزب الثوري لشعب منغوليا الداخلية"- أكثر من 36.000 شخصًا. في عام 1968، شارك عشرات آلاف الأشخاص في مقاطعة غوانغسي في التقتيل الجماعي للفئة المتمرّدة من منظمة "422"، وقضَوْا بذلك على 110.000 شخصًا. هذه الحالات تبيّن أن أعمال التقتيل والمجازر أثناء الثورة الثقافية جميعها آتية من الأوامر والتحريضات المباشرة من رؤساء الح ش ص، الذين أباحوا العنف واستعملوه لاضطهاد المواطنين وقتلهم. هؤلاء القتلة المتورّطون مباشرة في إعطاء إشارة الانطلاق للمجازر وتنفيذها، كانوا معظمهم من الجيش، من الشرطة، من الميليشيات المسلّحة، وأيضًا أعضاء بارزون من الحزب ومن رابطة الشباب.

أثناء الإصلاح الزراعي، استعمل الح ش ص الفلاّحين للإطاحة بمالكي الأراضي وذلك للاستحواذ على الأراضي؛ أثناء الإصلاح الصناعي والتجاري، استعمل الطبقة العاملة للإطاحة بالرأسماليين وذلك للاستحواذ على أرزاقهم؛ أثناء حركة ضدّ-اليمين، قام بتصفية كلّ المثقفين الذين لديهم رأي معارض – إذًا ما كان الهدف من كل مجازر الثورة الثقافية ؟ لقد استعمل الح ش ص مجموعةً ليقتل بها مجموعةً أخرى، دون أن يمنح ثقته لأيّ طبقة. حتّى وإن كُنت تنتمي للطبقة العاملة أو طبقة الفلاّحين اللتيْن اعتمد عليهما الح ش ص في الماضي، هذا لا يمنع أنه عندما تكون وجهة نظرك مخالفة لوجهة نظر الحزب، فإنّ حياتك تكون في خطر. إذًا في النهاية، لِمَ كلّ هذا ؟

كان الهدف هو خلق شيوعيّة تكون هي الدين الوحيد والأوحد المهيمن على البلاد بأكملها، مسيطرًا لا فقط على الدولة، بل على روح كلّ فردٍ.

لقد دفعت الثورة الثقافية للح ش ص عبادة شخص ماوو تسي تونغ إلى درجة قصوى. كان يتمّ استعمال نظرية ماوو لفرض كلّ شيءٍ وكان على وجهة نظر شخص واحد أن ترتسم وتُنحَتَ في عقول ونفوس الملايين. إنّ الثورة الثقافية - وبوسائل وطرق غير مسبوقة ولن يوجد لها مثيل أبدًا - لم تكن تحدّد ما لا يمكن فعله، وكان ذلك مقصودًا طبعًا. وبدلاً عن ذلك كان الحزب يبرز ما يمكن فعله وكيف القيام به. وكلّ ماكان يخرج عن هذا الإطار، لم يكن ممكنًا فعله ولا حتّى تصوّره.

أثناء الثورة الثقافية، كان الجميع في البلد يُمارسون طقسًا مثل الطقوس الدينية: "توجّهوا إلى الحزب بطلب توجيهات في الصباح وقوموا بتقرير للحزب في المساء"، إرسال التحية والسلام إلى ماوو تسي تونغ عدة مرات في اليوم مع تمنّي عمر مديد لا يفنى له، والقيام بصلوات سياسية صباحًا ومساءًا، بشكل يومي. تقريبًا كل شخص متعلّم في الصين قد عاش تجربة تحرير النقد الذاتي وتقارير عن الأفكار. كُنتَ كثيرًا ما تسمع الناس يتلون أقوال ماوو مثل: "صارعوا بشراسة كلّ فكرة أنانية" و"نفّذوا التعليمات سواءًا كانت الأهداف واضحة بالنسبة لكم أم لا، سيتعمّق فهمكم أثناء عملية التنفيذ."

"إله" واحد كان يُسمَحُ بعبادته، وهو ماوو؛ وكتابات واحدة كان يُسمَحُ بدراستها، وهي تعاليم ماوو. وفيما بعد تطوّر "تأليه" ماوو إلى درجة أنّ الناس لم يكونوا يستطيعون شراء طعام من المطعم دون أن يتلوا قولة لماوو أو أن يُحيّوا ماوو. عند القيام بالمشتريات، عند السفر في الحافلة، أو حتّى لإجراء مكالمة هاتفية، كان ينبغي تلاوة حكمة من حكم ماوو، حتّى وإن لم تكن لديها أيّ علاقة مع ما نحن بصدد فعله. عند القيام بهذه الأشياء، كان الناس صنفيْن: يكونون إمّا متعصّبين وإمّا سوداويّين متشائمين، وفي الحالتين يكونون تحت سيطرة ذلك الشيطان، شيطان الشيوعية. صنع الكذب، وإباحة وجود الكذب والاعتماد على الكذب أضحى نمط عيش الشعب الصيني.

VII. عصر الإصلاح الاقتصادي – العنف يتطور مع الزمن

لقد كانت الثورة الثقافية فترةً أهدِرَ فيها دم كثير، فترة مليئة بالمجازر، بالظلم، بفقدان الضمير وبالخلط بين الخير والشرّ. بعد الثورة الثقافية، أخذ مسيّرو الح ش ص يُغيّرون شعاراتهم بكثرة بينما الحكومة نفسها تغيّرت ستّة مرات في ظرف عشرين سنة. رجعت الملكية الخاصة إلى الصين، وتضخّم الفارق في مستوى العيش بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية، اتّسعت رقعة المساحات الصحراوية بسرعة، مياه الأنهار جفّت، وازداد استهلاك المخدّرات وممارسة الدّعارة. كلّ "الجرائم" التي حاربها الح ش ص أصبحت مُباحةً من جديد.

قلب الح ش ص القاسي وعديم الرحمة وطبيعته، آثامه، وقدرته على تخريب البلد، كلّ هذا قد كبُرَ وازداد. أثناء مجزرة تيانانمن في 1989، عبّأ الحزب الجيش والدبابات لقتل الطلبة الذين كانوا يتظاهرون في ساحة تيانانمن، والاضطهاد الحالي لممارسي الفالون غونغ لهو أدهى وأمرّ. في أكتوبر 2004، عبّأت الحكومة المحلية 1.600 شرطيّا من شرطة قمع المظاهرات لإيقاف 50 فلاّحًا وقتلهم ومصادرة أراضيهم في مدينة يولين، في مقاطعة شآنسي. إن الحكم السياسي للحزب الصيني قد انبنى دومًا على فلسفة صراع وعنف. الفارق الوحيد مع الماضي هو أن الحزب أصبح فاسدًا أكثر.

1- صنع القانون

لم يكفّ الح ش ص أبدًا عن زرع الفتن والأحقاد بين الناس. لقد حكم على عدد كبير من المواطنين المتهمين بكونهم رجعيّين، أعداء للاشتراكية، عناصر سيّئة، وأعضاء جماعات وفرق شيطانية. إنّ الطبيعة الشمولية للح ش ص لا تزال تدخل في صراع مع كل المجموعات والمنظمات المدنية الأخرى. باسم الحفاظ على "الاستقرار الاجتماعي"، غيّر الحزب باستمرار الدساتير، والقوانين والتعليمات، واضطهد كلّ شخص غير متّفق مع الحكومة بتهمة أنه رجعيّ.

في يوليو 1999، قرّر دجيانغ زمين - بصفة شخصيّة - وضدّ إرادة غالبيّة أعضاء المكتب السياسي الآخرين، تصفية الفالون غونغ في ظرف ثلاثة أشهر؛ وعمّت الأكاذيب البلاد مرّةً أخرى. في مقابلة أجرتها معه صحيفة لوفيغارو الفرنسية، اتّهم جيانغ زمين علانيّةً الفالون غونغ بأنها "طائفة شيطانية"، وإثر ذلك تبعه أصحاب الدعايات الصينيون، وسرعان ما نشروا مقالاتٍ تمارس ضغطًا متزايدًا على الناس لكي ينقلب كلّ شخص في البلاد ضدّ الفالون غونغ. وفي نهاية الأمر، أجبر التجمّع الشعبي الوطني على إصدار "قرار" يتناول أمر الطوائف الشيطانية؛ وبعد ذلك بوقت قصير، أصدرت المحكمة الشعبية العليا بالشراكة مع المحكمة الصغرى الشعبية العليا "تفسيرًا" لهذا "القرار".

في 22 يوليو 1999، نشرت وكالة الصحافة سينهوا خطابات لمسيّري قسم تنظيم الح ش ص وقسم الدعاية، يؤيّدون علنًا اضطهاد دجيانغ للفالون غونغ. وألفى الشعب الصيني نفسه مسجونًا في شباك الاضطهاد فقط بسبب قرار اتّخذه الحزب؛ فليس بوسعه سوى إطاعة الأوامر وليس قادرًا على القيام بأدنى اعتراض.

أثناء السنين الخمس الأخيرة الماضية، أنفقت الحكومة ربع الموارد المالية القومية على اضطهاد الفالون غونغ. وأجبِر كلّ الناس في البلاد على الخضوع لاختبار: أغلب أولئك الذين يُقرّون أنهم يمارسون الفالون غونغ ويرفضون التخلّي عن الممارسة كانوا يفقدون مراكز عملهم، والبعض منهم حُكِم عليه بالأشغال الشاقة. إنّ ممارسي الفالون غونغ لم يخرقوا أيّ قانون، لم يخونوا بلادهم، ولم يعترضوا على الحكومة؛ لم يفعلوا سوى كونهم يؤمنون بـ"الحق، الرحمة، الصبر". ومع ذلك، فإنّ مئات آلاف الأشخاص قد سُجِنوا. وفي نفس الوقت الذي كان الح ش ص يضع فيه حصارًا معلوماتيّا منيعًا، تمّ تعذيب 1.100 شخصًا إلى حدّ الموت وفق ما أكّدته عائلاتهم – وعدد القتلى غير المسجّلين لهو أكبر.

2- التضليل المعلوماتي

في 15 أكتوبر 2004، نقلت صحيفة وانوا بياو (وان هوي باوو) في هونغ كونغ أنّ القمر الصناعي رقم عشرين، أثناء عودته إلى الأرض، قد سقط على منزل هوو جيو في بلدة بنغلاي الموجودة في إقليم دابين من مقاطعة سيشوان. كان التقرير يذكر آبي يوتشينغ، مدير المكتب الحكومي لإقليم دابين، مؤكّدًا أن "الكتلة السوداء" كانت بالفعل القمر الصناعي. لقد كان آبي هو نفسه المدير المساعد لمشروع استرجاع المركب الفضائي. ورغم ذلك فإنّ سينهوا لم تعلن سوى عن ساعة عودته، مبرزةً أنه القمر الصناعي التجريبي العلمي والتقني رقم عشرين الذي عثرت عليه الصين. سينهوا لم تكلّف نفسها حتّى ذكر سقوط المركب على منزل. هذا مثال حيّ ونموذجيّ عن الممارسة المعتادة لتقارير وسائل الإعلام الصينية: إذاعة الأخبار الحسنة وكتمان الأخبار السيئة تنفيذًا لأوامر الحزب.

إنّ الأكاذيب والتلب الذي يُنشَرُ في الصحف ويُذاع في التلفزيون قد ساهم كثيرًا في تفعيل سياسة الح ش ص في كلّ الحركات السياسية السابقة. إنّ أوامر الحزب يتمّ تنفيذها بصفة فورية من قِبَل جميع وسائل الإعلام في البلاد. عندما أراد الحزب بعث حركة ضدّ اليمين، أخذت وسائل الإعلام، في كلّ البلاد، تذيع بصوت واحد جرائم اليمينيين. عندما أراد الحزب تأسيس الجمعيات الشعبية، أخذت كلّ صحيفة في الوطن تُثني على محاسن الجمعيات الشعبية. أثناء الشهر الأول من اضطهاد الفالون غونغ، كلّ المحطات التلفزية والإذاعية شتمت دون هوادةٍ الفالون غونغ وفي الساعات التي يتمّ فيها الإقبال بكثرة وذلك لغسل دماغ الناس. ومنذ ذلك الحين، استعمل دجيانغ كلّ وسائل الإعلام لاختراع أكاذيب وشتائم متكرّرة بخصوص الفالون غونغ ونشرها بين الناس، محاولاً تأليب الرأي العامّ على الفالون وتحريض الرأي العامّ على كره الفالون غونغ، وذلك بواسطة بثّ أخبار مُختلَقة عن ممارسين يرتكبون جرائم قتل وانتحار. مثال على هذا النوع من التصوير المزيّف هو حادثة "الانتحار حرقًا –المزعومة- في تيانانمن"، والتي ندّدت بها المنظمة غير الحكومية العالمية للتنمية التربوية أمام الأمم المتحدة بجنيف على أنها حادثة مفبركة من طرف الحكومة لخداع الناس. أثناء السنين الخمس الأخيرة الماضية، لم تنقل أيّ صحيفة أو قناة تلفزية في شبه القارة الصينية حدثًا صادقًا واحدًا بخصوص الفالون غونغ.

إن الشعب الصيني متعوّد على الأخبار الكاذبة من وسائل الإعلام. هناك صحفي قديم من وكالة سينهوا قد قال مرّةً: "كيف تستطيعون تصديق تقارير سينهوا ؟" إنّ الناس يصفون وكالات الصحافة الصينية حتّى بكونها كلاب الحزب. ومثلما تصف ذلك الأغنية الشعبية: "إنه كلب قد ربّاه الحزب، ويحرس باب الحزب. سيعضّ من يقرّر الحزب أنه يجب أن يُعَضّ، وسيعضّ عدد المرّات التي يريدها الحزب !"

3- التربية

في الصين، أصبحت التربية والتعليم وسيلة إضافية أخرى للتحكّم في الناس. في الأصل، كانت التربية تهدف، علاوةً على تحصيل المعارف، إلى التنمية العقلية لمَلكة التمييز. إنّ المعرفة تعني فهم المعلومة، فهم المعطيات والأحداث التاريخية، اكتساب رأي أثناء مسار التحليل والبحث والنقد وإعادة إنتاج هذه المعرفة – مسار تنمية روحية. أولئك الذين لديهم معرفة دون أن يكون لهم رأي شخصي مميّز، هم أشبه ما يكونون بفئران المكتبة، لا بمثقفين حقيقيين لديهم وعي وضمير اجتماعي. لذلك نجد أنه في التاريخ الصيني، كان المثقفون الذين لديهم رأي مستقلّ هم الذين يحظوْن فعلاً بالاحترام والتقدير، وليس أولئك الذين لديهم فقط المعرفة. ولكن، تحت حكم الح ش ص، أصبحت الصين تعجّ بالمثقفين الذين لديهم المعرفة ولكن ليس لديهم رأي أو أنهم لا يجرؤون على ممارسة حرّية الرأي. إن التربية في المدارس لا تلقّن الطلبة سوى عدم فعل الأشياء التي لا يريد الحزب أن يفعلوها. في هذه السنين الأخيرة أخذت كلّ المدارس تعلّم سياسة الح ش ص وتاريخه معتمدةً كتبًا مدرسيةً موحّدةً. المدرّسون لا يعتقدون في محتوى النصّ، ولكنّ "نظام" الحزب يُجبرهم على تدريسه رغم إرادتهم. الطلبة لا يصدّقون الكتب المدرسية ولا أساتذتهم، ولكن عليهم أن يحفظوا ذلك عن ظهر قلبٍ إذا كانوا يريدون النجاح في الامتحان. ومؤخرًا، تمّت إضافة أسئلة تهمّ الفالون غونغ إلى امتحانات دخول الجامعات والمدارس الثانوية. والطلبة الذين لا يعرفون الأجوبة النموذجية لا يحصلون على الأعداد الممتازة ويفقدون حظوظهم في الدخول إلى الجامعات الجيدة أو المدارس الثانوية الجيدة. إن تجرّأ طالب على قول الحقيقة، يتمّ طرده في الحال من المدرسة ويفقد حقّه في التربية العمومية.

في نظام التربية العمومية، وبتأثير من الصحف والوثائق الحكومية، هناك عديد الأمثال والمقولات الشهيرة أصبحت تُشاع على أنها حقائق، مثل قولة ماوو: "علينا مساندة ما يعارضه العدوّ ومعارضة ما يسانده العدوّ". وشاع تأثيرها السلبي في كل مكان: لقد سمّموا قلوب الناس، وأبعدوا الإحسان والطيبة وقوّضوا المبدأ الأخلاقي المتمثل في العيش بسلام وانسجام.

في 2004، قام رجل متعصّب بفري 28 طفلاً بسكّين في مدينة سوجو. في 20 سبتمبر، جرح رجل من مقاطعة شاندونغ 25 تلميذًا من مدرسة ابتدائية بسكّين. وأجبر بعض مدرّسي المدارس الابتدائية التلاميذ على صنع متفجرات يدويّة وذلك لتنمية مداخيل المدرسة، متسببين في انفجار ومات تلاميذ جرّاء ذلك الانفجار.

4- تنفيذ السياسات

كثيرًا ما استعملت إدارة الح ش ص التهديد والإرغام لتتأكّد من تنفيذ الشعب للسياسات التي تريدها. ومن بين الوسائل التي تستعملها هي الشعار السياسي. لفترة طويلة، اعتمد الح ش ص عدد الشعارات المُعَلّقة كمقياس لتقييم المساهمة السياسية لكلّ فردٍ. وأثناء الثورة الثقافية، أصبحت بيكين بين عشيّة وضحاها مثل "بحر أحمر" من مُعَلّقات داتسيباو (صحيفة حائطية صينية مُعلّقة في الأماكن العمومية). كنتَ ترى شعار "ليسقط حكم الرأسماليين في الحزب" في كلّ مكان. وفي الأرياف، تمّ اختصاره - من سخرية القدر - إلى "ليسقط الحزب".

مؤخّرًا، ولتفعيل القانون الخاصّ بحماية الغابات، قام مكتب الدولة المُكلّف بالتأجيم (الزراعة الغابية) وكلّ محطاته وفروعه، ومكاتب حماية الغابات - فيما يشبه الأمر - بتحديد عددٍ معيّن من الشعارات التي يتعيّن تعليقها. ومن لا يبلغ ذلك العدد المُحدّد، يُعتَبَرُ أنه لم يقم بالعمل المطلوب منه. ونتيجة لذلك، علّقت المكاتب المحلية للحكومة عددًا كبيرًا من الشعارات مثل: "من يحرق الغابات إلى السجن مصيره". في السنوات الأخيرة، وُجِدت في إدارة مراقبة الولادات شعارات مخيفة أكثر: "إن اخترق أحدهم القانون فإنّ كل القرية سيتمّ تعقيمها"، "قبر جديد أفضل من مولود جديد"، أو "إن لم يخضع لاسئصال الأسهر كما يتعيّن عليه، سيُهدَمُ منزله؛ إن لم تخضع لإجهاض كما يتعيّن عليها، فستُفتكّ منها بقراتها وحقول أرزّها." بل هناك حتّى شعارات ترمي عرض الحائط بحقوق الإنسان وبالدستور مثل: "تنام في السجن غدًا إن لم تدفع ضرائبك اليوم."

إنّ الشعار هو ببساطة عبارة عن دعاية، ولكنها مباشرة أكثر ومتكرّرة. لذلك، كثيرًا ما تستعمل الحكومة الصينية الشعارات لترويج أفكار، وقيم، ومواقف سياسية. نستطيع أيضًا أن نعتبر الشعارات السياسية بمثابة الكلمة التي توجّهها الحكومة للشعب. ولكن في هذه الشعارات المُروّجة لسياسات الح ش ص، ليس من الصعب أن نلمس نزعتها نحو العنف والقسوة.

VIII. إخضاع كامل البلاد لغسل دماغي وتحويلها لـ "سجن فكري"

إنّ السلاح الأكثر فاعلية الذي يستعمله الح ش ص للإبقاء على حكمه الجائر هو نظام المراقبة. إنّ الح ش ص يفرض، بطريقة منظمة جدًا، عقليّة طاعة وخضوع على كلّ فردٍ من أفراد شعبه. لا يهمّ إن كان هو نفسه متناقضًا أو كان يغيّر بصفةٍ دائمة سياسته، طالما أنه قادر على وضع طرق صارمة منظمة لحرمان الشعب من حقوقه الإنسانية الأساسية. إنّ كبّاشات الحكومة موجودة دائمًا وفي كلّ مكان. إن كان ذلك في المناطق الريفية أو الحضرية، من يحكم المواطنين هي اللّجان المعروفة بـ"اللجان البلدية" أو لجان الشوارع. إلى يومنا هذا، يحتاج المواطنون لموافقة هذه اللّجان إن كان ذلك للزواج أو للطلاق أو لإنجاب طفل. الإيديولوجية، طريقة التفكير، المنظّمات، البنية التحتية الاجتماعية، آليّات الدعاية، والنظم الإدارية للحزب، كلّها لا تخدم سوى هدفه الديكتاتوري. إنّ الحزب، من خلال أساليب حكمه، يحاول جاهدًا أن يراقب ويتحكّم في كلّ فكرةٍ وفعلٍ شخصيّيْن.

إنّ الفظاظة التي يتحكّم بها الح ش ص في شعبه لا تقف عند التعذيب الجسدي، إنه يُرغم الناس أيضًا على فقدان قدرتهم على التفكير الشخصي الحرّ، إنه يصنع منهم جبناء ودفاعيّين لا يقدرون على الكلام بصراحة. إنّ الهدف من نفوذه هو الغسل الدماغي لكلّ مواطن من مواطنيه، بحيث يصير يفكّر ويتكلّم مثل الح ش ص، ويفعل ما يطلبه الح ش ص.

هناك مَثل يقول: "سياسة الحزب هي مثل القمر، تتغيّر كلّ 15 يومًا". وكلّ مرّة يُغيّر فيها الحزب سياساته، فإنّ كلّ شخص في البلاد يجب أن يتبعه. عندما يستعملك الح ش ص ليؤذي الآخرين عن طريقك، فيجب أن تشكر الح ش ص لأنه أحسن الظنّ بقدراتك؛ عندما تكون مجروحًا، يجب أن تشكر الح ش ص لأنه أعطاك درسًا؛ عندما تتعرّض للميز والظلم ثمّ فيما بعدُ يعوّضك الح ش ص عنه، يجب أن تشكر الح ش ص لكرمه الكبير، ولسعة صدره ولقدرته على إصلاح أخطاءه. إنّ الح ش ص يُمدّد طغيانه عبر دوراتٍ متعاقبة من الظلم المشفوع بالإصلاح والتعويض.

بعد 55 سنة من الجور، سمّم الح ش ص روح الأمّة وسجنها في الفضاء الذي حدّده لها. التفكير خارج إطار ذلك الفضاء يُعتَبَرُ جريمة. بعد صراعات متكرّرة، يمتدحون الغباوة ويسمّونها حكمة؛ وصار الجبن وسيلة أساسية للعيش. في مجتمع عصريّ تلعب فيه الانترنت دورًا رئيسيًا في تبادل المعلومات، يصل الأمر بالح ش ص إلى أن يطلب من الشعب أن يمارس على نفسه الرقابة الذاتية وألاّ يقرأ المعلومات القادمة من الخارج، وألاّ يدخل إلى مواقع بواسطة كلمات- مفاتيح مثل "حقوق الإنسان" أو "ديموقراطية".

إنّ قيام الح ش ص بغسل دماغ شعبه أمر عديم المعنى، عنيف، وحقير، ولكنه متواجد دائمًا وفي كلّ مكان. لقد شوّه الح ش ص القيم الأخلاقية ومبادئ المجتمع الصيني، لقد أعاد صياغة قواعد السلوك وطريقة عيش الأمّة. يستعمل الح ش ص بصفة مستمرّة طرق تعذيب فكرية وجسدية ليقوّي ديكتاتوريته ويُرسي نفوذه المطلق على الصين مع "دين الح ش ص" المهيمن.

خاتمة

لماذا على الح ش ص أن يصارع دومًا للحفاظ على سلطته ؟ لماذا يعتقد الح ش ص أن الصراع باق لا نهاية له ما دامت الحياة ؟ من أجل تحقيق بغيته، هو لا يتردّد في قتل الناس وإتلاف البيئة والمحيط، إنه لا يأبه كذلك بالفقر الجاثم على معظم القرويين وعدد كبير من الحضريين.

أمن أجل ايديولوجية الشيوعية يواصل الح ش ص هذا الصراع بلا نهاية ؟ الإجابة هي لا. إنّ إحد مبادئ الحزب الشيوعي هي إزالة الملكية الخاصّة، وهو ما سعى لفعله عندما حصل على السلطة. لقد كان الح ش ص يظنّ أن الملكية الخاصّة هي أصل كلّ الشرور. ولكن، إثر الإصلاح الاقتصادي في السنوات 1980، أصبحت الملكية الخاصّة مُباحة من جديد في الصين وتتمتّع بحماية الدستور. لو استطاع الناس كشف أكاذيب الح ش ص، فسيرون بوضوح أنه طيلة هذه الـ55 سنة من الحكم، لم يقم الحزب سوى بإخراج مسرحية...مسرحية توزيع الثروات. وبعد بعض دوراتٍ من "التوزيع"، ذوّب الحزب بكلّ بساطة رأسمال الآخرين في أملاكه الخاصّة.

يدّعي الح ش ص أنه "نصير الطبقة العاملة". مهمّته هي القضاء على الطبقة الرأسمالية. ومع ذلك فإنّ قوانينه اليوم تسمح للرأسماليين - دون لبس- بأن ينضمّوا للحزب. أعضاء الحزب لم يعودوا يؤمنون به ولا بالشيوعية، وجود الح ش ص إذًا لا مبرّر له. ما بقي من الحزب الشيوعي لا يعدو أن يكون قشرة مُفرغة من محتواها المزعوم.

هل كان هذا الصراع الطويل يهدف إلى حماية أعضاء الح ش ص من الفساد ؟ لا. بعد 55 سنة من الحكم، نجد أن الفساد وسرقة الأموال والسلوكيات اللا- قانونية والأعمال المضرّة بالأمّة والشعب لا تزال منتشرة بشكل واسع بين موظفي الح ش ص عبر كامل البلاد. في هذه السنوات الأخيرة، 8 ملايين - من جملة قرابة 20 مليون موظف من موظفي الحزب في الصين - وقع تتبّعهم عدليًا ومعاقبتهم بسبب جرائم تتعلّق بالفساد. كلّ سنة، نجد أنّ قرابة مليون شخص يشتكون إلى السلطات المعنيّة من الموظفين الفاسدين الذين لم تقع مراقبتهم. من يناير إلى سبتمبر 2004، حقّق المكتب الصيني لتصريف الأموال في حالات عمليات تصريف غير قانونية في 35 بنكًا و41 مؤسّسة، واكتشف تصريفًا غير قانوني يُقدّر مبلغه الجمليّ بـ120 مليون دولارًا أمريكيًا. حسب إحصائيّات السنوات الأخيرة، هرب ما لا يقلّ عن 4.000 موظف من موظفي الح ش ص من الصين حاملين معهم مبالغ مالية طائلة مسروقة من خزائن الدولة تبلغ في الجملة عشرات المليارات من الدولارات.

هل كان الهدف من الصراعات هو تربية الشعب وإصلاح ضميره وجعل الشّؤون الوطنية من بين مشاغله ؟ الإجابة هي "لا" أخرى مدوّية. في صين هذه الأيّام، نجد أن الجري وراء الربح المادّي لا هوادة فيه، وأنّ الناس قد فقدوا الخصلة الأصلية المتوارثة، خصلة النزاهة. لقد أصبح أمرًا عاديًا أن يخدع المرء عائلته ويحتال على أصدقاءه. إزاء عديد المسائل الهامّة مثل حقوق الإنسان أو اضطهاد الفالون غونغ، نجد أن ردّ فعل الكثير من الصينيين هو اللاّ- مبالاة، أو أنهم يرفضون الحديث فيها. احتفاظ الشخص برأيه لنفسه وعدم قول الحقيقة هي وسيلة أساسيّة للبقاء على قيد الحياة في الصين اليوم. في الآن نفسه، يغتنم الح ش ص كلّ فرصةٍ ليحرّك في الناس أكثر وأكثر شعور الوطنية. يستطيع مثلاً أن يتصرّف بحيث يجعل أفراد الشعب الصيني يرمون الحجارة على السفارة الأمريكية أو يحرقون الأعلام الأمريكية. لقد وقعت معاملة الصينيين إمّا على أنهم قطيع مطيع أو على أنهم جمهور هائج، ولكن أبدًا على أنهم مواطنون يتمتّعون بحقوقهم الإنسانية مضمونة. إنّ المبادئ الأخلاقية التي تكلّم عنها كونفوشيوس و منشيوس قد كوّنت، لمدّة آلاف السنين، قاعدة النظام الاجتماعي وسيادة الدولة. "إن وقع التخلّي عن هذه المبادئ، إذًا فلن يكون للناس أيّ قانون يتّبعونه ولن يستطيعوا بعد ذلك التمييز بين الخير والشرّ. سيسلك كلّ منهم طريقه...سوف ينطمس الطاوو." [9]

إنّ غاية الح ش ص من صراع الطبقات هي خلق الفوضى بصفة مستمرّة، وبفضل تلك الفوضى يستطيع أن ينـتصب بإحكام بصفته الحزب الأوحد والأعلى في الصين، وأن يستعمل ايديولوجيّة الحزب ليسيطر على الشعب الصيني. إنّ مؤسّسات الحكومة، والقوى العسكرية، ومعلومات وسائل الإعلام هي كلّها أدوات يستعملها الح ش ص للحفاظ على ديكتاتوريته. وبعد أن نقل أمراضًا قاتلة للصين، فإنّ الح ش ص هو نفسه على حافة الموت الآن، ولا مفرّ من سقوطه.

بعض الناس يُبدون تخوّفًا من الفوضى التي ستشهدها البلاد إذا انهار الح ش ص، من سيحلّ محلّ الح ش ص في حكم الصين ؟ أثناء الـ5.000 سنة من تاريخ الصين، لن تعدو الـ55 سنة من حكم الح ش ص أن تكون سحابة ومرّت. للأسف، أثناء هذه الفترة القصيرة التي دامت 55 سنة، بدّد تمامًا المعتقدات والقيم الأصلية الصينية، وحطم المبادئ الأخلاقية والبُنى الاجتماعية المتوارثة، محوّلاً المحبة والرعاية بين الناس إلى صراعٍ وكرهٍ، مستبدلاً احترام السماء والأرض والطبيعة بالبجاحة التالية: "حبّ الغزو والاكتساح هي طبيعة بشرية". وعملاً تخريبيّا بعد آخر، حطّم الح ش ص شيئًا فشيئًا النظام الاجتماعي والأخلاقي والبيئي تاركًا الأمّة الصينية في أزمة عميقة.

في تاريخ الصين، كلّ حاكم طيّب كان يعتبر أن محبّة الشعب وإطعامه وتنشئته هي مسؤولية الحكومة. الطبيعة الإنسانية تجنحُ إلى الطيبة، ودور الحكومة هو تفجير ينابيع هذه الطبيعة الإنسانية الفطرية. قال منشيوس: "إنها طريق الناس: أولئك الذين لديهم سند متمثل في الموارد القارّة ستكون نفسيتهم مستقرّة، بينما أولئك الذين ليس لديهم سند متمثل في الموارد القارّة لن تكون نفسيتهم مستقرّة." [10] لقد اتّضح أنّ التربية دون ازدهار مادّي هي عديمة الجدوى؛ وقد احتقر الشعب الصيني الحكّام الطغاة الذين لم تكن في قلوبهم أيّ محبّة نحو شعبهم وكانوا يقتلون الأبرياء.

أثناء الـ5000 سنة من التاريخ الصيني، وُجِد هناك عديد الحكّام الطيبين مثل الامبراطور وان والامبراطور وو من العائلة المالكة جو، والامبراطور وان والامبراطور جينغ من العائلة المالكة هان، والامبراطور تانغ تايتسونغ من العائلة المالكة تانغ، والامبراطور كانغتسي والامبراطور تشيانلونغ من العائلة المالكة تشينغ. إنّ الازدهار والرخاء الذي كان ينعم به الناس في ظلّ حكم هذه الأسَر المالكة كان بفضل حكّام يمارسون الطاوو الإلهي، ويتّبعون طريق الوسط، ويسعوْن وراء السلام والانسجام. إنّ صفات الحاكم الطيب تتمثل في توظيف الناس المقتدرين والفاضلين، وفي اتّساع صدورهم أمام اختلاف الآراء، وفي كونهم يُعلون العدل والسلام ويُعطون الناس ما يحتاجونه. وبهذه الطريقة، ينصاع المواطنون طواعيةً للقوانين، ويكون لديهم حسّ مهذّب وعادة احترام الآخرين، ويكونون سعداء ويعملون بجدّ وحماس.

عندما نلقي نظرة على العالم، كثيرًا ما نتساءل عمّا يحدّد ما إذا كانت دولة مّا ستنعم بالازدهار أو ستتلاشى، علمًا وأنّ رقيّ أمّة أو سقوطها لديهما أسباب. بعد الح ش ص، يمكن أن نتوقّع أن السلام والانسجام سيعودان من جديدٍ إلى الصين. يعود الناس صادقين، مهذبين، متواضعين ومتسامحين؛ ستهتمّ الأمّة من جديدٍ بالحاجيات الأساسية للشعب، وكلّ المهن سوف تزدهر من جديدٍ.

ملاحظات:

1- راجعوا "أرشيف الأغذية والمنتوجات" في تاريخ الأسرة المالكة هان (هان تشو). "كلّ شيءٍ تحت السماء" تعني الصين تحت حكم الأباطرة.

2- تشيان بوشانغ، الثقافة الشرقية، الطبعة الرابعة، 2000.

3- غاوو غانغ و داوو شوشي كانا عضويْن في اللجنة المركزية. في 1954، وبعد محاولة فاشلة في الصراع على السلطة، وقع اتهامهما بتهمة التؤامر لتقسيم الحزب وإثر ذلك وقع طردهما. هو فانغ هو عالم وناقد أدبيّ، وقد كان معارضًا للسياسة الأدبية العقيمة للح ش ص. تمّ طرده من الحزب سنة 1955 والحكم عليه بـ14 سنة سجنًا. من 1951 إلى 1952، أطلق الحزب حملة "الأضداد الثلاثة" وحملة "الأضداد الخمسة" وذلك باسم القضاء على الفساد والفوضى والبيروقراطية داخل الحزب والحكومة والجيش والتنظيمات الكبرى.

4- لو سون أو لو هسون (25 سبتمبر 1881-19 أكتوبر 1936)، يُعتبر مؤسس الأدب الصيني "المحلّي" الحديث (بايهوا)، وكان أيضًا مترجمًا مميّزًا. لعب دورًا هامّا في تاريخ الأدب الصيني بصفته كاتبًا ينتمي للجناح الأيمن. كتبه كان لها كبير الأثر في نفوس كثير من الشباب الصيني. درس الطبّ في سنداي باليابان سنة 1909، ثمّ عند عودته إلى الصين، أصبح أستاذًا محاضرًا بجامعة بيكين وبدأ في الكتابة.

5- امبراطور اليشب والملك التنين هما شخصيتان ميثيولوجيتان. امبراطور اليشب يُعرَفُ رسميّا بذي اليشب الجليل المهيب، ويعرفه الأطفال والناس ذوو الثقافة المتواضعة بـ"الجدّ السماويّ"، وهو حاكم السماوات وأحد أهمّ الآلهة في مجمع الآلهة الطاويّ. الملك التنين هو حاكم المحيطات الأربعة. كلّ محيطٍ يوافق الاتجاهات الرئيسية الأربعة ويحكمه ملك تنين. الملوك التنينات تعيش في قصور من الكريستال، يحرسها جنود قريدسات وقوّاد سرطانات. بالإضافة إلى سيادتها على الحياة المائيّة، تتحكّم الملوك التنينات أيضًا في السحاب والمطر. يُقال أن الملك التنين الذي يحكم بحر الشرق هو صاحب المملكة الأكثر اتّساعاً.

6- بانغ داخواي (1898-1974): قائد سياسي وماريشال شيوعي صيني. كان بانغ قائدًا عامّا في الحرب الكوريّة، ووزيرًا أوّلاً مساعدًا في لجنة شؤون الدولة، وعضوًا في المكتب السياسي، ووزيرًا للدفاع من 1952 إلى 1959. أقيل من مهامّه الرسمية لأنه لم يستحسن النظريات اليسارية لماوو في الجلسة المكتملة للح ش ص بلوشان سنة 1959.

7- جاوو غاوو (تاريخ الولادة غير معروف، مات في 210 ق.م): رئيس الخدم لدى الأسرة المالكة تشين. في 210 ق.م، بعد موت الامبراطور تشين تشي هوانغ، قام جاوو غاووو، بصحبة الوزير الأول لي سي والابن الثاني للامبراطور هو هاي بتأليف وصيّتيْن (زعمًا أنهما وصيّتا الامبراطور)، ومحتوى هاتين الوصيّتيْن: إحداهما تسمّي هو هاي امبراطورًا جديدًا، والأخرى تأمر الأمير وريث العرش، فو سو، بالانتحار. ثمّ، فيما بعد، احتدمت الخصومات بين جاوو غاوو و هو هاي ؛ فجلب جاوو أيلاً إلى ساحة المملكة وقال أنه حصان. ولم يجرؤ سوى عدد قليل من الموظفين على الاعتراض وقول أنه أيل. اعتبر جاوو غاوو أن موظفيه كانوا ضدّه ونحّاهم من وظائفهم الحكومية.

8- مجزرة داسينغ حدثت في شهر أغسطس 1966 أثناء تغيير حكومة الحزب ببيكين. في ذلك الحين، ألقى سيي فوجي، وزير الأمن العامّ، خطابًا أثناء انعقاد اجتماع بمكتب الأمن العامّ ببيكين، داعيًا إلى عدم التدخّل إزاء الأعمال التي يمارسها الحرس الأحمر ضدّ "الطبقات السوداء الخمس". وسريعًا ما وقع تمرير هذا الخطاب في اجتماع للجنة التنفيذية لمكتب الأمن العامّ بداسينغ. وبعد الاجتماع، تحرّك المكتب في الحين، ورسم خطّة لتحريض سكّان مقاطعة داسينغ على قتل "الطبقات السوداء الخمس".

9- دو كانغ يوواي، مجموعة الكتابات السياسية، 1981. كانغ يوواي (1858-1927) كان مفكّرًا كبيرًا ومُصلحًا في نهاية فترة تشينغ.

10- لمنشيوس.

جميـع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة الرابعة: الحزب الشيوعي قوّة مناهضة للكون

توطئة

ملصقة حائطية تبرز الحرس الأحمر وهم يضربون الناس، ويدكون المنازل، ويخرّبون الممتلكات. يقول الشعار الذي في الصورة :"تحطيم العالم القديم، بناء عالم جديد".

يولي الصينيون أهمّية كبيرة للـ"طاوو"(/داوو) أو الطريق (السراط). فيما مضى، كان الامبراطور عندما يكون فظا قاسيًا، يقال عنه أنه "حاكم سافل وعديم الطاوو". كان كلّ سلوك يشذّ عن المنهج الأخلاقي -والذي يُدعى بالصينية "داوو دو"، أي "الطاوو" و "الفضيلة" - يقال عنه أنه "لا يتّبع الطريق". وحتّى القرويون الذين يثورون، كانوا يكتبون على لافتاتهم: "بلوغ الطريق بحقّ السماء".

قال لاوو تسي [1] :

«شيء كان، قد مّا
ليس مكتمل، ولكنه مُحدّدًا
قد الأرض، وقبل السماء قبل وُلِد
لا حدود، تحدّه ولا عبارات تحتَويه
مستقلّ وصامد،

لاعب كلّ الأدوار في كلّ مكان دون كللٍ،
وبإيجاز هو أبو الخليقة،
بما أني لا أعرف اسمه، فإني أسمّيه "الطريق".»
يشير هذا القول للاّوو تسي إلى أن أصل خلق الكون هو "الطاوو".

في المائة سنةٍ الأخيرة، خلق الاكتساح الفجئيّ لشبح الشيوعية قوّة مناهضة للطبيعة والإنسانية، متسبّبًا في فظائع ومآسي لا يمكن تصوّرها، ودافعًا بالحضارة الإنسانية إلى شفا الهوّة. بارتكابه مختلف أصناف الفظائع التي هي ضدّ الطاوو والتي تعارض السماء والأرض، أصبح قوّةً شرّيرةً إلى أقصى درجةٍ تنتصب مناهضة للكون.

«الإنسان يتّبع سُبُل الأرض،

الأرض تتّبع سُبُل السماء،

السماء تتّبع سُبُل الطريق،

والطريق يتّبع سُبُله الخاصّة [2] »

قديمًا في الصين، كان الناس يعتقدون بأنّ على الإنسان أن يمتثل للطبيعة ويتآلف وينسجم معها ويتواجد معها. إن البشرية هي جسم واحد مع السماء والأرض ووجود كلّ طرفٍ منهما متعلّق ومرتبط بوجود الآخر. إنّ طاوو الكون ثابت لا يتغيّر. والكون يسير وفق الطاوو سيرًا منظمًا. الأرض تتّبع تغيّرات السماء وهكذا فلديها أربعة فصول مختلفة. عندما يحترم البشر السماء والأرض، يصير بإمكانهم أن ينعموا بحياةٍ ملؤها الانسجام والامتنان والبركة. لهذا السبب يُقال أنّ القولة التالية "الزمن المناسب، والمكان المناسب، والانسجام بين الأفراد" تعبّر عن قيمٍ صينيةٍ [3]. حسب الفكر الصيني، فإن علم الفلك، والجغرافيا، وتقويم الروزنامة، والطبّ، والأدب، وحتّى تركيبة المجتمع، كلّها ينطبق عليها هذا المفهوم.

ولكن الحزب الشيوعي يضع في طليعة مبادئه "الغلبة السّاحقة للإنسان على الطبيعة"، و"جوهر" هذه الحرب بين الإنسان والطبيعة هي "فلسفة الصراع بين الطبقات". إنهم يتحدّوْن الخاصّية الطبيعية للسماء وللأرض وللطبيعة. لقد قال ماوو تسي تونغ: "إنّ مكافحة السماء لسعادة لا تُحدّ، ومكافحة الأرض سعادة لا تَحدّ، ومكافحة البشر سعادة لا تُحدّ". ربّما قد تمتّع الحزب الشيوعي بهذه الصراعات ووجد فيها لذةً، ولكن الناس دفعوا ثمنها باهضًا جدًا وتعذبوا كثيرًا.

I. مكافحة الناس والقضاء على الطبيعة الإنسانية

انقلاب مفاهيم الحق والباطل يقضي على الإنسانية

الإنسان هو قبل كلّ شيءٍ ابن الطبيعة، ثمّ هو بدرجة ثانية كائن اجتماعيّ. "إنّ الإنسان طيّب بالفطرة" [4]، و"الرحمة موجودة في قلوب كلّ الناس بدون استثناءٍ" [5]؛ هذا يعطي فكرة عن بعض المبادئ والثوابت التي يحملها الناس في أعماقهم منذ الولادة – وهي عديدة. هذه القواعد تمكّن الناس من التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشرّ. أمّا الح ش ص، فهو على العكس من ذلك، يرى أنّ البشر كالحيوانات، بل كالآلات. بالنسبة له، البورجوازية والبروليتاريا هما قوّتان مادّيتان لا غير.

إنّ هدف الح ش ص هو السيطرة على الناس وتحويلهم التدريجي إلى صعاليك متمرّدين وثوريّين. يقول ماركس: "القوّة المادّية لا تهزمها سوى القوّة المادّية؛ ولكن النظرية تتحوّل، هي أيضًا، إلى قوّة مادّية حالما تدخل صفوف الجماهير" [6]. لقد كان يظنّ أنّ كلّ تاريخ البشرية ليس سوى تواصل لتطوّر الطبيعة البشرية وأن الطبيعة البشرية في الأصل طبيعة متكوّنة من طبقاتٍ، منطلقًا من مبدأ أنّ لا شيء يأتي بصفة فطرية وطبيعية بل كلّ شيءٍ ناتج عن البيئة. يؤكّد ماركس أنّ الإنسان هو "كائن اجتماعي"، خلافًا لمفهوم "الإنسان الطبيعي" الذي اقترحه فويرباخ. كان لينين يعتقد أنّ الماركسية لا يمكن أن تنشأ بصفة طبيعية داخل البروليتاريا، بل يجب حقنها من الخارج. وقد بذل لينين قصارى جهده لجعل العمّال يمرّون من الصراع الاقتصادي إلى المعركة السياسية من أجل السلطة، ولكنه لم يُفلح. ورغم ذلك لم ينثنِ وعلّق آماله على "نظرية ردّة الفعل المُكتَسَبة" التي قدّمها الحائز على جائزة نوبل إيفان بتروفيتش بافلوف. قال لينين أنّ هذه النظرية هي ذات دلالات هامّة بالنسبة لبروليتاريا العالم أجمع. بل وحتّى أنّ تروتسكي [7] طالما تمنّى أن تتمكّن ردّة الفعل المُكتَسَبة من تغيير الفرد لا فقط على المستوى البسيكولوجيّ بل وحتّى الفيزيائيّ. تمامًا مثلما يبدأ لعاب الكلب يسيل عندما يسمع الجرس الذي يعلن موعد الطعام، كان يرجو أيضًا أن يندفع الجنود - عندما يسمعون أصوات الطلق الناري - بشجاعة ليبذلوا حياتهم في سبيل الحزب الشيوعي.

منذ العصور القديمة، يعتقد الناس أنّ الجزاء هو ثمرة العمل والجهد. عندما يعمل المرء بكدٍّ، يمكن أن يحقّق رخاء العيش. يحتقر الناس الكسل ويعتقدون أنه من اللاّ-أخلاقيّ أن يحصد الفرد أرباحًا بدون عمل. لقد اجتاحت الشيوعية الصين مثل الوباء، وأصبح حثالة الجنس البشريّ والطفيليّون - بتشجيع من الح ش ص - يقتسمون الأراضي، ويسرقون المُمتلكات الخاصّة، ويُرعبون الرجال والنساء. لقد تمّ هذا علنًا وباسم القانون.

الكلّ يعي قيمة احترام الناس الأكبر سنّا، ورعاية الناس الأصغر سنّا، وأنّ عدم احترام الناس الأكبر سنّا والمعلّمين هو أمر سيّء. التربية الكونفوشيوسية في الماضي كانت تضمّ قسميْن: سياو سو (الدراسة الصغرى) و داسو (الدراسة الكبرى). كان الطلبة يتلقّوْن تكوين الدراسة الصغرى قبل سنّ الخامسة عشر. وقد كانت ترتكز على التصرّفات المهذبة اللائقة وحسن معاملة الآخرين والعلاقات الاجتماعية والآداب (أي النظافة،

السلوك في المجتمع، طريقة الكلام، الخ). أمّا تكوين داسو فكان يضع الثقل على الفضيلة وعلى اتّخاذ الطريق الموصل إلى الطاوو [8]. أثناء حملات الح ش ص ضدّ لين بياوو [9] و كونفوشيوس، ندّد الحزب بالاحترام الذي يوليه الناس للأساتذة وأزال كلّ التعاليم الأخلاقية من نفوس وأذهان أصغر الأجيال سنًا.

هناك مَثَل قديم يقول: "معلّم يومٍ واحدٍ، أبٌ لمدى الحياة". في أغسطس 1966، أرغِمت بيانغ جونغيون، وهي مدرّسة في معهد للفتيات تابع لجامعة المعلّمين ببيكين، من طرف تلميذاتها على عبور الشارع على وقع الطبول المُكوّنة من القمامة. وكانت ترتدي على رأسها طرطورًا، وترتدي ملابس ملوّثة بالحبر الأسود، وتحمل سبّورة سوداء مليئة بالشتائم معلّقة بعنقها. وأجبروها على أن تجثو على ركبتيْها، وضربوها بعصيّ ملآنة مساميرًا وأحرقوها بالماء المغليّ. وماتت جرّاء التعذيب.

مديرة المعهد التابع لجامعة بيكين أيضًا أرغمتها الطالبات على أن تضرب مغسلاً مكسّرًا وتصيح: "أنا عنصر سيّء !" وقصّوا شعرها بطريقة شعثاء للإمعان في إذلالها. وبينما كانوا يجبرونها على الزحف أرضًا، ضربوها على رأسها إلى حدّ النزيف.

الجميع يعلم أنّ النظافة صفة محمودة وأنّ الوسخ صفة سيّئة. ولكن الح ش ص يشجّع على "التمرّغ في الوحل وأن يعلو اليدين التّكلكل (يُبوسة)". إنه يدعو إلى أنه من الجيّد أن يكون الناس "بأيدي سوداء وبأقدام قد علِق بها روث الحيوانات" [10]. مثل أولئك الأشخاص كانوا يُعتَبَرون أشدّ الثوريّين حُمرةً، وبإمكانهم أن يذهبوا للجامعات، وأن يصيروا أعضاء في الحزب، وأن يحصلوا على منح ماليّة، وفي النهاية حتّى أن يصبحوا زعماء للح ش ص.

لقد تطوّرت الإنسانية وتقدّمت بفضل تحصيل المعارف، ولكن تحت حكم الح ش ص ، أصبح يُنظَرُ إلى اكتساب المعارف على أنه أمر سيّء. كان يتمّ تصنيف المثقفين في "الصنف الكريه التاسع" - أي أسوء صنفٍ ضمن سلّم يتدرّج من واحد إلى تسعة. كانوا يأمرون المثقفين بمزاولة دروس في مدرسة محو الأمّية، كان يجب أن يقوم بتدريسهم و"تربيتهم" من جديدٍ فلاّحون فقراء قبل أن يتسنّى لهم أن يبدءوا حياة جديدة. وفي نفس الصّدد، بهدف متابعة إعادة تربية وتعليم المثقفين، تمّ نفي أساتذة من جامعة تشينغهوا إلى جزيرة كاربا في نانشانغ من مقاطعة دجيانغسي. وقد كانت البلهاريسيا [11] مرضًا منتشرًا في تلك المنطقة، إلى درجة أنّ أحد مخيّمات العمل قد تمّ نقله من هناك. وقد انتقل المرض إلى الأساتذة بعد استعمالهم لماء النهر وتكوّن لديهم مرض الاشقرار (مرض كبدٍ)، وهكذا فقد فقدوا كلّ قدرة على العمل والعيش.

وقام الحزب الشيوعي الكمبودي (الخمير الحمر) - بتشجيع من الوزير الأوّل السابق جو آنلاي - باضطهاد المثقفين بقسوةٍ لا مثيل لها. كلّ شخص كان لديه تفكير مستقلّ كان يجب "إعادة تكوينه" وتدميره روحيًا وجسديًا. من 1975 إلى 1978، قُتِل ربع الشعب الكمبودي، بل أنّ البعض قد قُتِل فقط بسبب الأثر الذي تركته النظارات على وجهه.

بعد انتصار الشيوعية في كمبوديا في 1975، شرع بول بوت في تنصيب الاشتراكية بصفةٍ سابقة لأوانها -"جنّة في المجتمع البشري"- تدعو إلى مجتمع دون طبقاتٍ، ودون فوارق بين الرّيف والمدينة، ودون نقودٍ ولا تبادل تجاريّ. وفي النهاية تمّ تفكيك تركيبة الأسرة وتعويضها بفرق عمل رجاليّة وفرق عمل نسائيّة. كان على الجميع أن يعملوا سويّة وأن يأكلوا سويّة وأن يرتدوا جميعهم نفس الزيّ الثوريّ الأسود أو البدلة العسكريّة. والأزواج والزوجات لم يكن بإمكانهم أن يلتقوا سوى مرّة في الأسبوع وشرط أن يحصلوا على الموافقة أيضًا.

يدّعي الحزب الشيوعي أنه لا يخشى السماء ولا الأرض، ورغم ذلك فقد حاول ببجاحة أن "يُصلح" السماء والأرض دون أيّ اعتبار للعناصر وللقوى الحقّة في الكون. قال ماوو تسي تونغ ما يلي عندما كان طالبًا بهونان:

> "على مرّ التاريخ، قادت كلّ الأمم ثوراتٍ كبرى. ما هو قديم يتمّ دهنه وصبغه بأصباغ جديدة؛ تغيّرات كبرى قد ظهرت اختلطت فيها الحياة بالموت، والنجاح بالفشل. نفس الأمر بالنسبة لتدمير الكون. تدمير الكون هو بدون شكّ ليس تدميرًا نهائيًا، وممّا لا شكّ فيه أنّ التدمير هنا سيكون ولادة هناك. كلّنا نتوقّع هذا التدمير، لأنه بتدميرنا للكون القديم، سنجلب كونًا جديدًا. أفلن يكون أفضل من القديم ؟"

إنّ المحبّة هي شعور طبيعي بين الزوج والزوجة، بين الآباء والأبناء، وبين الأصدقاء، وفي المجتمع بصفة عامّة. ولكن الح ش ص، عبر حملاته السياسية المتواصلة، حوّل الرجال إلى ذئابٍ أو حتّى إلى حيواناتٍ أكثر ضراوة وأكثر قسوة من الذئاب. ولكن علينا القول أنّ النمور، وإن كانت حيوانات قاسية وضارية، فهي مهما يكنْ لا تأكل أبدًا صغارها. ولكن تحت حكم الح ش ص، كان من الدارج أن يشي الآباء والأبناء ببعضهم وأن يشي الأزواج والزوجات بعضهم ببعض؛ كان من الدارج أن ينبذ الناس الأواصر التي تجمعهم بعائلتهم.

في إحدى المدارس الابتدائية ببيكين في أواسط السنوات 1960، قامت مدرّسة - على سبيل الخطأ -باستعمال لفظيْ "اشتراكية" و"سقوط" متجاوريْن عندما كانت بصدد إعداد امتحان لتلاميذها، فقام التلاميذ بإبلاغ موظفي الح ش ص عنها. وإثر ذلك، تعرّضت للانتقاد بصفة يوميّة وللضرب من طرف التلاميذ. وتبرّأت منها ابنتها. وفي كلّ مرّة كان يحتدّ فيها الصراع، كانت ابنتها، أثناء الاجتماعات السياسية، تنتقد "التقليعة الجديدة" لوالدتها في "صراع الطبقات". وأثناء السنوات التي تلت هذه الحادثة، كان عملها في المدرسة يقتصر على أشغال التنظيف، بما في ذلك تنظيف المراحيض.

الناس الذين عاشوا فترة الثورة الثقافية لن ينسوْا بكلّ تأكيدٍ جانغ جيسين، التي أرسِلت إلى السجن لأنها كانت تنتقد ماوو للفشل الذي باء به في القفزة الكبرى نحو الأمام. لقد قام أعوان السجن بتمزيق ثيابها ثمّ بتقييد يديها وراء ظهرها وإلقائها في زنزانة مساجين ذكور لكي يغتصبوها. وانتهى بها الأمر إلى فقدان رشدها. ولحظة إعدامها، خاف الحرّاس أن ترفع صوتها بشعارات الاحتجاج، فأسندوا رأسها إلى آجرة وقطعوا حبالها الصوتية بدون أدنى تخدير.

حاليًا أيضًا، في اضطهاد الفالون غونغ، يواصل الح ش ص اللّجوء إلى نفس هذه الطرق القديمة لتحريض الناس على الكراهية وإذكاء العنف بينهم.

إنّ الحزب الشيوعي يقاوم الطبيعة الفاضلة في الإنسان، وهو يشجّع جانب الشرّ في الإنسان ويوظّفه ليدعّم سلطته هو. حملة بعد أخرى، أخذ الناس الذين لديهم شيء من الضمير يصيرون مُجبَرين على السكوت خوفًا من التعرّض للعقاب. لقد دمّر النظام الشيوعي بصفةٍ مُنظّمة ومُبرمَجة المقاييس الأخلاقية الإنسانية العامّة محاولاً إزالة مفاهيم الخير والشرّ، والشرف والعار تمامًا ومحوها...هذه المفاهيم التي تتوارثها الإنسانية لمدّة آلاف السنين.

الفساد يتجاوز قانون التناتج والتضادّ الدائميْن

قال لاوو تسي:

«عندما يعمّ الجمال يأتي القبح

وعندما تنتشر الطيبة تأتي الشرور

الوجود واللاّ- وجود يولد كلّ منهما من الآخر

الميسور والفقير يصنع كلّ منهما الآخر

الطويل والقصير يتكاملان

المرتفع والمنخفض يرنو كلّ منهما إلى الآخر

الصوت وصداه يُرجّع كلّ منهما الآخر

الأمام والخلف يتعاقبان [12] »

من الواضح أنّ قانون التناتج والتضادّ الدائميْن يوجد في العالم البشري. لا فقط البشر ينقسمون إلى أناس طيّبين وأناس سيّئين، ولكن الخير والشرّ يوجدان معًا في الشخص ذاته.

كان داوو جي، وهو شخصيّة-رمز لقطّاع الطرق في الصين القديمة، يقول لأتباعه: "اللصوص أيضًا عليهم باتّباع الطريق". ويواصل أنّ اللصّ يجب أيضًا أن يكون "نزيهًا، شجاعًا، حكيمًا، وطيّبًا". أي بعبارةٍ أخرى حتّى اللصّ لا يمكنه أن يفعل ما يحلو له. هو أيضًا عليه أن يسير وفق قواعد.

إذا ألقينا نظرة على تاريخ الح ش ص، بوسعنا أن نرى أنه مليء بالأكاذيب والخُدع المتكرّرة، دون تحفّظ. مثلاً، من أكثر الصفات التي يقدّسها اللّصوص هي "الإخلاص"، بل حتّى أنهم يُسمّون المكان الذس يقتسمون فيه غنيمتهم "قاعة الإخلاص المُخصّصة لتقاسم الحصاد". أمّا الح ش ص ففي كلّ أزمة تطرأ، يشي أعضاءه بعضهم ببعض ويتّهم بعضهم بعضًا، والأدهى من ذلك أنهم حتّى يُلفّقون تهمًا كاذبة لبعضهم البعض.

خذوا مثلاً القائد بانغ داهواي. كان ماوو تسي تونغ، وهو أصيل منطقة ريفية، يعلم جيّدًا أنه من المستحيل إنتاج 130.000 جين من الحبوب في الـ"مو" الواحد [13]، وأنّ ما قاله بانغ كان صحيحًا تمامًا. وكان يعلم أيضًا أنّ بانغ لم تكن لديه أيّ نيّة في الاستحواذ على السلطة، بالإضافة إلى أنه، أثناء الحرب بين الح ش ص و الكوومينتانغ (الحزب الوطني الصيني)، كان بانغ قد أنقذ حياته عديد المرّات عندما حارب ضدّ الـ200.000 جنديّ من فرقة هو تسونغنان بينما هو لم يكن لديه سوى 20.000 جنديّ. ورغم ذلك فحالما عبّر بانغ عن عدم موافقته لماوو، اغتاظ هذا الأخير غيظًا شديدًا ورمى في الحال القصيدة التي كتبها في مدح بانغ في سلّة المهملات – "من ذا الذي يجرؤ على الانطلاق على ظهر حصانه نحو ساحة الوغى مُشهرًا سيفه ؟ لا أحد غير قائدنا بانغ !" كان ماوو مصمّمًا على قتل بانغ، رغم نبل هذا الأخير الذي سبق وأن أنقذ حياته وروح المساعدة التي يملكها.

إنّ الح ش ص لا يحكم بمحبّة، إنه يقتل بشراسة؛ إنه يضطهد أعضاءه أنفسهم ويدخل في صراعات داخلية مُشيحًا عن كلّ روح صداقة وإخلاص؛ إنه يُقايض بالأراضي الصينية بكلّ جبن ونذالة؛ إنه يُعادي الاعتقادات الحقّة من قلّة حكمته، إنه يُوَجّج سعير حركاتٍ شعبية بصفة تتعارض مع تلك التي يُسيّر بها إنسانٌ حكيمٌ البلاد. وفي الجملة فإنّ الح ش ص قد وصل به الأمر حتّى إلى التخلّي عن القواعد الأخلاقية والتي بمقتضاها "حتّى اللّصوص أيضًا يجب أن يتّبعوا الطريق." إنّ شرّه وفساده قد تجاوزا بكثير القانون الكونيّ، قانون التناتج والتضادّ. إنّ الح ش ص يقف على طرف النقيض تمامًا من الطبيعة ومن الإنسانية، وهدفه هو طمس مفهوم الخير والشرّ والإطاحة بنظام الكون. لقد وصل تعسّفه المجنون إلى ذروته، ومحكوم عليه الآن بالانهيار التامّ.

II. مكافحة الأرض ومعارضة قوانين الطبيعة يتسبّب في كوارث لا تنتهي

1- صراع الطبقات يمتدّ ليشمل الطبيعة

في 1968، كان جين سينهوا تلميذًا مُجازًا من المعهد رقم 2 بشنغهاي وعضوًا في اللجنة الدائمة لمعهد الحرس الأحمر بشانغهاي. وقد تمّ إرساله إلى ريف مقاطعة هايلونغجيانغ في مارس 1969. في 15 أغسطس 1969، هبط سيل جارف من سلسلة جبال وغمر بسرعة المناطق الواقعة على طول ساحل نهر شوانغ. فرمى جين نفسه في الماء لكي يستردّ عموديْ تلغراف تابعيْن لفريق الإنتاج لديه وغرق.

فيما يلي مقطعان مقتطفان من مذكرات جين [14] قبل موته:

4 يوليو

"لقد بدأت أحسّ بقسوة صراع الطبقات وحدّته في الريف. بصفتي حارسًا من الحرس الأحمر تحت إمرة رئيسنا ماوو، فإنني مستعدّ تمامًا لمحاربة القوى الرجعيّة على الجبهة، جاعلاً من فلسفة ماوو تسي تونغ العظمى سلاحي وذخيرتي. أنا أريد أن أفعل ذلك، حتّى وإن كان فيه فقدان حياتي. سأحارب، وأحارب وأحارب بكلّ ما أوتيتُ من قوّة لأدعّم ديكتاتورية البروليتاريا."

19 يوليو

"إنّ الأعداء الطبقيين في فرقة الإنتاج هذه هم متعجرفون. إنّ الشبيبة المثقفة قد أتت هنا إلى الريف خصّيصًا للمشاركة في الحركات الثورية الثلاثة الكبرى. صراع الطبقات يأتي قبل كلّ شيءٍ وبعد كلّ شيءٍ. يجب أن نعوّل على طبقة الفقراء والطبقة الدنيا المتوسّطة من القرويين، وأن نعبّأ الجماهير ونقضي على صلف الأعداء. نحن، الشباب المثقفون، علينا أن نرفع دائمًا راياتٍ كبيرة قد كُتِبت عليها أفكار ماوو تسي تونغ، وألاّ ننسى أبدًا صراع الطبقات ولا ننسى أبدًا ديكتاتورية البروليتاريا."

لقد ذهب جين إلى الريف حاملاً في رأسه فكرة مكافحة السماء والأرض لتغيير الإنسانية. إنّ مذكّراته تكشف أنّ ذهنه كان يعجّ بـ"الصراعات". لقد تنامت عنده فكرة "مكافحة البشر" لتصبح فكرة مكافحة السماء والأرض، وانتهى به الأمر إلى الهلاك. إنّ جين هو مثال نموذجيّ على فلسفة الصراع، وفي الآن نفسه، بدون شكّ، صار هو نفسه ضحيتها.

يقول انجلس أنّ الحرّية هي الاعتراف بالمحتوم. وأكملها ماوو مُضيفًا: "وتغيير العالم". هذه اللّمسة الأخيرة قد بيّنت كيف يرى الح ش ص الطبيعة، أي بعبارة أخرى، هو يريد تغييرها. ما يعتبره الشيوعيون "محتومًا" هو المادّة التي تقع خارج حقل مفاهيمهم و"القوانين" التي وراءها. هم يعتقدون أنّ الطبيعة والإنسانية يمكن "غزوهما" وذلك بتحريك العقل البشري الذاتي وتحفيزه ودفعه إلى فهم القوانين الموضوعية. في محاولتهم لتغيير الطبيعة، نشر الشيوعيون الفوضى والخراب في روسيا كما في الصين، البلديْن الذيْن اتّخذوهما حقل تجارب.

إنّ الأغاني الشعبية التي تعود لفترة القفزة الكبرى نحو الأمام تبيّن عنجهيّة الح ش ص وحُمقه: "فلتنحنِ الجبال، فلتتنحّ الأنهار جانبًا"؛ "ليس هناك امبراطور يشب في السماء، ليس هناك ملك تنين على الأرض. أنا هو امبراطور اليشب وأنا هو الملك التنين. أنا آمر الجبال الثلاثة والمصبّات الخمسة بالتنحّي جانبًا، فأنذا قد أتيت !" [15].

إنّ الحزب الشيوعي قد أتى ! ومعه أتى تدمير توازن الطبيعة والانسجام الأصلي للعالم.

2- بإدخال الاضطراب على الطبيعة، يجني الح ش ص ما زرعه

من خلال سياسته الفلاحية التي تشغَلُ فيها الحبوب مركز كلّ مخطّطاته، حوّل الح ش ص كثيرًا من المناطق الشاسعة الجبلية الملتوية والمراعي التي لم تُخلقْ لتكون أرضًا زراعية، حوّلها إلى أراض زراعية. لقد ردم أودية وبحيرات في الصين ليجعل منها أراض فلاحية غنيّة. وماذا كانت النتيجة ؟ لقد زعم الح ش ص أنّ نسبة إنتاج الحبوب في 1952 قد تجاوزت نسبة الإنتاج في الفترة القومية، ولكن ما لم يكشفه الح ش ص أنّ نسبة الإنتاج الجمليّ للحبوب في الصين لم تتجاوز نظيرتها في عهد تشيانلونغ الآمن تحت حكم عائلة تشينغ سوى في عام 1972. إلى حدود يومنا هذا، تظلّ نسبة إنتاج الحبوب دون نظيرتها في عهد حكم تشينغ. إنها لا تكاد تتجاوز ثلث ما تمّ إنتاجه في حكم العائلة المالكة سونغ، الفترة التي بلغ فيها الإنتاج الفلاحي أوجه في كلّ تاريخ الصين.

قطع الأشجار دون تمييز وتسوية الأنهار وردم البحيرات لم تكن نتيجته سوى تخريب البيئة الصينية بصفة نهائيّة لا يمكن إصلاحها. نجد أنّ النظام البيئيّ في الصين اليوم هو على وشك الانهيار. جفاف نهر هاي والنهر الأصفر، تلوّث نهر هواي ونهر يانغتسي قد قطعت جميعها العصب الحيوي الذي تعتمد عليه الأمّة الصينية في عيشها. مع اختفاء المراعي في غانسو، وفي تشينغهواي، وفي منغوليا الداخلية، وفي السيندجيانغ، اتجهت العواصف الرملية نحو السهول الوسطى.

في السنوات 1950، وتحت إشراف خبراء سوفيتيين، بنى الح ش ص المولّد الكهربائي المركزي الهيدرولي سانمانسيا على النهر الأصفر. هذا المولّد الكهربائي لا ينتج سوى طاقة توليد لمركز توليد طاقيّ لنهر متوسط، رغم أنّ النهر الأصفر هو ثاني أكبر نهر في الصين. وأدهى من ذلك، تسبّب هذا المشروع في تراكم التراب والرمل في المنطقة العليا من النهر، بحيث ارتفع مستوى قاع النهر. ونتج عن ذلك أنّ الفيضانات، حتّى وإن

كانت معتدلة، صارت تتسبّب في خسائر بشرية وخسائر مادية بالنسبة للسكان الموجودين على كلا ضفّتي النهر. في سنة 2003، وأثناء فيضان نهر واي، بلغت قمّة منسوب الماء 3.700 مترًا مكعّبًا في الثانية، وهو منسوب يأتي كلّ ثلاث – إلى خمس سنوات. ومع ذلك فإنّ الكارثة التي تسبّب فيها كانت الأخطر على مدى الخمسين سنة الماضية.

لقد تمّ إنشاء خزانات ماء كبيرة وعديدة جدّا في منطقة جومادیان، من مقاطعة هينان. في 1975، انهارت سدود هذه الخزانات، واحدًا تلو الآخر. في ظرف أقلّ من ساعتين، مات 60.000 شخصًا غرقًا. وبلغ العدد الجمليّ للموتى 200.000.

يواصل الح ش ص إلى اليوم تخريب أرض الصين دون مبرّر. إنّ السدّ على نهر يانغتسي ومشروع نقل ماء الجنوب نحو الشمال يمثّلان محاولة من الح ش ص لتغيير النظام البيئيّ، وتبلغ كلفة هذا الاستثمار مئات مليارات الدولارات. دون الحديث طبعًا عن المشاريع الصغيرة والمتوسّطة لـ"مكافحة الأرض". وزيادة على ذلك قد تمّ مؤخّرًا عرض الاقتراح التالي: وهو استعمال قنبلة ذرّية لفتح ممرّ على عرض الهضبة التيبتية لتشينغهاي ممّا سينتج عنه تغيير البيئة الطبيعية لغرب الصين. رغم أنّ عنجهيّة الح ش ص واحتقاره لأرضه قد أثارا تقزّز العالم، فإنهما على كلّ حال لم يكونا أمرًا مفاجئًا.

في السداسيات (باغوا) من كتاب التحوّلات (يي شينغ) [16]، كان الصينيون القدامى يعتبرون السماء "تشيان" (أو عنصر الخلق) ويقدّسونها بصفتها الطاوو السماوي. وكانوا يعتبرون الأرض "كون" (أو الرّحم) وكانوا يقدّسون طبيعة القابلية والتلقّي فيها.

"كون"، السداسية التي تأتي بعد "تشيان"، مشروحة في كتاب التحوّلات كما يلي: "إنّ طبيعة الأرض، بما أنها توجد في سداسية "كون"، تتمثل في كونها تتمدّد وتتّسع وتلبّي. وفي الطرف المقابل لها، نجد أنّ الكائنات العلوية تتحرّك وتحفظ كلّ شيءٍ، وتقوم بأعمال كلّها فضائل."

يقول كونفوشيوس في تعليقه على كتاب التحوّلات:""كون" ليّنة جدّا، ومع ذلك، فإنّ حركتها مُحكَمة. هي هادئة جدّا، ولكنّ طبيعتها صلبة. هي تتبعُ، فتحظى بسيّدها، ولكنها تحافظ على طبيعتها الخاصّة بها، وهكذا فهي تتحمّل. إنها تحتوي على كلّ شيءٍ وهي بارعة في عملية التحويل. ذلك هو صراط "كون" –إنها طيّعة جدّا، تُسنِد السماء ومتغيّرة مع تغيّر الزمن."

إذًا من الواضح هنا أنّ كلّ الأشياء على الأرض لا تبقى قائمة ولا تزدهر سوى بفضل خصائص الاستجابة والخصائص الحاضنة للأرض الأمّ – النعومة، الهدوء، والقدرة على التحمّل المتمثلة في الامتثال للسماء. كتاب التحوّلات يعلّمنا كيفيّة التصرّف القويم تجاه الطاوو السماوي وتجاه الخصوصيّات الأرضية، فهو يفرض علينا اتّباع السماء وطاعة الأرض، واحترام الطبيعة.

ولكن الح ش ص انتصب ضدّ "تشيان" وضدّ "كون"، مناديًا بـ"محاربة السماء ومكافحة الأرض". لقد نهب ثروات الأرض بلا مبرّر. وسيبوء بعقاب السماء، والأرض، وقانون الطبيعة.

III. مكافحة السماء، بإزالة العقيدة وبرفض الإيمان بالله

1- أنّى لكائن محدود أن يُدرك الفضاء والزمان اللاّ- متناهيَيْن ؟

سأل ادوارد، ابن انشتاين، والده ذات يوم عن سبب شهرته. فأجاب انشتاين، مُشيرًا إلى جُعل أعمى كان يزحف على كرةٍ من الجلد، بأنّ ذلك الجُعل لم يكن يعلم أنّ طريقه مُحدّب، ولكن هو - انشتاين - كان يعلم ذلك. إجابة انشتاين هذه تنطوي على دلالات عميقة جدّا. هناك مَثَل صيني يحتوي على دلالة مماثلة: "أنت لا تعرف الصورة الحقيقية لجبل "لو" لأنك تقف بالتحديد على جبل "لو"." لفهم نظام مّا، يجب الخروج من هذا النظام وتأمّله من خارج. لذلك، فإنّ الإنسانية، بمفاهيمها المحدودة، لن تكون أبدًا قادرة على فهم الطبيعة الحقيقية للفضاء والزمان اللاّ-محدوديْن في كوننا. لذا سيظلّ الكون إلى الأبد لغزًا بالنسبة للإنسانية.

المسائل التي يعجز العلم عن اختراقها تنتمي للميدان الروحي وللميتافيزيقا، أي ميدان "العقيدة".

العقيدة، وهي فعل واعٍ يتضمّن تجربة الحياة وفهم الحياة، والزمان والمكان، والكون؛ هي شيء يقع خارج إطار ما يمكن لحزبٍ سياسيّ أن يُنظمه ويُديره. "أعطوا لقيصر ما هو لقيصر وأعطوا للإله ما هو للإله" [17]. ومع ذلك، فإنّ الح ش ص، مستندًا إلى فهمه المُزري وعديم المنطق للكون والحياة، يسمّي كلّ ما يقع خارج إطار نظريّاته "خرافة" ويُخضِعُ أولئك الذين يؤمنون بالله إلى غسل دماغيّ لصرفهم عن دينهم. وأولئك الذين رفضوا الارتداد عن إيمانهم تمّ التشهير بهم بل وحتّى قتلهم.

العلماء الحقيقيون لديهم رؤية واسعة جدّا للكون، وهم لا ينكرون عدم وجود حدودٍ للـ"مجهول" بمفاهيمهم الشخصية المحدودة. العالم الشهير نيوتن يشرح في مؤلّفه "قوانين رياضية" المنشور سنة 1687 - والذي أصبح مرجعًا - يشرح بالتفصيل القوانين الميكانيكية، قوانين تكوّن المدّ والجزر وحركات الكواكب، ويحسب حركات المجموعة الشمسية. نيوتن، هذا الرجل العلاّمة الكبير، كان يقول مرارًا أنّ كتابه لا يعدو أن يكون مجرّد وصف لظواهر سطحية، وأنه لا يجرؤ إطلاقًا على الحديث عن الدلالة الحقيقية للربّ الأعلى الذي خلق الكون. في الإصدار الثاني لكتابه "قوانين رياضية"، عبّر نيوتن عن إيمانه بـ"أنّ هذا النظام، الرائع على الإطلاق، والمتكوّن من الشمس، والكواكب، والمُذنّبات، لا يمكن أن يعمل سوى بإشراف وتحت حكم كائن عاقل ومقتدر...تمامًا مثل الأعمى الذي ليست لديه أيّ فكرة عن الألوان، نحن كذلك ليست لدينا أيّ فكرة عن الكيفية التي بها يُدرك أحكم كائن - وهو الإله - كلّ شيءٍ ويحيط به علمًا."

فلنترك جانبًا مسألة ما إذا كانت هناك جنّات سماوية في الغيب (تتجاوز الزمان والمكان)، وما إذا كان الذين يتوقون للطريق يستطيعون العودة إلى أصلهم الإلهي واسترجاع كينونتهم الأصلية. هناك على الأقلّ أمر يمكن أن نتّفق عليه جميعًا، وهو أنّ: كلّ أولئك الذين لديهم إيمان حقيقي يعتقدون أنّ جزاء الخير هو الخير وجزاء الشرّ هو الشرّ. الاعتقادات الحقّة تقوم بدور هامّ جدّا في الحفاظ على أخلاق الإنسانية على مستوىً معيّن. من أرسطو إلى انشتاين، عديدون هم الذين اعتقدوا في وجود قانون مُهيمن في الكون. لم تفتأ الإنسانية أبدًا تبحث بمختلف الوسائل، عن حقيقة الكون. فإلى جانب العلم، لماذا لا يتمّ اعتماد الدين والإيمان و"العبادة" أيضًا كمقاربات أخرى لاكتشاف حقيقة الكون ؟

2- الح ش ص يدمّر العقيدة الحقـّة للإنسانية

كلّ الأمم في الأصل قد اعتقدت في الله. وتحديدًا بفضل إيمان البشر بالله وبالقانون السببي (الكارمي) للخير والشرّ، يتقيّدون بحدودٍ ويحافظون على الأخلاق في المجتمع البشري. على مرّ كلّ العصور، وفي كامل المعمورة، نجد في الغرب الديانات الأورثودوكسية*، وفي الشرق الكونفوشيوسية، والبوذية، والطاوية، كلـّها علّمت البشر أنّ السعادة الحقيقية تأتي من الإيمان بالله، وتقديس السماء، والتحلّي بالطيبة، وتقدير الإنسان للنّعم التي بين يديه، والاعتراف بالفضل للآخرين، ومجازاة الإحسان بالإحسان.

من المعطيات الأساسية التي قامت عليها الشيوعية هي الإلحاد – أي الاعتقاد بأنه لا يوجد بوذا، ولا طاوو، ولا حياتات سابقة، ولا حياة بعد الموت، ولا جزاء كارميّ. لذلك قال الشيوعيون في مختلف البلاد للفقراء وللبروليتاريا الرثة [18] أنهم ليسوا في حاجة إلى الإيمان بالله؛ وليسوا في حاجة إلى احترام القوانين والحرص على الالتزام بسلوك حسن. بالعكس، عليهم أن يلجؤوا للغشّ والعنف للحصول على الربح.

نجد أنّ الأباطرة في الصين القديمة، ورغم أنه يُنظَرُ إليهم على أنهم أشخاص ذوو أصل رفيع جدّا، كانوا يضعون أنفسهم في مرتبة تحت السماء، ويُسمّون أنفسهم "أبناء السماء". كانوا يُقرّون أنّ السماء تحكمهم وتراقبهم، وكانوا من حين لآخر ينشرون مرسومًا امبراطوريّا يُؤنّبون فيه أنفسهم ويُعبّرون عن ندمهم وتوبتهم. أمّا الشيوعيون، فكانوا يَحسَبون أنفسهم مُمثلي الإرادة السماوية؛ دون أيّ قانون أو زاجر يحدّهم، كانوا يحسّون أنفسهم أحرارًا يفعلون ما يريدون. وكانت النتيجة أنهم بدَل أن يخلقوا جنّة في الأرض، خلقوا فيها جحيمًا تلو الآخر.

كان ماركس، أبو الشيوعية، يعتقد أنّ الدين هو الأفيون الروحي للشعوب. كانت تُفزعه فكرة أنّ الشعب يؤمن بالله ويرفض شيوعيته. يحتوي الفصل الأول من كتاب انجلس، "ديالكتيكية الطبيعة" على انتقادٍ لماندالا ياف ومجموعته التي تدرس التصوّف.

لقد صرّح انجلس أنّ كلّ ما هو قادم من فترة القرون الوسطى أو ما قبلها، يجب أن يُبرّر وجوده أمام محكمة العقل المنطقي البشري. عندما قام بهذه الملاحظة، كان بالتأكيد يرى نفسه، هو وماركس، قضاة هذه المحكمة المزعومة. عبّر باكونين، وهو أحد أتباع تيّار الفوضويّة وصديق لماركس، عن رأيه في ماركس في التعليق التالي: "كان يبدو وكأنه الله بالنسبة للناس. كان لا يقبل بأحدٍ إلهًا باستثناء نفسه. كان يريد أن يقدّسه الناس كما يُفتَرَضُ أن يفعلوا تجاه الإله، وأن يقوموا نحوه بشعائر الولاء ويعبدوه. وإذا لم يتصرّف الناس كذلك، كان يهاجمهم لفظيّا أو يلاحقهم."

الإيمان الأصلي الأورثودوكسي يُمثل بطبيعة الحال عائقًا أمام عنجهيّة الشيوعية.

لقد فقد الح ش ص تمامًا برودة أعصابه أثناء اضطهاده للدين بطريقة محمومة. أثناء الثورة الثقافية، هُدِمت معابد عديدة ومساجد عديدة، وتمّ الطواف بالرهبان في الشوارع لإذلالهم. في التيبت، ألحِقَ الضرر بـ90% من المعابد. إلى حدّ يومنا هذا، يواصل الح ش ص قمع االدين، وسجن عشرات الآلاف من المسيحيين. غونغ بينماي، وهو راهب كاثوليكي في شانغهاي، اضطُهِدَ من طرف الح ش ص بسبب عقيدته. لقد تمّ سجنه لأكثر من 30 سنة. وقدم إلى الولايات المتّحدة في السنوات 80. وقبل موته في سنّ الـ 90 ، كتب في وصيّته :"أرجعوا قبري إلى شانغهاي عندما يزول حكم الح ش ص من الصين". أثناء الـ 30 سنة التي سُجِن فيها في زنزانة منفردة، ضغط عليه الح ش ص لمرّاتٍ عديدةٍ لكي يتخلّى عن عقيدته ويعتنق مبدأ اللجنة الوطنية [19] ذات الاستقلاليات الذاتية الثلاث التي يسيّرها الح ش ص مقابل إطلاق سراحه.

في السنوات الأخيرة، نجد أنّ قمع الح ش ص للفالون غونغ – الذي يدعو لمبادئ الحقّ والرحمة والصبر، هو تواصل لمذهبه "محاربة السماء" وفي نفس الوقت أيضًا هو نتيجة حتميّة لعملية إجبار الناس على التصرّف رغم إرادتهم.

الشيوعيّون المُلحدون يسعوْن للسيطرة على معتقدات الناس وعرقلتها. إنهم يدّعون أنّ "مُحاربة السماء لذّة لا تُحَدّ". تعوزنا العبارات هنا لوصف افتقارهم للمنطق، وصف هذا الخلوّ من المنطق بكونه عنجهيّة أو ادّعاءًا مجنونًا لا يمكن أن يعبّر حتّى عن جزءٍ منه.

خاتمة

لو نتحدّث بصفة فعلية، فإنّ الشيوعية قد فشلت الآن في كلّ الأرض. دجيانغ زمين، وهو الحاكم السابق لآخر نظام شيوعيّ هامّ في العالم، قال في تصريح له لأحد مراسلي صحيفة واشنطن بوست في مارس 2001: "عندما كنت شابّا، كنت أعتقد في النصر القريب للشيوعية، أمّا اليوم فليست لديّ نفس الرّؤى" [20]. حاليّا، أولئك الذين يعتقدون في الشيوعية قلائل وهم بعيدون كلّ البعد عن أن يُمثّلوا أغلبيّة.

إنّ الحركة الشيوعية مُقدّر لها بالفشل لأنها تنتهك قوانين الكون وتقف ضدّ السماء. قوّة كهذه تنتصب ضدّ الكون سيؤول مصيرها إلى عقاب من المشيئة السماوية ومن الأرواح الإلهية.

رغم أنّ الح ش ص قد خرج عديد المرّات من أزماته سالمًا وعلى قيد الحياة، مُغيّرًا صورته تارةً ومتشبّثًا تارةً أخرى بحيله الأخيرة، فإنّ مصيره المقضيّ والمحتوم يتراءى بوضوح للجميع في كلّ العالم. إنّ الح ش ص، إذ تسقط عنه أقنعته الخدّاعة واحدًا تلو الآخر، ينبري للعالم في صورته الحقيقية، وهي البُخل، والعنف، وانعدام الذمّة، والجبن، والكراهية، ومناهضة الكون. إلى يومنا هذا، يواصل الهيمنة على عقول الناس، ويواصل تشويه الأخلاق الإنسانية، ويعيث فسادًا في مجال الأخلاق والسلم والتقدّم.

إنّ الكون الشاسع يحمل في طيّاته الإرادة السماوية التي لا رادّ لها، والتي يمكن أن نسمّيها أيضًا المشيئة الإلهية أو قانون وقوّة الطبيعة. لن يكون للإنسانية مستقبل إلاّ إذا احترمت مشيئة السماء، واتّبعت طريق الطبيعة، وامتثلت لقانون الكون، وأحبّت كلّ الموجودات تحت السماء.

ملاحظات:

1- لاوو تسي، "الطريق وفضيلة الطريق (طاوو تي كينغ)"-الكتاب الرئيسي للطاوية.

2- نفس المرجع.

3- ترجمة حرّة عن النسخة الصينية لكتاب منشيوس- الكتاب 2، منشيوس، دار النشر فراندشيب بشاندونغ، الصين 2001.

4- سان تسي دجينغ، كتاب القوافي الثلاثة- كتاب عن التربية الأساسية، ترجمة ديفارغ، يونيو 2005.

5- ترجمة حرّة عن النسخة الصينية لكتاب منشيوس- الكتاب 6، منشيوس، دار النشر بشاندونغ، الصين 2001.

6- كارل ماركس، "مساهمة في نقد فلسفة الحقّ المدني لهيغل".

7- ليون تروتسكي (1879-1940)، منظر شيوعي روسي، ومؤرّخ وقائد عسكري، وهو الذي قام بتأسيس الحرس الأحمر. وقد وقع اغتياله في 22 أغسطس 1940 من طرف أعوان ستالين.

8- حسب جو سي أو شو هسي (1130-1200)، وهو معروف أيضًا باسم جو- تسي أو شو- تسو، وهو عارف ومفكّر نيو- كونفوشيوسي في عهد الأسرة المالكة سونغ، فإن الدراسة الصغرى (سياوو سو) تشرح التصرّف الحسن الذي ينبغي التحلّي به والدراسة الكبرى (دا سو) تشرح بإفاضة القوانين التي تقوم عليها هذه التصرّفات. المصدر: محادثات المعلّم جو (جو تسي يولاي)، المجلّد 7 (الدرس الأول).

9- لين بياوو (1907-1977)، أحد كوادر الح ش ص العليا ومسيّريه. وقد عمل تحت إمرة ماوو بصفته أحد أعضاء المكتب السياسي الصيني، وشغل فيه منصب نائب رئيس (1958)، ووزير دفاع (1959). يُعتبَرُ لين المُخطّط للثورة الثقافية الكبرى في الصين. وقد عُيّن لين كخَلفٍ لماوو في 1966، ولكنه تمّت إقالته في 1970. وعندما أحسّ بسقوطه القريب، شارك في مؤامرة انقلاب سياسية ثمّ عندما انكشفت المؤامرة حاول الهرب إلى الاتحاد السوفياتي. أثناء محاولته تلك الهرب من التتبعات العدلية، تحطمت طائرته في منغوليا مسبّبة موته.

10- ماوو تسي تونغ، "خطابات عن الأدب والفنّ في ملتقى يانآن" (1942).

11- مرض تسبّبه دودة طفيلية، الاتصال بالماء الجاري الملوّث بهذه الدودة يمكن أن يؤدّي للإصابة بهذا المرض. من العوارض النموذجية لهذا المرض: الحمّى، الارتجاف، نوبات سعال وآلام عضليّة. أكثر الحالات خطورة هي عندما يُصيب هذا المرض الكبد أو الأمعاء أو الرئتين أو المثانة، أو حتّى أنه في حالاتٍ نادرة يسبّب نوبات صرع أو شللاً أو التهابًا في النخاع الشوكي.

12- كتاب "الطريق وفضيلة الطريق (طاوو تي كينغ)"، الفصل الثاني.

13- دجين، وحدة صينية لقيس الأوزان (1 دجين = 0.5 كيلوغرام). مو، وحدة صينية لقيس مساحات الأراضي (1 مو = 0.165 أكرًا).

14- ترجمة حرّة عن النص الأصلي الصيني.

15- امبراطور اليشب والملك التنين هما شخصيتان ميثيولوجيتان. امبراطور اليشب يُعرَفُ رسميّا بذي اليشب الجليل المهيب، ويعرفه الأطفال والناس ذوو الثقافة المتواضعة بـ"الجدّ السماويّ"، وهو حاكم السماوات وأحد أهمّ الآلهة في مجمع الآلهة الطاويّ. الملك التنين هو حاكم المحيطات الأربعة. كلّ محيطٍ يوافق الاتجاهات الرئيسية الأربعة ويحكمه ملك تنين. الملوك التنينات تعيش في قصور من الكريستال، يحرسها جنود قريدسات وقوّاد سرطانات. بالإضافة إلى سيادتها على الحياة المائيّة، تتحكم الملوك التنينات أيضًا في السحاب والمطر. يُقال أن الملك التنين الذي يحكم بحر الشرق هو صاحب المملكة الأكثر اتّساعاً.

16- كتاب "يي كينغ" الكامل، ترجمة ألفريد هوانغ. روشستر ف ت: الثقافات الباطنية (1998).

17- كتاب التوراة المقدّس، ماتيو، 21، 22.

18- لومبونبروليتاريا، وتُتَرجَمُ على حسب التقريب إلى: عمّال الأحياء الحقيرة، هذا اللفظ يعني: طبقة منبوذي المجتمع، المنحطّون أوالمخالفون للقانون والذين يكوّنون شريحة ضمن سكّان المراكز الصناعية. وهو يضمّ أيضًا المتسوّلين والعاهرات وقطاع الطرق والابتزازيين والنصابين وصغار المجرمين والمتسكّعين والعاطلين عن العمل والأشخاص المرفوتين من مجال الحرف والصنائع بصفة مزمنة أو بصفة دائمة، وكلّ شخص ذي منزلة وضيعة في المجتمع. وماركس هو من استنبط هذا اللفظ في صراع الطبقات في فرنسا، 1848-1850.

19- اللجنة الوطنية للاستقلاليات الثلاث (سي بي تي آ)، وهي من صنع الحـ ش ص. الاستقلاليات الثلاث هي:"الحكم الذاتي، استقلالية الموارد، واستقلالية النشر". اللجنة الوطنية للـ"استقلاليات الثلاث" تطلب من المسيحيين الصينيين أن يقطعوا كلّ صلةٍ مع المسيحيين خارج الصين. الـ"سي بي تي آ" تتحكّم في كلّ موظفي الكنائس بالصين. والكنائس التي لم تلتحق بهذه الحركة تمّ إغلاقها بالقوّة. مُسيِّرو الكنائس المستقلّة وأتباعها يتمّ اضطهادهم وكثيرًا ما يُحكَمُ عليهم بالسجن.

20- جوهن بومفرت "دجيانغ يحذر الولايات المتحدة – الزعيم الصيني يقول أنّ مسألة أسلحة تايوان هي بمثابة حافز على الرقي والازدهار"، صحيفة واشنطن بوست، 24 مارس 2001 (ترجمة حرّة).

جميـع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة الخامسة: تواطؤ دجيانغ زمين والحزب الشيوعي الصيني معًا في اضطهاد الفالون غونغ

توطئة

جيانغ يطلق الكلب – لوو غان ومكتب 610 اللذان يقتلان الأبرياء. صورة © الإيبوك تايمز

كانت السيدة جانغ فوجان، البالغة من العمر 38 سنةً تقريبًا، موظفة بسيانهه بارك، في مدينة بينغدو، من مقاطعة شاندونغ بالصين. ذهبت هذه السيدة إلى بيكين للمناداة بحقّ ممارسة الفالون غونغ في نوفمبر 2000، ونتيجة لذلك احتجـزتها السلطات. بناءًا على معلومات مصادر داخلية، فإنّ رجال الشرطة قد عذّبوا جانغ فوجان وأهانوها، وجرّدوها تمامًا من ثيابها وحلقوا شعرها. وأوثـقوها إلى سرير بحيث يكون كلّ طرف من أطرافها الأربعة مشدودًا إلى جهةٍ - ونتيجةً لذلك، كانت مُجبَرَة على التخلّص من فضلاتها على السرير. وفيما بعدُ، حـقنها رجال الشرطة بمادّة سامّة غير معروفة. بعد الحقن، أحسّت جانغ بألمٍ فظيعٍ إلى درجة أنها أوشكت على الجنون. وهكذا ظلـت تصارع، وهي على الفراش، تلك الآلام الفظيعة إلى أن ماتت. وقد عاين موظفون محلـيّون من مكتب 610 المشهد من بدايته إلى نهايته. (حسب تقرير بتاريـخ 23 يوليو 2004 نُشِرَ على موقع الانترنت كليرووزدم). [1]

كانت السيدة يانغ ليرونغ تبلغ من العمر 34 سنة، وتقطن بشارع بنيمان بمدينة دينغجو، من إقـليم باوودينغ، التابع لمقاطعة نيباي. طالما أزعجت الشرطة عائلة يانغ ليرونغ وضايقتها لأن يانغ كانت تمارس الفالون غونغ. في 8 فبراير 2002، وبعد زيارة ليليّة فجئيّة من الشرطة، أصيبَ زوج

السيدة يانغ، وهو ميكانيكي في مكتب الأرصاد والقيس الجوّي، بصدمة. لقد خاف من فقدان عمله، ولم يقوَ على تحمّل الضغط الهائل الذي كانت تمارسه السلطات عليه. وفي صبيحة اليوم التالي، عند الفجر، انتهز فرصة خروج الوالدان العجوزان من المنزل وقام بخنق زوجته. ماتت يانغ ليرونغ بطريقة مأساويّة، تاركةً وراءها طفلاً ابن 10 سنوات. وإثر ذلك بقليل، أخبر زوجها السلطات بما حدث، فهرعت الشرطة إلى مكان الحادث لتقوم بتشريح جثة يانغ، التي كانت لم تبرُد بعد. وقامت بنزع العديد من أعضاءها في حين كان جسدها لا يزال بعد دافئًا وينزف. لقد قال شخص تابع لمكتب الأمن العمومي بدينغجو :"هذا ليس بتشريح جثة، هذا تشريح حيّ !" (وفق تقرير نُشِرَ على موقع الانترنت كليرووزدم بتاريخ 22 سبتمبر 2004). [2]

داخل مخيّم العمل الإجباري بوانجييا، مقاطعة هايلونغجيانغ، وقع تعليق امرأة حامل في شهرها السابع إلى عارضة. كانت يداها موثقتان بحبل غليظ ملفوف حول بكرة مشدودة إلى العارضة، ثمّ تمّ جذب المقعد الذي كان يُسندها. وهكذا ظلّت معلّقة في الهواء. كان ارتفاع العارضة حوالي 3 أو 4 أمتار فوق الأرض. كان الحبل يمرّ عبر البكرة، وكان حرّاس السجن يمسكون بطرف الحبل. عندما كان الحرّاس يجذبون الحبل، كانت تبقى معلّقة في الهواء، وحالما كانوا يتركونه، كانت تسقط على الأرض. وهكذا تعرّضت المرأة الحامل لعملية التعذيب تلك، إلى أن أجهضت. والأمر الأشدّ قسوةً هو أنهم أجبروا زوج تلك المرأة على النظر إلى ذلك المشهد، مشهد زوجته وهي تتعذب. (وفق تقرير نُشِرَ على موقع الانترنت كليرووزدم بتاريخ 15 نوفمبر 2004، حوار مع السيدة وانغ يوجي التي عُذبَت لأكثر من 100 يوم في مخيّم العمل الإجباري بوانجييا). [3]

هذه المآسي المذهلة حدثت في صين اليوم. لقد حدثت لممارسي الفالون غونغ المُضطهدين بقسوة. والوقائع المذكورة أعلاه ليست سوى بضعة قليلة من الوقائع التي حدثت خلال السنين الخمس الماضية من الاضطهاد المستمرّ.

منذ أن انخرطت الصين في إصلاحات اقتصادية، سعى الحـ ش ص جاهدًا لرسم صورةٍ إيجابيّةٍ عنه في نظر المجتمع الدّولي، صورة إيجابيّة ومتحرّرة. ومع ذلك، فإنّ اضطهاد الفالون غونغ في هذه السنين الخمس المنصرمة، هذا الاضطهاد الدّموي، المجنون، الواسع، العنيف، والقاسي، قد أتاح للمجتمع الدّولي أن يكتشف مرّةً أخرى الوجه الحقيقي للحـ ش ص، وأكثر فصل مُخجل في سجلّ حقوق الإنسان لديه. إنّ غالبيّة الشعب في الصين قد ضلّلت عينيها الإصلاحات والتقدّم الذي أحرزه الحزب، لذلك درجت على إلصاق التهمة بالشرطة وما عُرفَ عنهم من أخلاقيات منحطّة، كلّما وقعت انتهاكات فظيعة يرتكبها النظام التشريعي ونظام تنفيذ القوانين في البلاد. ولكنّ الاضطهاد العنيف والمُمنهج للفالون غونغ، والحاضر في كلّ شريحة من شرائح المجتمع الصيني، بخّر تمامًا الأمل في تحسين وضع حقوق الإنسان. الكثير من الناس يتساءلون اليوم كيف يمكن أن يحدث مثل ذلك الاضطهاد الدامي والشائن في الصين. كنّا نظنّ أنّ الوضع الاجتماعي قد استقرّ من جديد بعد الفوضى التي عمّت في الثورة الثقافية منذ عشرين سنة، إذًا لِمَ دخلنا من جديدٍ في حلقة الأحداث المرعبة، حلقة الكوابيس تلك ؟ لماذا الفالون غونغ، الذي يتّبع مبادئ "الحقّ والرحمة والصبر" والذي اتّبعه الناس في أكثر من 60 بلدًا، يُضطَهَدُ في الصين فقط، وليس في أيّ من غيرها من بلدان العالم ؟ ماهي العلاقة بين دجيانغ زمين والحـ ش ص في هذا القمع ؟

إنّ دجيانغ يعوزه الاقتدار والنزاهة الأخلاقية في آن واحد. بدون آلة عنف مُبرمجة بدقّة مثل الحـ ش ص، آلة تعتمد على القتل والكذب، لم يكن ليتسنّى له أبدًا أن يقود تلك المجزرة، مجزرة امتدّت إلى كلّ مكان في الصين وتجاوزت حتّى حدود الصين. من جهةٍ أخرى، من المُستبعد أيضًا أن يسير الحـ ش ص بنفسه ومن تلقاء نفسه ضدّ الموجة التاريخية الحاليّة، وضدّ البيئة التي خلقتها إصلاحاته الاقتصادية الحديثة وضدّ محاولاته في الانفتاح على العالم؛ فقط ديكتاتور عنيد مثل دجيانغ زمين، مصمّم على ألاّ يتصرّف سوى وفق هواه الشخصي، كان يمكن أن يجرّ وضعيّة كتلك. إنّ التواطؤ والشبه والتوافق ما بين دجيانغ زمين وشيطان الحـ ش ص قد أوصلا فظائع الاضطهاد إلى درجة لم يسبق لها مثيل. إنّ ذلك شبيه بمَثَل ما يمكن أن يُحدثه رجع الصّدى، إنّ صدى صوت مصعد التزلّج على الثلج المتراكم يمكن أن يُحدث انهيارًا ثلجيّا ويُسبّب عواقب وخيمة.

I. الظروف المتشابهة تُفرز أحداثًا متشابهة

وُلد دجيانغ زمين في سنة مليئة بالاضطرابات، وهي 1926. ومثلما يُخفي الحـ ش ص التاريخ الدامي لنشأته وتطوّره، كذلك أخفى دجيانغ زمين عن الحزب وعن الشعب الصيني تاريخه الشخصي، والمتمثّل في كونه خائنًا لوطنه.

في السنة التي كان دجيانغ زمين سيبلغ فيها 17 سنةً، كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها. في 1942، وفي حين كانت مجموعات الشباب الوطنيين تمضي الواحدة تلو الأخرى إلى خطوط المواجهة لمحاربة اليابانيين وإنقاذ الصين، آثر دجيانغ زمين مواصلة دراسته العليا في الجامعة المركزية المُؤسّسة من طرف نظام وانغ دجينغواي بنانجينغ، ذلك النظام الذي كان دميةً تحرّكها أيدي قوّات الاحتلال. ومثلما بيّنت التحقيقات التي قامت بها مختلف المصادر، فإنّ السبب الحقيقي هو أنّ الأب البيولوجي لدجيانغ زمين، دجيانغ شيجون، كان في يوم من الأيّام ضابطًا برتبة قائد في قسم الدّعاية المناهضة للصين في الجيش الياباني، بعد أن احتلّت اليابان مقاطعة دجيانغسو عندما اجتاحت الصين. لقد كان دجيانغ شيجون خائنًا لوطنه – الصين - بأتمّ معنى الكلمة.

إنّ دجيانغ زمين والحـ ش ص يتساويان في الخيانة وفي الخديعة، كلاهما مُجرّدٌ من العاطفة تجاه الشعب الصيني، إلى درجة أنه يجرؤ على قتل النفوس البريئة ببرودٍ ودون أن يهتزّ له قلب.

لقد تسرّب دجيانغ زمين داخل الحـ ش ص، بعد أن انتصر هذا الأخير في الحرب الأهلية، وكان هدفه هو تنمية ثروته الخاصّة وتقوية مركزه الشخصيّ. ولبلوغ هذا الهدف ألّف كذبة: وهي أنّ عمّه دجيانغ شانغتشينغ قد تبنّاه وربّاه، وهذا العمّ التحق في شبابه بصفوف الحـ ش ص، ثمّ مات مقتولاً بالرصاص على أيدي قطّاع طرق. وبفضل هذه الرواية العائلية المُختلقة، تمّت ترقيته إلى منصب نائب وزير للصناعة الالكترونية في ظرف سنوات قليلة فقط في حين أنه كان مجرّد موظف بسيط. إنّ ترقية دجيانغ لم تكن بسبب كفاءته، بل بسبب علاقاته الشخصية ووساطاته.

أثناء تولّيه منصب أمين الح ش ص بمدينة شانغهاي، لم يدّخر دجيانغ زمين جهدًا في التحذلق لشخصيّات مهمّة في الحزب، مثل لي سيانيّان و شان يون [4] اللذان كانا يأتيان إلى شانغهاي كلّ سنة لحضور مهرجان الربيع. في أحد الأيام، عندما كان أمين الحزب لمدينة شانغهاي، بلغ به الأمر إلى الوقوف والانتظار ساعات طويلة وسط الثلج المتراكم ليُسلّم كعكة عيد ميلاد بصفة شخصية للي سيانيّان.

لقد كانت مجزرة تيانانمن مُنعرجًا آخر في حياة دجيانغ زمين. لقد أصبح الأمين العامّ للح ش ص بفضل إغلاقه لصحيفة ليبرالية: "البريد العالمي الاقتصادي"، ووضعه لرئيس مؤتمر الشعب - وان لي - قيد الحراسة الدائمة، ومساندته للمجزرة. وحتّى قبل وقوع المجزرة، مرّر جيانغ زمين رسالة سرّية لدانغ سياووبينغ، طالبًا منه اتّخاذ "إجراءات صارمة" بشأن الطلبة، وإلاّ فإنّ "الأمّة والحزب كليْهما سيقع استعباده". أثناء الخمسة عشر سنة الماضية، قاد دجيانغ دون رقيبٍ ولا حسيبٍ حملات قمع وتقتيل كلّ الانفصاليّين وكلّ مجموعة لديها أفكار مستقلّة، بتعلّة "الاستقرار هي الأولوية الأولى".

مذ أن بدأت روسيا والصين تراقبان حدودهما المشتركة في 1991، لم يستنكر دجيانغ زمين مطلقًا اكتساح الصين من طرف التزار والاتحاد السوفييتي السابق، ووافق تمامًا على كلّ المعاهدات بين روسيا والصين رغم ما تحتوي عليه هذه المعاهدات من حيفٍ وتفاوتٍ، بدايةً من معاهدة إيغون، مُزيلاً بصفة نهائيّة من على الخارطة أراضٍ صينيّة تمسح أكثر من مليون كيلومتر مكعّب.

إذًا من خلال تاريخه الشخصيّ، وادّعاءه كونه يتيمًا، وكون والده الفقيد هو شهيد من شهداء الح ش ص-في حين أنه في الحقيقة كان الابن الأكبر لعميل وخائن صينيّ - قد احتذى دجيانغ زمين شخصيًا بمَثل الح ش ص في الكذب والبهتان، وعندما ساند مجزرة "4 يونيو"، وقام بقمع الحركات الديموقراطية والعقائد الدينية، قد تبنّى شخصيًا ممارسات الح ش ص المعروفة وهي القتل. وتمامًا مثلما كان الح ش ص يأتمر بأوامرالاتحاد السوفييتي بصفته فرع الشرق الأقصى للعالمية الشيوعية، هاهو دجيانغ زمين الآن يوزّع مجّانًا الأراضي الصينية، وهذا العمل الخائن أيضًا هو عملٌ طالما درج الح ش ص على فعله.

إنّ دجيانغ زمين والح ش ص ينحدران من نفس الأصل، ولهما نفس التاريخ المخجل، لذلك يعيش كلاهما من خوفٍ دائمٍ من فقدان سلطته.

II. حقّ رحمة صبر: كلماتٌ تُرعب دجيانغ زمين والح ش ص

إنّ تاريخ العالمية الشيوعية قد كُتِبَ بالدّم، دم مئات ملايين الناس. تقريبًا كلّ بلد شيوعي قد اتّبع مسارًا مماثلاً لمسار قمع أعداء الثورة الذي قاده ستالين في الاتحاد السوفييتي السابق. ملايين، بل عشرات ملايين النفوس البريئة قُتِلت. في السنوات 1990، انحلّ الاتحاد السوفييتي ومرّت أوروبا الشرقية بتغييرات جذرية. بين عشيّةٍ وضحاها، فقد الشقّ الشيوعي أكثر من نصف أراضيه. وتعلّم الح ش ص العبرة من الدرس: لقد فهم أنه إذا أوقف القمع وسمح بحرّية التعبير، فإنه إنما يجري لحتفه. إذا سمح الح ش ص للناس أن يعبّروا بحرّية، فكيف سيتسنّى له أن يخفي فظائعه الدّامية ؟ وكيف سيتسنّى له أن يبرّر ايديولوجيّته الخدّاعة ؟ إذا توقّف القمع وتحرّر الناس من ربقة الخوف، فسيجرؤون على تبنّي طرق عيش ومُعتقدات تختلف عن الشيوعية، أليس كذلك ؟ إذًا فكيف سيحتفظ الحزب الشيوعي بالقاعدة الشعبية الضرورية لبقاءه ؟

إنّ الح ش ص يبقى في العمق هو نفسه، رغم كلّ التغييرات التي قام بها على السطح. بعد مجزرة 4 يونيو، دعى دجيانغ زمين إلى "القضاء على كلّ عوامل عدم الاستقرار وهي في مرحلتها الجنينيّة". لقد كان الرعب يملأه، لذلك قرّر ألاّ يعزف أبدًا عن الكذب على الشعب، وأن يستمرّ في قمع الناس إلى أن يستعبدهم كلّيًا.

لقد أدخِل الفالون غونغ إلى الصين في تلك الفترة بالذات. في البداية اعتبره الكثيرون نوعًا من التشيكونغ [5]، فعّالاً جدّا في توفير الصحّة الجيّدة ومنح الطاقة. ثمّ تدريجيّا، فهم الناس أنّ أهمّ شيءٍ في الفالون غونغ لا يكمن في تلك التمارين الخمسة البسيطة، بل في تعاليمه التي تعلّم الناس كيف يكونون أفضل بالاعتماد على مبادئ "الحقّ، والرحمة، والصبر".

1- الفالون غونغ يعلّم "الحقّ، الرحمة، الصبر" والحزب الشيوعي ينشر "الكذب، الكره، الصراع"

الفالون غونغ يدعو إلى الحقّ: هذا يتضمّن بالخصوص قول الحقيقة والتصرّف بنزاهة. بينما الح ش ص قد اعتمد على الأكاذيب لغسل أدمغة الناس. إن أخذ كلّ شخص في قول الحقيقة، فسيعلم الشعب أنّ الح ش ص قد توصّل ببراعة إلى اكتساب رضى الاتحاد السوفييتي، يقتل، ويخطف، ويلوذ بالفرار أيضًا إن اقتضى الأمر، ويزرع الأفيون، ويستغلّ استغلالاً فاحشًا قضيّة الكفاح ضدّ الاحتلال الياباني، وما إلى ذلك. بل لقد أعلن الح ش ص يومًا أنه "بدون الكذب، لا يمكن تحقيق شيءٍ ذي أهمّية". بعد أن استولى الح ش ص على السلطة، قاد حركات سياسية متعاقبة ولطّخ يديه بدم الأبرياء. إنّ الدعوة إلى الحقيقة ونشرها تعني ببساطة مصيرًا مُهلكًا للح ش ص.

الفالون غونغ يدعو إلى الرحمة، وهذا يعني مراعاة مصلحة الآخرين قبل كلّ شيءٍ، والإحسان للآخرين في كلّ الظروف. بينما الح ش ص لم يُناد طول الوقت سوى بـ"الصراعات العنيفة والقمع الذي لا هوادة فيه". الشخصية النموذجية للح ش ص هو لاي فانغ، وقد قال يومًا: "علينا أن نعامل أعداءنا بدون شفقة، وببرودٍ كبرد الشتاء القاسي". في الواقع، لم يكتف الح ش ص بمعاملة أعداءه بتلك الطريقة، بل أبناؤه أيضًا لم يلقَوْا منه معاملة أفضل. مؤسّسو الحزب الشيوعي، والآمرون والقوّاد، والماريشالات، وحتّى رئيس البلاد، كلّهم وقع استجوابهم بقسوة، وضربهم بوحشيّة،

واضطهادهم في ظروف تعيسة. لقد كان تقتيل من يدّعي بأنهم "الأعداء الطبقيّون" يتّصف بعنفٍ ووحشيّةٍ تقشعرّ لها الأبدان. لو كانت الطيبة تسود المجتمع، لما كان لحركاتٍ شعبيّةٍ مبنيّةٍ على "الشرّ" كتلك التي أنشأها الحزب أن تحدث أبدًا.

إنّ بيان الحزب الشيوعي يُعلن أنّ تاريخ أيّ مجتمع هو تاريخ صراع بين الطبقات. هذا هو تصوّر الحزب الشيوعي لتاريخ العالم. أمّا الفالون غونغ، فهو يدعو الإنسان إلى البحث عن أسباب النقص في ذاته عندما يواجه مشاكل وخلافات. هذا الحِلم ومحاسبة الفرد لنفسه قبل الآخرين يقف على طرف النقيض تمامًا من فلسفة الح ش ص الداعية إلى الصراع والعدوانية.

لقد كان الصراع، بالنسبة للح ش ص، هو الوسيلة الأساسية التي بواسطتها نال السلطة السياسية وظلّ على قيد الحياة. لقد أطلق الحزب بصفة دوريّة حركات سياسية لقمع بعض المجموعات، وذلك كان يشحنه مُجدّدًا بالطاقة و"يُذكي فيه روح الصراع الثوري". وقد أعاد نفس العملية مِرارًا، دائمًا مصحوبةً بالعنف والخديعة، مُجدّدًا ومُرسّخًا الخوف في نفوس الناس لئلاّ تضيع منه السلطة.

إنّ الفلسفة التي ارتكز عليها للحفاظ على حياته، من منظور ايديولوجيّ، هي على طرف النقيض تمامًا ممّا يعلّمه الفالون غونغ.

2- أولئك الذين لديهم إيمان حقيقي بقلوبهم لا يعرفون الخوف؛ وخوف الناس ركيزة أساسية للح ش ص للحفاظ على حياته

أولئك الذين يُدركون الحقيقة ليس في قلوبهم خوف. لقد اضطُهدت المسيحية لمدّة تقارب 300 سنة. مسيحيّون كثيرون قُطِعت رؤوسهم، أو أحرِقوا أحياء، أو أغرِقوا، أو ألقي بهم طعامًا للأسود والنمور، ولكنّ المسيحيين لم يتخلّوْا عن دينهم. عندما واجهت البوذية محنة الدهارما في التاريخ، برهن البوذيون هم أيضًا على إخلاصٍ لدينهم وتمسّكٍ به لا يقلّ روعة.

إنّ خطاب دعاية الإلحاد يريد أن يوهم الناس أنه ليس هناك جنّة ولا جحيم، وليس هناك ثواب ولا عقاب، وما نتج عن ذلك هو أنّ الناس لم يعودوا محكومين بضمائرهم. وبدل ذلك، هم ينصرفون كلّيًا للسعي وراء المال ورفاه العيش ولا يفكّرون سوى في العالم المادّي فحسبُ. وانطلاقًا من ثمّ، يصير من السهل استغلال مواطن الضّعف في الطبيعة البشرية، وهكذا، باستعمال التهديد تارةً والإغراء تارةً أخرى، يتسنّى للحزب الشيوعي أن يتحكّم في الناس كلّيًا. ولكن، من في قلوبهم عقيدة دينية راسخة، يُدركون ما وراء الحياة وما وراء الموت. لذلك هم لا يغترّون بسراب الحياة الدنيا وزيْفها. ومن ثمّ فلا رغبات العالم الأرضي تستهويهم ولا تهديدات الموت تُخيفهم، لذا فإنّ الحزب الشيوعي عندما يُريد التحكّم فيهم، تذهب جهوده عبثًا ولا يجني سوى التعب.

3- القيم الأخلاقية العالية للفالون غون تُورق الح ش ص

بعد مجزرة 4 يونيو 1989، أفلست ايديولوجية الح ش ص إفلاسًا تامًا. في أغسطس 1991، انهار الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، وأعقبت ذلك الانهيار تغييرات جذرية في أوروبا الشرقية. وقد سبّب ذلك هلعًا وضغطًا هائلاً داخل الح ش ص. في تلك الآونة الصعبة التي كان يواجه فيها أزمات كبرى داخليّة وخارجيّة، كان يواجه في نفس الوقت تحدّيًا هائلاً وغير مسبوق يتمثل في شرعيّة سلطته أو عدمها من الأساس، وفي حظوظه في البقاء على قيد الحياة. في ذلك الحين، كان الح ش ص قد صار غير قادر على توحيد صفّ أعضاءه وجمع شملهم حول النظريّات الأساسية، النظريّات الماركسية واللينينية والماوية. ولكنه، بدل ذلك، كان يُقابل إخلاص أعضاءه وولائهم له بالفساد. بعبارةٍ أخرى، من كان يتّبع الحزب كان يتمكّن من تحقيق مآرب وأرباح شخصية عن طريق الفساد وسرقة أموال الدولة، وكان ذلك امتيازًا لا يحلم به من لم يكن عضوًا في الحزب. وخصوصًا منذ جولة دانغ سياووبينغ في الصين الجنوبية في 1992 [6]، فإنّ جشع موظفي الحكومة والفساد سواءًا في الميدان العقاري أو في سوق البورصة بلغا حدّا فاق السيطرة. كما أصبح البغاء والسوق السوداء في كلّ مكان. تجارة الجنس، والميسر، والمخدّرات هي الآن علل مستوطنة في كامل الصين. ورغم أنه ليس من الإنصاف القول بأنه لم يعد هناك بتاتًا أيّ شخص صالح داخل الحزب الشيوعي، فإن معظم الشعب قد فقد منذ زمن طويل الثقة في جهود الحزب في مكافحة الفساد؛ ويعتقد أنّ أكثر من نصف الموظفين العاديين أو السامين فاسدون.

وفي الآن نفسه، فإنّ القيم الأخلاقية السامية التي تجلّت عند ممارسي الفالون غونغ – الذين يمارسون "الحقّ، الرحمة، الصبر"، كان لها خير وقع في نفوس الناس. أكثر من 100 مليون شخص أعجِبوا بالفالون غونغ وشرعوا في ممارسته. إنّ الفالون غونغ هو مرآة صدقٍ، ومجرّد طبيعتها الحقّة تكشف عدم استقامة الح ش ص.

4- الح ش ص تتملّكه الغيرة الشديدة من الطريقة التي انتشر بها الفالون غونغ وطريقة تسييره

لقد ذاع الفالون غونغ وانتشر بصفة فريدة، إذ كان يذيع خبره من فردٍ إلى آخر، من القلب إلى القلب. تنظيمه يتّسم بالمرونة، كلّ واحدٍ بإمكانه أن يذهب ويأتي حينما يشاء، الأمر الذي يختلف كثيرًا مع التنظيم الصارم للح ش ص. إنّ الدروس السياسية والأنشطة الجماعية المُبرمجة كلّ أسبوع، أو أكثر من مرّة في الأسبوع، في قطاعات الح ش ص، لم تكن توجد إلاّ بصفة شكليّة. قلّة قليلة من أعضاء الحزب كانوا متّفقين مع ايديولوجية الحزب. وخلافًا لذلك كان تلاميذ الفالون غونغ يتّبعون عن تمام وعي وبمحض إرادتهم مبادئ "الحقّ، الرحمة، الصبر". بفضل الفاعلية القوية للفالون غونغ في تحسين الصحة البدنية والنفسية، فإنّ عدد الممارسين كان يتزايد بشكل مستمرّ. كان التلاميذ يدرسون مجموعة كتب السيد لي هونغ جي، وكانوا يعرّفون بالفالون غونغ من تلقاء أنفسهم وبالاعتماد على إمكانياتهم الخاصة. في ظرف سبع سنين، بلغ عدد تلاميذ الفالون غونغ 100 مليون شخص. كانوا عندما يمارسون التمارين صباحًا، تتناهى إلى الأسماع موسيقى تمارين الفالون غونغ يكاد يكون في كلّ حديقة بالصين.

لقد قال الحزب الشيوعي أنّ الفالون غونغ كان "ينافس" الح ش ص وأنه كان "دينًا". في الحقيقة ما يجلبه الفالون غونغ هو ثقافة ونمط عيش. إنها ثقافة قديمة ضاربة في عمق التراث الصيني، فقدها الشعب منذ زمن طويل. لقد خاف دجيانغ زمين والحزب الشيوعي من الفالون غونغ، لأنّ هذه التربية الأخلاقية والأصيلة، مُذ وجدت طريقها إلى قلب الشعب، لم يعُد بإمكان أيّ شيءٍ أن يوقف انتشارها السريع. مُعتقدات الشعب الصيني الأصيلة المتوارثة قد اجتُثّت وشُوّهت من طرف الحزب الشيوعي لمدّة عقودٍ من السنين. كان يمكن أن تكون العودة للأصل هي خيار التاريخ. كان يمكن أن يكون ذلك هو طريق العودة الذي تختاره الغالبية العظمى من الناس بعد الأحزان والمصاعب. إن أعطي الناس حرّية الاختيار، فإنهم بالتأكيد سيميّزون بين الحقّ وغير الحقّ، وعلى أرجح تقدير سيتركون وراءهم طريق الشرّ. وسيكون ذك بالأساس رفضًا جذريًا لما يدّعيه الحزب وتخلّيًا عنه، سيكون ذلك بمثابة ضربة قاضية تقضي على بقي من الح ش ص. فعندما تجاوز عدد ممارسي الفالون دافا عدد أعضاء الحزب، يمكن أن نتصوّر الخوف العميق للح ش ص وغيرته.

إنّ الح ش ص في الصين يمارس سيطرة كلّية على كلّ جانبٍ من جوانب المجتمع. هناك في الأرياف فروع للح ش ص في كلّ قريةٍ صغيرةٍ. في المدن، نجد فروعًا للحزب في كلّ مكتبٍ إداريّ. فروع الحزب تصل حتّى إلى جذور الجيش، والحكومة، والمؤسّسات. لكي يُحافظ الح ش ص على نظام حكمه، هو يلجأ بالأساس إلى السيطرة المطلقة والتحكّم. الدستور يذكر هذه المسألة بطريقة مُقنّعة: "يحتفظ الحزب بدور التسيير". بينما تلاميذ الفالون دافا اتّضح أنهم يميلون أكثر إلى اتّباع مبادئ "الحقّ، الرحمة، الصبر". ولم يَرَ الح ش ص في ذلك سوى "إنكارًا للدور المسيّر للحزب". وهو أمر لا يسمح به مُطلقًا.

5- الحزب الشيوعي يعتبر أنّ "الطابع الديني" للفالون غونغ يهدّد شرعيّة النظام

إنّ عقيدة دينية حقّة ستمثل بالضرورة تحدّيًا لا يُستهان به أمام الح ش ص. بما أنّ شرعيّة النظام الشيوعي مبنيّة على ما يُدعى بـ"المادّية التاريخية" والرغبة في إقامة "جنّةٍ على الأرض"، فلا يسعُهُ إذًا إلاّ أن يُعوّل على قيادة "الطليعة في العالم"، ألا وهو الحزب الشيوعي. وفي الوقت ذاته، فإنّ ممارسة الإلحاد قد مكّنت الح ش ص من أن يفسّر ويأوّل بحرّية كاملة ما هو الطيّب، وما هو الجيّد وما هو السيّء. وبالتالي، لم يعد للناس المجال للحديث عن أيّة أخلاقيّات وعن أيّ تمييز بين الخير والشرّ. كلّ ما يجب أن يتذكّره الناس هو أنّ الحزب دائمًا "عظيم ومَهيب وعادل".

ومع ذلك فإنّ الدين يُعطي الناس مقياسًا ثابتًا يُحدّد الخير والشرّ. إنّ تلاميذ الفالون غونغ يُحدّدون الخير والشرّ بالاعتماد على "الحقّ، الرحمة، الصبر (/أو الحِلم)" وهذا يُمثل عقبة واضحة أمام الجهود المُمنهجة التي يبذلها الح ش ص في "توحيد تفكير الناس".

لو نواصل التحليل، فإنه لا تزال هناك تفسيرات أخرى. ومع ذلك فإنّ أيّا من العناصر المذكورة أعلاه كافٍ ليكون قاتلاً للح ش ص. وفي الواقع، فإنّ دجيانغ زمين يقمع الفالون غونغ لنفس الأسباب. أوّل ما بدأ به دجيانغ زمين مسيرته هو الكذب بخصوص ماضيه، إذًا من الطبيعي أنه يخاف من "الحقّ". عندما قمع الناس، فإنّ الأمر لم يطُلْ به وسرعان ما لمع نجمه وأصبح قويّا، إذًا من الطبيعي أنّ "الرحمة" أمر مُنفّر بالنسبة له. وقد تمكّن من الاحتفاظ بالسلطة بفضل الصراعات السياسية، إذًا من الطبيعي أنه يكره "الحِلم/الصبر".

هناك حادثة صغيرة تعطينا فكرة عن سخافة دجيانغ زمين وغيرته البالغة. متحف الآثار الثقافية بهامودو [7] في مقاطعة يوياوو - (وهي اليوم قد أعيدَ تصنيفها إلى تجمّع سكني) من مقاطعة جاجيانغ، هو موقع تاريخي وثقافي يقع تحت مسؤولية إشراف الدولة. في الأصل، كان تشياو شي [8] هو صاحب المنقوشة الكتابية لهذا المتحف. في سبتمبر 1992، وأثناء الزيارة التي أدّاها دجيانغ زمين للمتحف، رأى كتابة تشياو شي، فأظلم وجهه وصار عبوسًا وكئيبًا. عند ذلك أصبح الأعوان الذين يرافقونه عصبيّين، لأنهم كانوا يعلمون أنّ دجيانغ زمين لا يُطيق تشياو شي وأنه يحبّ أن يضع نفسه في المقدّمة دائمًا، إلى درجة أنه يكتب منقوشة كتابية في كلّ مكان يذهب إليه، حتّى عندما زار قسم الشرطة المرورية التابع لمكتب الأمن العمومي بجينان، أو جمعيّة المهندسين المتقاعدين بجانغجو. ولم يجرؤ موظفو المتحف على جرح كبرياء جيانغ، لذلك، في مايو 1993، وتحت ذريعة القيام بأشغال ترميمٍ، أبدلوا كتابة تشياو شي بكتابة دجيانغ قبل إعادة فتح أبواب المتحف.

يُقال عن ماوو تسي تونغ أنه لديه "أربع مجلّدات من الأفكار العميقة والقويّة"، بينما النصوص المختارة لدانغ سياووبينغ تحتوي على "نظريّة القط" [9] ذات الطابع البراغماتي. دجيانغ زمين من جهته، اعتصر دماغه، فلم يستطع أن يُخرج سوى ثلاث جُمل، وادّعى أنه ابتكر "التمثيلات الثلاث". وتمّ إصدارها في كتاب، وقام الح ش ص بالدعاية لهذا الكتاب في جميع مستويات الحكومة، ولكنه كان يُباع فقط لأن الناس كانوا مُجبَرين على اشتراءه. رغم ذلك، فإنّ أعضاء الحزب أنفسهم لم يكونوا يحترمون دجيانغ زمين بالمرّة. كانوا يُشيعون أقاويل بخصوص مغامراته مع مغنّية، وبخصوص الواقعة المُحرجة التي غنّى فيها "أو سو لي ميو" أثناء سفرٍ له بالخارج، والحادثة التي أعاد فيها تصفيف شعره أمام ملك إسبانيا. عندما كان مؤسّس الفالون غونغ، لي هونغ جي، وهو مواطن عاديّ، يُلقي مُحاضرة، كانت القاعة تغصّ بالأساتذة والخبراء والجامعيين الصينيين الذين يدرسون بالخارج. كثير من الناس الحائزين على الدكتوراه أوعلى الإجازات كانوا يقطعون آلاف الكيلومترات ليأتوا ويستمعوا إليه. عندما كان السيد لي يُدرّس بطلاقة على المنصّة لعدّة ساعات، كان يفعل ذلك دون أدنى مذكّرة. وإثر ذلك، يتمّ نسخ المحاضرة على الورق ثمّ تُنشَرُ في كتاب. كلّ هذا كان لا يُحتَمَلُ بالنسبة لدجيانغ زمين، وهو على ما نعلم من عنجهيّة وغيرة وسخافة.

إنّ دجيانغ زمين يعيش حياة بذخ، وكسل، وفساد. لقد دفع 900 مليون يوان (قرابة 91 مليون يورو) لشراء طائرة فارهة مخصّصة لاستعماله الشخصي. وكثيرًا ما نزع جيانغ جانبًا عشرات المليارات من خزائن الدولة لصرفها على مشاريع ابنه. لقد مارس طريقة محاباة الأقارب بتوليتهم المناصب الحكومية وهكذا رفع أقاربه وخُدّامه إلى مناصب سامية أعلى من المنصب الوزاري، وقد لجأ إلى وسائل قصوى ومستميتة ليغطّي جرائم أصدقاءه وفسادهم. لكلّ هذه الأسباب مجتمعة، فإنّ دجيانغ يخشى من التأثير الأخلاقي للفالون غونغ، ويخشى بصفة أشدّ أن تكون المفاهيم التي تحدّث عنها الفالون غونغ – مفاهيم الجنّة والجحيم، والثواب والعقاب؛ صحيحة بالفعل.

إنّ دجيانغ زمين، رغم أنه يملك أعلى سلطة داخل الح ش ص، فإنه كان يفتقر إلى الإنجازات السياسية والموهبة. كان دائمًا متخوّفًا من أن تقع تنحيته من السلطة بسبب الصراعات الداخلية في الح ش ص حول السلطة، هذه الصراعات التي لا ترحم. كان موضعه في "قلب" السلطة مجلبةً للقلق. ولكي يُصفّي المعارضة، حاك دسائس دنيئة ليتخلّص من أعداءه السياسيين يانغ شانغكون وشقيقه يانغ بايبينغ. في المؤتمر الوطني الخامس عشر للجنة الحزب الشيوعي (ل ح ش) في 1997، وفي المؤتمر الوطني السادس عشرللـ"ل ح ش" في 2002، أجبر دجيانغ معارضيه على مغادرة مراكزهم. وهكذا فقد تجاهل حتّى التراتيب المفروض العمل بها، ولم يكن يهمّه سوى التشبّث بمركزه.

عقد الأمين العامّ الجديد للح ش ص، دجيانغ زمين، ندوة صحفيّة تضمّ صحفيّين صينيين وأجانب. فأثار صحفيّ فرنسيّ قصّة طالبة كانت، بسبب ضلوعها في حادثة 4 يونيو، قد تمّ نقلها إلى ضيعة في مقاطعة سيشوان لتحمل الآجر من مكان إلى آخر، وفيما بعد تعرّضت للاغتصاب مرّاتٍ عديدة من طرف القرويين هنالك. فأجابه جيانغ: "لا أدري إن كان ما تقوله صحيحًا أم لا، ولكن هذه المرأة كانت متمرّدة عنيفة. حتّى وإن كان هذا صحيحًا، فإنها كانت تستحقّه على كلّ حال." أثناء الثورة الثقافية، وقع إخضاع جيانغ جيسين [10] للاغتصاب الجماعي عندما كانت مُعتقلة بالسجن، ثمّ قطعوا حنجرتها (لمنعها من الجهر بالحقيقة). وربّما أنّ دجيانغ سيعتبر أيضًا أنها تستحقّ ذلك. بإمكاننا أن نرى بسهولة عقليّة دجيانغ الفاسدة ونذالته وقسوته.

مُلخّص القول أنّ تعطّش دجيانغ زمين للسلطة ونزعته الديكتاتورية، وقسوته وخوفه من "الحقّ، الرحمة، الصبر"، كلّ هذا كان وراء قراره إطلاق حملة قمع ضدّ الفالون غونغ، تتناسبُ تمامًا مع أساليب وطرق الح ش ص.

III. دجيانغ زمين والح ش ص يستعمل كلّ منهما الآخر

الجميع يعلم أنّ دجيانغ زمين مخادع ويستعمل الحيل والأكاذيب السياسية. جهله وعدم كفاءته هما أيضًا أمران معروفان. رغم أنه تمنّى من كلّ قلبه "القضاء" على الفالون غونغ من منطلق دوافع وأحقاد شخصيّة، فإنه لم يكن بوسعه أن يفعل الكثير لأن الفالون متجذّر في الثقافة الشعبية الصينية، وقد أصبح معروفًا ومنتشرًا إلى درجة اكتساب قاعدة شعبية عريضة. ورغم ذلك فإنّ آليّات الغطرسة التي يستعملها الح ش ص والتي تمّ بلورتها وصقلها عبر فترات عديدة، كانت في أوج عطاءها، وكانت لدى الح ش ص فعلاً نيّة القضاء على الفالون غونغ. لقد اغتنم جيانغ زمين منصبه كأمين عامّ للح ش ص وأعطى إشارة الانطلاق - شخصيّا - لقمع الفالون غونغ. إنّ نتيجة الشراكة والتوافق بين دجيانغ زمين والح ش ص كانت أشبه ما تكون بانهيار جُرفٍ ثلجيّ سبّبته صيحات أحد المتسلّقين.

قبل أن يأمر دجيانغ رسميّا بتصفية الفالون غونغ، كان الح ش ص قد أخذ في ممارسة القمع، والرقابة، والقيام بتحقيقات، واختلاق المواضيع اختلاقًا، وذلك لتلفيق التّهم للفالون غونغ. إنّ شيطان الح ش ص قد أحسّ غريزيّا بأنّ "حقّ، رحمة، صبر" تُمثل تهديدًا بالنسبة له، دون الحديث عن الانتشار غير المسبوق لهذه الطريقة. لقد تسرّب عُملاء سرّيون من قطاع الأمن العامّ للح ش ص داخل الفالون غونغ منذ 1994، ولكنهم لم يجدوا أيّ مأخذٍ يُأخذون به الطريقة، بل إنّ بعضهم شرع يمارس الفالون غونغ بجدّيةٍ فعلاً. في 1996، خرقت صحيفة الغوانغمينغ دايلي "التحفّظات الثلاث"، وهي السياسة الرسمية المتعلّقة بالتشيكونغ ("الدولة لا تحثّ على القيام بأنشطة التشيكونغ، ولا تتدخّل فيها، ولا تُدينها")، وذلك بنشرها لمقالٍ يُندّد بايديولوجيّة الفالون غونغ. وبعد ذلك قام سياسيّون سبق وأن عملوا في مجال الأمن العمومي أو يُعرَفون بـ: "علمانيّين" وينتمون للأوساط العلمية – قاموا بمضايقة الفالون غونغ باستمرار. في بداية عام 1997، استغلّ لووغان - وهو أمين اللجنة السياسية والقضائية للجنة المركزية للح ش ص - سلطته وأمر مكتب الأمن العمومي بإجراء بحث حول الفالون غونغ على مستوىً وطني وذلك بنيّة إيجاد تُهمٍ يُمكن أن تُبرّر منع الفالون غونغ.

وعندما أخبروه من جميع أنحاء البلاد أنهم لم يعثروا على أيّ دليل، أصدر لووغان المنشور رقم 555 والمُسمّى "ملاحظات بشأن تحقيق حول الفالون غونغ عن طريق الفرقة الأولى لمكتب الأمن العمومي (والمُسمّى أيضًا "مكتب الأمن السياسي")". وأوّل ما فعله هو اتّهام الفالون غونغ بكونه "طائفة شيطانية"، ثمّ أعطى أوامره لأقسام الشرطة في أنحاء البلاد بإجراء تحقيقات عن الفالون بصفة منهجيّة، ويتضمّن ذلك اسخدام الأعوان السرّيين لجمع الأدلّة. ولم يُفض البحث إلى أيّ دليل يُبرّر ذلك الاتّهام.

وقبل أن يتمكّن الح ش ص - هذه المنظمة الشيطانية - من الشروع في قمع الفالون غونغ، كان في حاجةٍ للشخص المناسب لإعطاء إشارة الانطلاق للقمع. كان من أهمّ الأمور هو معرفة كيف سيتولّى رئيس الح ش ص هذه المسألة. مثل أيّ شخصٍ، من المفروض أنه يملك وجهيْن مُختلفيْن للطبيعة الإنسانية: الخير والشرّ. إن اختار أن يتّبع جانب الخير في ذاته، إذًا فكان يُمكن أن يُحدّ وقتيّا من اكتساح تلك الطبيعة الدنيئة للح ش ص. وإلاّ فإنّ الطبيعة الشيطانية للح ش ص ستتجلّى تمامًا.

أثناء الحركة الطلاّبية المناصرة للديموقراطية في 1989، لم يكُن جاوو تسيانغ - والذي كان وقتها أمينًا عامّا للجنة المركزية للح ش ص - ينوي أن يقمع الطلبة. ولكن العُمداء الثمانية للحزب، والمسيطرين على الح ش ص، هم الذين أصرّوا. فنطق دانغ سياووبينغ آنذاك بعبارته الشهيرة: "سنقتل 200.000 شخصًا مقابل 20 سنة من الاستقرار". هذه الـ20 سنة من الاستقرار المزعومة كانت في الحقيقة تعني 20 سنة من السلطة بالنسبة للح ش ص. كانت هذه الفكرة تتّفق مع الهدف الأساسي لديكتاتورية الحزب، لذلك قبِلها الح ش ص.

فيما يخصّ الفالون غونغ، من بين الأعضاء السبعة الدائمين للمكتب السياسي للّجنة المركزية للح ش ص، كان دجيانغ زمين هو الوحيد المُصرّ على القمع. كان يُبرّر ذلك مُعلنًا أنه مُرتبط بـ"بقاء الحزب والبلاد على قيد الحياة"، الأمر الذي كان العصب الحسّاس للح ش ص ويُثير النزعة العدائية فيه. إذن في هذه النقطة، سعي دجيانغ زمين للحفاظ على سلطته الشخصية وسعي الح ش ص للحفاظ على ديكتاتوريته - ديكتاتوريّة الحزب الواحد، قد التقيا.

في مساء 19 يوليو 1999، ترأّس دجيانغ زمين اجتماعًا يضمّ أعلى موظفي الح ش ص. لقد اخترق القانون معتمدًا على سلطته السياسية، و"وحّد" وجهة نظر الأعضاء السبعة للجنة التنفيذية للمكتب السياسي، وقرّر شخصيًا شنّ قمع مُكثّفٍ ضدّ الفالون غونغ. لقد منع الفالون غونغ باسم الحكومة الصينية وخدع الرأي العامّ. إذًا فالح ش ص، والحكومة الصينية، والآليّات العنيفة التي يستعملها الحزب، كلّها قد تمّ استعمالها في كامل فاعليّتها ومردوديّتها في هذا القمع غير المسبوق، قمع ملايين ممارسي الفالون غونغ.

لو كان الأمين العامّ للح ش ص في ذلك الحين شخصًا آخر غير دجيانغ زمين، لم يكن قمع الفالون غونغ ليحدث. في هذا الصّدد يمكننا القول أنّ الح ش ص قد استعمل دجيانغ زمين.

من جهةٍ أخرى، لو لم يكن الح ش ص قد لطّخ يديه بدم الأبرياء في السابق، تحدُوهُ في ذلك طبيعته الأثيمة، اللاّ-أخلاقية والوحشية، لم يكن ليعتبر الفالون غونغ تهديدًا بالنسبة له. دون السيطرة الكلّية والنافذة للح ش ص على كلّ شريحةٍ في المجتمع، فإنّ نيّة دجيانغ زمين في قمع الفالون غونغ لم تكن لتحظى بتنظيمٍ، وبتمويلٍ، وبدعايةٍ، وبسند الديبلوماسيّين، وسند الأعوان والأجهزة، وسند السّجون، والشرطة، وأقسام الأمن العمومي، والجيش، وبـ"السند المزعوم" للأوساط الدينية، والأوساط العلمية والتقنية، والأحزاب الديموقراطية، والهيئات النقابية، واللّجان الشبابية، والجمعيّات النسائية، الخ. في هذا الصّدد يمكن أن نقول أنّ دجيانغ زمين قد استعمل الح ش ص.

IV. كيف استعمل دجيانغ زمين الح ش ص ليقمع الفالون غونغ

لقد استغلّ دجيانغ زمين المبدأ التنظيميّ للح ش ص والذي ينصّ على: "كلّ أعضاء الحزب يجب أن يتبعوا اللجنة المركزية"، واستغلّ الآلة الحكوميّة التي يسيطر عليها الح ش ص، لتحقيق هدفٍ واحدٍ: اضطهاد الفالون غونغ. إنّ الجهاز الذي يسيطر عليه الح ش ص يضمّ الجيش، ووسائل الإعلام، وأعوان الأمن العمومي، والشرطة، والشرطة المسلحة، وقوات أمن الدولة، والنظام القضائي، والتجمّع الشعبي الوطني، والأعوان الديبلوماسيين، والمجموعات الدينية المزيّفة. الجيش، الشرطة المسلحة، وشرطة نظام الأمن العمومي، والتي يسيطر عليها جميعًا الح ش ص، قد شاركت مباشرةً في عمليّات اختطاف ممارسي الفالون غونغ وعمليّات القبض عليهم. وسائل الإعلام الصينية قد ساعدت نظام دجيانغ في ترويج الأكاذيب وتلطيخ صورة الفالون غونغ. أمّا نظام أمن الدولة فقد استعمله دجيانغ زمين شخصيًا وبصفةٍ مباشرةٍ، يجمع المعلومات ويتلاعب بها، ويلفّق الأكاذيب ويزيّف الحقائق. وقد تستّر كلّ من التجمّع الشعبي الوطني وهيئة القضاء برداء "الشرعية" و"القانون" ليغطّيا الجرائم التي يرتكبها دجيانغ زمين والح ش ص، وتوصّلا بنجاح إلى خداع الناس من كافّة الفئات الاجتماعية. لقد تحوّلا إلى أداةٍ مجعولةٍ لخدمة دجيانغ زمين وحمايته. وفي خطّ مواز روّج النظام الديبلوماسي أكاذيب في المجتمع الدولي، ورشا بعض الحكومات الأجنبية والموظفين السّامين، ووسائل الإعلام الدولية، بواسطة امتيازات سياسية واقتصادية، ليضمنَ سكوتها بخصوص مسألة اضطهاد الفالون غونغ.

أثناء اجتماع للجنة المركزية والذي تمّ خلاله إصدار الأمر بقمع الفالون غونغ، صرّح جيانغ زمين: "أنا لا أستطيع أن أصدّق أنّ الح ش ص غير قادر على التغلّب على الفالون غونغ." وأفضى التخطيط لاستراتيجية القمع إلى ثلاث إجراءات قمعيّة: "شوّهوا سمعتـ(هم) (تلاميذ الفالون غونغ)، أفقروهم ماديًا، وحطموهم جسديًا". وبهذه الطريقة دخلت حملة التصفية حيّز التطبيق وأصبحت سارية المفعول.

-1 استخدام وسائل الإعلام لمنع مرور المعلومة

من تولّى تطبيق سياسة "شوّهوا سمعتـ(هم) ممارسي الفالون غونغ" هي وسائل الإعلام، تحت السيطرة المطلقة للح ش ص.

كان 22 يوليو 1999، وهو اليوم الثالث من حملة إيقاف ممارسي الفالون غونغ عبر البلاد، هو تاريخ بداية حملة إعلاميّة على نطاق واسع ضدّ الفالون غونغ ، تقودها وسائل الإعلام تحت سيطرة الح ش ص. ولنأخذ كمثال قناة "تشاينا سنترال تلفزيون" التي تبثّ من بيكين (سي سي تي في). في الأشهر الأخيرة من 1999، أصبحت هذه القناة تبثّ يوميّا سبع ساعاتٍ من البرامج المسجّلة التي تنشر أكاذيب حول الفالون غونغ. وقد بدأ منتجو هذه البرامج بتشويه خطابات السيد لي هونغ جي وتزييفها، ثمّ أضافوا إلى ذلك حالات مزعومة من انتحار، وقتل، ووفاة سببها الامتناع عن تناول الدواء. لقد فعلوا كلّ ما باستطاعتهم لتشويه صورة الفالون غونغ وصورة مؤسّسها والطعن فيهما.

من أكثر الحالات التي تداولتها وسائل الإعلام هي محو أداة النفي من جملةٍ قالها لي هونغ جي مرّةً في مُلتقى عامّ: "إنّ حدث انفجار الأرض الذي يتحدّث عنه الناس غير موجودٍ" لتصبح: "إنّ حدث انفجار الأرض الذي يتحدّث عنه الناس موجود"، وهو ما يُتيح لها مباشرةً إثر ذلك أن تدّعي أنّ الفالون غونغ يروّج نظريّاتٍ ألفيّة. ويتمّ اللّجوء إلى الغشّ أيضًا لتضليل الشعب، مثلاً بنسبة أعمال يرتكبها مجرمون عاديّون لممارسي الفالون غونغ. مثلاً جريمة قتل ارتكبها مريض عقليّ يُدعى فو يبين ببيكين وجريمة تسميم ارتكبها متسوّل بمقاطعة جاجيانغ، كلاهما تمّت نسبتهما للفالون غونغ. إذًا فقد استعمل الح ش ص وسائل الإعلام ليحرّض شعبًا مخدوعًا على الكراهيّة، بهدف تقديم أعذار والظفر بسندٍ وتأييدٍ لهذا الاضطهاد اللاّ-شعبي والدامي.

أكثر من 2.000 صحيفة، أكثر من 1.000 مجلة، ومئات الشبكات التلفزيونية والإذاعات المحلية تحت السيطرة المطلقة للح ش ص أصبحت تعجّ بالدعايات التي تشوّه سمعة الفالون غونغ. وقامت وكالة الأنباء الرسمية سينهوا، وتشاينانيوز سرفيس، ووكالة هـ ك لأخبار الصين، ووسائل إعلام أجنبية أخرى بنشر برامج القدح والثلب هذه في أنحاء العالم. حسب إحصائيّات منقوصة، في ظرف عشرة أشهر فقط، تمّ بثّ أكثر من 300.000 مقال وبرنامج يستهدف الفالون غونغ ويفتري عليه، مسمّمًا أذهان عددٍ لا يحصى من الناس المخدوعين.

في السفارات والقنصليّات الصينية بالخارج توفّرت أيضًا العديد من الوثائق، والأقراص المضغوطة والإصدارات التي تنتقد الفالون غونغ وتدّعي أنها "تفضحه". بل تمّ فتح أركان جديدة على موقع واب وزارة الشؤون الخارجية، وهي أركان مختصّة في نقد و"فضح" الفالون غونغ.

بالإضافة إلى ذلك، في أواخر 1999، وأثناء اجتماع عقدته التعاونية الاقتصادية للدول الآسيوية في حوض المحيط الهادي (ايبك) في زيلندا الجديدة، وزّع دجيانغ زمين بنفسه ودون أيّ تحرّج مناشير تطعن في الفالون غونغ على رؤساء أكثر من عشرة دول كانوا حاضرين في الاجتماع. وفي فرنسا، في خطابه المُوجّه لوسائل الإعلام الأجنبية، وصف دجيانغ زمين الفالون غونغ بكونه "طائفة شيطانية"، الأمر الذي يخرق الدستور الصيني – وذلك بهدف "تشويه سمعتـ(هم) (ممارسي الفالون غونغ)".

لقد جثمت على البلاد إذًا سحابة اضطهاد سوداء مُربدّة، كلّ شيءٍ كان يُنبئُ بأنّ حدثًا يُضاهي الثورة الثقافية في قسوته كان على وشك أن يقع.

أقذر حادثة كانت بلا ريبٍ حادثة "الانتحار حرقًا" المزعومة، والتي تمّ تصويرها في يناير 2001 وبثّها عبر أنحاء العالم بسرعةٍ يصعب تصوّرها بواسطة وكالة سينهوا. وإثر ذلك، عديد المنظمات العالمية مثل المنظمة غير الحكومية انترنايشونال إيدوكايشونال ديفلوبمنت، ندّدت بالحادثة لدى الأمم المتحدة، وبيّنت كيف أنها كانت مجرّد خدعة مسرحية حاكتها الحكومة لتُضلّل الناس. في إجابته عن سؤال بخصوص هذه الحادثة، أقرّ أحد أعضاء الفريق التلفزي بأنّ بعض المقاطع التي بثتها سي سي تي في قد تمّ تصويرها بعد الحادثة. يمكن إذًا أن نرى بوضوح الطبيعة الآثمة الأفّاكة للمُضطهدين. ولا يسعُنا إلاّ أن نتساءل كيف قبِلَ أتباع الفالون دافا هؤلاء، وهم يواجهون الموت بثباتٍ (نسبة إلى المنتحرين) – كيف قبِلوا بأن يتعاونوا مع السلطات إلى درجة السّماح لها بتصوير مشهد الانتحار حرقًا من جديدٍ.

ليس بمقدور أيّ كذبةٍ أن تصمد أمام نور الشمس. في نفس الوقت الذي حاك فيه الح ش ص الإشاعات والأكاذيب، فعل كلّ ما في وسعه ليمنع سريان المعلومات. لقد قمع بشراسة كلّ تصوير لأنشطة الفالون غونغ بالخارج وكلّ جوابٍ منطقيّ يُجيب به ممارسو الفالون غونغ. كلّ كتب الفالون غونغ والوثائق المتعلّقة بهذا الموضوع تمّ إتلافها بدون استثناءٍ، واتّخِذت إجراءات قصوى لمنع أيّ محاولةٍ تقوم بها وسائل إعلام أجنبية لإجراء حديثٍ صحفيّ مع ممارسي الفالون غونغ في الصين، ويشمل ذلك: طرد الصحفيين خارج الصين، الضغط على وسائل الإعلام الأجنبية التي تبثّ المعلومات، وإكراهها على لزوم الصمت مُهدّدين إيّاها بإقصاءها من الصين.

اتّخِذت إجراءات قصوى كذلك لقمع ممارسي الفالون غونغ الذين كانوا يحاولون تمرير معلوماتٍ عن وقائع تهمّ الفالون غونغ، أو وثائق حول القمع اللاّ- إنساني الذي ترتكبه السلطات – إلى الخارج. لي يانهوا هي سيّدة يقارب عمرها الستين سنة، من مدينة داشيتشيان من مقاطعة لياوونينغ. عندما كانت بصدد توزيع وثائق تحتوي على معلومات عن اضطهاد الفالون غونغ، تمّ اختطافها من قِبَل بعض الأعوان، في غرّة فبراير 2001 وأوسعتها الشرطة ضربًا إلى أن فارقت الحياة. ثمّ لكي تغطّي جرائمها، ادّعت هذه الأخيرة أنها ماتت لأنها كانت "واقعة تحت تأثير سحر الفالون غونغ".

في جامعة تسينغهوا لوحدها، تلقّى أكثر من عشرة أساتذة وطلبة عقوبات بالسجن لمدّة طويلة لأنهم وزّعوا وثائق بخصوص الفالون غونغ. كما تمّ توجيه الاتّهام لسبعة ممارسين من شونغتشينغ وحُكِمَ عليهم بالأشغال الشاقة لمدّة طويلة لأنهم كشفوا ما تعرّضت له الآنسة واي سينغيان - ممارسة فالون غونغ وطالبة في مرحلة الإجازة في جامعة شونغتشينغ - من اغتصابٍ أثناء فترة اعتقالها.

2- فرض ضرائب والسطو على المنازل بدون مذكّرة قانونية

لقد طبّق كلّ الجهاز الحكومي سياسة "أفقرو(هم) (ممارسي الفالون غونغ) ماديّا". منذ أكثر من خمس سنين من القمع، مئات الآلاف من ممارسي الفالون غونغ وقع إخضاعهم لغرامات تتراوح من آلاف إلى عشرات الآلاف من اليوان، بهدف تخويفهم وتسبيب خسائر مالية فادحة لهم. لقد فرضت الحكومات المحلية، ووحدات الشغل، ومخافر الشرطة، وأقسام الأمن العمومي هذه الغرامات بطريقة اعتباطية، وأولئك الذين يُجبَرون على دفع الغرامات لا يُعطى لهم أيّ وصلٍ ولا أيّ مبرّر يستند إلى بندٍ قانوني.

نهب المساكن هو شكل آخر من أشكال السطو والتخويف التي يتعرّض لها ممارسو الفالون غونغ. أولئك الذين لم يُريدوا التخلّي عن عقيدتهم تعرّضوا لتفتيشاتٍ غير مُبَرّرة، تأتي الشرطة إلى منازلهم وتسطو عليها في كلّ لحظةٍ. أموالهم ومُمتلكاتهم أخِذت منهم دون مُبرّر. في القرى، حتّى مخازن القمح وموادّ غذائية أخرى لم تنجُ هي أيضًا. وزيادةً على ذلك، الأشياء التي كانت تُؤخَذُ من ممارسي الفالون غونغ لم يكُن يتمّ تسجيلها ولا تسليم وصلٍ فيها. عمومًا أولئك الذين يُصادرون ممتلكات الممارسين كانوا يحتفظون بها لأنفسهم.

وفي نفس الوقت، واجه ممارسو الفالون غونغ أيضًا عقوباتٍ في الأرياف، وهدّدت السلطات الممارسين بمصادرة أراضيهم. ولم يستثن الح ش ص العجائز ومن هم في سنّ التقاعد. لقد أوقف جراية التقاعد بالنسبة لهم وطردهم من مساكنهم. كثير من ممارسي الفالون دافا الذين يعملون في الأعمال الحرّة صُودِرت منهم أملاكهم وجُمّدت حساباتهم في البنك.

بتطبيق هذه الإجراءات، تبنّى الـح ش ص سياسة الإدانة الجماعية. بعبارةٍ أخرى، إن وقع اكتشاف وجود ممارسي فالون غونغ في وحدة شغل أو في مؤسّسة من مؤسّسات الدولة، فإنّ رؤساء وموظفي هذه الوحدات لا يعودون يتمتّعون بمنحة ولا بترقيات. الهدف هو تحريض المجتمع على كراهية ممارسي الفالون غونغ. عائلات وأقارب هؤلاء الممارسين كانوا هم أيضًا مُهدّدين بالطرد من مراكز عملهم، وبطرد أبنائهم من المدرسة، وبالطرد من مساكنهم. كلّ هذه الإجراءات لها نفس الغاية: قطع كلّ موارد الرزق الممكنة وتضييق الخناق على ممارسي الفالون غونغ لكي لا يجدوا بدّا من التخلّي عن عقيدتهم.

3- أعمال تعذيب قاسية وقتل تعسّفي

السياسة الدنيئة والمتمثلة في "القضاء على ممارسي الفالون غونغ جسديًا" قد طبّقتها خاصّة الشرطة، والنيابة العامة [11]، والنظام القضائي في الصين. حسب إحصائيّات جمّعها موقع انترنت "مينغهي"، فإنه على أقلّ تقدير 1.144 [12] ممارس فالون غونغ قد ماتوا من جرّاء التعذيب أثناء السنين الخمس الماضية. وقعت الوفيّات في أكثر من 30 مقاطعة، ومنطقة مستقلّة، ومدينة خاضعة مباشرة لإدارة الحكم المركزي. في غرّة أكتوبر 2004، كانت المقاطعة التي أحصت أكبر عددٍ من الوفيّات هي هايلونغجيانغ، تليها جيلين، تليها لياوونينغ، ثمّ هيباي، ثمّ شاندونغ، فسيشوان، وأخيرًا هوباي. أصغر المتوفّين سنًّا كان عمره 10 شهور، وأكبرهم 82 سنةً. 51.3% من الأشخاص المتوفّين كانوا نساءًا. بالنسبة للضحايا البالغ عمرهم فوق الخمسين سنةً، كانت نسبتهم 38% من جملة الضحايا. وهناك موظفو ح ش ص أقرّوا بصفةٍ سرّيةٍ أنّ العدد الحقيقيّ للممارسين الذين ماتوا جرّاء التعذيب كان أكبر من ذلك بكثير.

إنّ عمليّات التعذيب التي يستعملونها مع ممارسي الفالون غونغ عديدة ومتنوّعة. التعرّض للضرب المبرّح، والسياط، والتعذيب بالكهرباء، والتعرّض للبرد المجمّد، وللتقييد بالحبال، ولتقييد اليدين والقدمين بالسلاسل لفترة طويلة، وللحرق بالنار، وبالسجائر، أو بالمكواة الحديدية، للتقييد والتعليق في الفضاء، البقاء في وضعية الوقوف أو الجثو على الركبتين وقتًا طويلاً جدًا، التعرّض لشكّ الجسم وخرقه بأعوادٍ من قصب أو خيوط معدنية، للاعتداء الجنسي والاغتصاب، كلّ هذه ليست سوى بعض الأمثلة. في أكتوبر 2000، قام حرّاس مخيّم العمل الإجباري ماسّانجيا، في مقاطعة لياوونينغ، بتجريد 18 ممارسة تمامًا من ثيابهن ورموْهنّ في زنزانات المساجين الذكور ليغتصبوهنّ وينالوا منهنّ كما يشاؤون. كلّ هذه الجرائم قد تمّ توثيقها ولكن عددها أكبر من أن نُحصيها في قائمة هنا.

ومن بين وسائل التعذيب اللاّ-إنسانية، نجد أيضًا الممارسة التالية - وهي من الممارسات السائدة - : العلاج العقلي. نجد ممارسي فالون غونغ طبيعيين، أصحّاء وفي كامل قواهم العقلية، تمّ سجنهم في مصحّات أمراض عقلية أو مستشفيات أمراض عقلية، حيث تمّ حقنهم بموادّ غير معروفة قادرة على إتلاف الجهاز العصبي المركزي لدى الإنسان، وجرّاء ذلك أصيب بعض الممارسين بشلل نصفيّ أو كلّي. بعضهم فقد البصر أو السمع. وبعضهم تلفت عضلاتهم أو أعضاءهم الداخلية. بعضهم فقد الذاكرة جزئيًا أو كلّيا وأصبحوا متخلّفين ذهنيًا. بعض التلاميذ أصيبت أعضاءهم الداخلية بجروح بالغة. بعضهم الآخر أصيب بانهيار عصبيّ. وحتّى أنّ بعضهم مات بعد وقت قصير من حقنه بهذه الموادّ.

تشير الإحصائيات إلى أنّ حالات ممارسي الفالون غونغ الذين تمّ تعذيبهم بواسطة علاج الأمراض العقلية قد انتشرت في 23 - من جملة 33 - مقاطعة ومنطقة مستقلّة وبلدية خاضعة مباشرة لقيادة الحكومة المركزية الصينية. على الأقلّ 100 مصحّة عقلية على مستوى المقاطعات والبلديات والأقاليم والأحياء شاركت في أعمال الاضطهاد. باعتبار العدد الكبير لهذه الحالات وتكرّرها، يبدو بوضوح أنّ الاستعمال التعسّفي لأدوية الأمراض العقلية على ممارسي الفالون غونغ هي سياسة منهجية ومُطبقة بدقّة على جميع المستويات. 1.000 ممارس على الأقلّ تمّ إرسالهم - رغم إرادتهم - إلى مراكز استشفائية عقلية أو مراكز إعادة تأهيل لمدمني المخدّرات. الكثير منهم حُقِنوا بعديد الموادّ التي يمكن أن تتلف الجهاز العصبي أو أجبِروا على ابتلاعها. ممارسو الفالون غونغ هؤلاء تمّ أيضًا تقييدهم بحبال وتعذيبهم بالكهرباء. على الأقلّ خمسة عشر من بينهم ماتوا بسبب المعاملة السيّئة لا غير.

4- مكتب 610 يمدّ مجسّاته خارج الجهاز القضائي

في 7 يونيو 1999، قذف دجيانغ زمين في حقّ الفالون غونغ بدون أيّ مبرّر أثناء اجتماع للمكتب السياسي للح ش ص. وصنّف مسألة الفالون غونغ على أنها "صراع طبقات"، ووصف ممارسي الفالون غونغ بالأعداء السياسيين للح ش ص وأثار غريزة الصراع لدى الح ش ص. لقد أعطى أوامره ببعث "مكتب لمعالجة مسألة الفالون غونغ" داخل اللجنة المركزية. وحيث أنه وُضِع في 10 يونيو، أطلقوا عليه اسم "مكتب 610". وإثر ذلك وُضِعت مكاتب 610 في كامل البلاد على جميع المستويات الحكومية، من أعلى السلّم إلى أسفله، وهذا المكتب مختصّ في كلّ المسائل المتعلقة بقمع الفالون غونغ. اللجنة السياسية والقضائية، الصحافة والإعلام، أجهزة الأمن العمومي، هيئة القضاء، محاكم الشعب، وأعوان الأمن الوطني التابعين لحكم وقيادة الح ش ص، كلّ هؤلاء هم قَتلة مأجورون يعملون لدى الح ش ص. في الظاهر، يتبع مكتب 610 مجلس شؤون الدولة، ولكنه في الحقيقة مُنظمة تابعة للحزب، مسموح لها بأن توجد خارج الإطار التأسيسي للدولة وللحكومة الصينية، لا تحدّها أيّ حدود تشريعية ولا قوانين أو سياسة وطنية. إنها منظّمة قويّة جدًا تشبه كثيرًا الغاشتابّو في ألمانيا النازية، مُنظّمة تتمتّع بصلاحيّات تتجاوز السلطة التشريعية والقضائية، وتستغلّ موارد البلاد كما يحلو لها. في 22 يوليو، وحالما أصدر دجيانغ زمين الأمر بقمع الفالون غونغ، نشرت وكالة الصحافة سينهوا خطابات المسؤولين في وزارة التنظيم المركزي للح ش ص ووزارة الدعاية المركزية للح ش ص، وهم يعلنون على الملأ مناصرتهم وتأييدهم لاضطهاد الفالون غونغ الذي أطلقه دجيانغ زمين. كلّ هذه الكيانات قد تعاونت وساند بعضها البعض تحت راية التنظيم المُحكم للح ش ص وذلك بغاية تطبيق الخطة الماكيافلية لدجيانغ زمين.

حالات عديدة وعديدة أثبتت أنه لا قسم الأمن العمومي، ولا النيابة العامّة، ولا المحكمة تملك القدرة على اتّخاذ القرارات بنفسها بشأن الحالات المتعلقة بالفالون غونغ، بل عليها أن تتلقّى الأوامر من مكتب 610. وعندما اشتكى أفراد عائلات ممارسي فالون غونغ كثيرون - ممّن أوقِفوا وسُجِنوا وعُذّبوا إلى حدّ الموت - عندما اشتكوْا للأمن العمومي، للنيابة العامة، وللمحكمة، أخبِروا أنّ كلّ القرارات يتّخذها مكتب 610.

رغم كلّ هذا، فإنّ وجود مكتب 610 ليست لديه أيّ ركيزة قضائية. عندما كان يعطي الأوامر للأجهزة التابعة للح ش ص، ففي العادة لم تكن هناك تعليمات مكتوبة أو إشعار، فقط إبلاغ شفويّ. وزيادةً على ذلك، كان مطلوبًا من كلّ أولئك الذين يتلقّوْن الأوامر ألاّ يسجّلوها تسجيلاً سمعيًا أو بصريًا ولا حتّى أن يُدوّنوا منها شيئًا.

استعمال هذا العضد الأيمن للديكتاتورية هو تكتيك كثيرًا ما يستعمله الح ش ص، متجاهلاً القانون تجاهلاً تامًا. أثناء كلّ حركات التصفية السياسية التي سبقت، استعمل الحزب دائمًا تكتيكاتٍ غير نظامية ونصّب هيئاتٍ مُؤقّتة غير نظامية، مثل الفريق المركزي للثورة، لكي تقود طغيان الح ش ص وتبثّه في جميع أنحاء البلاد.

على مدى تاريخ حكمه الطاغي والمستبدّ، خلق الحزب واحدًا من أقوى أنظمة إرهاب الدولة وأكثرها شرّا. بواسطة العنف، والكذب، ومنع الوصول إلى المعلومة. إنّ اللاّ-إنسانية والخداع اللذان يتميّز بهما قد بلغا درجة حِرفيّة عالية. كما أنه امتدّ على نطاق واسع وغير مسبوق. في الحركات السياسية السابقة، أصبح الحزب متمرّسًا وخبيرًا في امتلاك طرق مُمنهجة وناجعة، وفي معاقبة الناس، والنيل منهم وقتلهم؛ لقد كانت هذه الطرق تتّصف بقسوة، وبمكر وبازدواجية يصعب تصوّرها. وكما رأينا في الحالة التي ذكرناها آنفًا، لم يستطع الزوج تحمّل تهديدات الشرطة وإرهاصهم فقتل زوجته الطيبة. كذلك هي الثمرة الفاسدة الناتجة عن إرهاب الدولة الذي يمارسه الح ش ص، والذي يضمّ التضليل الإعلامي، الضغط السياسي، الإدانة الجماعية والتخويف، بهدف تشويه الطبيعة البشرية والتحريض على الكراهية.

5- استعمال الجيش والموارد المالية القومية لنشر الاضطهاد

إنّ الحزب يسيطر على كلّ القوى العسكرية للبلاد، الأمر الذي يُتيح له أن يفعل ما يحلو له دون خوفٍ ولا خشيةٍ عندما يقمع الناس. لاضطهاد الفالون غونغ، لم يكتفِ دجيانغ زمين باستعمال الشرطة والقوات شبه العسكرية؛ بل أيضًا استعمل مباشرةً القوات العسكرية المسلّحة في يوليو وأغسطس 1999، عندما اتّجه مئات الآلاف – بل ملايين الناس العاديين، من كلّ أنحاء البلاد، عُزّل من كلّ سلاح، إلى بيكين، بنيّة المناداة بحقّ الفالون غونغ في الممارسة. كان الجنود مبثوثين في أماكن عديدة ومختلفة من العاصمة. على كلّ الطرق العامّة كان يصطفّ جنودٌ مُسلّحون مُزوّدون ببنادق مُعبّأة. مهمّتهم هي التعاون مع الشرطة للتصدّي لممارسي الفالون غونغ الذين أتوْا للنداء وإيقافهم. وكما يمكن أن نتخيّل، هذا اللّجوء المباشر للقوات المسلّحة من طرف دجيانغ زمين قد فتح الباب أمام اضطهادٍ دامٍ.

يسيطر الحزب على خزائن الدولة، ممّا يجعل من هذه الأخيرة تمدّ جيانغ زمين بالسند المالي لاضطهاد الفالون غونغ. هناك موظف سامٍ من قسم العدالة التابع لمقاطعة لياوونينغ قال مرّةً أثناء اجتماع في مُخيّم العمل الإجباري بماسّانجيا (الموجود في هذه المقاطعة): "إنّ الموارد المالية المُستعملة لمعالجة مسألة الفالون غونغ تفوق مصاريف حربٍ."

إلى حدّ الآن لا نعلم تمامًا مبلغ الموارد المالية الحكومية، ولا الدخل المُتأتّي من العمل المُضني للشعب، هذان الموردان اللذان نهل منهما الح ش ص ليضطهد الفالون غونغ، ولكن ليس من الصعب أن نرى أنّ المبلغ ضخم. في 2001، كشفت معلومة قادمة من داخل قسم الأمن العمومي للحزب أنّ مصاريف القبض على ممارسي الفالون غونغ في ساحة تيانانمن وحدها بلغت 1.7 مليون يوان يوميّا، أي ما يعادل 2.5 سنويّا. في كلّ البلاد، من التجمّعات السكنية إلى المناطق الريفية البعيدة، من مخافر الشرطة وأقسام الأمن العمومي إلى موظفي جميع الأقسام في مكتب 610، استخدم دجيانغ زمين على أقلّ تقدير مليون شخص لاضطهاد الفالون غونغ. كلفة أجورهم لوحدها يمكن أن تبلغ مئات المليارات من اليوان. وبالإضافة إلى ذلك، أنفق دجيانغ زمين مبالغ طائلة ليُضاعف عدد مخيّمات العمل الإجباري المُعَدّة لاحتواء ممارسي الفالون غونغ، وليُشيّد مراكز وقواعد للغسل الدماغي. مثلاً في ديسمبر 2001، خصّص جيانغ زمين 4.2 مليار يوان دفعةً واحدةً لبناء مثل تلك المراكز لـ"تحويل" ممارسي الفالون غونغ. لقد أنفق دجيانغ زمين مبالغ ضخمة ليدفع المزيد من الأشخاص ويُشجّعهم على المشاركة في اضطهاد الفالون غونغ. في كثير من المناطق، بلغت مكافأة من يقبض على ممارس فالون غونغ عديد الآلاف، بل حتّى عديد عشرات الآلاف من اليوان. إنّ مخيّم العمل الإجباري بماسّانجيا في مقاطعة لياوونينغ لمن أسوء الأماكن التي تضطهد الفالون غونغ. في إحدى المرّات، كافأ الحزب مُسيّر المخيّم "سو" بـ50.000 يوان، والمُسيّر المساعد "شاوو" بـ30.000 يوان.

دجيانغ زمين، الأمين العامّ الأسبق للح ش ص، هو الشخص الذي أطلق حملة الاضطهاد ضدّ الفالون غونغ، هو الشخص الذي دبّرها وشنّها، واستعمل من أجل ذلك الح ش ص. على عاتقه تقع مسؤولية هذه الجريمة التاريخية. ومع ذلك، إن لم يكن يوجد هناك ح ش ص وآلة العنف لديه التي شحذها على مدى حركات سياسية متعاقبة، لم يكن دجيانغ زمين ليجد الوسائل ليشنّ هذا الاضطهاد الشيطاني ويُطبّقه.

دجيانغ زمين والحزب يستخدم كلّ منهما الطرف الآخر. هما يواجهان الإدانة بالإجماع بسبب معارضتهما لمبادئ "حقّ، رحمة، صبر" في سبيل مصلحة شخص واحدٍ وحزب واحدٍ. هذا الاستخدام المتبادل بينهما هو السبب الحقيقي الذي جعل جريمة عديمة المعنى ومأساويّة كتلك تحدث.

V. دجيانغ زمين يسبّب انهيار الح ش ص من داخل الحزب

إنّ دجيانغ زمين، بدافع السعي وراء مصالحه الشخصية، قد استعمل الشرّ، الذي هو صفة الح ش ص، ليشنّ ذلك الاضطهاد العنيف، مستهدفًا ناسًا بريئين يتّبعون مبادئ "الحقّ، الرحمة، الصبر". لقد شنّ حركة قمعيّة ضدّ قوّة اجتماعية هي من أكثر القوى الاجتماعية نفعًا وأقلّها ضررًا للبلاد والمجتمع. هذا الاضطهاد لا فقط يجرّ البلاد والشعب في سلسلة من الجرائم والمصائب، ولكن أيضًا يُسبّب فشل وسقوط الحزب من الأسس.

لقد استخدم دجيانغ زمين الحزب بشراسة، واستخدم في ذلك شتّى أصناف الوسائل والطرق الشريرة عبر العالم بأسره في تعامله مع مسألة الفالون غونغ. وجرّاء ذلك، تكبّد كلّ من القانون والأخلاق والإنسانية ضررًا كبيرًا، الأمر الذي يقضي على مصداقية الحزب، المصداقية اللازمة لكي يحافظ على بقاءه في الحكم.

لقد استعمل نظام دجيانغ كلّ الموارد المالية، والمادية، والبشرية المتوفّرة لكي يقمع الفالون غونغ، مسبّبًا بذلك عبئًا ضخمًا للبلاد والمجتمع، وضغطًا هائلاً على الميزانية المالية. إنّ الحزب ليست لديه أيّ وسيلةٍ ليستمرّ في هذا الاضطهاد، الذي سيبوء بالفشل لا محالة. إن تمكّن من تمديده زمنًا أطول، فسيكون ذلك فقط بالاعتماد على مدّخرات الشعب، وعلى إبرام عقود وطنية، وعلى استجلاب استثمارات خارجية.

أثناء الاضطهاد، استعمل الحزب ودجيانغ زمين شتّى أصناف الحيل والوسائل الملتوية، الوحشية والغشاشة، لقد استعملا كلّ ما في رصيدهما من خيانة وعدوانية لاضطهاد الفالون غونغ.

لقد استعمل الحزب ودجيانغ زمين كلّ أدوات الدعاية الممكنة ليختلقا إشاعاتٍ، ويشوّها صورة الفالون غونغ ويلفّقا أعذارًا لتبرير القمع والاضطهاد. ولكنّ الكذب لا يمكن أن يدوم إلى الأبد. يوم تُكشفُ الأكاذيب أخيرًا عندما يفشل الاضطهاد، ويوم يراها الجميع بوضوح، يومها وسائل الدعاية لن يعود بإمكانها أن تخدع الناس. سيفقد الحزب تمامًا مصداقيته وقلوب الناس في الآن نفسه.

مع بداية قمع الفالون غونغ في 1999، كانت نيّة دجيانغ زمين هي تصفية مسألة الفالون غونغ في "ثلاثة أشهر". ولكن الحزب لم يُقدّر قوّة الفالون غونغ حقّ قدرها، ولم يُقدّر قوّة الأصالة والإيمان حقّ قدرها.

منذ قديم الزمان، لم ينتصر الشرّ على الخير أبدًا، ولا استطاع أن يجتثّ الطيبة من قلوب الناس. خمس سنين قد مرّت والفالون غونغ بقي الفالون غونغ، بل وانتشر على نطاق واسع في كامل العالم. لقد باء دجيانغ زمين والحزب بفشل ذريع في هذه المعركة بين الخير والشرّ. كما أنّ طبيعتهما المنحرفة، القاسية، والشريرة، قد انكشفت للعيان بوضوح. دجيانغ زمين حاليًا ينوء تحت وطء المشاكل في الصين كما في خارجها، ويواجه دعاوي وإدانات عديدة تهدف إلى محاكمته.

في الأصل، كانت نيّة الحزب هي أن يستعمل القمع ليدعّم طغيانه. ولكن النتيجة كانت أنه لم يكن قادرًا على إعادة "شحن" طاقته؛ بل بالعكس، استنفذها. حاليًا، قد ذهب الحزب بعيدًا جدًا، إلى درجة أبعد من أن يقدر على استعادة الحياة بعدها. إنه يشبه شجرة نخرة وذابلة. وسوف ينهار من تلقاء نفسه عند أوّل هبّة ريح. كلّ الأحلام الواهمة الرامية إلى إنقاذ الح ش ص تسير ضدّ التاريخ. لا فقط سيكون ذلك بلا نتيجة، ولكنه أيضًا سيدمّر مستقبل أولئك الذين يضعون أيديهم فيه.

خاتمة

الأمين العام السابق للح ش ص، دجيانغ زمين، هو الذي شنّ هذا الاضطهاد العدواني، وخطّطه، وأمر به. لقد استعمل دجيانغ زمين السلطة، والمنصب، والطرق التأديبية، وآليات الحركت السياسية للح ش ص، ليُطلق هذا الاضطهاد ضدّ الفالون غونغ. وهو يبوء بحمل هذه الجريمة التاريخية بلا منازع. من جهة أخرى، إن لم يكن هناك ح ش ص، لم يكن دجيانغ زمين ليكون قادرًا أن يشنّ هذا الاضطهاد العنيف ويقوده. منذ أن وُلد الح ش ص، اتّجه ضدّ الاستقامة وضدّ الطيبة. خياره الأمثل هو القمع ومجال خبراته هو الاضطهاد، وقد بنى نفوذه وسيادته على سيطرة محكمة على العقول والنفوس مخضعًا إيّاها جميعًا لنفوذ حزبٍ واحدٍ مركزيّ. الح ش ص يخاف غريزيّا من "الحقّ، الرحمة، الصبر"، ويعتبر الفالون غونغ عدوّا. ونتيجة لذلك كان قمع الفالون غونغ واضطهاده أمرًا محتومًا. بمهاجمته لـ"الحقّ، الرحمة، الصبر"، أتاح دجيانغ زمين والح ش ص المجال للزيف، والعدوانية، والسموم، والشرّ، والفساد جميعًا لكي تنتشر. وما انجرّ عن ذلك هو تدهور أخلاقي على نطاق واسع في أرض الصين، تدهور طالت آثاره الجميع.

إنّ الاستخدام المُتبادل بين الح ش ص ودجيانغ زمين قد حدّد مصيرهما. حاليًا، يسعى الفالون غونغ لمقاضاة دجيانغ زمين، ويوم يُقَدّمُ هذا الأخير للمحاكمة، سيكون مصير الح ش ص واضحًا.

إنّ المبادئ السماوية لن تغفر لمن يمارس اضطهادًا لا-إنسانيًا ضدّ مجموعة من الأشخاص الطيبين الذين يُربّون أنفسهم على "الحقّ، الرحمة، الصبر". فساد دجيانغ زمين والح ش ص كذلك سيُصبح يومًا مّا عبرة بالغة وخالدة في تاريخ الإنسانية.

ملاحظات:

1- لمزيد من المعلومات بخصوص هذه الحالة، الرجاء الاطلاع على:

http://www.clearwisdom.net/emh/articles/2004/7/23/50560p.html
و
http://www.clearwisdom.net/emh/articles/2004/6/7/48981p.html

2- لمزيد من المعلومات بخصوص هذه الحالة، الرجاء الاطلاع على:

http://www.clearwisdom.net/emh/articles/2004/9/25/52796.html

3- تتوفر معلومات أخرى بخصوص هذه النقطة في الرابط التالي:

http://www.minghui.org/mh/articles/2004/7/9/79007.html (بالصينية)

4- لي سيانّيان (1902-1992)، رئيس سابق للصين (1983-1988) ورئيس المؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني (1988-1992). وقد كان حما جيانغ زمين. شان يون (1905-1995)، أحد كبار المسيّرين المعروفين في الصين الشيوعية، وقد كان عضوًا في اللجنة الدائمة للمكتب السياسي طيلة عقودٍ من السنين ورئيس اللجنة المركزية الاستشارية من 1987 إلى 1992.

5- تشيكونغ هو اسم شامل يُطلقُ على تمارين طاقية. هناك عدّة مدارس تشيكونغ، معظمها متجذّرة في الاعتقادات الروحية الأصلية المتوارثة. الفالون غونغ هو شكل من أشكال التشيكونغ.

6- في 1992، خرج دانغ سياووبينغ من شبه عزلة، وذهب في زيارة لشانجان، قرب هونغ كونغ، وألقى هنالك خطابات يدعو فيها إلى تبنّي اقتصاد سوق اشتراكي في الصين. ويُعتبَرُ أنّ جولة دانغ تلك قد بعثت من جديدٍ الحياة والأمل في الإصلاح الاقتصادي بعد أن شهد بداية حزينة ومشؤومة وهي مجزرة ساحة تيانانمن.

7- الآثار الثقافية بهامودو، وقع اكتشافها في 1973، يرجع عهدها إلى 7.000 سنة، هذه القرية الأثرية الصينية غنية بالمواقع وبالآثار التي تعود إلى العصر الحجري الأخير.

8- رئيس سابق للمؤتمر الشعبي الوطني الصيني.

9- لقد قال دانغ مرّة: "قط أسود أو قط أبيض، لا يهمّ، هو قط جيّد طالما أنه يمسك الفئران". بعبارةٍ أخرى، الهدف من الإصلاحات الاقتصادية هو تحقيق قدر من الرخاء والازدهار للناس، مهما يكن شكل تلك الإصلاحات: اشتراكية أو رأسمالية.

10- هي مثقفة عذبها الحـ ش ص إلى حدّ الموت في فترة الثورة الثقافية لأنها قالت الحقيقة. (انظر المقال الرابع)

11- هو الأداة الحكومية الصينية المختصّة في التتبّع والإشراف القانونيّين. من مهامّها: القرار في شأن القبض على كبار المجرمين وتتبّعهم، إجراء التحقيقات، اقتراح واتّخاذ إجراءات بشأن المحاكمات الجنائية العامّة، تأويل القانون بحرّية فيما يتعلّق بتطبيقاته الخصوصية، الإشراف والسّهر على قرارات المحكمة، مراقبة السير القضائي، الإشراف على أنشطة السجون ومراكز الاعتقال ومخيّمات العمل الإجباري.

12- في منتصف أغسطس 2005، ارتفع هذا الرقم إلى 2.779.

جميع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة السادسة: كيف دمّر الحزب الشيوعي الثقافة الموروثة

لافتة كبيرة ضمن حملة "انتقاد لين بياوو وكونفوشيوس" (إي آف بي/صور غاتي(

توطئة

الثقافة هي روح الأمّة. الثقافة هي عامل هامّ بالنسبة للبشر، لا يقلّ أهمّية عن العوامل المادية الملموسة مثل العرق والأرض. إنّ تاريخ حضارة أمّةٍ مّا، في جزءٍ كبير منه، هو رهين إنجازاتها الثقافية. والتدمير الكامل للثقافة الموروثة للأمّة لا ينجرّ عنه سوى اندثار تلك الأمّة. إنّ أممًا سالفة ذات حضارات مجيدة وتليدة قد اندثرت وزالت لمّا دُمّرت ثقافاتها، على الرغم من أنّ بعض عناصرها العرقية كانت لا تزال موجودة بعدُ. الصين هي البلد الوحيد في العالم الذي تواصلت حضارته على مدى 5000 سنة دون انقطاع. إنّ تدمير حضارته وتراثه هي جريمة لا تُغتفر.

ثقافة الصين وتراثها، والذي نعتقد أنهما إرث إلهي، قد بدآ بأساطير مثل خلق السماء والأرض بيد بانغو [1]، خلق البشر بيد نووا [2]، أسطورة تعريف مئات الحشائش الطبية من طرف شانونغ [3] وأسطورة اختراع الكتابة الرمزية الصينية من طرف ساندجي [4]. "الإنسان يتبع الأرض، والأرض تتبع السماء، والسماء تتبع الطاوو، والطاوو يتبع ماهو طبيعي." [5] الطاوية تتحدث عن الوحدة بين السماء والأرض، تلك هي الحكمة

التي تجري في عروق الثقافة الصينية. "التعاليم الكبيرة تحثّ دائمًا على التحلّي بالفضيلة واكتساب الفضيلة." [6] منذ 2000 سنةٍ، فتح كونفوشيوس مدرسة لتعليم الطلاب وبلّغ للمجتمع المُثل الكونفوشيوسية المتمثلة في الفضائل الرئيسية الخمسة وهي: الطيبة (الإحسان)، الاستقامة، التهذيب، الحكمة، والوفاء. في القرن الأوّل، وصلت بوذيّة ساكياموني إلى غرب الصين مُحمّلةً بوعود الرحمة والتخليص لكلّ الكائنات، وكانت النتيجة أن اكتسبت الثقافة الصينية المزيد من الثراء والتنوّع والعمق. ثمّ أصبحت الكونفوشيوسية والطاوية والبوذية على التوالي عقائد مُكمّلة للمجتمع الصيني، موصلةً الأسرة المالكة التانغ (618 - 907) إلى قمّة المجد والازدهار، مثلما هو معروف لدى الجميع.

ورغم أنّ الأمّة الصينية تعرّضت مرّاتٍ عديدة في التاريخ للغزو والهجمات، فإنّ الثقافة الصينية برهنت على مقاومةٍ وصمودٍ كبيريْن، واستمرّ جوهرها وروحها في التناقل جيلاً بعد جيل. إنّ وحدة السماء والبشر هي كوسمولوجيا أجدادنا. عمل الخير سيُثاب وعمل الشرّ سيُعاقبُ، هذا أمر مُتعارف عليه، إنه المبدأ الأساسي المتمثل في: لا يجب أن نفعل بالآخرين ما لا نُحبّ أن يُفعَلَ بنا. مبادئ "الإخلاص، البرّ بالوالديْن، الكرامة، والعدل" قد وضعت المعايير الأساسية التي تُحدّد حياة الفرد البشري في هذا العالم. "الطيبة، الاستقامة، التهذيب، الحكمة، والوفاء" أصبحت مقاييس الأخلاق سواءً بالنسبة للفرد أو كلّ المجتمع. مع مبادئ كتلك، كانت الثقافة الصينية تُجسّم النزاهة، والطيبة، والانسجام، والتسامح. إنّ الأنصاب الجنائزية التي يُقيمها الشعب الصيني تعبّر عن احترام وإجلال "السماء، الأرض، الحاكم، الوالدين، والمعلّم"، إنه تعبير ثقافي عن التقاليد الصينية المتجذّرة بعمق، والتي تضمّ تقديس الآلهة (السماء والأرض)، الولاء للوطن (الحاكم)، القيم الأسرية (الوالدين) واحترام المعلّمين. إنّ الثقافة الأصيلة كانت تنشُدُ الانسجام بين الإنسان والكون وتضع الثقل على الأخلاق وعلى السلوك الذي يجب أن يتحلّى به الفرد. كانت تنبني على الاعتقاد في ممارسات الكونفوشيوسية، والبوذية، والطاوية، وتجلب معها للشعب الصيني التسامح، والرقيّ الاجتماعي، والحفاظ على الأخلاق البشرية والعقيدة الحقّة.

خلافًا للقانون، الذي يفرض قواعد صارمة، تمارس الثقافة تأثيرها كضابط ليّن. القانون ينفذ الحكم بالعقوبة بعد أن تُرتكبَ الجريمة، ولكن الثقافة، بتعهّدها للأخلاق، تحول دون ارتكاب الجريمة أصلاً. إنّ القيم الأخلاقية لمجتمع مّا غالبًا ما تنضوي داخل ثقافته.

في تاريخ الصين، بلغت الثقافة الكلاسيكية أوجها أثناء فترة حكم سلالة التانغ، تلك الفترة المزدهرة، والتي تتزامن مع قوّة وعظمة الأمّة الصينية. العلم، والذي كان متقدّمًا ومزدهرًا أيضًا، كان يحظى بمكانة خاصّة ومتميّزة بين باقي الأمم. كان هناك علماء من أوروبا، من الشرق الأوسط، ومن اليابان، يقصدون شانغآن ـ عاصمة مملكة التانغ، للدراسة. كانت البلدان المجاورة تعتبر الصين سيّدتها. "كانت بلدان عديدة تأتي لتدفع الضرائب للصين ولو اضطرّت من أجل ذلك إلى المرور عبر عديد المترجمين والمرور عبر جمارك متتالية." [7]

بعد مملكة التشين (221 - 207 ق م)، وقع احتلال الصين مرّات كثيرة من طرف أقلّيات، وخاصّة أثناء فترة ممالك السوي (581 - 618)، التانغ (618 - 907)، اليوان (1271 - 1361)، والتشينغ (1644 - 1911) ومرّات قليلة في عهود أخرى عندما أسّست الأقليات العرقية أنظمة حكم خاصّة بها. ومع ذلك، فإنّ هذه المجموعات العرقية ـ تقريبًا كلّها ـ امتصّت العادات والتقاليد الصينية بصفة كلّية، الأمر الذي يدلّ على قدرة الاندماج الكبيرة لدى الثقافة والتراث الصينييْن. وكما كان كونفوشيوس يقول: "(وهكذا) إن لم يكن الغرباء دمثي الطبع، قودوهم إلى ممارسة ثقافتنا وفضيلتنا." منذ استحواذه على السلطة في 1949، سخّر الح ش ص كل موارد الأمّة لتدمير الثقافة الصينية العريقة الثرية. هذه النية السيئة لم تأت من حبّه وتحمّسه للتصنيع، ولا من انبهاره المُضحك بالحضارة الغربية. لقد أتت من التصادم الايديولوجي العميق بين الح ش ص والثقافة الصينية العريقة. لقد خطّط الح ش ص لتدمير الثقافة الصينية، ثم نظمه وطبّقه، مستعينًا بإرهاب الدولة الموجود. منذ تأسيسه، لم يكفّ الح ش ص أبدًا عن "إدخال الثورة" على الثقافة الصينية بنيّة القضاء تمامًا على روحها. [8]

والأمر المؤسف أكثر من تدمير الثقافة الموروثة على يد الح ش ص، هو الاستغلال المقصود لهذه الثقافة وإدخال تغييراتٍ عليها. لقد شجّع الح ش ص من النواحي السيئة في تاريخ الصين، تلك الأشياء التي حدثت كلّ مرة ابتعد فيها الناس عن القيم الأخلاقية الأصيلة، مثل صراع أطراف العائلة المالكة وتطاحنها، استعمال الاستراتيجيات وحبك المؤامرات، وممارسة الديكتاتورية والاستبداد. لقد استعمل أمثلة تاريخية لكي تساعده على خلق مجموعة القيم الأخلاقية الخاصة به، وطرق تفكيره ولغته. وهكذا أعطى الح ش ص الانطباع ـ الخاطئ ـ أنّ "ثقافة الحزب" هي الاستمرار الطبيعي للثقافة الصينية الأصيلة. بل لقد استغلّ الح ش ص كره بعض الأشخاص لـ"ثقافة الحزب" لكي يحرّض أكثر وأكثر على التخلّي عن التراث الصيني الحقيقي.

إنّ تدمير الثقافة العريقة بيد الح ش ص كانت له نتائج كارثية في الصين. لا فقط فقد الناس معاييرهم الأخلاقية، ولكن أيضًا تمّت مذهبتهم ـ غصبًا ـ باستعمال النظريات الفاسدة للح ش ص.

I. لماذا أراد الح ش ص تدمير الثقافة الصينية ؟

1- الإرث الطويل للثقافة الصينية ينبني على الإيمان والفضيلة

الثقافة الحقيقية للأمّة الصينية بدأت منذ 5000 سنة تقريبًا مع الامبراطور الأسطوري هوانغ، والذي يُعتبر الجدّ الأول للشعب الصيني. المعروف عن الامبراطور هوانغ أيضًا أنه أسّس الطاوية ـ والمعروفة أيضًا باسم المدرسة الفكرية هوانغ لاوو (لاوو تسي). نلمس الأثر العميق الذي تركته الطاوية على الكونفوشيوسية من خلال أقوال كونفوشيوس التالية: "البحث عن الطاوو، والالتزام بالفضيلة، التحلّي بالطيبة والإحسان، والانغماس في الفنون"؛ "إن سمع أحدهم الطاوو في الصباح، يمكنه أن يموت بلا حسرةٍ في المساء". [9] أحد أهمّ عيون الكتب الصينية، كتاب التحوّلات (يي كينغ)، هو مجموع ملاحظاتٍ بخصوص السماء وبخصوص الأرض، اليين واليانغ، التغيّرات الكونية، الرقيّ الاجتماعي والتقهقر، وقوانين الحياة البشرية، إنّ صحّة نبوءة هذا الكتاب قد فاقت بكثير ما يمكن للعلم الحديث أن يتصوّره. وبالإضافة إلى الطاوية، والكونفوشيوسية، كان للبوذية، وخاصّة بوذية الزان، تأثير خفيّ ولكنه عميق على المثقفين الصينيين.

الكونفوشيوسية في الثقافة الصينية العريقة هي الجزء الذي يركّز على "الدخول إلى العالم البشري". هي تضع الثقل على منهج أخلاقي ينبني على الأسرة، وخصلة البرّ بالوالدين تشغَلُ فيه مكانة هامّة جدًا، إذ هي تلقّن أنّ "الإحسان يبدأ من البرّ بالوالدين". كان كونفوشيوس يدعو إلى أنّ "الإحسان يبدأ من البرّ بالوالدين". كان كونفوشيوس يدعو إلى: "الإحسان، الاستقامة، التهذيب، الحكمة، والوفاء" ولكنه قال أيضًا: "أفليس البرّ بالوالدين والحبّ الأخويّ أصل الطيبة والإحسان ؟"

المنهج الأخلاقي الأسريّ يمكن تطبيقه أيضًا على الأخلاق في المجتمع ككلّ. البرّ بالوالدين يمكن تطبيقه أيضًا على الولاء تجاه الحاكم. يقال أنه "من النادر أن يقوم إنسان بارّ بوالديه بالتهجّم على من هم أعلى منه مرتبة". [10] الحبّ الأخوي يمكن أيضًا أن ينسحب على الإخلاص نحو الأصدقاء. يعتقد الكونفوشيوسيون أنه داخل الأسرة، ينبغي على الأب أن يكون عطوفًا، والابن مخلصًا بارّا، والأخ الأكبر ودودًا، والأخ الأصغر مُحترِمًا. هنا، العطف الأبوي يمكن أيضًا أن ينطبق على عطف الحاكم تجاه الرعيّة. طالما أنّ القواعد الأخلاقية الأسرية يمكن الحفاظ عليها، فذلك يعني أيضًا ديمومة الأخلاق في المجتمع. "تعهّد الذات، ضبط أمور الأسرة، حكم الدولة بالعدل، وتوفير الراحة والسعادة لكلّ المملكة" [11].

خلافًا لذلك، البوذية والطاوية في الثقافة الصينية هما الجزء الذي يركّز على "الخروج من العالم الدنيوي"، ويسير بالناس في ترقّيهم الروحي. إنّ تأثير البوذية والطاوية ينعكس على كل نواحي الشعب الصيني. الممارسات المتجذرة في الطاوية تضمّ الطب الصيني، التشيكونغ، ضرب الرمل، والتنجيم. هذه الممارسات، بالإضافة إلى المفاهيم البوذية المتمثّلة في الجنة والجحيم، في الثواب والعقاب، قد كوّنت ـ بالتعاون ـ مع القواعد الأخلاقية الكونفوشيوسية ـ نواة الثقافة الصينية العريقة.

منحت المعتقدات الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية للشعب الصيني نظامًا أخلاقيًا متينًا وثابتًا، باقيًا "ما بقيت السماء". [12] هذا النظام الأخلاقي قد وفّر أرضيّة لاستقرار دائم، وللسلام والانسجام داخل المجتمع.

موضوع الأخلاق ينتمي للميدان الروحي، لذلك فهو غالبًا ما يكون مفهوميّا. الثقافة تترجم هذا النظام الأخلاقي المجرّد إلى لغة مفهومة لدى الجميع.

فلنأخذ مثلاً الكتب الكلاسيكية الصينية الأربعة، والتي هي الروايات الأكثر شهرة في الثقافة الصينية. "السفر إلى بلاد الغرب" [13] هو قصة أسطورية. "حلم داخل الجناح الأحمر" [14] يبدأ بحوار بين صخرة حيّة، إلهة الفضاء اللاّ متناهي، وطاوو الزمان اللاّ متناهي، على الساحل الصخري الذي لا قاع له، والموجود بجبل التّيْه العظيم. هذا الحوار يتضمن الخطوط العريضة للمأساة الإنسانية التي تدور أحداثها في الرواية. "على ضفاف الماء" [15] تبدأ بقصة حول هونغ تايواي، المسؤول عن الشؤون العسكرية، والذي بسبب إهماله تسبّب في إفلات 108 شيطان. هذه الأسطورة تفسّر أصل الـ"108 المحاربين الشجعان المارقين عن القانون". "الممالك الثلاثة" [16] تبدأ بإنذار من السماء بوقوع كارثة، يُنبئ بحكم المشيئة الإلهية والذي لا رجعة فيه: "أمور هذا العالم الأرضي تتدفّق مثل سيل متواصل، قدَرٌ مُسطّرٌ من السماء لا يحدّ امتداده شيئ، يُنهي كلّ شيء." وحكايات مشهورة أخرى، مثل حكاية قوم الـ"جو" الشرقيين [17]، والقصّة الكاملة ليوفاي [18]، تبدأ بأساطير مماثلة.

إنّ توظيف الأساطير من طرف هؤلاء الرّواة لم يكن مصادفة، بل انعكاسًا للفلسفة الأساسية للمثقفين الصينيين، هذه الفلسفة التي تنتمي للطبيعة وللإنسان ـ إنه تأمّل وتفكّر في الأصل الإلهي للحياة البشرية. هذه الروايات كان لها عميق الأثر في نفس الشعب الصيني إلى درجة أنّ شخصيّاتها باتت رمزًا لبعض القيم الأخلاقية. مثلاً عند الحديث عن مفهوم "الاستقامة"، ما يتبادر إلى ذهن الناس هو غوان يو (160 ـ 219) في الممالك الثلاثة ـ يتذكّرون كيف أنّ نزاهته واستقامته قد تخطّتا حدود السحاب وبلغتا السماء، وكيف أنّ ولاءه الراسخ لقائده ليو باي جعله جديرًا بالاحترام حتّى من طرف أعداءه، وكيف أنّ شهامته في المعركة كانت لها الكلمة الأخيرة حتّى في أصعب الظروف، وحتّى في هزيمته النهائية في معركة على مقربة من مدينة ماي، وأخيرًا، وعندما أصبح إلهًا من الآلهة، الحديث الذي دار بينه وبين ابنه. عند الحديث عن "الولاء"، يتبادر لأذهان الناس بالطبع ليو فاي (1103 ـ 1141) القائد الأكبر في مملكة سونغ والذي خدم بلاده بإخلاص وولاء لا ينضبان، وجوغو ليانغ (181 ـ 234) الوزير الأول في دولة شو أثناء فترة الممالك الثلاث والذي "بذل نفسه بسخاءٍ إلى أن توقف قلبه نهائيًا عن النبض".

مدح الولاء والاستقامة في الثقافة العريقة الصينية كله قد بُني عبر القصص الجميلة لهؤلاء الكتّاب. القيم الأخلاقية المجرّدة التي تتبنّاها هذه القصص تمّ تجسيمها بصفة خصوصية وتجسّدت في أشكال تعبيرية ثقافية.

الطاوية تضع الثقل على الحق، البوذية تضع الثقل على الرحمة، والكونفوشيوسية تشيد بالولاء، والحلم، والإحسان، والاستقامة. "إن كانت أشكالها تختلف، فإنّ غاياتها مماثلة...كلها تشجّع الناس على العودة إلى الطيبة." [19] هذه هي الجوانب الثمينة في الثقافة الصينية الأصيلة المبنية على الإيمان بالكونفوشيوسية، والبوذية، والطاوية.

لقد علّمت الثقافة الصينية الأصيلة الناس مفاهيم ومبادئ هامة مثل: السماء، الطاوو، الله، بوذا، القدر، الرابطة القدرية، الإحسان، الاستقامة، التهذيب، الحكمة، الإخلاص، النزاهة، البرّ بالوالدين، الكرامة، الخ. ربما كثير من الصينيين أمّيون ولكنهم قد ألفوا المسرحيات والأوبرا التقليدية التي يتعلمون من خلالها الأخلاقيات الأصيلة. هذه الأشكال الثقافية كانت على غاية من الأهمية في نقل التراث الصيني. إذًا فتدمير الثقافة والتراث الصينيين من طرف الح ش ص هو بدون شك طعن في الأخلاقيات الصينية وهدمٌ لأسس السلام والانسجام في المجتمع.

2- النظرية الشيوعية الفاسدة تقف على طرف النقيض من الثقافة والتراث

إنّ "فلسفة" الحزب الشيوعي هي على طرف النقيض من الثقافة الصينية الأصيلة الحقة. الثقافة الأصيلة تحترم حكم السماء، مثلما قال ذلك كونفوشيوس مرّة: "الحياة والموت مُقدّران، والغنى والمركز الاجتماعي تقسّمهما السماء". [20] البوذية والطاوية تؤمنان بالإله، بدورة الحياة والموت والتجسد، وبالقانون الجزائي: الكارما، الذي يمثل جزاء الخير وجزاء الشر. على عكس ذلك، الحزب الشيوعي، لا فقط يعتقد في الإلحاد، ولكنه أيضًا يتحدّى الطاوو ويتهجم على القوانين السماوية. الكونفوشيوسية تقدّر قيمة وأهمّية الأسرة، أمّا بيان الحزب الشيوعي فيدعو صراحة إلى حلّ الكيان الأسري. الثقافة الأصيلة تفرّق بين الصيني والأجنبي، أمّا بيان الحزب الشيوعي فينادي بزوال مفهوم القومية. الثقافة الكونفوشيوسية تعلّم

الإحسان إلى الآخر، أمّا الحزب الشيوعي فيشجّع على الصراع بين الطبقات. الكونفوشيوسيون يدعون إلى الولاء والإخلاص لذوي النفوس النبيلة والرفيعة وإلى حب الوطن، أمّا بيان الحزب الشيوعي فيشجع على إزالة الأمم.

للحصول على السلطة والحفاظ عليها في الصين، كان على الحزب الشيوعي بادء ذي بدءٍ أن يغرس أفكاره وفلسفته اللاّ- أخلاقية في الأرض الصينية. لقد صرّح ماوو تسي تونغ بما يلي: "كل مرّة نريد فيها الإطاحة بحكمٍ مّا، يجب أوّلاً الاعتناء جيّدًا بالدعاية ومسألة الإيديولوجيا".[21] لقد فهم الح ش ص أنّ النظرية الشيوعية العنيفة، إن لم تكن مدعومة سوى بالسلاح، فلن تعدو أن تكون قمامة المفاهيم والايديولوجيات الغربية، وليس بوسعها أن تقف في مواجهة الـ5000 سنة من تاريخ الثقافة الصينية العميق. لذلك دمّر تدميرًا كاملاً هذه الثقافة الأصيلة، ليتسنّى للماركسية واللينينية أن يحتلاّ الساحة السياسية للصين.

3- الثقافة العريقة حاجز أمام ديكتاتورية الح ش ص

قال ماوو تسي تونغ مرّة قولة صدق، أنه لا يتّبع الطاوو ولا السماء. [22] لقد مثلت الثقافة الصينية العريقة حجر عثرة ضخمًا أمام رغبة الح ش ص في تحدّي الطاوو ومناصبة السماء العداء.

الولاء في الثقافة الصينية العريقة لا يعني تفانيًا أعمى. في نظر الشعب، الامبراطور هو "ابن السماء" ـ والسماء فوقه. الامبراطور لا يمكن أن يكون مُصيبًا دائمًا. لذلك كان هناك مُراقبون يشيرون على الامبراطور بأخطاءه. النظام الصيني للحوليّات يضم مؤرّخين كانوا يسجّلون كل كلمات وحركات الامبراطور. كان يمكن أن يقوم العلماء بدور الأساتذة والمعلمين لملوكهم الحكماء، وكان سلوك الامبراطور يتمّ تقييمه وفق المراجع الكلاسيكية الكونفوشيوسية. إذا كان الامبراطور عديم الأخلاق، ولا يفهم الطاوو، كان الشعب يستطيع ان ينهض ويُطيح به، مثلما هو موجود في هجوم دجيي بشانغتانغ أو خلع حكم الـ"جو" على يد الملك "وو" [23]. هذه الثورات، من منظور الثقافة العريقة، لم تكن تُعتبر انتهاكًا لمبدأ الولاء أو الطاوو، بل بالأحرى كانت تطبيقًا للطاوو باسم السماء. عندما اقتيد القائد العسكري الشهير وان تيانسيانغ سجينًا (1236 ـ 1283) [24]، رفض الاستسلام للغزاة المغول، حتى بعد أن حاول الامبراطور إقناعه بذلك. لأنه بصفته كونفوشيوسيًا، كان يؤمن بأنّ "الشعب يأتي في المرتبة الأولى أهمية، وبعده يأتي الوطن، ثم يأتي الحاكم في مرتبة أقلّ أهمية." [25]

لم تكن ديكتاتورية الح ش ص لتقبل أبدًا هذه الاعتقادات الأصيلة. كان الح ش ص يسعى لجعل قوّاده الخاصين محلّ تقديس من طرف الشعب، وينشر عبادة الفرد. لم يكن ليترك مفاهيم قديمة مثل السماء و الطاوو والآلهة تتحكّم من فوق. كان الح ش ص يعلم جيّدًا أنّ ما يفعله ـ حسب مقاييس الثقافة الأصيلة ـ كان يُعتبر جريمة في حق السماء وحق الطاوو. كان أيضًا يعي جيّدًا أنّه مادامت الثقافة الأصيلة موجودة، فالناس لن يمتدحوا "عظمة الح ش ص، ومجده، وكماله"، وأنّ العلماء سيواصلون على الدرب التقليدي المتمثل في "تعريض حياتهم للخطر في سبيل انتقاد التصرفات السيئة للحاكم"، وفي "الحفاظ على العدل ولو دفعوا حياتهم ثمنًا لذلك" [26]، وفي وضع الشعب في مكانة فوق مكانة الحكّام. إذًا فالشعب بهذه الطريقة لن يصير أرجوزة بيد الح ش ص والح ش ص لن يتسنّى له أن يفرض طريقة تفكير موحّدة على الجماهير.

كما أنّ احترام السماء والأرض والطبيعة الموجود في الثقافة الأصيلة أصبح عائقًا أمام "مكافحة الطبيعة" التي أتى بها الح ش ص ومحاولته لـ"تغيير السماء والأرض". الثقافة العريقة تعلم أنّ الحياة البشرية غالية وتعلم أنّ "كلّ وضعية تكون فيها الحياة البشرية في الميزان يجب أن يتمّ تناولها بعناية واهتمام فائقيْن". هذه النظرة كانت بالطبع عائقًا أمام المجازر الجماعية للح ش ص وحكمه المرعب. وأخيرًا مقياس "الطاوو السماوي" الذي تعتمده الثقافة العريقة من شأنه أن يُعرقل ويقف حائلاً أمام تلاعب الح ش ص بالمبادئ الأخلاقية. لكلّ هذه الأسباب، قام الح ش ص بمناصبة العداء للثقافة العريقة بغاية الحفاظ على سلطته.

4- الثقافة العريقة تتحدّى شرعيّة حكم الح ش ص

الثقافة الموروثة تعتقد في الإله وفي حكم السماء. الرّضا بمشيئة السماء يعني أنّ الملوك يجب أن يكونوا حكماء، ويتّبعوا الطاوو، ويرضوْا بالقدر والمصير. الإيمان بالآلهة يعني ضمنيًا الاعتراف بأنّ سلطة البشر تنبع من السماء. على طرف النقيض من ذلك، نجد أنّ مبدأ سيادة الح ش ص يتلخّص في "لن تقيّدنا قيود التراث أبدًا بعد اليوم، انهضوا أيها العمّال، تحرّروا من العبودية. الأرض ستنبني على أسسٍ جديدةٍ ؛ نحن الآن لا شيئ ولكننا سنغدو كلّ شيءٍ". [27]

الح ش ص يروّج للمادية التاريخية، ويدّعي أنّ الشيوعية هي جنّة على الأرض، وأنّ طلائع البروليتاريا أو أعضاء الحزب الشيوعي هم من يقود خطانا على الطريق إلى هذه الجنّة. إذًا فالاعتقاد في الله كان تحدّيًا مباشرًا لشرعيّة حكم الح ش ص.

II. كيف يعرقل الحزب الشيوعي الثقافة الموروثة

كلّ ما يفعله الح ش ص له غاية سياسية. بهدف إرساء الطغيان والإبقاء عليه وتدعيمه، كان على الح ش ص أن يستبدل الطبيعة البشرية بطبيعة الحزب الفاسدة ويستبدل الثقافة الصينية الموروثة بثقافة الحزب، المصنوعة من "الكذب والقسوة والعنف". ما تمّ تدميره واستبداله هي الآثار الثقافية، المواقع التاريخية والكتب القديمة، والتي هي شواهد حيّة على الرؤية القديمة للأخلاق والحياة والعالم. كلّ نواحي الحياة نجدها هنا، بما في ذلك سلوك الناس، وتفكيرهم، وطريقة عيشهم. وفي خطّ موازٍ، نجد أنّ الح ش ص يعتبر التظاهرات الثقافية السطحية والتافهة "جوهرية"، وهو يرعاها ويضع

هذا "الجوهر" في الواجهة للتمويه. إنه يُبقي على شبه تراثٍ في نفس الوقت الذي يستبدل فيه التراث الحقيقي بثقافة الحزب. ثمّ يخدع الناس والرأي العام العالمي مُتخفّيًا وراء هذه الواجهة الكاذبة التي صنعها والتي يُسمّيها "تناقل وتطوير" الثقافة الصينية الموروثة.

1- تحطيم الديانات الثلاث في نفس الوقت

الثقافة الكلاسيكية متجذرة في الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية. فلتحطيم هذه الثقافة، بادر الح ش ص أوّلاً إلى تحطيم الكيان الذي فيه تتجلّى هذه القوانين الإلهية، ألا وهو الدين، وذلك يعني اجتثاث الديانات الثلاث الموجودة والقضاء عليها.

تعرّضت الديانات الثلاث الكبرى، الكونفوشيوسية، والبوذية، والطاوية، لخطر التدمير في فترات تاريخية مختلفة. لنأخذ مثلاً البوذية، والتي تعرّضت في التاريخ إلى أربع محنٍ كبرى تدعى :"الوو الثلاثة والتسونغ" (اضطهاد البوذيين على أيدي أربعة أباطرة صينيين). الامبراطور تايوو [28] من الأسرة المالكة واي التابعة للشمال (386 - 534 ق م) والامبراطور وو دزونغ من الأسرة المالكة التانغ (618 - 907 ق م) [29]، كلاهما حاول اقتلاع البوذية لإفساح المجال أمام الطاوية؛ الامبراطور "وو" [30] من مملكة "جو" الشمالية (557 - 581 ق م) حاول القضاء نهائيّا على البوذية والطاوية معًا، وفي المقابل كان يقدّس الكونفوشيوسية؛ الامبراطور شيجونغ [31] في نهاية فترة حكم الـ"جو" (951 - 960) حاول القضاء على البوذية فقط بهدف استعمال التماثيل لصكّ النقود، ولكنه لم يمسّ من الطاوية ولا الكونفوشيوسية.

الح ش ص هو النظام الوحيد الذي دمّر هذه الديانات الثلاث جميعها في آنٍ واحدٍ.

لم يمض وقت طويل على تأسّس حكومته، حتى كان الح ش ص قد بدأ في هدم المعابد، وفي حرق النصوص، وفي إرغام الرهبان والراهبات على الرجوع إلى الحياة الدنيوية. ولم يكن أرحم إزاء الأماكن الدينية الأخرى. في نهاية السنوات 1960، لم يعد هناك تقريبًا أماكن عبادة في الصين. إنّ الثورة الثقافية الكبرى ـ في حملتها "لتسقط الأشياء البالية الأربعة" [32] أي: الأفكار القديمة، الثقافة القديمة، التقاليد القديمة، والعادات القديمة ـ قد سبّبت أكبر الكوارث الدينية والثقافية.

مثلاً، أول معبد بوذي في الصين كان يُسمّى معبد الحصان الأبيض (معبد باي ما) [33]، كان قد بُني في بداية حكم سلالة الهان، خارج أسوار مدينة لوو يونغ. يحظى هذا المعبد بإجلال خاصّ نظرًا لكونه يُعتبر "مهد البوذية في الصين" و"بيت المُؤسّس". وطبعًا أثناء فترة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة"، لم يسلمْ معبد الحصان الأبيض هو أيضًا من النهب.

> "كانت هناك فرقة إنتاج مُكلّفة بمعبد الحصان الأبيض بجانب المعبد. لقد دفع سكرتير دائرة الحزب القرويين إلى نهب المعبد باسم "الثورة". فدُمّرت تماثيل الطين التي يعود عهدها إلى أكثر من 1.000 سنة، والمصنوعة في فترة حكم "اللياوو" والتي تمثل الأرهات الثمانية عشر، وأُحرقت مخطوطات بايي المقدسة، [34] وهي مخطوطات جلبها إلى الصين راهب هندي مشهور منذ 2000 سنة، وكُسِر حصان اليشب، وهو كنز نادر، وصار حطامًا. بعد مرور سنوات عديدة على وقوع ذلك، طلب الملك الكمبودي المنفي "نورودوم سيهانوك" الإذن لكي يذهب ويصلّي في معبد الحصان الأبيض. فسارع جو آنلاي، الذي كان آنذاك الوزير الأول، بإحضار نصوص سوطرا بايي المحفوظة في القصر الامبراطوري ببيكين ـ سارع بإحضارها إلى لوو يونغ، وبإحضار تماثيل الأرهات الثمانية عشر المصنوعة في عهد مملكة التشينغ ونقلها من مكانها في معبد الغيوم اللاّزوردية (معبد بيي وون) الواقع في منتزه سيانغ شان [35] بضواحي بيكين. وهكذا، وبواسطة هذه عمليّة الغشّ هذه، تمّ تجنّب مأزق ديبلوماسي." [36]

لقد بدأت الثورة الثقافية في مايو 1966. في الواقع، كانت "تُدخل الثورة" على الثقافة الصينية بشكل مدمّر. إنّ حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة" تأجّج سعيرها بداية من أغسطس 1966، واكتسحت الصين بأكملها اكتساحًا مدمّرًا. صارت المعابد البوذية، والطاوية، وتماثيل بوذا، والمواقع التاريخية، والمخطوطات والرسوم والأشياء العتيقة، باعتبارها أشياء تنتمي إلى "الإقطاعية، والرأسمالية، والتعديلية"، صارت هي بالأساس من يستهدفها الحرس الأحمر بالتدمير والتخريب. [37] خذ كمثال على ذلك تماثيل بوذا: نعدّ 1.000 تمثال من تماثيل بوذا ذات الألوان اللامعة والنقوش الناتئة على قمّة تلّ العمر المديد التابعة للقصر الصيفي [38] ببيكين. بعد حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة"، لحق الضرر بها كلها. ليس فيها تمثال واحد اليوم يملك أعضاءه الحسّية الخمسة كاملة.

والأمور التي حدثت في العاصمة حدث مثلها في البلاد كلها. حتّى المقاطعات النائية لم تسلمْ.

> هناك معبد التيانتاي يقع في مقاطعة داي من إقليم شانسي، تمّ بناؤه 1600 سنة إلى الوراء أثناء فترة تايي يان في عهد مملكة الواي بالشمال، وكان هذا المعبد يضمّ تماثيل ورسومًا جدارية قيّمة كثيرًا. ورغم أنه كان يقع على منحدر تلّ بعيد عن مقرّ المقاطعة، إلاّ أنّ الناس المشاركين في حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة" لم تُثنهم الصعوبات على الطريق المؤدّي للمعبد، وبدّدوا تلك التماثيل وتلك الرسوم الجدارية. هناك أيضًا معبد لوغوان [39] حيث درّس لاوو تسي وحيث ترك الطاوو تي كينغ الشهير منذ 2500 سنة، يقع في مقاطعة جوجي من إقليم شانسي. حول المكان الذي كان لاوو تسي يدرّس فيه، في محيط 10 لي، [40] نجد أكثر من 50 موقعًا تاريخيا، بما في ذلك معبد الحكيم (جونغشانغ غونغ) والذي شيده تانغ غاوو دزو لي يوان [41] تقديرًا وإجلالاً للاوو تسي، وذلك منذ 1300 سنة. معبد لوغوان ذاك، والمواقع التاريخية الأخرى وقع تدميرها، وكلّ الرهبان الطاويين اضطرّوا للرحيل. حسب ما جرت به العادة في الطاوية، إذا أصبح أحدهم راهبًا طاويًا، عليه ألاّ يحلق لحيته بعد ذلك ولا يقصّ شعره. ولكنهم أجبروا الرهبان الطاويين على قصّ شعورهم، وعلى خلع ثوبهم الطاوي، وعلى أن يصبحوا أفرادًا من عامة الشعب. [42] البعض منهم تزوّجوا أخوات القرويين في ذلك المكان وأصبحوا أصهارهم. في الأماكن الطاوية المقدّسة على جبل لاووشان في إقليم شاندونغ، معبد السلام الأعظم، معبد الضياء الساطع، معبد النور الأعظم، معبد دومو، دير هوايان، معبد نينغجان، معبد غوان يو "تماثيل المراكب القربانية والإلهية، مخطوطات السوطرا البوذية، الآثار الثقافية، وألواح المعابد، كلّها وقع نهبها وحرقها. معبد الأدبيات في مقاطعة جيلين هو

أحد المعابد الأربعة المشهورة لكونفوشيوس في الصين. أثناء حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة"، لحقت به أضرار جسيمة." [43]

2- أسلوب خاص في القضاء على الدين

كان لينين يقول: "أسهل طريقة لحصار قلعة هو أخذها من الداخل". بصفته سليل الماركسية-اللينينية، فإنّ الح ش ص يعي هذا جيّدًا.

في سوطرا الـ"ماهايانا ماهابارانيرفانا"، [44] تنبّأ البوذا ساكياموني بأنه بعد بلوغه النيرفانا، سوف ينزل الشياطين متجسدين في صورة رهبان وراهبات، وبوذيين لاييكيين، رجالاً ونساءًا، لكي يُفسدوا الشرع (الدهارما). طبعًا لا يمكننا أن نعرف تمامًا ما عناه البوذا ساكياموني بالضبط في كلامه ذاك، ولكن الح ش ص شرع فعلاً في تخريب البوذية عبر تكوين "جبهة موحّدة" برفقة بعض البوذيين. بل وحتّى أنهم أرسلوا سرّا أعضاء من الحزب لكي يندسّوا مباشرة داخل المؤسسة الدينية وينخروها من الداخل. أثناء حصّة مخصصة للنقد العام في عهد الثورة الثقافية، سأل أحدهم جاوو بوشو، نائب رئيس جمعية البوذيين الصينيين :"أنت عضو في الحزب الشيوعي، لماذا تعتقد في البوذية ؟"

لقد بلغ البوذا ساكياموني اليقظة الكاملة والعظمى عبر "زهد، تأمل، حكمة". إذًا فقبل أن يبلغ النيرفانا، أوصى طلاّبه بأن "يحافظوا على التعاليم ويحترموها". "لا تتركوها، لا تخرقوها". كما حذّر قائلاً : "الناس الذين يخالفون التعاليم منبوذون من جميع السماوات، والتنينات، والأشباح، والأرباب. صيتهم السيّء يمتدّ إلى كلّ مكان...وعندما تنتهي حياتهم، مآلهم الجحيم يسدّدون فيه الكارما التي سجّلوها، ونهايتهم محتومة. عندما يخرجون، يستمرّون في العذاب إذ يتجسدون في أشباح أو حيوانات جائعة. وهكذا يظلّون في دورة عذاب لا تنتهي وبلا راحة." [45]

الرهبان البوذيون السياسيون لم يشاؤوا الإصغاء إلى تحذيرات بوذا. في 1952، أرسل الح ش ص ممثلين عنه لحضور افتتاح جمعية البوذيين الصينيين. أثناء الاجتماع، بوذيون كثيرون من الجمعية اقترحوا إلغاء التعاليم البوذية، وادّعوْا أنّ هذه التعاليم قد سبّبت موت عدد كبير من الرجال الشبان والنساء الشابات. البعض كانوا يدعون إلى أنّ "الناس أحرار في اعتناق الديانة التي يشاؤون، أيّا كانت؛ وأنّ الرهبان والراهبات يجب أن يكونوا أحرار في أن يتزوّجوا إن أرادوا، وأن يشربوا الخمر ويأكلوا اللحم. ينبغي ألاّ يتدخل أحد في ذلك." في ذلك الوقت كان الشيخ سويون حاضرًا في الاجتماع، وعاين أنّ البوذية كانت مهدّدة بخطر الانقراض من الصين. فبادر بالتصدّي إلى هذه الاقتراحات، وطلب المحافظة على التعاليم البوذية وعلى اللباس البوذي. فوقع التشهير بالشيخ سويون وباتهامه بكونه "ضدّ-الثورة" وحُبس في حجرة رئيس الرهبان حيث حُرم من الطعام والشراب. ولم يتركوه يغادر الحجرة حتى للذهاب إلى دورة المياه. وأمروه بتسليم ذهبه، وماله، وماله من أسلحة، وعندما أجاب سويون أنه لا يملك هذه الأشياء، ضربوه بعنف، ووقع له كسر في الجمجمة، ونزف رأسه وكُسِرت أضلاعه. آنذاك كان سويون يبلغ من العمر 122 من العمر. ورمته الشرطة أرضًا في حين أنه كان يرقد على سرير. عندما رجعوا في الغد، وجدوه على قيد الحياة بعدُ، فاستمرّوا في ضربه بعنفٍ.

جمعية البوذيين الصينيين التي تأسست عام 1952، والجمعية الطاوية الصينية التي تأسست عام 1957، أعلنتا بوضوح في بيانهما التأسيسي أنهما "تحت راية حكومة الشعب"، في الواقع كانتا تحت سيطرة ومراقبة الحزب، الذي هو حزب مُلحد. هاتان الجمعيتان أشارتا إلى أنهما ستُسهمان بصفة فعّالة في صناعة وفي بناء وفي تطبيق السياسات الحكومية. لقد أصبحتا منظمتيْن دنيويّتيْن تمامًا. بينما البوذيون والطاويون الذين كانوا مخلصين للتعاليم لُقبوا بـ"أعداء الثورة"، وبـ"عناصر طائفية من طائفات الخرافة والجماعات السرّية". تحت الشعار الثوري القائل بـ"تطهير عقول البوذيين والطاويين"، حُبسوا، وحُكم عليهم بالأشغال الشاقة، بل وحتّى أعدِموا. الديانات القادمة من الغرب مثل المسيحية والكاثوليكية لم تسلمْ هي أيضًا.

> وفق إحصائيات مأخوذة من كتاب "كيف يضطهد الحزب الشيوعي الصيني المسيحيين"، المنشور سنة 1958، حتّى الوثائق القليلة التي وُضعت في متناول العموم تكشف أنه من بين الكهنة الذين اتّهموا بكونهم "أصحاب أملاك" أو "طغاة محليين"، 8.840 قُتِلوا، و39.200 أرسِلوا إلى مخيّمات الأشغال الشاقة. ومن بين الكهنة الذين اتّهِموا بكونهم أعداء الثورة 2.450 قُتِلوا و24.800 أرسِلوا إلى مخيّمات الأشغال الشاقة. [46]

الأديان هي وسيلة يبتعد بواسطتها الإنسان عن العالم الدنيوي ويتعهّد نفسه بالتربية الروحية. الأديان تتحدث عن "الضفة الأخرى" (ضفة اليقظة النهائية) و"الجنّة". ساكياموني كان أميرًا هنديّا. لبلوغ الموكتي [47]، وهي حالة يمكن للمرء فيها أن يبلغ طمأنينة النفس والحكمة واليقظة النهائية والنيرفانا [48]، تخلّى عن عرشه وذهب إلى الجبل والغابة للعبادة، مجتازًا محنًا وشدائد. قبل أن يبلغ يسوع اليقظة، حمله الشيطان على قمّة جبل، وأراه كل ممالك الأرض وبهاءها ومباهجها. وقال الشيطان: "إن رضخت وعبدتني، سأعطيك كل هذه الأشياء". ولكن يسوع لم ينغو. بينما الرهبان والقساوس السياسيون الذين شكلّوا جبهات موحّدة مع الح ش ص أعدّوا خدعًا وكذبوا عندما تحدثوا عن "بوذية العالم الدنيوي"، وعندما قالوا: "الدين حقّ، والاشتراكية أيضًا"، و"ليس هناك تناقض بين هذه الجهة والجهة الأخرى". لقد شجعوا البوذيين والطاويين على السعي وراء السعادة، والمجد، والأبّهة، والثروة، والمركز الاجتماعي، وعلى تغيير التعاليم الدينية ومدلولها.

البوذية تحرّم القتل؛ والح ش ص قتل الناس كالذباب أثناء "قمع أعداء الثورة" [49]. ووجد الرهبان السياسيون ذريعةً، وقالوا: "قتل أعداء الثورة إنما هو دليل على رحمة أكبر". أثناء "حرب صدّ هجوم الولايات المتحدة ومساعدة كوريا" (1950- 1953) [50]، تمّ إرسال الرهبان إلى الصفوف الأمامية ليقاتلوا.

لنأخذ المسيحية كمثال. في 1950، كوّن وو ياوتسونغ [51] كنيسة تسمّى "الاستقلاليات الثلاث" تتّبع مبادئ التسيير الذاتي، واستقلالية الموارد والدعاية الذاتية. كان يدّعي أنه سيتخلّص من الامبريالية وأنهم سيلتحقون فعلاً بصفوف الحرب ضدّ الولايات المتحدة في كوريا. أحد أصدقاءه سُجن لمدّة تفوق العشرين سنة لأنه رفض الخضوع لـ"الاستقلاليات الثلاث". هذا الصديق تعرّض لشتى أنواع التعذيب والإهانة. وقد سأل هذا الصديق وو ياوتسونغ مرّة: "ما رأيك في معجزات عيسى ؟" فأجاب وو: "أنا أنكر وجودها."

إنكار معجزات عيسى يعني إنكار جنّة عيسى ومملكته السماوية. كيف يمكن أن يسمّي الشخص نفسه مسيحيًا إذا كان لا يؤمن حتّى بوجود السماء التي صعد إليها عيسى ؟ ورغم ذلك، باعتباره مؤسّس كنيسة "الاستقلاليات الثلاث"، أصبح وو ياوتسونغ عضوًا في اللجنة الدائمة للندوة الاستشارية السياسية. عندما ذهب إلى قاعة الشعب الكبرى [52]، حدث أن نسي تمامًا عبارات عيسى: "أحبّ الربّ إلهك بكل مجامع قلبك وروحك وعقلك. هذه أوّل وصيّة وأعظم وصيّة". (التوراة المقدسة، ماثيو22 : 37 - 38) "أعطوا للقيصر ما للقيصر وللربّ ما للربّ" (التوراة المقدسة، ماثيو22 : 21).

> لقد "صادر [الح ش ص] ممتلكات المعابد، وأجبر الرهبان والراهبات على دراسة الماركسية ـ اللينينية ليغسل أدمغتهم؛ وأجبرهم حتّى على القيام بالأشغال الشاقة. مثلاً، كانت هناك "ورشة بوذية" بنيتغهه، في مقاطعة جيدجيانغ، أكثر من 25.000 راهب وراهبة وُضعوا فيها قيد العمل الإجباري. والأمر العديم المعنى أكثر هو أنّ الح ش ص أجبر الرهبان والراهبات على الزواج لكي يقضي على البوذية. مثال آخر ـ في سنة 1951، قبيل حلول 8 مارس، وهو اليوم العالمي للمرأة، أصدرت الجمعية النسائية بشانغشا في مقاطعة هونان أمرًا لراهبات تلك المقاطعة بأن يتزوّجن في ظرف أيام قليلة. وبالإضافة إلى ذلك تمّ إجبار الرهبان الشبان الأقوياء على الالتحاق بالجيش وأرسلوهم إلى ساحات القتال ليكونوا طعامًا للمدافع [53].

مختلف الجماعات الدينية في الصين تفكّكت وتلاشت تحت القمع الوحشي للح ش ص. النخبة الحقيقية سواءً في البوذية أو الطاوية، كلاهما اضطُهدت. من بين أولئك الذين بقوا، كثير هم الذين عادوا إلى الحياة الدنيوية، وآخرون كثيرون كانوا في الحقيقة أعضاء من الحزب الشيوعي قد تخصّصوا في التنكّر تحت العباءة (الكازايا) [54]، أو الثوب الطاوي أو ثوب القسّيس ليشوّهوا النصوص البوذية والتعاليم الطاوية والتوراة ويبحثوا داخل هذه التعاليم عن ذرائع ومبرّرات للحملات السياسية للح ش ص.

3- تخريب الآثار الثقافية

تدمير المواقع الثقافية هو قسط هامّ من العمل التخريبي الذي مارسه الح ش ص على الثقافة والتراث. أثناء حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة"، كثير من الكتب والمخطوطات والرسوم الأصلية والفريدة والتي جمعها مثقفون التهمتها ألسنة اللهب أو حُوّلت إلى عجين ورق. كان جانغ بوجون [55] يملك مجموعة عائلية تحتوي على 10.000 كتاب. قوّاد الحرس الأحمر أشعلوها وتدفّؤا عليها. وما بقي أرسِل إلى طواحين الورق ليُصنع منه عجين ورق.

> "يُعرف الخطاط والرسام الكبير هونغ كيوشانغ باسم "سيّد المعجزات" فيما يخصّ المخطوطات والرسوم القديمة. لقد جمع عددًا لا يُحصى من الإبداعات الفنية، مثل رسم مشهد طبيعي للامبراطور سونغ خويدزونغ [56]، رسم عود من القصب لسو دونغبو [57]، ورسوم وانغ جانغمينغ [58] وتانغ بوهو [59]. طيلة عدة عشريّات، مئات المخطوطات والرسوم التي أنقذها، معظمها أصبحت مجموعة وطنيّة من الصنف الأول. المخطوطات والرسوم التي جمعها [هونغ كيوشانغ] بجهد وعناء، اعتُبِر أنها تنتمي لـ"الأشياء البالية الأربعة" وأحرقت. بعد ذلك، قال السيد هونغ وهو يبكي: "أكثر من 100 جين [60] (50 كيلوغرام) من المخطوطات والرسوم؛ لقد استغرقتْ وقتًا لكي تحترق !" [61]

"أشياء هذا العالم تمضي وتأتي،

قديمة، حديثة، تمضي وتأتي،

الأنهار والجبال لها مجد دائم،

نستطيع دائمًا أن نراها من هذا الطريق..." [62]

إن كان الصينيون اليوم يتذكّرون بعض الأجزاء من تاريخهم، فربما لن يُحسوا بنفس الشيء عندما يقرأون هذه القصيدة لمانغ هاووران. المواقع التاريخية في الجبل وعلى ضفاف النهر الشهير قد دُمّرت، واختفت في خضمّ حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة". لا فقط دمّروا "جناح خُصى الذئب (نوع من النباتات)"، حيث كتب وانغ سيجي [63] مقدّمته الشهيرة: "مقدّمة لمجموعة القصائد المنظومة في جناح خصى الذئب" [64]، بل قبر وانغ سيجي نفسه وقع نبشُه. المسكن القديم لبُوو شانآن [65] في مقاطعة جيانغسو دُمّر هو أيضًا، كما وقع اجتياح مبنى وو دجينغتسي [66] في مقاطعة آنهوي، اللوحة الحجرية التي كان مكتوبًا عليها "جناح الرجل العجوز الثمل" [67] والتي كتبها سو دونغو كُتِب عليها بدلاً من ذلك "الشباب الثوريون" [68] والحروف المحفورة أصلاً في الحجر مُحِيَتْ.

إنّ جوهر الثقافة الصينية قد تمّ تناقله وتجمّع منذ آلاف السنين. وإذ دُمّر، لا يمكن إعادته للحياة من جديد. ولكن الح ش ص، وباسم "الثورة"، بدّده بوحشية، ودون أسفٍ ولا حياءٍ. عندما كنّا ننتحب قبالة القصر الصيفي القديم، المعروف باسم "قصر القصور"، والذي أحرقته قوات الحلفاء البريطانية- الفرنسية، و نأسفُ على موسوعة يونغل [69]، ذلك العمل العظيم الذي دمّرته نيران حروب الغزاة، كيف كان يمكن أن نتصوّر أنّ الدّمار الذي سيسبّبه الح ش ص سيكون أكثر شمولاً وأكثر قسوةً وأكثر عمقًا ممّا خلّفه أيّ غاز من الغزاة ؟

4- تدمير المعتقدات الروحية

لم يكتف الح ش ص بتدمير أشكال الدين والثقافة، بل استعمل أيضًا كلّ ما بوسعه لكي يقضي على الهويّة الروحية للناس، والتي قوامها العقيدة والثقافة.

ولنأخذ كمثال الطريقة التي عامل بها الح ش ص معتقدات الجماعات العرقية. كان الح ش ص يعتبر عادات جماعة المسلمين "خوي" أنها تنتمي للـ"أشياء البالية الأربعة" ـ تفكير قديم، ثقافة قديمة، عادات قديمة، وتقاليد قديمة. فكان منه أن أكره جماعة خوي على أكل لحم الخنزير ـ كان على الفلاّحين المسلمين والمساجد أن يربّوا الخنزير وكلّ أسرة كان عليها أن تهدي خنزيرين في السنة للدولة. أثناء حادثة قاسية جدّا، أجبر الحرس الأحمر البوذا التيبتي الحي الثاني في الترتيب، البانشان لاما، على أكل فضلات بشرية (غائط)، كما أجبروا ثلاثة رهبان من المعبد البوذي بهاربين في مقاطعة هايلونغجيانغ على أن يمسكوا بلافتة كُتب عليها "لتذهب السوطرا إلى الجحيم، ليست سوى كوم قاذورات".

في 1971، هرب لين بياو [70]، نائب رئيس اللجنة المركزية للح ش ص، من الصين، ولكنه قُتل عندما تحطمت طائرته في أوندورخان بمنغوليا. إثر هذه الحادثة، تمّ العثور في مسكن ماوو جياوان في لين ببيكين على أقوال ومأثورات لكونفوشيوس. فأطلق الح ش ص حملة عنيفة لـ"انتقاد لين بياو". هناك كاتب ينتحل اسم ليانغ سياوو [71] قد نشر في "الراية الحمراء" ـ المجلة الناطقة باسم الح ش ص ـ مقالاً تحت عنوان "من هو كونفوشيوس ؟"، كان المقال يصف كونفوشيوس على أنه مجنون يريد الرجوع إلى الوراء، ديماغوجيّ، فاسد ومحتال. ثم تلت ذلك مجموعة من الرسوم المصوّرة والأغاني التي تطعن في كونفوشيوس.

هكذا إذًا كيف تمّ القضاء على هيبة الثقافة وقداسة الدين.

5- تدمير بلا حدود

في الصين القديمة، كانت سلطة الحكومة المركزية تمتدّ إلى حدود المقاطعات، وتحت ذلك المستوى كانت العشائر تتمتع بتسيير ذاتي وسيادة ذاتية. وهكذا في تاريخ الصين، ظواهر مثل حرق الكتب ودفن العلماء الكونفوشيوسيين على يد الامبراطور تشين شي هوانغ [72] في مملكة تشين (207 ـ 221) والحملات الأربع للقضاء على البوذية ما بين القرن الخامس والقرن العاشر على يد "الوو الثلاثة والتسونغ"، كلّها ظواهر قد سُلّطت من فوق ولم تقدر على اجتثاث الثقافة. وبقي التراث الكلاسيكي والأفكار البوذية والكونفوشيوسية حيّة في دوائر واسعة من المجتمع. بينما حملة "لتسقط الأشياء البالية الأربعة" والتي قادها شباب من الطلبة بتحريض من الح ش ص، كانت حركة وطنية وشعبية يقودها "حماس تلقائيّ". إنّ انتشار الح ش ص وامتداده في كلّ قرية عبر لجان للحزب على مستوى القرى، قد أحكم الخناق على المجتمع إلى درجة أنّ الحركة "الثورية" انتشرت وامتدّت إلى كلّ أوقية أرض في الصين، ولحق أثرها بكلّ شخص هناك، ولم يُفلْ شيء دون انتشارها ذاك.

لم يحاول أيّ امبراطور في التاريخ أن يجتثّ من نفوس الناس ما يعتبرونه أجمل شيءٍ وأقدس شيءٍ، مستعملاً العنف وحملة مُهينة مثلما فعل ذلك الح ش ص. إنّ القضاء على العقيدة يستطيع أن يدوم أكثر ويسبّب كوارث أكثر من التدمير المادّي فحسب.

6- إصلاح المثقفين

الحروف الصينية تجسّد خلاصة الـ5000 سنة من الحضارة. إنّ شكل وطريقة نطق كلّ حرف، والتعابير والإيحاءات الأدبية الناشئة عن اجتماعها، تنطوي كلها على دلالات ثقافية عميقة. لا فقط بسّط الح ش ص الحروف الصينية، بل حاول أيضًا أن يعوّضها بـ"بينيين" على شكل أبجدية، من شأنه أن يُفرغ الحروف الصينية واللغة الصينية من كلّ إرث ثقافي. غير أنّ خطة التعويض هذه باءت بالفشل ـ من حسن حظ اللغة الصينية. ولكن المثقفين الصينيين الذين يتقاسمون نفس الإرث لم يُسعفهم الحظ للهروب من الدمار.

قبل 1949، كانت الصين تعدّ تقريبًا مليونيْ مثقف. ورغم أنّ الكثير منهم قد درس في الغرب، إلاّ أنّ هذا لا يمنع أنهم ورثوا بعض الأفكار الكونفوشيوسية. لم يشأ الح ش ص الكفّ عن مراقبة المثقفين، لأنهم بصفتهم عناصر من الطبقة التقليدية للـ"الارستقراطية المثقفة"، فإنّ طريقة تفكيرهم كانت تلعب دورًا مهمّا في تكييف عقول الناس.

في سبتمبر 1951، أطلق الح ش ص "حركة إصلاح الأفكار" على نطاق واسع، وقد بدأ حملته وسط المدرّسين الجامعيين، مدرّسي المعاهد، والمدارس الابتدائية، وطلبة الجامعات" لكي يسردوا سيرتهم الذاتية سردًا وفيًا وبكلّ نزاهة، وذلك ليطهّر نفوسهم وأرواحهم من كلّ العناصر المعادية للثورة. [73]

لم يُحبّ ماوو تسي تونغ أبدًا المثقفين. لقد قال يومًا: "المثقفون يجب أن يعوا حقيقة، وهي أنّ الكثير من المثقفين المزعومين هم، نسبيًا، جاهلون تمامًا، بينما العملة والفلاّحون يعرفون أحيانًا أكثر منهم." [74] "مقارنة مع العملة والفلاّحين، فإنّ المثقفين الذين لم يقع إصلاحهم ليسوا نظيفين، وفي النهاية العملة والفلاّحون هم الأنظف، رغم أنّ أيديهم متّسخة وأقدامهم قد علق بها روث البقر." [75]

بدأ اضطهاد الح ش ص للمثقفين بمختلف أشكال الاتهامات، بداية من انتقاد وو سون [76] في 1951 لكونه "سيّر المدارس معتمدًا على مالٍ تسوّله"، وصولاً إلى تهجّم ماوو تسي تونغ تهجّمًا شخصيًا على الأديب هو فانغ [77] المُتهم بكونه مُعادٍ للثورة. في البداية، لم يكن المثقفون يُلقبون بـ"رجعيين"، ولكن انطلاقًا من 1957، وبعد أن استسلم عدد كبير من المجموعات الدينية الكبيرة نتيجة لحركة "الجبهة الموحّدة"، تمكّن الح ش ص من تركيز طاقته وصبّ اهتمامه على المثقفين. وهكذا أُطلقت حركة "ضدّ اليمينيين".

مع نهاية فبراير 1957، زعم الح ش ص أنه سيترك "مائة زهرة تتفتّحُ ومائة مدرسة فكرية تتجابهُ" ودعى المثقفين إلى الإدلاء باقتراحاتهم وانتقاداتهم للحزب، واعدًا إياهم بأنه لن ينتقم. فظنّ المثقفون الذين كانوا منذ فترة طويلة مستائين من الحزب بسبب طريقة تسييره لكلّ شيءٍ في كلّ ميدان، حتّى لو لم يكن يفهمُ شيئًا في ذلك الميدان، وبسبب تقتيله للناس الأبرياء أثناء حركتيْ "قمع أعداء الثورة" ما بين 1950 و 1953، و"تصفية أعداء الثورة" ما بين 1955 و 1957 ـ ظنوا أنّ الح ش ص قد أصبح أخيرًا منفتحًا ومتسامحًا. فشرعوا في التعبير عن مشاعرهم الحقيقية واحتدّت لهجة انتقاداتهم شيئًا فشيئًا.

حتى بعد سنين كثيرة، ظلّ الكثير من الناس يعتقدون أنّ ماوو تسي تونغ لم يبدأ في مهاجمة المثقفين إلاّ عندما نفد صبره من انتقاداتهم اللاذعة شيئًا فشيئًا. في الحقيقة الأمر غير ذلك.

في 15 مايو 1957، نشر ماوو تسي تونغ مقالاً بعنوان "الأمور بدأت تتغيّر" ووزّعه على أعضاء الح ش ص القدماء. فيما يلي بعض ما ورد في المقال: "في الآونة الأخيرة، بدا اليمينيون [...] أكثر عزمًا وأكثر عنفًا [...]، إنّ اليمينيين ـ والذين هم أعداء للشيوعية، يحاولون بيأس أن يوقظوا إعصارًا بقوّة في الصين [...] ويريدون القضاء على الحزب الشيوعي تمامًا." [78] وإثر ذلك، الموظفون الذين لم يولوا أهمّية لحملة "ترك مائة زهرة تتفتّحْ ومائة مدرسة فكرية تتجابهْ" أصبحوا فجأةً متحمّسين و"جادّين". ابنة جانغ بوجون تحدّثت عن ذلك في مذكراتها "الماضي لا يتلاشى مثل الدخان":

> "لي وايهان، وزير قسم الشغل في الجبهة الموحّدة، اتصل بجانغ بوجون شخصيًا يدعوه إلى لقاء إصلاحيّ ليعطي رأيه في الح ش ص. أجلسوا جانغ على أريكة في الصفّ الأول. جانغ لم يكن يعلم أنه شِرك، وعبّر عن انتقاداته. طوال اللقاء، كان لي وايهان يبدو مرتاحًا. ربّما فكّر جانغ أنّ لي كان يؤيّد أقواله. لم يكن يعلم أنّ لي كان مسرورًا برؤية الفريسة تقع في المصيدة". بعد الاجتماع لُقّب جانغ باليمينيّ رقم واحد في الصين".

بوسعنا أن نستعرض بداية من سنة 1957 قائمة من التواريخ التي قدّم فيها المثقفون اقتراحات أو خطابات باسطين فيها انتقاداتهم ووجهات نظرهم: في 21 مايو "معهد التصميم السياسي" لجانغ بوجون؛ في 22 مايو "آراء معادية للسوفيات: آراء عديمة المعنى" للونغ يون؛ في 22 مايو أيضًا "لجنة التقويم" للو لونغجي؛ في 31 مايو "ينبغي أن يكفّ الحزب عن تسيير الفنون" لوو تسوغوانغ، وفي غرّة يونيو "الحزب يسيطر على العالم" لشو آنبينغ. كلّ هذه الاقتراحات والخطابات تمّت الدعوة إليها وتقديمها بعد أن كان الجزار ماوو تسي تونغ قد بدأ في شحذ سكّينه بعدُ.

ومثلما كان مُتوقّعًا، كلّ هؤلاء المثقفين لُقّبوا فيما بعدُ بيمينيّين. كان هناك أكثر من 550.000 يمينيًا في كامل البلاد.

إنّ التقاليد الصينية تنصّ على أنّ العلماء "يتمّ قتلهم ولكن ليس إذلالهم". ولكنّ الح ش ص نجح في إلحاق أكبر وأشدّ الإذلال بالمثقفين إذ حرمهم من حقّ الحياة إلاّ إذا قبلوا الذلّ. وحتّى عائلاتهم لم تسلم من ذلك. عديد المثقفين استسلموا وعديدٌ منهم وشوْا بمثقفين آخرين لكي ينجوا بحياتهم. أولئك الذين لم يرضخوا للإذلال قُتِلوا ـ وكانوا عبرةً لإرهاب غيرهم من المثقفين.

وهكذا تفكّكت تلك الطبقة التقليدية، "طبقة العلماء"، والذين هم أسوة في الفضيلة في المجتمع.

> لقد قال ماوو تسي تونغ: "ما تباهى الامبراطور تشين شي هوانغ بفعله هو لا شيء. إنه لم يقتل سوى 460 عالمًا كونفوشيوسيًا، أمّا نحن فقد قتلنا 46.000 مثقفًا. بقمعنا لأعداء الثورة، ألم نقتل كذلك أعداء الثورة من المثقفين ؟ لقد دافعت عن نفسي أمام أنصار الديموقراطية الذين كانوا يتّهموننا بالتصرّف مثل الامبراطور تشين شي هوانغ، وقلت لهم أنهم كانوا مُخطئين. لقد تجاوزنا الامبراطور تشين شي هوانغ بمائة مرّةٍ." [79]

بالفعل، لقد فعل ماوو تسي تونغ فعلاً أشدّ من قتل المثقفين، لقد دمّر أرواحهم وقلوبهم.

7- خلق ظاهر ثقافة مع الحفاظ على شبه تراث واستبدال محتواه

بعدما تبنّى الح ش ص الإصلاح الاقتصادي وسياسة انفتاح، قام بتجديد عديد الكنائس والمعابد البوذية والطاوية. كما نظم الكثير من الحفلات في المعابد بالصين وحفلاتٍ ثقافية خارج حدود البلاد. وكان هذا هو المجهود الأخير الذي بذله الح ش ص لكي يستغلّ البقية الباقية من الثقافة الموروثة ويحطمها. كان وراء تصرّف الح ش ص هذا دافعان: من جهةٍ الطيبة الموجودة أصلاً في الطبيعة البشرية والتي لم يستطع الح ش ص أن يجتثّها ـ كانت ربّما ستؤدّي إلى القضاء على "ثقافة الحزب". ومن جهةٍ أخرى، كان لدى الح ش ص النيّة أن يستعمل الثقافة الأصيلة كقناعٍ برّاقٍ يتستّر وراءه ويُخفي طبيعته الشرّيرة الفاسدة المكوّنة من الخداع والقسوة والعنف".

إنّ جوهر الثقافة يكمن في مدلولها الأخلاقي العميق، بينما الأشكال السطحية لا تصلح سوى للتسلية. لقد جدّد الح ش ص بناء العناصر السطحية للثقافة، العناصر المُسلّية، لكي يُخفي غايته المتمثلة في تدمير الأخلاقيات. لا يهمّ كم نظم الح ش ص من معارض فنية، ومعارض في فنّ الخط، وكم قدّم من مهرجانات ثقافية مع تنينات ومع رقصة الأسود، وكم نظم من مهرجانات خاصّة بفنّ الطبخ، وكم شيّد من أعمال معمارية كلاسيكية، مع كلّ هذا لم يُجدّد الح ش ص سوى المظهر الخارجي للثقافة، لا جوهرها. أثناء الوقت نفسه، قام الحزب بدعاية لمقالاته الثقافية داخل الصين وخارجها، بغاية الحفاظ على سلطته السياسية.

فلنأخذ مرّةً أخرى مثال المعابد. المعابد هي أماكن يتعهّد فيها الناس أنفسهم بالتربية الروحية. داخل المعبد، بوسعنا أن نسمع الأجراس في الصباح وقرع الطبول مع مغيب الشمس، بوسعنا أن نقوم بشعائر العبادة قبالة بوذا على ضوء مصابيح الزيت. والناس يمكنهم أن يذهبوا هناك ويعترفوا بذنوبهم ويُصغوا إلى القداس الدينية. لكي يتعهّد الإنسان نفسه بالعبادة، يجب أن يكون لديه قلب نقيّ وخالٍ من التعلّقات. للاعتراف بالذنوب وتقديس البوذا، يجب أن يكون هناك أيضًا محيط فيه خشوع وهيبة. ولكنّ هذه المعابد حُوّلت إلى أماكن سياحية تدرّ المال. من بين الناس الذين يزورون المعابد في الصين اليوم، كم من بينهم يأتون ليتفكّروا في خطاياهم بقلب صادق وطافح بالتقديس لبوذا بعد أن يكونوا أخذوا حمّامًا وغيّروا ثيابهم ؟ تجديد المظهر الخارجي للثقافة الموروثة وفي نفس الوقت القضاء على دلالتها العميقة، كانت تلك هي الاستراتيجية التي تبنّاها الح ش ص لكي يُدخل الاضطراب على نفوس الناس. وهكذا، سواءًا كانت البوذية أو الأديان الأخرى أو الأنماط الثقافية المشتقّة منها، فإنّ الح ش ص يُفسدها وينحطّ بها عمدًا.

III. ثقافة الحزب

في نفس الوقت الذي كان فيه الح ش ص يُحطّم الثقافة نصف الإلهية الموروثة، كان أيضًا يضع، وببرود دمٍ أسس ثقافته هو – "ثقافة الحزب" – وذلك عبر سلسلة من الحركات السياسية المتعاقبة. لقد غيّرت ثقافة الحزب جيل الكهول، وسمّمت جيل الشباب، وكان لها تأثير حتّى على الأطفال. لقد كان تأثيرها شاملاً وعميقًا للغاية. وحتّى أثناء عديد المحاولات لكشف هذه الكارثة المتمثلة في الح ش ص، لا أحد استطاع أن يمتنع عن تبنّي تقييم الح ش ص للأشياء، ومقياسه في التمييز بين الحق والباطل، وتحليل الح ش ص للأمور، وقاموس الألفاظ الذي وضعه ـ كلّ هذه الأشياء التي تحمل طابع الح ش ص.

لا فقط ورثت ثقافة الحزب الشرّ الموجود في الثقافة الماركسية ـ اللينينية التي وُلدت في الخارج، ولكنها أيضًا جمعت بمهارة كلّ العناصر الخبيثة الموجودة في الثقافة الصينية منذ آلاف السنين إلى جانب الثورة العنيفة وفلسفة الصراع التي ترجّح لها دعاية الح ش ص، هذه العناصر السيئة تشمل الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الملكية على السلطة، تكوين زُمَر وعُصَبٍ لخدمة مصالح ومآرب ذاتية، اللجوء للخدعة السياسية لتعذيب الناس، الاستراتيجيات غير النزيهة، والدسيسة. أثناء العشريّات الماضية، صارع الح ش ص من أجل البقاء، وأثناء هذا الصراع تنامت خصوصيّاته البارزة (الخداع، القسوة، العنف) وتغذّت وتمّ نقلها وتوارثها.

إنّ الاستبداد والديكتاتورية هما طبيعة ثقافة الحزب. هذه الثقافة تخدم الحزب في صراعاته السياسية وصراعاته الطبقية. بوسعنا أن نفهم كيف أنّ ذلك يكوّن البيئة "البشرية" للحزب المكوّنة من الرعب والاستبداد، وذلك من أربع جوانب:

1- جانب السيطرة والتحكّم

أ) ثقافة عزل

إنّ ثقافة الحزب الشيوعي هي كيان احتكاريّ معزول دون حرّية فكر، ولا حرّية تعبير، ولا حرّية تجمّع، ولا حرّية عقيدة. إنّ آليّة السيطرة عند الحزب شبيهة بنظام هيدرولي يعتمد على الضغط القوي وعلى العزل، لكي يحافظ على حالة السيطرة. هنا حتّى ثقبٌ صغيرٌ يمكن أن يسبّب انهيار كامل النظام. مثلاً رفض الحزب الحوار مع الطلبة أثناء الحركة الطلابية في 4 يونيو [80]، خوفًا منه أنه إن تواصل هذا التسرّب، فإنّ كلاً من العمّال، والفلاّحين، والمثقفين، والجيش، سيطالب بالحوار هو أيضًا. وبالتالي تكون الصين بذلك قد اتّجهت أخيرًا إلى الديموقراطية، وتكون ديكتاتورية الحزب الواحد قد هُزمت. إذًا فقد فضّل أن يرتكب جرائم على يستجيب لرغبة الطلبة. اليوم يستعمل الح ش ص عشرات الآلاف من "شرطة الانترنت" لكي يراقب الانترنت ويغلق مباشرة كلّ مواقع الواب الأجنبية التي لا يحبّها.

ب) ثقافة رعب

أثناء الـ55 سنة الماضية، استعمل الح ش ص الرّعب لكي يقمع فكر الشعب الصيني. لقد لوّحوا بسياطهم وأشهروا سكاكينهم ـ سكاكين الجزّار ـ، كان الناس لا يعلمون أبدًا متى يمكن أن تحلّ عليهم المصائب والرزايا من حيث لا يدرون ـ ليرغموا الشعب على الإذعان لسيطرتهم. وأصبح الشعب المُقيم في الخوف مُطيعًا. أنصار الديموقراطية، والمفكّرون الأحرار المستقلّون، والمشكّكون في نظام الح ش ص، وأفراد مختلف الجماعات الروحية، أصبحوا كلهم هدفًا للتقتيل، بحيث يتنبّه الشعب ويكون دائمًا على أهبة ومتيقظًا. يريد الحزب أن يقتل كلّ معارضة قبل أن تولد.

ج) ثقافة شبكات السيطرة

إنّ سيطرة الح ش ص على الشعب هي سيطرة شاملة. يوجد هناك دفتر لتعيين المحلاّت والبيوت، ونظام لجان متساكني الأحياء، ومختلف مستويات لجان الحزب. "إنّ دوائر الحزب موجودة حتّى على مستوى المؤسّسات"، "كلّ قرية تتبع دائرة معيّنة من دوائر الحزب". الحزب وأعضاء رابطة الشبيبة الشيوعية لديهم أنشطة منتظمة. إلى جانب ذلك، يدعو الحزب إلى مجموعة شعاراتٍ منها:"احرس باب بيتك وراقب شعبك"؛ "امنع شعبك من المطالبة ورفع الدعوى"؛ "ضع بكلّ قوّة نظامًا لفرض أشغال، واضمن القيام بهذه الأشغال، ووزّع المسؤوليات. راقب وسيطر بصرامة. كن جدّيًا فيما يخصّ الانضباط والقوانين، واتّخذ تدابير سيطرة ووقاية وصيانة 24س/24س"؛ "المكتب 610 [81] سيشكّل لجنة مراقبة تتفقّدُ وتراقبُ أنشطة وحدات الشغل في كلّ منطقة وذلك على فترات غير منتظمة".

د) ثقافة تجريم

تجاهل الح ش ص تمامًا المبادئ التشريعية للمجتمعات العصرية، ودعا بكلّ ما أوتي من جهد إلى سياسة توريط وإشراك. لقد استعمل حكمه المطلق ليعاقب أهالي وأقارب من وصمهم بـ"مالكي أراضي"، و"أثرياء"، و"رجعيّين"، و"عناصر سيّئة" و"يمينيّين". واقترح نظرية "أصل الطبقات". [82]

"اليوم، سيفرض الحـ ش ص المسؤولية على المسيّرين وصولاً إلى أسفل درجة من السلّم وسيوبّخهم علنًا إن هم فشلوا في دورهم المتمثل في اتّخاذ الإجراءات اللازمة لمنع ممارسي الفالون غونغ من الذهاب إلى بيكين وبثّ البلبلة هناك. بالنسبة للحالات الأكثر خطورة، يتمّ تسليط عقوبات عليهم". "عندما يمارس أحد الأشخاص فالون غونغ، فإنّ كلّ فردٍ من أفراد أسرته يقع طرده من العمل". "عندما يمارس أحد العاملين أو الموظفين فالون غونغ، فإنّ بقية العاملين أو الموظفين في مؤسّسة عمله يُحرمون من المنحة". أعلن الحـ ش ص أيضًا عن سياسة تمييز حيال أبناء أولئك الذين "يمكن أن يتمّ تغييرهم وأدلجتهم"، وأولئك المنتمين إلى "الطبقات السوداء الخمس" (أصحاب الأراضي، الفلاّحون الأثرياء، الرجعيّون، العناصر السيّئة، واليمينيّون). ما يضعه الحزب في طليعة أولويّاته هو الامتثال للحزب و"الاستقامة قبل الإخلاص للأسرة". أنظمة مثل نظام أرشيف الأعوان والأرشيف البنيويّ، مثله مثل إعادة التعيين المؤقّت، كلّها قد وُضعت لضمان تفعيل سياسته. يتمّ تشجيع الشعب على اتهام بعضه البعض وعلى الوشاية بالآخرين، وتتمّ مكافأته على مساهماته في خدمة الحزب.

2- مظاهر الدعاية

أ) ثقافة الرأي الواحد

أثناء الثورة الثقافية، كانت الصين ملأى بشعارات مثل "التعليمات العليا"، "جملة من جُمل ماوو تزن مقدار 10.000 جملة، كلّ منها حقيقة". واضطرّت كلّ وسائل الإعلام لإنشاد محاسن الحزب وللوقوف معًا جميعًا لمناصرته وتأييده. وعندما يقتضي الأمر كان مسيّرو كلّ مستوىً من مستويات الحزب، أو الحكومة، أو الجيش، أو العمّال، أو رابطة الشباب، أو المنظمات النسائية، كان على كلّ منها أن تعبّر عن تأييدها ومناصرتها.

ب) ثقافة نشر العنف

قال ماوو تسي تونغ: "مع 800 مائة مليون بشر، كيف يمكن أن تسير الأمور دون صراع ؟" أثناء اضطهاد الفالون غونغ، قال دجيانغ زمين: "من يضرب ممارس فالون غونغ إلى حدّ الموت، لا يُعاقَبُ". كان الحـ ش ص يدعو إلى "الحرب الكلّية"، وإلى "القنبلة الذريّة ليست نمرًا من ورق [...] حتّى وإن مات نصف الشعب فإنّ النصف الآخر كفيل بإعادة بناء بلدنا".

ج) ثقافة تحريض على الكراهية

"لا تنسَ عذاب الطبقات الفقيرة وتذكّر جيّدًا وسط الدموع ووسط الدم". أصبحت هذه العبارة سياسة قوميّة أساسيّة. كانت القسوة تجاه الأعداء الطبقيين تُعتبَرُ فضيلة. وعلّم الحـ ش ص الناس ما يلي: "عضّ على كراهيّتك، وامضغها وابتلعها. واغرس هذه الكراهيّة في قلبك لتورق وتُثمر". [83]

د) ثقافة خداع وكذب

فيما يلي بعض الأمثلة عن أكاذيب الحـ ش ص: "الإنتاج في المو [84] الواحد يفوق عشرة آلاف دجين" أثناء "القفزة الكبرى نحو الأمام" في 1958. "لم يُقتل أيّ شخص على ساحة تيانانمن" في مجزرة 4 حزيران 1989. "نحن نسيطر على فيروس السراس" في 2003. "نشهد حاليًا أفضل فترة فيما يخصّ حقوق الإنسان في الصين". و"نظريّة التمثيلات الثلاث". [85]

هـ) ثقافة غسل دماغيّ

فيما يلي بعض الشعارات التي صنعها الحـ ش ص ليغسل دماغ شعبه: "لم تكن لتكون صينٌ جديدةٌ لولا الحزب الشيوعي". "ذخيرة قلوبنا في نضالنا من أجل أهدافنا السامية هو الحـ ش ص، والأساس النظري الذي يقود تفكيرنا هو الماركسية-اللينينية". [86] "اصطفّوا في صفّ اللجنة المركزية للحزب". "نفّذوا أوامر الحزب إذا فهمتموها. إذا لم تفهموها، نفّذوها أيضًا، سيتعمّق فهمكم أثناء التنفيذ".

و) ثقافة تملّق

"السماء والأرض واسعتان ولكنّ رحمة الحـ ش ص أوسع منهما"؛ "نحن مدينون للحزب بكلّ نجاحاتنا"؛ "الحزب بمثابة أمّي"؛ "حياتي فِدًى للجنة المركزية للحزب"؛ "حزب عظيم، مجيد ومستقيم"؛ "حزبٌ لا يُقهَرُ"؛ الخ

ز) ثقافة ادّعاءٍ

لقد وضع الحزب صيغًا وموديلاتٍ، ووضع نماذج الواحد تلو الآخر، وأطلق مفهوم "التطوّر الاشتراكي، والايديولوجي، والأخلاقي" وحملات "تربية ايديولوجية". وفي النهاية واصل الشعب بكلّ حملةٍ من هذه الحملات على ذاك المنوال، أي تمامًا بنفس الشكل الذي أقيمت به في الماضي. كلّ المحاضرات العامّة، والدورات التعليمية، ودورات تبادل التجارب، كلّها أصبحت "واجهة جادّة"، بينما استمرّ المقياس الأخلاقي للمجتمع يتقهقر خطواتٍ هائلة إلى الوراء.

3- جانب العلاقات بين الأفراد

أ) ثقافة غيرة

لقد دعا الحزب إلى "المساواة المطلقة" لكي "يصبح كلّ شخص يتفوّق على البقيّة هدفًا للهجوم". يغارُ الناس ممّن يفوقونهم موهبة أو ثروة،...الخ، كان ذلك ما سُمّي بـ"مرض العيون الحمراء". [87]

ب) ثقافة سحق للآخر

شجّع الح ش ص على "المصارعة وجهًا لوجهٍ والوشاية ظهرًا لظهرٍ". يشي الشخص بشركاءه، ويكتب رسائل لثلبهم، يُلفّق وقائع ويهوّل أخطاءهم- كلّ هذه التصرّفات المنحرفة استُعمِلت كمقياس يُحدّد مدى القرب من روح الحزب والرغبة التقدّمية.

4- الآثار الخفيّة على نفسيّة الناس وتصرّفاتهم

أ) ثقافة تحوّل البشر إلى آلاتٍ

يريد الحزب من الناس أن يكونوا "البراغيّ التي لا تصدأ أبدًا في المَكنة الثورية"، وأن يكونوا "الأداة المنصوبة من أجل الحزب" وأن "يهاجموا نحو أيّ اتّجاهٍ يوجّهنا إليه الحزب". "جنود الرئيس ماوو هم أولئك الذين يُصغون إلى الحزب أكثر من غيرهم، هم يذهبون إلى حيث تقتضي مهمّاتهم ويُقيمون حيثُ توجد الصعوبات".

ب)ثقافة تخلط بين الخير والشرّ

أثناء الثورة الثقافية، كان الح ش ص يُؤثر أن "يجني الأعشاب الطفيلية للاشتراكيين" على أن "يجني حصاد الرأسماليين". كان الجيش مأمورًا أن يهاجم ويقتل في مجزرة الرابع من يونيو "نظير 20 سنة من الاستقرار". الح ش ص أيضًا "لا يفعل بالآخرين ما لا يُريدُ أن يُفعَلَ به".

ج) ثقافة غسل دماغيّ مفروض وطاعة عمياء

"الصّفوف الدّنيا تُطيع أوامر الصّفوف الأعلى منها وكلّ الحزب يُطيع اللجنة المركزية للحزب". "صارعوا بلا هوادة للقضاء على كلّ الأفكار الأنانية التي تخامر أذهانكم". "فجّروا ثورة في أعماق روحكم". "اصطفّوا إلى أبعد حدّ ممكن إلى جانب موقف اللجنة المركزية للحزب". "بدون الحزب الشيوعي ستكون الصين هباءًا". "وحّدوا العقول، وحّدوا الخطوات، وحّدوا الأوامر، ووحّدوا التعليمات".

د) ثقافة تضع الفرد في وضعيّة الخادم

"بدون الحزب الشيوعي، ستكون الصين هباءًا". "الصين شاسعة كثيرًا، من ذا الذي يستطيع أن يحكمها غير الح ش ص ؟"، "لو تنهار الصين، فستكون تلك كارثة عالميّة، لذا علينا أن نساعد الح ش ص على الحفاظ على سلطته". بدافع الخوف ودافع الاحتماء، كانت الجماعات التي يضطهدها الح ش ص دومًا أشدّ يساريّة وأشدّ راديكاليّة من الح ش ص نفسه.

هناك عديد الأمثلة المشابهة. بوسع كلّ قارئٍ ربّما أن يجد في تجربته الشخصيّة عناصر عديدة من ثقافة الحزب.

الناس الذين عاشوا الثورة الثقافية يستطيعون أن يتذكّروا بوضوحٍ شديدٍ الأوبرا العصريّة في تلك الفترة، والأغاني التي تتكوّن نصوصها من كلمات ماوو، ورقصة الوفاء. الكثيرون يتذكّرون أيضًا حواراتٍ دارت في الأوبرا النموذجيّة لبيكين مثل "الفتاة ذات الشّعر الأبيض" [88] و"حرب في النفق" [89]، و"حرب المناجم" [90]. من خلال هذه الأشكال الفنية، أخضع الح ش ص الناس إلى غسل دماغيّ وحشا أذهانهم بمعاني مثل:

"الحزب متألّق وعظيم"؛ "ناضل الحزب ضدّ العدوّ نضالاً صعبًا وشرسًا"؛ وكيف أنّ "جنود الحزب مُكرّسون تمامًا لخدمة الحزب"، وكيف أنهم مستعدّون للتضحية بحياتهم من أجل الحزب، وكم أنّ الأعداء أغبياء وأشرار. ويومًا بعد يومٍ، حقنت مَكنة الدّعاية هذه في كلّ فردٍ قسرًا العقائد اللاّزمة لبقاء الحزب الشيوعي في السلطة. لو ذهبنا اليوم لنشاهد الرقصة الغنائيّة: القصيدة الملحميّة – الشرق أحمر، لوجدنا أنّ كلّ موضوع العرض ونمطه يدور حول: القتل، ثمّ القتل، ثمّ القتل.

في خطّ موازٍ، خلق الح ش ص معجم ألفاظ خاصّ به وخطاباتٍ خاصّة به، من لغة الشتيمة والسّباب المُستعملة في حملات النقد العامّة، وعبارات المديح والإطراء لإنشاد محاسن الحزب، وصولاً إلى البروتوكولات الرسمية التافهة مثل "مقال الجزء الثامن". [91] وبدأ الناس- بدون أن يشعروا- يتكلّمون تحت تأثير أفكار تنضوي على مفاهيم صراع الطبقات ومدح الحزب. أبدِل التفكير الرصين والمنطقي بخطاب هيمنة. كما سرق الح ش ص أيضًا المُعجم الديني وشوّه محتواه.

يُقال : "الرياء لا يبعُدُ كثيرًا عن الحقيقة". استغلّت ثقافة الحزب كذلك الأخلاقيّات الأصيلة مشوّهة إيّاها. مثلاً، الأخلاقيّات الأصيلة تُثمّن "الإيمان"؛ والحزب الشيوعي يُثمّن ذلك أيضًا حاثًّا الناس على "الوفاء والنزاهة تجاه الحزب". الأخلاق الأصيلة تُشدّد على البرّ بالوالدين؛ والح ش ص يضع الناس في السجن إن لم يعتنوا بآبائهم، ولكنّ الدافع الحقيقي وراء ذلك هو أنّ هؤلاء الآباء كانوا سيصبحون عبئًا على الحكومة. وأحيانًا يطلب الحزب من الأبناء أن ينفصلوا عن آبائهم، عندما يناسبه ذلك. الثقافة الأصيلة تركّز أيضًا على "الولاء". رغم ذلك، "الشعب يشغَل المكانة الرئيسية والأهمّ، ثمّ تأتي الأمّة، وأخيرًا يأتي الحاكم في مرتبة أقلّ". ولكنّ "الولاء" الذي يريده الح ش ص هو "ولاء أعمى"- أعمى إلى درجة أنه يجب على الناس أن يعتقدوا في الح ش ص بطريقة عمياء، وأن يُطيعوه دون طرح أسئلة.

العبارات التي يستعملها الح ش ص بكثرة هي عبارات مُزيّفة تمامًا. مثلاً، سمّى الحرب الأهليّة بين الكوومينتانغ والشيوعيّين "حرب التحرير"، كما لو أنّ الناس حُرّروا بفعلها من القمع. وسمّى الح ش ص فترة ما بعد 1949 "ما بعد تأسيس الأمّة" في حين أنّ الصين موجودة قبل ذلك بكثير وأنّ الح ش ص لم يفعل سوى أن أقام نظامًا سياسيًا جديدًا. المجاعة الكبرى التي دامت ثلاث سنوات [92] سُمّيت "السنوات الثلاث للكوارث الطبيعية"، في حين أنّ هذه الكارثة قد سبّبها البشر كلّيًا. مع سماع هذه الكلمات المستعملة في الحياة اليومية ومع التأثّر بها تأثّرًا خفيًا، صار الناس يقبلونها لا شعوريًا، كما يقبلون المفاهيم الايديولوجيّة التي تحتوي عليها، مثلما يتمنّى الح ش ص.

في الثقافة التقليدية، تُعتَبَرُ الموسيقى وسيلة لترويض الرغبات البشرية. في الجزء 24 من "المذكّرات التاريخية" (شي دجي)، قال سيما تشيان (145- 85 ق م) [93] أنّ الطبيعة البشرية مسالمة وأنّ مشاعرنا تخضع لتأثير عوامل خارجية، فإن انبثقت مشاعر الكراهيّة والحبّ دون أن يقع التحكّم فيها، ستكون عرضة للإغواء المستمرّ من طرف الإغراءات الخارجية، وسنرتكب أعمالاً سيّئة. إذًا، كما كان سيما تشيان يقول، الأباطرة في الماضي كانوا يستعملون الطقوس والموسيقى لكبح جماح الناس. الأغاني كانت يجب أن تكون مرحة دون أن تكون خليعة، وشجيّة دون أن تكون مُحزنة كثيرًا. كان عليها أن تعبّر عن مشاعر وعن رغبات، ولكن أن تكون لها رقابة على هذه المشاعر. لقد قال كونفوشيوس في "المختارات": "الأبيات الثلاثمائة للـ"قصائد الغنائيّة" (أحد الكتب الكلاسيكية الستّة التي جمعها وأصدرها كونفوشيوس) يُمكن أن تتلخّص في جملة واحدة: "لا تفكّر بالسّوء"".

ولكنّ الموسيقى، هذا الشيء الجميل والرائع، تمّ استعمالها من طرف الح ش ص كأداةٍ لغسل الدماغ. نجد أغانٍ مثل "الاشتراكيّة رائعة"، و"ما كان لتكون هناك صين جديدة لولا الحزب الشيوعي"، وأغانٍ أخرى كثيرة، تُغنّى ابتداءًا من رياض الأطفال وصولاً إلى الجامعة. ومع إنشادهم المتواصل لهذه الأغاني، استبطن الناس تدريجيًا معنى الكلمات. وبالإضافة إلى ذلك، سرق الح ش ص ألحان الأغاني الفولكلورية الأكثر شعبيّة، وعوّضها بنصوص تمدّح الحزب. وقد ساعد هذا على تدمير الثقافة التقليدية ورفع مكانة الحزب.

أحد الوثائق الكلاسيكية للح ش ص، وهو "خطاب ماوو في ملتقى حول الأدب والفنون بيانآن" [94] يعتبر أنّ الثقافة والجيش هما "جبهتا المعارك". وصرّح أنّ القوّة العسكرية وحدها لا تكفي، وأنه يجب أن يكون هناك أيضًا "مُعسكر من الفنون الأدبية". وأضاف أنّ "الفنون الأدبية يجب أن تخدم السياسة" وأنّ "الفنون الأدبية لطبقة البروليتاريا هي أدوات المكنة الثورية ومساميرها". صار "الإلحاد" و"صراع الطبقات" هما النواة الصلبة لـ"ثقافة الحزب"، وهو ما يقف على طرف النقيض تمامًا من الثقافة الموروثة.

لقد قدّمت ثقافة الحزب حقًا خدمة نفيسة بمساعدتها للح ش ص الحصول على السلطة والسيطرة على المجتمع. الجيش، والسجون، وقوات الشرطة، وثقافة الحزب، كلّها تنتمي إلى نفس الأداة السياسية العنيفة، رغم أنّ "العنف الثقافي" مختلف عن الأشكال الأخرى للعنف في هذا النظام. هذا العنف الثقافي، بتدميره لـ 5000 سنة من الثقافة القومية، قد قزّم إرادة الشعب، وأضرّ بتماسك ولُحمة القومية الصينية.

اليوم، كثير من الصينيين لم تعد لديهم سوى معرفة سطحيّة ومحدودة عن الثقافة التقليدية. بعضهم يضع في نفس المرتبة الـ50 سنة من "ثقافة الحزب" والـ5000 سنة من الثقافة العريقة. إنه حقًا لشيء مُحزن للشعب الصيني. الكثير لا يفقهون أنه بوقوفهم ضدّ الثقافة العريقة المزعومة فإنهم في الحقيقة يقفون ضدّ "ثقافة الحزب" الخاصّة بالح ش ص لا ضدّ الثقافة العريقة الحقيقية للصين.

كثير من الناس يتمنّوْن إبدال النظام الصيني الحاليّ بالنظام الديموقراطي الغربي. في الحقيقة، لقد تأسّست الديموقراطية الغربية هي أيضًا على قاعدة ثقافية، وهي المسيحية؛ وهي تعتقد أنّ "كلّ الناس سواسية أمام الله" وهي تحترم الطبيعة البشرية والخيارات البشرية. كيف لثقافة الحزب المستبدّة واللاّ-إنسانية أن تصلُح قاعدة لنظام ديموقراطي على النمط الغربي ؟

خاتمة

لقد بدأت الصين تحيدُ عن ثقافتها القومية في فترة حكم سلالة السونغ (960- 1279)، ومنذ ذلك الحين، لم تفتأ الثقافة تتدهور. إثر حركة 4 مايو 1919،[95] بعض المثقفين الذين كانوا ينشدون نجاحًا سريعًا ونفعًا فوريّا حاولوا أن يجدوا حلاً للصين، وكان هذا الحلّ هو أن يُديروا ظهورهم للثقافة القومية، ويتبنّوْا الحضارة الغربية. ومع ذلك، بقيت الصراعات والتغييرات في الميدان الثقافي موضوع نقاش أكاديمي لا غير، ولم تهتمّ به الدولة. ولكن عندما ظهر الح ش ص، رفع الصراعات الثقافية إلى مستوى قتال مُستميتٍ من أجل الحزب. لذلك فقد بدأ الحزب في مهاجمة الثقافة الموروثة مباشرة، مستعملاً طرقًا هدّامة بصفة مباشرة ووسائل أخرى أشدّ خبثًا تتمثل في "الاحتفاظ بالشوائب ورمي الجوهر".

هدم الثقافة القومية كان أيضًا مسار وضع "ثقافة الحزب". لقد أفسد الح ش ص الضمير الإنساني والمقياس الأخلاقي، مؤدّيًا بالناس إلى الانقلاب على الثقافة الموروثة، إن دُمّرت الثقافة القومية تمامًا، فإنّ جوهر الأمّة سيتلاشى مع تلاشيها، تاركًا من الأمّة لا شيء سوى اسمٍ فارغٍ. وهذا التحذير غير مُبالغ فيه.

وفي نفس الوقت، الخسائر التي تكبّدها المجتمع الصيني جرّاء تدمير الثقافة الموروثة هي مأساويّة فعلاً.

كانت الثقافة الموروثة تُثمّن الوحدة ما بين الآلهة والبشر، والتعايش السلمي والانسجام ما بين الإنسان والطبيعة. بينما الح ش ص أعلن أنّ "الصراع بين السماء والأرض يُورث سعادة لا تُحَدّ". ثقافة الح ش ص هذه قد تسبّبت مباشرة في تدهور خطير للبيئة والمحيط، وهذا التدهور يمثل اليوم مشكلة كبرى للصين. ولنأخذ الماء كمثال. لقد ترك الشعب الصيني الحكمة القائلة "الإنسان النبيل يُقدّر نعمة الثراء، ولكنه يُثري بطريقة معقولة" ونسيها، لذلك فقد خرّب محيطه الطبيعي ولوّثه بدون سببٍ. حاليّا، أكثر من 75% من الـ50.000 كيلومتر التي تمثل الأنهار في الصين غير صالحة لكي تعيش فيها الأسماك؛ أكثر من ثلث المياه الجوفية قد تلوّث أثناء العشر سنين الأخيرة الماضية، والوضعية آخذة في التدهور أكثر. لقد حدث "مشهد" غريب من نوعه في نهر هوايهه: كان هناك طفل يلعب في الماء المُشبع بالبترول، وفجأةً أحدث شرارةً، وما أن لمست الشرارة سطح الماء حتى أشعلت لهيبًا يبلغ علوّ خمسة أمتار؛ وعندما انطلقت النار في الهواء، أحرقت عشر صفصافاتٍ كانت تحيط بالنهر، جميعها احترقت وأصبحت فحمًا. [96] من السهل أن نفهم أنه من المستحيل ألاّ يُصاب أولئك الذين يشربون من هذا الماء بالسرطان أو أمراض أخرى. مشاكل بيئيّة أخرى، مثل التصحّر وترسيب الملح في الشمال الغربي للصين، والتلوّث الصناعي في المناطق المتطوّرة، هي كلّها مرتبطة بعدم احترام المجتمع البشري للطبيعة.

إنّ الثقافة الموروثة تحترم الحياة. يُعلن الح ش ص أنّ "الثورة لها مُبرّراتها" وأنّ "الصراع ضدّ البشر يملؤنا لذّةً". باسم الثورة، استطاع الحزب أن يقتل عشرات ملايين الأشخاص وأن يجعلهم يموتون من المجاعة. وقد قاد ذلك الناس إلى عدم حبّ الحياة، وهو ما أسهم بدوره في تكاثر البضائع والمنتوجات الفاسدة والمُسمّمة في السوق. مثلاً، في مدينة فويانغ من مقاطعة آنهوي، كثير من الرضّع الذين هم أصحّاء في الأصل أصبحت أطرافهم مُقزّمة، ووهنت أبدانهم وكبُرت رؤوسهم بينما كان يتمّ إرضاعهم بقارورة الرّضاع. ومات ثمانية أطفال رضّع جرّاء هذا المرض الغريب. وبعد البحث تبيّن أنّ ذلك المرض كان ناتجًا عن بودرة الحليب المسمومة التي كان ينتجها صاحب مصنع جشعٍ وعديم الضمير. بعض الأشخاص يُغذون السرطانات والثعابين والسلاحف بالهرمونات والمضادّات الحيوية، ويضيفون الكحول الصناعي للخمر، ويعالجون الأرزّ بزيوت صناعيّة، ويُبيّضون الخبز بموادّ مُعَدّة للتبييض. طيلة ثماني سنين، قام مُصنّع من مقاطعة هينان باستعمال زيت مُرسكل، وزيت غير مُكرّر، ومنتوجات مُسرطنة أخرى لينتج كلّ شهر آلاف الأطنان من "زيت الطبخ" المُسمّم. إنتاج الغذاء المُسمّم ليس بظاهرة محلّية أومحدودة، بل إنّ هذا أمر شائع في كلّ الصين. إنّ تدمير الثقافة والانحطاط الأخلاقي قد أسهما في هذا الجري المجنون وراء الأرباح السهلة.

على عكس ثقافة الحزب التي تتّصف بالهيمنة المطلقة والحصريّة، فإنّ الثقافة الموروثة تتمتّع بقدرة كبيرة على الاندماج. أثناء فترة مملكة التانغ المزدهرة، كانت التعاليم البوذية، والديانة المسيحية، وديانات أخرى غربية، إلى جانب الطاوية والكونفوشيوسية، تتعايش جميعًا بسلام. ماكانت الثقافة التقليدية الصينية لتتّخذ غير موقف متفتّح إزاء الحضارة الغربية والثقافة الغربية. النمور الآسيوية الأربعة (سنغافورة، تايوان، كوريا الجنوبية، وهونغ كونغ) قد صنعت هويّة ثقافية كونفوشيوسية جديدة، بفضل جمعها بين الأخلاق الكونفوشيوسية والعقلانية الاقتصادية الحديثة. والاقتصاد المزدهر لهذه البلدان قد أثبت أنّ الثقافة الموروثة ليست عائقًا أمام العلم والتقدّم.

وفي نفس الوقت، تقيس الثقافة الموروثة الحقيقية جودة الحياة البشرية على أساس ما حقّقته من سعادة داخلية، لا فقط على أساس ما حقّقته من رفاهة مادّية. "أفضّل ألاّ يقدح في شأني أحد وراء ظهري على أن يمدحني أحدهم في وجهي، أفضّل أن أنعم براحة النفس والضمير على أن أنعم بالرفاه المادّي". [97] كان تاوو يوانمينغ (365-427) [98] فقير الحال ولكنه كان دائمًا سعيدًا وكانت لديه تسلية مفضّلة: "جمع زهور النجميّات تحت البوّابة الشرقية، وتأمّل جبل الجنوب وهو منتصب في الأفق".

الثقافة الموروثة لا تقدّم أجوبة لمسائل الإنتاجية الصناعية أو خيار النظام الاجتماعي. دورها الهامّ يتمثل بالأحرى في الإرشاد الأخلاقي. إنّ إعادة بناء الثقافة الأصيلة بحقّ سوف يُعيد إلى الناس التواضع أمام السماء، والأرض، والطبيعة، واحترام الحياة واحترام الإله. وسوف يُخوّل للبشرية أن تحيا بانسجامٍ وتآلفٍ مع السماء والأرض، وأن تتمتّع بعمر مديد منّةً من السماء.

ملاحظات :

1- في الميثولوجيا الصينية: بانغو هو أوّل كائن حيّ، وهو خالق كلّ شيءٍ.

2- في الميثولوجيا الصينية: نووا هي الآلهة الأمّ التي خلقت البشرية.

3- "شانّونغ" (حرفيّا: الفلاّح السماويّ) هو شخصيّة أسطورية وبطل في الثقافة والميثولوجيا الصينية، يُعتَقَدُ أنه عاش قرابة 5000 سنة وعلّم الشعوب القديمة الأعمال الفلاحية. ويُعرَفُ عنه أيضًا كونه قام بتعريف مئات الأعشاب الطبية والسامّة ومختلف النباتات من هذا الصنف، وكان هذا أمرًا أساسيّا لتطوير الطبّ التقليديّ الصينيّ.

4- سان جي أو سانغ جي هو شخصيّة أسطورية في الصين القديمة، يدّعي أنه المؤرّخ الرسميّ للامبراطور الأصفر، ومُخترع الحروف الصينية. وقد سُمّيت طريقة سانجي على اسمه- وهي طريقة لإدخال الحروف الصينية في الإعلامية.

5- طاوو تي كينغ، أو داوو دي كينغ: أحد أهمّ النصوص الطاوية، كتبه لاوو تسي.

6- ملاحظات افتتاحية مأخوذة من كتاب: التعليم الأكبر لكونفوشيوس.

7- مذكّرات تاريخية (شي دجي)، تُترجَمُ أيضًا إلى "عروض الخطاط الأكبر"، لمؤلّفها سيميا تشيان (145- 85 ق م) الذي كان أوّل مؤرّخ صينيّ كبير. وهو يوثق في هذا المؤلّف تاريخ الصين والبلاد المجاورة منذ الماضي البعيد وصولاً إلى عصره هو. مُخطط الأعمال التأريخيّة لسيميا تشيان كان فريدًا وقد صار نموذجًا للصيغة الرسمية للتأريخ للأسرات الحاكمة الامبراطورية مدّة الـ2000 سنة التي تلتْ.

8- مأخوذ من "المختارات" لكونفوشيوس.

9- نفس المصدر.

10- نفس المصدر.

11- كتب كونفوشيوس في "التعليم الأكبر" ما يلي: "بما أنّ شخصيّاتهم كانت مثقّفة فإنّ عائلاتهم كانت منظمة؛ وبما أنّ عائلاتهم كانت منظمة، فإنّ دولتهم كانت محكومة بالعدل، وكلّ المملكة كانت تضحي آمنة وسعيدة".

12- دونغ جونغشو (179- 104 ق م) هو مفكّر كونفوشيوسيّ أثناء حكم مملكة الهان، ذكر في مؤلّفه ثلاث طرق لضمان الانسجام بين الإنسان والسماء. (تيان ران سان تشه)، "إن بقيت السماء، فإنّ الطاوو لن يتغيّر".

13- القرد المسافر أو سفر الغرب أو الحجّ إلى بلاد الغرب، من تأليف وو تشانغ آن (1506- 1582)، إحدى الروايات الصينية الكلاسيكية الأكثر شهرةً. وهي نابعة من قصّة حقيقية لراهب صيني مشهور في مملكة التانغ، هويان تسانغ (602- 664)، سافر مشيًا على القدمين إلى حيث تقع بلاد الهند حاليّا، مهد البوذية، باحثًا عن السوطرا. في الرواية نرى كيف أنّ مشيئة البوذا ساقت الملك القرد، بيغسي و ساندي، إلى أن يصبحا مُريديْ هويانغ تسانغ ويرافقاه إلى الغرب للعثور على السوطرا. سيجتازون 81 خطرًا وبلوى قبل أن يصلوا في النهاية إلى الغرب ويحصلوا على الثمرة الحقيقية.

14- حلمٌ في الجناح الأحمر (هونغ لو مانغ)، كتبه تساو سويه- تشين (1715- 1763) أثناء حكم مملكة التشينغ. إنها قصّة حبّ مأساوية على خلفيّة انهيار عائلة ارستقراطية. إلى جانب الموضوع الرئيسي تصف الرواية للقارئ أيضًا المشهد التاريخي والاجتماعي في ذلك الوقت، كما تستعرض قائمة مُدهشة ومأثورة من الشخصيّات، الشخصيّتان الرئيسيتان فيها هما: دجيا باويو و لين دايو. بنية هذه الرواية- التي هي بنية متّسعة ودقيقة التشابك في آنٍ واحدٍ، وجودتها الأدبية، ولغتها العذبة جعلت منها تُعتبر عالميّا خلاصة فنّ الرواية الكلاسيكية الصينية.

15- أبطال ضفاف الماء، إحدى كبرى الروايات الكلاسيكية الصينية، كتبها في القرن الرابع عشر شيناي- هان. وهي تروي كيف أنّ 108 رجلاً وامرأةً قرّروا أن يكوّنوا معًا مجموعةً مارقةً عن القانون- وسمّوْا أنفسهم: لصوص المستنقعات. رواية حافلة بالعقد، والمغامرات، والقتل، والحرب، والقصص الرومنطيقية، كلّها مرويّة بأسلوب مليء بالمفاجآت والتشويق، وهو الأسلوب المميّز للحكايات الشعبية.

16- الممالك الثلاث، إحدى أشهر الروايات الكلاسيكية الصينية، من تأليف كوان- تشونغ لوو (1330؟- 1400؟). هذه الرواية تستند إلى تاريخ فترة الممالك الثلاث (220- 22-280). وهي تروي الصراعات المتشعّبة والحادّة بين ثلاث قوىً سياسية مختلفة، من أجل العرش. هذه القوى السياسية تتمثل في ليو باي، تساو تساو، و سون تشوان. وفي خلال ذلك تبرز الرواية عديد المقدرات والمواهب ومختلف الاستراتيجيات الجريئة في تلك الفترة.

17- تاريخ قوم "جو" الشرقيين، رواية كتبها في الأصل يو شاوويو أثناء حكم مملكة المينغ، ثمّ راجعها مانغلونغ وأعاد صياغتها في فترة نهاية مملكة المينغ، ثمّ قام تساي يوانفانغ بمراجعتها من جديدٍ في مملكة التشينغ. أحداث هذه الرواية تمتدّ على مدى أكثر من 500 سنة أثناء فترة الربيع والخريف (770- 476 ق م) وفترة الممالك المحاربة (475- 221 ق م).

18- تسيان تساي هو من كتب قصّة يوفاي بأكملها، وذلك في فترة مملكة التشينغ. يصوّر الكاتب حياة يوفاي (1103- 1142) وهو أصيل سلالة السونغ بالجنوب. يوفاي هو أحد أشهر القوّاد والأبطال المخلصين لأمّتهم في تاريخ الصين. سطع نجم الجنرال يوفاي خصوصًا في المعارك ضدّ غزاة الشمال وقوم دجين. ثمّ اتّهم يوفاي بجريمة لم يرتكبها وأرسِل بسبب ذلك إلى السجن وقتِل ؛ بينما كان رئيس الوزراء تشين هوي يحاول القضاء على الشقّ المحارب. فيما بعد وقعت تبرئة يوفاي من تلك الاتّهامات الباطلة، وأقيمَ له معبد وفاءًا لذكراه. فيما بعدُ صُنعت أربع شخصيّاتٍ خصّيصًا

لقبر يوفاي: أربعة رجالٍ، كلّ منهم يرتدي خوذةً حديديةً، عاري الصدر، يداه مقيّدتان وراء ظهره، وجاثٍ على ركبتيْه أمام قبر يوفاي؛ أربعتهم يمثّلون الأشخاص المسؤولين عن موت يوفاي. وأصبح يوفاي في الثقافة الصينية رمزًا ومثالاً للولاء في بلده.

19- مقولة مأخوذة من مُختصر مجموع المخطوطات الطاوية (داوو تسانغ دجي ياو).

20- انظر (8)

21- مأخوذ من خطاب ماووتسي تونغ أثناء الدورة التامّة الثامنة للجنة العاشرة للح ش ص.

22- الكلمات الأصلية لماوو باللغة الصينية هي في الواقع تلاعب بالألفاظ: "أنا مثل راهب ممسك بممطريّة، لا طاوو (أو شرع، نفس عبارة "شعر") ولا جنّة (نفس عبارة "سماء")".

23- دجيه هو اسم آخر ملوك مملكة الـ"سيا" (ح 21- 16 ق م)، و جو هو اسم آخر ملوك مملكة الـ"شانغ" (ح 16- 11 ق م). وقد كان كلاهما طاغية، وبقيت ذكرى طغيانهما في الأذهان.

24- وان تيانسيانغ (1236- 1283)، قائد عسكري حارب الجيش المغولي لكي يحافظ على سلامة مملكة السونغ بالجنوب. قتِل يوم 9 يناير 1283 لأنه رفض الاستسلام للمغول بعد أن سقط أسيرًا في أيديهم.

25- لمنشيوس.

26- من جملة شهيرة لمنشيوس :"الحياة هي مُناي؛ العدالة هي مُناي أيضًا. إن كنت لا أستطيع أن أحصل على الاثنيْن معًا، سأختار العدالة على حساب حياتي".

27- مأخوذ من النشيد الرسمي للعالمية الشيوعية. الترجمة الحرفية الصينية تعني:"لم يكن هناك أبدًا مخلّصون، نحن لا نعوّل على الآلهة، ولا على الأباطرة؛ لتحقيق السعادة البشرية، نحن لا نعوّل سوى على أنفسنا".

28- الامبراطور تاي وو من مملكة الواي بالشمال، ويُعرَفُ أيضًا باسم توو تاو (ح 424- 452).

29- الامبراطور وو دزونغ من مملكة التانغ، ويُعرَفُ أيضًا باسم لي يان (ح 840- 846).

30- الامبراطور وو من مملكة الجو بالشمال، ويُعرَفُ أيضًا باسم يو يونغ (ح 561- 579).

31- الامبراطور شي دزونغ في نهاية مملكة الجو، ويُعرَفُ أيضًا باسم تشاي رونغ (ح 954- 959).

32- شعار كان قائمًا في منتصف السنوات 1960 أثناء الثورة الثقافية بالصين.

33- معبد الحصان الأبيض هو أوّل دير بوذيّ في الصين. شُيّد عام 68، في السنة الحادية عشرة ليونغ بينغ أثناء حكم سلالة الهان الشرقية.

34- في لغة دايي، الكتابات المقدّسة لبايي تُدعى تانلان. البايي هي نبتة مداريّة تنتمي لفصيلة النخيليّات. وهي عبارة عن شجرة كبيرة ذات أوراق سميكة مُضادّة للعثّ تستغرق كثيرًا من الوقت لتجفّ. في العصور القديمة، وعندما كان الورق لم يُخترع بعد، كان قدماء دايي يحفرون حروفًا أو نماذج على أوراق هذه الأشجار، والحروف المحفورة على هذه الأوراق كانت تُسمّى مُراسلات بايي، وأمّا الكتابات فتُسمّى تانلان (كتابات تايي المقدّسة).

35- منتزه سانغشان، يُعرَفُ أيضًا بمنتزه التلال العطرة، يقع في الشمال الغربي على بُعد 28 كيلومترًا من وسط مدينة بيكين. شُيّد سنة 1186 أثناء حكم مملكة الجين، وقد كان المنتجع الصيفي للأسر الامبراطورية أثناء ممالك اليوان، المينغ، والتشينغ.

36- كم من الآثار الثقافية تمرّ عليها ألسنة اللهب، لدينغ شو.

37- الحرس الأحمر يقصدون هنا المدنيّين الذين كانوا في الجبهة الأمامية من منفّذي الثورة الثقافية الكبرى. معظمهم كان من الشباب في سنّ المراهقة.

38- يقع القصر الصيفي على بُعد 15 كيلومترًا من بيكين، وهو أكبر حديقة ملكية وأكثر واحدة تمّ الحفاظ عليها ورعايتها. للقصر الصيفي تاريخ يمتدّ على أكثر من 800 سنة.

39- معبد لوغوان هو مَحجّ طاوي في الصين ويتمّ تقديسه بوصفه "الأرض الأولى لأولئك الذين باركتهم السماء". يقع المعبد على تلّ شمال جبال جونغنان، على بعد 15 كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من مقاطعة جوبي و 70 كيلومترًا من مدينة سيان.

40- لي هي وحدة قيس (قيس الأطوال) صينيّة. (1لي = 0.5 كيلومتر).

41- الامبراطور غاوو دزو- مملكة التانغ، ويُعرَفُ أيضًا باسم لي يوان (618- 626).

42- كانت كومونات الشعب (رنمين غونغشه) في جمهورية الصين الشعبية تمثّل أعلى درجة – من ثلاث درجات- في السلّم الإداري في المناطق الريفية في الفترة الممتدّة بين 1958 و 1982 تقريبًا. الكومونات كانت أكبر الوحدات التجمّعية، وقد تمّ تقسيمها الواحدة تلو الأخرى إلى فرق إنتاج ومجموعات إنتاج. وقد كانت الكومونات تتولّى وظائف حكومية وسياسية واقتصادية. وفيما بعد حلّت البلديات محلّها.

43- انظر (36).

44- سوطرا ماهايانا ماهابارانيرفانا تُعرَفُ بكونها آخر سوطرا ماهايانا للبوذا، قالها البوذا آخر يوم في حياته على الأرض. وهي تمثل خلاصة كلّ سوطرا الماهايانا.

45- هذه ليست ترجمة رسمية، وهي على الأرجح مأخوذة من تاييشو تريبيتاكا- المجلّد الأوّل- من سوطرا ماهايانا ماهابارانيرفانا.

46- من كتاب "نظرية وممارسة قمع الأديان من طرف الحزب الشيوعي الصيني" بقلم باي جهي. النصّ الصيني على الرابط التالي.

47- "موكتي" تعني الدهارما الأول أو تعليم الشرع أو التبليغ. يمكن ترجمة "موكتي" أيضًا إلى "خسارة، خروج، تخليص، تحرير، مُحَرّر، انعتاق، التخلّص من الحدود والحصول على الحرّية، التحرّر من سفر التجسّد، من الكارما، من الوهم والسراب، من العذاب". وتعني النيرفانا وأيضًا الحرّية التي تحصل في الدهايانا (التأمّل). الهدف هو الخلاص من السامسارا (التجسّد).

48- النيرفانا، في البوذية والهندوسية، هي حالة الطمأنينة والسعادة والانسجام، بعيدًا عن العذاب وانفعالات الوجود الفردي، حالة الاتّحاد مع الروح الخالدة.

49- حملة قمع لأعداء الثورة، وهي حملة اتّخذت إجراءات عنيفة ضدّ عديد المسيّرين القدماء للجماعات السرّية، والجمعيّات الدينية، والكومينتانغ (ك م ت) في بداية 1951.

50- "حرب لمقاومة أذى الولايات المتحدة ومساعدة كوريا" مثلما سمّاها الح ش ص، وقد اندلعت سنة 1950. وهي في الغرب تُعرَفُ عمومًا باسم "حرب كوريا".

51- وو ياوودزونغ (1975- 1893) وآخرون نشروا "وسائل" مزعومة لكي تُسهم الجالية المسيحية الصينية في بناء الصين الجديدة، ويُعرَفُ هذا المنشور أيضًا باسم "بيان تجديد الاستقلاليات الثلاث" سنة 1950، وهو بدوره كوّن فيما بعدُ كنيسة الاستقلاليات الثلاث.

52- "ردهة الشعب الكبيرة"، شُيّدت سنة 1959، وتقع في الجهة الغربية لساحة تيانانمن، وهي المكان الذي يجتمع فيه المؤتمر الوطني الشعبي للصين.

53- انظر (46).

54- "روب- كساء"، الثوب الذي يرتديه الراهب، الثوب الكهنوتي.

55- جانغ بوجون (1895- 1969) كان أحد مؤسّسي "الرابطة الديموقراطية الصينية"، وهو حزب ديموقراطي في الصين. لُقّب من طرف ماوو تسي تونغ بـ"اليمينيّ رقم 1" سنة 1957، وهو من "اليمينيين" القلائل الذين لم يتمّ ردّ الاعتبار إليهم بعد الثورة الثقافية.

56- الامبراطور هويدزونغ من مملكة السونغ، ويُعرَفُ أيضًا باسم جاوو دجي (ح 1100- 1126).

57- سو دونغبو (1036- 1101) هو شاعر صيني مشهور في مملكة السونغ .

58- وان جانغمينغ (1470- 1559) هو رسّام صيني.

59- تانغ بوهو (1470- 1523) هو عالم صيني ورسّام وشاعر في مملكة المينغ.

60- دجين هي وحدة قيس أوزان مستعملة في الصين. الدجين يزن تقريبًا 500 غ.

61- انظر (36).

62- قصيدة لمانغ هاووران (689- 740)، وهو شاعر مشهور في مملكة التانغ.

63- وانغ سي جي (321- 379)، أشهر خطاط في التاريخ، عاش أثناء حكم مملكة التانغ.

64- المقدّمة الأصلية للانغ تينغ، من المرجّح أن يكون قد كتبها وان سي جي في أوج مسيرته كخطاط (51 سنة في 353)، هذا العمل يُعتبَرُ بالإجماع أهمّ عمل في تاريخ فنّ الخط الصيني.

65- وو شانآن (1506؟- 1582؟)، كاتب أقصوصة وشاعر صيني في مملكة المينغ، وهو مؤلّف رواية "السفر إلى بلاد الغرب" (التي تُعرَفُ أيضًا بـ: "القرد المسافر" أو أيضًا "سفر الغرب")، وهي واحدة من بين أشهر أربع روايات صينية.

66- وو دجينغزي (1698- 1779)، كاتب متألّق من مملكة التشينغ، مؤلّف "قصّة غابة المثقفين".

67- عمل نثريّ من تأليف أويانغ شيو (1007- 1072)، أحد "كبار شيوخ النثر الثمانية في مملكة التانغ ومملكة السونغ". كان أويانغ شيو يلقّب نفسه بـ"السكّير العجوز".

68- تسمية أخرى للحرس الأحمر.

69- موسوعة يونغل أو يونغل داديان: اشرف عليها الامبراطور يونغل من مملكة المينغ سنة 1403. إنها أقدم موسوعة وأضخم موسوعة في العالم. اشتغل على هذا المشروع ألفا عالمٍ (2000)، وجمّعوا 8000 نصّ تمتدّ من العصور القديمة وصولاً إلى بدايات مملكة المينغ. وانتهى إعداد الموسوعة سنة 1408، وهي تضمّ 22.000 مجلـّدًا مخطوطًا مجموعها يملأ فضاءًا بحجم 400 متر مكعّب.

70- لين بياوو (1907- 1971) هو أحد أقدم مُسيّري الح ش ص، عمل تحت إمرة ماوو تسي تونغ كعضو في المكتب السياسي للصين، وكنائب رئيس (1958) ووزير دفاع (1959). عُيّن كخلفٍ لماوو سنة 1966 ولكنه فقد حظوته سنة 1970. قيل أنه حاول الهرب من الصين، ولكن طائرته تحطمت في منغوليا مسبّبةً موته.

71- يمثل "ليانغ سياو" ثلّةً من الكتّاب المُعيّنين، من بينهم جوييليانغ، الذي كان عضوًا في فريق التحرير، وقد كان ذلك سببًا في تلقّيه لرسالة باعثها مجهول يكتفي بالقول أنه صديق قديم، وفي هذه الرسالة يتحدث "الصديق" عمّا سمّاه "أقصى درجات الوقاحة".

72- الامبراطور تشين شي هوانغ (259- 210 ق م)، يُعرَفُ أيضًا باسم يينغ جانغ، كان أوّل امبراطور في تاريخ الصين الموحّدة. وحّد القوانين القضائية، واللغة المكتوبة، والعملات النقدية، والأوزان ووحدات القيس، وأمر ببناء السور العظيم. كلّ هذه التدابير كان لها عظيم وعميق الأثر في التاريخ والثقافة الصينيين. كان قد أمر أيضًا بأن تُحرق كتب مختلف المدارس، بما في ذلك كتب كونفوشيوس وكتب الطاوية، كما أمر بأن يُدفنَ 460 عالمًا كونفوشيوسيًا- يُدفنوا أحياء. فيما بعد صارت هذه الأحداث تُعرَفُ في التاريخ تحت اسم: "إحراق الكتب ودفن العلماء الكونفوشيوسيين". شيّد هذا الامبراطور ضريحًا لنفسه، ويُعتبرُ جيش تماثيل الطين الموجود في قبر الامبراطور تشين ثامن عجائب الدنيا.

73- من كتابات ماوو تسي تونغ 1949- 1976 (المجلّد الثاني).

74- لماوو: قوّموا أسلوب عمل الحزب (1942).

75- لماوو: خطاب عن الأدب والفن في ملتقى يانآن (1942).

76- وو سون (1838- 1896)، واسمه الأصلي وو تشي، وُلد في تانغيي من مقاطعة شاندونغ. فقد والده في سنّ صغيرة جدّا، ولحق الفقر بأسرته. فاضطرّ إلى تسوّل الطعام ليطعم أمّه، وعُرِفَ باسم "المتسوّل البارّ بوالدته". ثمّ بعد وفاة أمّه أصبح التسوّل بالنسبة له الطريقة الوحيدة لكسب عيشه. فيما بعد أقام مدارس مجانية بالمال الذي ادّخره من حياة التسوّل.

77- هو فانغ (1902- 1985)، علاّمة وناقد أدبي. اعترض على الأدب المذهبي السياسي للح ش ص. طُرد من الحزب سنة 1955 وحُكِمَ عليه بـ14 عامًا من السجن.

78- من الأعمال المختارة لماوو تسي تونغ، المجلّد الخامس- الأشياء بدأت تتغيّر (1957).

79- تشيانغ بوشانغ، الثقافة الشرقية، الطبعة الرابعة (2000).

80- كانت انطلاقة الحركة الطلاّبية 4 يونيو مع مجموعة من الطلبة يريدون إصلاحاتٍ ديموقراطية في الصين، وذلك في الفترة الممتدّة بين 15 أبريل و 4 يونيو 1989. ثمّ تمّ قمع هذه الحركة على يد جيش التحرير الشعبي، والرأيِ العام العالمي يسمّي ذلك: مجزرة 4 يونيو.

81- وكالة بُعثت خصّيصًا لاضطهاد الفالون غونغ، وتتمتّع بصلاحيّاتٍ مطلقة في كلّ مستوىً في إدارة الحزب، كما في كلّ الكيانات السياسية والقضائية الأخرى.

82- نظرية "أصل الطبقات" تدّعي أنّ طبيعة الشخص تحدّدها الطبقة التي وُلدت فيها أسرته.

83- مأخوذ من نشيد الأوبرا العصرية لبيكين: أسطورة المصباح الأحمر، إحدى كبرى المسرحيّات الثمانية النموذجية التي تمّ رعايتها رسميًا وبلغت عصرها الذهبي أثناء "الثورة الثقافية الكبرى" (1966- 1976).

84- "مو" هي وحدة قيس للمساحات مستعملة في الصين. المو الواحد يساوي 6.680 متر مربع.

85- "التمثيلات الثلاث" تدّعي أنّ الحزب يجب أن يُجسّد دومًا نزعة تكوّن ونموّ القوى الإنتجية المتقدّمة في الصين، وتوجّه الثقافة المتقدّمة للصين، والمصالح الأساسية للغالبية الساحقة من الشعب الصيني.

86- الخطاب الافتتاحي أثناء الدورة الأولى لأوّل تجمّع شعبي وطني لجمهورية الصين الشعبية (15 سبتمبر 1954).

87- "متلازمة العيون الحمر": الغيرة هنا مستعملة لوصف الشخص الذي عندما يرى الآخرين يتصرّفون أفضل منه، يشعر بالضيق والانزعاج ويشعر أنه هو من ينبغي أن يُشهَدَ له بالتميّز والتفوّق.

88- "مسرحية نموذجية" صيغت أثناء "الثورة الثقافية الكبرى" (1966- 1976). في الأسطورة الشعبية، الفتاة ذات الشعر الأبيض هي إلهة تعيش في مغارة وتملك قدراتٍ خارقة لكي تجازي عمل الخير وتعاقب عمل الشرّ، وتناصر العدل وتحدّ من انتشار الظلم، ولكن في هذه الأوبرا الصينية الحديثة، تمّ تصويرها على أنها فتاة اضطرّت للهرب واللجوء إلى مغارة بعد أن ضربها والدها ضربًا مبرّحًا لأنها رفضت الزواج من فلاّح ومالك أراض ثريّ وعجوز. ثمّ ابيضّ شعرها من سوء التغذية. وأصبح هذا العرض أحد أشهر العروض "العصرية" وأذكى شعور الكراهية الطبقية ضدّ مالكي الأراضي.

89- حرب النفق (ديداوو جان، فلم بالأسود والأبيض، 1965)، في هذا الفلم يصوّر الح ش ص جنوده في منطقة وسط الصين وهم يحاربون الجنودَ اليابانيينَ مستعملين مختلف الممرّات النفقية في السنوات 40.

90- حرب المناجم (ديلاي جان، فلم بالأسود والأبيض، 1965)، تدور وقائعها في السنوات 1940؛ يصوّر الفلم حرب العصابات في مقاطعة هيباي وكيف قاوم هؤلاء العصابات غزو الفرق اليابانية بواسطة مناجم محلّية الصنع في السنوات 40.

91- تحرير أدبي مُدرَج في امتحانات الخدمة المدنية الامبراطورية، وهذا التحرير معروف بصرامة شكله وضحالة أفكاره.

92- المجاعة الكبرى من 1959 إلى 1961 في الصين هي أكبر مجاعة في تاريخ البشرية. يُقدّر عدد الوفيّات في هذه المجاعة بين 18 و43 مليون.

93- انظر (7).

94- عن ماوو تسي تونغ.

95- حركة 4 مايو كانت أوّل حركة جماهيرية في تاريخ الصين الحديثة، بدايةً من 9 مايو 1919.

96- شان غويلي، إنذار نهر هوايهه (1995).

97- مأخوذ من المقدمة: "لأجل رؤية لي يوان يعود إلى بانغو" من تأليف هان دو (768- 824)، وهو أحد أكبر شيوخ النثر الثمانية في مملكتي التانغ والسونغ.

98- تاوو يوانسينغ (365- 427)، يُعرَفُ أيضًا بتاوو تشيان، وهو أحد أكبر الشعراء في تاريخ الأدب الصيني.

جميع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

توطئة

صورة من الأرشيف تمثل "عدوّا للثورة" وشى به نشطاء من الح ش ص وهاجموه أثناء الثورة الثقافية. (أ.ف.ب / صور جاتي)

إنّ تاريخ الحزب الشيوعي الصيني، ومدّته 55 سنة، مُضرّج بالدم والكذب. والقصص التي وراء هذا التاريخ الدامي هي لا فقط مأساوية للغاية، ولكنها مجهولة في معظمها. تحت زعامة الح ش ص، قُتِل عدد يتراوح بين 60 و 80 مليون صينيّ بريء، تاركين وراءهم عائلات ممزّقة. الكثير يتساءلون لم يقتل الح ش ص بتلك الكثرة. مع مواصلة قمعه العنيف للفالون غونغ، وقمعه مُؤخّرًا لاحتجاجات شعبيّة في هانيوان بإطلاق الرصاص عليها، يحقّ لنا أن نتساءل: هل سيأتي يوم نرى فيه الح ش ص يعبّر بالكلمات بدل الأسلحة ؟

لقد لخّص ماوو تسي تونغ هدف الثورة الثقافية كما يلي: "[...] تمرّ الفوضى، ويستعيد العالم الطمأنينة والسلام، ولكن بعد مُضيّ 7 أو 8 سنوات لا بدّ للفوضى أن تعود من جديدٍ" [1]. بعبارة أخرى، لا بدّ من قيام ثورة ثقافية كلّ 7 أو 8 سنين، ولا بدّ من قتل جزء من الشعب كلّ 7 أو 8 سنين.

هناك ايديولوجيّة كاملة تقبع خلف مجازر الح ش ص وهناك أيضًا متطلّبات عمليّة.

بناءًا على ايديولوجيّته الخاصّة، يعتقد الح ش ص في "ديكتاتوريّة البروليتاريا" وفي "الثورة المستمرّة بقيادة ديكتاتورية البروليتاريا". لذا، بعد استيلاءه على السلطة في الصين، قتل مالكي الأراضي ليحلّ مشاكل العلاقات الإنتاجية في المناطق الريفية، وقتل "الرأسماليّين" ليصل إلى إصلاحات تجارية وصناعية ويحلّ مشاكل الإنتاجية في المدن. وبعد أن قضى على هاتين الطبقتين، حُلّت المشاكل الاقتصادية إجمالاً. وبالطريقة نفسها، وضع ثقافة الطبقة المهيمنة [2] تمّ أيضًا بواسطة القتل. فقد تمّ القضاء على المثقفين أثناء قمع مجموعات هوفانغ المعارضين للحزب [3] وقمع الأعداء اليمينيّين. أمّا مشكل الديانات فقد حُلّ عن طريق قتل المسيحيّين، والطاويّين، والبوذيّين، والجماعات العرقيّة. القتل الجماعيّ الذي وقع أثناء الثورة الثقافية أرسى الهيمنة المطلقة ـ الثقافية والسياسية ـ للح ش ص. مجزرة ساحة تيانانمن كانت تهدف لتجنّب أزمة سياسيّة ولوئد أيّ مطالب ديموقراطية. اضطهاد الفالون غونغ يهدف للقضاء على المسائل العقائدية ومسائل الطب التقليدي. سواءًا كانت الأزمات المالية المستمرّة (أسعار سلع الاستهلاك ارتفعت بشكل ملحوظ منذ أن استولى الح ش ص على السلطة والاقتصاد الصيني انهار إثر الثورة الثقافية) أو الأزمات السياسية (رفض الناس للانصياع لأوامر الحزب وإصرارهم على أن يتقاسموا معه الحقوق السياسية)، أو الأزمات العقائدية (تفكّك الاتحاد السوفييتي سابقًا، والتغيّرات السياسية في أوروبا الشرقية ومسألة الفالون غونغ)...من وجهة نظر الح ش ص كلّ هذه الأزمات كانت لازمة لتقوية سلطته والحفاظ عليها. باستثناء الفالون غونغ، استعمل الح ش ص كلّ هذه الحركات تقريبًا ليُحيي من جديدٍ الشيطان الكامن ويُأجّج الرغبة في الثورة. كما استعمل الح ش ص هذه الحركات السياسية أيضًا ليختبر أعضاءه أنفسهم، وليصفّي منهم أولئك الذين لا يستجيبون لمقاييس الحزب.

القتل أساسيّ أيضًا لأسباب عمليّة. في بدايته كان الح ش ص عبارةً عن زمرة من الصعاليك والمجرمين الذين يقتلون لكي يستحوذوا على السلطة. ولكن بعد أن أسّسوا تلك السلطة، لم يكن ممكنًا أن يتراجعوا إلى الوراء. وجدوا أنّ عليهم أن يُبقوا على تلك الحالة من الرعب دائمًا، لكي يُرهبوا الناس ويُرغموهم على قبول تلك السلطة والإذعان لها، في ظلّ الخوف.

في الظاهر، يبدو وكأنّ الح ش ص كان "مُضطرّا للقتل"، يُمكن أن يُخيّل لنا أنّ مُختلف الأحداث التي وقعت هي التي أطلقت مكنة القتل الآليّ لديه. في الحقيقة، تلك الأحداث استُعمِلت لإخفاء حاجته إلى القتل، لأنه بالنسبة للحزب، من الضروري أن تقع ممارسة القتل بصفة دوريّة. بدون تلك الدروس الأليمة، كان الناس ربّما سيبدؤون يظنّون أنّ الح ش ص بصدد التحسّن، وسيتجرّؤون ربّما على المطالبة بالديموقراطية، مثل أولئك الطلبة الطوباويّين أثناء الحركة الديموقراطية في 1989. الالتجاء إلى مجزرة كلّ 7 أو 8 سنين من شأنه أن ينفض الغبار عن ذاكرة الناس ويُعيد إلى أذهانهم الرعب المستمرّ ويُحذّر الأجيال الجديدة ويُفهمهم أنّ أيّا كان يعترض على الح ش ص، سواءًا كان يروم أن يتحدّى السلطة المطلقة للح ش ص أو يُجدّد العهد مع تاريخ الثقافة الصينية، فإنه يذوق طعم "القبضة الحديدية لديكتاتورية البروليتاريا".

أصبح القتل بالنسبة للح ش ص أحد الوسائل الأساسية للحفاظ على السلطة. مع إهراقه المزيد والمزيد من الدم، كان يُصبح مدينًا أكثر فأكثر، فإن هو وضع سكّين الجزار جانبًا، كان ذلك ربّما سيشجّع الناس على الانتقام من الأعمال الإجرامية للح ش ص. القتل بكثرة وبدقة لم يكن كافيًا، بل إنّ المجزرة كان ينبغي أن تتمّ بطريقة أكثر ما تكون عنيفة، لكي يُرهِب الجماهير بطريقة فعّالة، وخاصّة في الفترة التي كان فيها الح ش ص بصدد إرساء سلطته.

بما أنّ الهدف من القتل هو إرساء مناخ من الرعب، فإنّ الح ش ص كان يختار ضحاياه بطريقة عشوائيّة ولا معقولة. في كلّ حركة سياسيّة، استعمل الح ش ص استراتيجية المجزرة. ولنأخذ كمثال "قمع الرجعيّين": لم تقمع تلك الحركة الأعمال "الرجعيّة" بل "الناس" الذي يُعتبرُ أنهم "رجعيّون". إن كان أحدهم قد خُمِل للخدمة العسكرية واشتغل بضعة أيّام تحت لواء الجيش الوطني (الكومينتانغ) ـ بدون أن يكون قد مارس السياسة بعد وقوع السلطة بيد الح ش ص ـ فإنه كان يُقتلُ على كلّ حال بسبب "ماضيه الرجعيّ". أثناء الإصلاح الزراعي، وبهدف تسوية المشكل "من جذوره"، كان الح ش ص كثيرًا ما يقتل عائلات أصحاب الأراضي بأكملها.

منذ 1949، اضطهد الح ش ص أكثر من نصف الشعب الصيني. يُقدّرُ أنّ عددًا يتراوح بين 60 و80 مليونًا قد ماتوا ميتةً غير طبيعية. هذا العدد يفوق عدد قتلى الحربين العالميّتين مجتمعتين.

ومثلما هو الحال في بلدان شيوعية أخرى، التقتيل العشوائي الذي كان يُمارسه الح ش ص كان يضمّ أيضًا التصفية العنيفة لأعضاءه أنفسهم، وذلك بهدف القضاء على المنشقّين الذين يختلج في قلوبهم شيء من الإنسانية يعلو على طبيعة الحزب. بهدف بناء قلعة منيعة، فإنّ سلطة الرعب للح ش ص تضرب الشعب وأعضاء الح ش ص أنفسهم على حدّ سواء.

في مجتمع عاديّ، نجد الناس يُحسّون بالعطف والمحبّة بعضهم إزاء بعض. هم يحترمون الحياة، ويشكرون الله. في الشرق يُقال: "لا تفعل بالآخرين ما لا تُريد أن يُفعَل بك" [4]. في الغرب يُقال: "أحبّ أخاك الإنسان مثلما تحبّ نفسك" [5]. مقابل ذلك، يؤكّد الح ش ص على أنّ "تاريخ كلّ المجتمعات البشرية التي وُجدت حتّى الآن هي تاريخ صراع بين الطبقات" [6]. ولكي نُبقي على هذه "الصراعات" داخل المجتمع، يجب أن نُولّد الكره. الح ش ص لا يقتل فحسبُ، بل أيضًا يُشجّع الناس على الاقتتال فيما بينهم. هدفه هو أن يُصيّرهم عديمي الإحساس بآلام الغير، مع جرائم القتل المُرتكبة في كلّ مكان. هدف الح ش ص هو تعريضهم بصفة دائمة لذلك العنف اللاّإنساني، وبالتالي تخديرهم، ولكي تتكوّن لديهم فكرة أنّ أقصى ما يتمناه الفرد هو أن ينجو من الاضطهاد. كلّ هذه الدروس التي كان الح ش ص يُعطيها أثناء حملات القمع العنيفة تخوّل له أن يبقى في السلطة.

بالإضافة إلى قتله عددًا لا يُحصى من البشر، يُدمّر الح ش ص أيضًا روح الأمّة الصينية. الكثير من الناس أصبحوا مُكيَّفين ونجد أنّ ردّة فعلهم إزاء الح ش ص تفتقر إلى أدنى مبادئ أو منطق سليم. بعبارة أخرى، روح هؤلاء الناس قد ماتت...وهو شيء أفظع بكثير من موت الجسم.

I. مجزرة مروّعة

قبل أن يبلغ الح ش ص سدّة الحكم، كان ماوو تسي تونغ قد كتب: "نحن بطبيعة الحال لن نتوخّى سياسة رفق وحسن معاملة إزاء الرجعيّين والنشاطات الرجعيّة للطبقات الرجعيّة" [7]. بعبارة أخرى، حتّى قبل أن يستولي على بيكين، كان الح ش ص قد نوى أن يمارس الطغيان المقنّع تحت الاستعارة التالية "الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية". نستعرض فيما يلي بعض الأمثلة:

1- قمع الرجعيّين والإصلاح الزراعي

في مارس 1950، كان الح ش ص يُطلق "أوامر بقمع العناصر الرجعيّة بصرامة"، وعُرفت هذه الحركة فيما بعد بـ"قمع الرجعيّين".

خلافًا لكلّ من سبق من الأباطرة، الذين كانوا يمنحون العفو العامّ في كامل البلاد مُباشرةً إثر تتويجهم، شرع الح ش ص في القتل حالما وصل إلى الحكم. في إحدى الوثائق يُصرّح ماوو تسي تونغ: "لا يزال هناك الكثير من الأماكن حيث الناس مُرتبكون ولا يجرؤون على قتل الرجعيّين علانيّة وعلى نطاق واسع". في شهر فبراير من سنة 1951، قال الح ش ص المركزيّ أنه باستثناء مقاطعات جيجيانغ وآنهوي بالجنوب، "المقاطعات الأخرى التي لا تقتل بما فيه الكفاية، وخصوصًا في المدن الكبرى والمتوسّطة، عليها أن تواصل القتل إلى أكثر حدّ ممكن، وألاّ تتوقف مُبكّرًا" [8]. حتّى أنّ ماوو طلب ما يلي: "فيما يخصّ قتل الرجعيّين في المناطق الريفية، يجب أن يتمّ قتل 1000/1 شخص في المعدّل. في المدن، لا بأس إن كانت نسبة القتل أقلّ" [9]. كان سكّان الصين في تلك الفترة يعدّون 600 مليون نسمة؛ ولكنّ هذا الأمر الملكيّ الذي أصدره ماوو سبّب على الأقلّ 600.000 قتيلاً. لا أحد يعلم من أين أتت هذه النسبة: 1000/1 من المواطنين.. ربّما أنّ ماوو بكلّ بساطة قرّر أنّ هذه الـ600.000 حياة كافية لكي يُخيّم مناخ الرعب وسط الشعب، لذلك أصدر أمره.

هل استحقّ هؤلاء الأشخاص الموت أم لا، هذا لا يدخل ضمن اهتمامات الح ش ص. "قوانين الجمهورية الشعبية بالصين في شأن عقوبات الرجعيّين" والمُعلنَة في 1951 تنصّ على أنه حتّى من "يُروّج إشاعات" يُمكن أن "يُقتَل فورًا".

بينما كان قمع الرجعيّين جاريًا، كان الإصلاح الزراعي أيضًا يجري على نطاق واسع. كان الح ش ص قد بدأه منذ نهاية السنوات 1920، في المناطق التي كان يحتلّها. في الظاهر كان ذلك يبدو وسيلة للحصول على أمّة آمنة ومثاليّة ـ شبيهة بالمملكة السماوية بتايبينغ [10]ـ حيث كان كلّ فردٍ تقريبًا في المملكة يملك أراض...ولكن في الحقيقة كان ذلك مجرّد ذريعة للقتل. تاوو جو ـ الذي كان رقم 4 في ترتيب الح ش ص، ابتدع شعارًا للإصلاح الزراعيّ: "كلّ قرية تنزفُ دمًا، وكلّ زوجين يتشاجران"، مُشيرًا إلى أنه يجب قتل مالكي الأراضي.

كان بالإمكان أن يتمّ الإصلاح الزراعي دون قتل. الحكومة التايوانية قامت به عبر اشتراء الأراضي من أصحابها. ولكنّ الح ش ص نظرًا لكونه عُصبة من اللّصوص وحثالة المجتمع لا يعرفون شيئًا سوى النهب، فقد كان بطبيعة الحال في حاجة لقتل ضحاياه لكي يضمن ألاّ ينتقموا أبدًا.

طريقة القتل الأكثر شيوعًا أثناء الإصلاح الزراعي كانت "مُلتقى الصراع". كان الح ش ص يختلق تُهمًا ويُلفّقها لأصحاب الأراضي والفلاّحين الأثرياء. ثمّ كان يطلب من الجمهور بأيّ طريقة ينبغي أن يُعاقَبَ هؤلاء الأشخاص. ويكون هناك أعضاء ونشطاء من الح ش ص مندسّين داخل الحشد فيصيحون: "يجب قتلهم !" فيُقتَلُ أصحاب الأراضي أو الفلاّحون الأثرياء على الفور. في تلك الفترة، أيّ شخص كان يملك أراض في القرية كان يُنعَتُ بـ"طاغية". أولئك الذين كانوا يستغلّون القرويّين الفقراء كانوا يُنعَتون بـ "طغاة فاسدين". أولئك الذين كانوا كثيرًا ما يقدّمون العون ويرعَوْن المصالح العامّة ويتبرّعون بالمال للمدارس وأثناء الكوارث الطبيعية كانوا يُنعَتون بـ"طغاة طيّبين"، وأولئك الذين لم يكونوا يفعلون شيئًا يُنعَتون بـ"طغاة صامتين"..ولم يكن هذا التصنيف مُهمًا على كلّ حال، إذ كان كلّ "الطغاة" يُقتلون فورًا مهما يكن الصنف الذين ينتمون إليه.

في 1952، نشر الح ش ص عدد "الأشخاص الرجعيّين" الذين قتلهم: أكثر من 2.4 مليون شخص. في الحقيقة عدد القتلى من أصحاب الأراضي وموظّفي حكومة الكومينتانغ السابقين على مستوى المقاطعة كان يصل إلى 5 ملايين على الأقلّ.

قمع الرجعيّين والإصلاح الزراعي كانت له ثلاثة عواقب: الأولى هي أنّ الموظفين القدامى الذين كان قد وقع عليهم الاختيار بواسطة نظام مستقلّ يرتكز على العشائر، تمّ القضاء عليهم. بقمعه للرجعيّين وبإصلاحه الزراعي، قتل الح ش ص كلّ المسيّرين والمُشرفين في النظام السابق وفرض سيطرة مُطلقة عبر وضعه عضوًا من الحزب الشيوعي على رأس كلّ قرية. العاقبة الثانية هي المبالغ الهائلة التي جمّعها نتيجة السرقة والنهب. والعاقبة الثالثة هي أنّ الموظفين أصيبوا بالرعب جرّاء القمع العنيف لأصحاب الأراضي والفلاّحين الأثرياء.

2- "حملة الأضداد الثلاثة" و"حملة الأضداد الخمسة"

قمع الرجعيّين والإصلاح الزراعيّ شملا بالأساس الأرياف، بينما "حملة الأضداد الثلاثة" و"حملة الأضداد الخمسة" (وتسمّيان أيضًا "حملة الضربات الثلاثة" و"حملة الأضداد الخمسة") اللّتين تلتا شملتا المدن. (الثنائي الأول كان مجزرة الأرياف بينما الثنائي الثاني كان مجزرة المدن.)

"الأضداد الثلاثة" كانت حملة ضدّ الفساد، وضدّ التبذير، وضدّ البيروقراطية، بدأت في ديسمبر 1951 واستهدفت فساد إطارات الحزب. بعض الأعضاء الفاسدين للح ش ص تمّ إعدامهم. ولم يمض وقت طويل إثر ذلك حتّى عزا الح ش ص فساد موظفي حكومته إلى محاولات الرأسماليين. وبالتالي أطلق في 1952 "حملة الأضداد الخمسة": ضدّ الفساد والتهرّب من الضريبة، والسطو على الممتلكات العامّة، واختلاس أموال الدولة، والتجسّس على المعلومات الاقتصادية للدولة.

"حملة الأضداد الخمسة" تمثّلت بالأساس في نهب ممتلكات الرأسماليّين أو بالأحرى قتل الرأسماليّين للاستيلاء على أموالهم. كلّ مساء، كان سان يي ـ رئيس بلدية شانغهاي في ذلك الوقت ـ يستفسر وهو جالس على الأريكة، وفنجان الشاي في يده، عن تقدّم العمليّات. كلّ مساء كان يسأل بلا مبالاة: "كم من مظلّي سجّلتم اليوم ؟" يعني بذلك: كم من رجل أعمال انتحر اليوم مُلقيًا نفسه من سطح بناية شاهقة ؟ لم يُفلت أيّ رأسماليّ من "حملة الأضداد الخمسة". كان يُطلَبُ منهم أن يدفعوا ضرائب "مُختَلَسة" يعود عهدها إلى فترة غوانغسو (1875 - 1905) من عهد حكم سلالة التشينغ (1644 - 1911) عندما تأسّس السوق التجاري لشانغهاي أوّل مرّة. رغم ما لديهم من أموال وموارد، لم يكن بوسع الرأسماليين أن يدفعوا مثل هذه "الضرائب". لم يكن لديهم خيار آخر سوى وضع حدّ لحياتهم، ولكنهم لم يكونوا يجرؤون حتّى على رمي أنفسهم في نهر هوانغبو، لأنه إن لم يقع العثور على جثثهم فإنّ الحكومة كانت ستتّهمهم بالهرب إلى هونغ كونغ وسيكون على أفراد عائلاتهم أن يتحمّلوا مسؤولية تلك الضرائب. لذلك كان الرأسماليون يفضّلون أن يرموا بأنفسهم من سطوح البنايات، تاركين للح ش ص أجسادهم دليلاً على موتهم. يُروى أنه في تلك الفترة في شانغهاي كان الناس لا يجرؤون على المشي بمحاذاة البنايات العالية خوفًا من أن يسقط عليهم أحد القافزين من النوافذ.

حسب وقائع الحملة السياسية بعد تأسيس الجمهورية الشعبية بالصين، والتي نشرتها أربعة أقسام حكومية من بينها مركز الدراسات التاريخية ببيكين في 1996، أثناء حملتيْ "الأضداد الثلاثة" و"الأضداد الخمسة"، تمّ إيقاف أكثر من 323.100 شخص وأكثر من 280 انتحروا أو اختفوْا. أثناء حملة "ضدّ هوفانغ" في 1955، تمّ اتّهام أكثر من 5.000 وإيقاف أكثر من 500، أكثر من 60 انتحروا و12 ماتوا ميتة غير طبيعية. أثناء ما تلى ذلك من قمع للرجعيّين، تمّ إعدام أكثر من 21.300 شخص، وأكثر من 4.300 انتحروا أو فُقِدوا [11].

3- المجاعة الكبرى

أكبر نسبة وفيّات سُجّلت في الصين كانت أثناء المجاعة الكبرى، والتي تلت القفزة الكبرى إلى الأمام بوقت قصير [12]. هناك مقال بعنوان "المجاعة الكبرى" في كتاب الأرشيفات التاريخية للجمهورية الشعبية بالصين، والذي نُشِرَ سنة 1994. يُصرّح هذا المقال بأنّ "عدد الوفيّات غير

الطبيعية وتقلّص عدد الولادات بين سنتي 1959 و 1961 يُقدّرُ بـ40 مليون [...] لا بدّ أنّ هلاك 40 مليون شخص من الشعب يمثّل أكبر مجاعة في تاريخ العالم" [13].

لقد شوّه الح ش ص حقيقة المجاعة الكبرى، واختلق ما يُسمّى بـ"السنين الثلاث للكوارث الطبيعية". في الواقع، تلك السنين الثلاث شهدت ظروفًا مناخيّة وطبيعيّة طيّبة؛ لم يحدث فيها فياضانات كبيرة، ولا جفاف، ولا عواصف، ولا سيول جارفة، ولم يحدث أيّ زلزال، ولا جليد، ولا موجات برد شديدة، ولابَرَد، ولا أسراب جرادٍ. كلّ "الكارثة" كانت من صنع الإنسان. حملة القفزة الكبرى إلى الأمام كانت تريد أن ينخرط كلّ شخص في الصين في صناعة الصّلب، وهكذا أُجبِرَ الفلاّحون على إهمال محاصيلهم وتركها تتلف على عين المكان في الحقول. ورغم ذلك زاد الموظفون في كلّ منطقة في طلباتهم من إنتاج المحاصيل. هو بيوان، الأمين العام الأول لقسم شرطة لجنة الح ش ص في عمادة ليوجو، اخترع أمرًا غير معقول: "نسبة 65.000 كيلو أرزّ في المو الواحد" في مقاطعة هوانجيانغ [14]. حدث هذا مباشرة إثر الجلسة المكتملة بلوشان، وعندما كانت حملة قمع الجناح الأيمن في أوجها في كامل البلاد، بهدف إثبات أنّ الح ش ص دائمًا على حقّ، صُودِرَ المحصول من طرف الحكومة على شكل ضرائب مبنيّة على نِسب الإنتاج تلك ـ المُبالغ فيها. وبالتالي فإنّ حصص الحبوب والموادّ الأساسية صُودرت بأكملها من المُزارعين. وعندما ظلّت لا تفي بالطلب، اتّهموا المزارعين بإخفاء المحاصيل.

كان هي بيوان يقول أنه رغم عدد الناس الذين كانوا يموتون بليوجو فإنه يظلّ عليهم أن يُحاولوا جُهدهم أن يتصدّروا المرتبة الأولى في السباق نحو مردوديّة الإنتاج. بعض المُزارعين حُرموا من كلّ شيءٍ، ولم يبق لديهم سوى بضع حفناتٍ من الأرزّ أخفوْها في سطل الاستراحة. ووصل الأمر إلى أنّ لجنة الحزب في إقليم سونلوه، إقليم هوانجيان، أصدرت أمرًا يمنع الطبخ، لكي يمنعوا القرويين من أكل محاصيلهم. كانت هناك دوريّات تجوب الأرياف أثناء الليل. إن لمحوا ضوء نار، كانوا يقومون بدهم المنازل والتفتيش. الكثير من القرويين لم يعودوا يجرؤون حتّى على طبخ الخضار البرّية أو قشور الخضار وماتوا جوعًا.

على مرّ التاريخ، كانت الحكومات أثناء فترات المجاعة، تمدّ الناس بحساء الأرزّ، وتوزّع المحاصيل، وتسمح للضحايا بالرحيل للهرب من المجاعة. ولكنّ الح ش ص كان يعتبر الهرب من المجاعة إهانة لكبرياء الحزب، لذا كان يأمر الدوريّات بسدّ الطرقات لمنع الضحايا من الهرب من المجاعة. كان كلّ شخص يُقبَضُ عليه وهو بصدد أخذ حبوبٍ من مستودع الحبوب يُنعَت بأنه "عدوّ الثورة" ويُقتل رميًا بالرصاص. كان الفلاّحون يهلكون شيئًا فشيئًا في مقاطعات غانسو، شاندونغ، هينان، آنهوي، هوباي، هونان، سيشوان، وغوانغسي. ورغم ذلك كان يتمّ إرغامهم على المشاركة في أعمال الريّ، وبناء السدود، وصنع الصّلب. الكثير منهم كان يهوي ولا ينهض بعدها أبدًا. كانت عائلاتٌ من الفلاّحين تموت بأسرها. والباقون على قيد الحياة لم تكن لديهم القوّة لدفن موتاهم. قُرًى بأكملها اضمحلّت، إذ كانت العائلات تموت من الجوع واحدة تلو الأخرى.

قبل وصول الح ش ص إلى السلطة، وأثناء أخطر المجاعات في تاريخ الصين، كانت العائلات تتبادل أطفالها مقابل الطعام، ولكن لم يحدث أبدًا أن يأكل أحدهم أطفاله. تحت حكم الح ش ص بلغ الأمر بالناس إلى أكل الموتى، وإلى قتل أولئك القادمين من مناطق أخرى وأكلهم، وحتّى إلى أكل أطفالهم فلذات أكبادهم. وصف الكاتب شاتشينغ المشهد التالي في كتابه يي سي دا دي وان (الأرض المظلمة: باي دا دي) : في إحدى عائلات الفلاّحين، كان هناك أب يعيش وحيدًا مع ابنه وابنته. وذات يوم طرد ابنته خارج المنزل. وعندما عادت لم تجد أخاها الصغير، ولكنها رأت بعض الزيت طافيًا على القدر وكومة من العظام بجانب الموقد. وبعد بضعة أيام، وضع الأب ماءًا في القدر وطلب من ابنته أن تقترب، فارتاعت الطفلة واختبأت وراء الباب وتوسّلت لأبيها: "أرجوك يا أبي لا تأكلني. أستطيع أن أذهب لأحتطب وأطهو لك. إن أكلتني من سيقوم بهذه الشؤون من أجلك ؟"

في النهاية لا نعرف حقّا مدى الكوارث ولا عدد المآسي التي مثل هذه المأساة تحت حكم الح ش ص، ورغم ذلك نجد هذا الأخير يُشوّه الحقائق، ويُحوّلها إلى مفاخر، زاعمًا أنه يدفع الناس ليُكافحوا بشجاعة "الكوارث الطبيعية" ومُستمرّا في التّباهي بأنه "عظيم، ومجيد، وعادل".

بعد الجلسة المكتملة بلوشان في 1959، أقيلَ الجنرال بانغ دوهواي [15] من مهامّه لأنه ناصر اشعب. كذلك بالنسبة لمجموعة من الموظفين وأعوان الحكومة الذين تجرّؤوا على قول الحقيقة: أطردَ بعضهم، واعتُقِل البعض الآخر وخضع لأبحاثٍ. ولم يجرؤ أحدٌ بعد ذلك عن التعبير عن رأيه. في فترة المجاعة الكبرى، عوض أن ينقلوا الحقيقة، أخفوْا عدد القتلى جرّاء المجاعة حفاظا على مراكز عملهم. بل إنّ مقاطعة غانسو رفضت مساعدة غذائيّة من مقاطعة شآنسي وادّعت أنّ لديها فائضًا من الغذاء بغانسو.

هذه المجاعة الكبرى كانت أيضًا اختبارًا لإطارات الحزب: إن صمدوا ولم يستسلموا للرغبة في قول الحقيقة إزاء عشرات الملايين من الناس الذين يموتون جوعًا، كانوا يبلغون مقاييس الح ش ص. هذا الأخير كان يتيقّن حينها أنه ما من شيءٍ ـ لا المشاعر الإنسانية ولا المبادئ السماوية ـ عاد بإمكانه أن يُحوّل وجهتهم عن خطّ سير الحزب. بعد المجاعة الكبرى، شارك الموظفون المسؤولون عن المقاطعات بكلّ بساطة في بروتوكول النقد الذاتي. لي تينغتشوان، وهو أمين الح ش ص في مقاطعة سيشوان ـ حيث قضى ملايين الأشخاص جوعًا ـ رُقّي إلى منصب أمين أوّل لقسم إقليم الجنوب الغربي لدى الح ش ص.

4- من الثورة الثقافية إلى مجزرة ساحة تيانانمن وإلى الفالون غونغ

أطلِقت الثورة الثقافية رسميّا في 16 مايو 1966 ودامت إلى حدود 1976. سُمّيت هذه الفترة "السنين الكارثيّة العشر" حتّى من طرف الح ش ص نفسه. أثناء حوار أجراه معه صحفيّ يوغسلافيّ، صرّح الأمين العامّ السابق للحزب، هو ياووبانغ: "في تلك الفترة، كان 100 مليون شخص تقريبًا ضالعين (متورّطين)، وهي نسبة تمثّل عُشر الشعب الصيني."

وقائع الحملات السياسية بعد تأسيس الجمهورية الشعبية بالصين، والتي جمّعها مركز البحث التاريخي التابع للح ش ص، تذكر ما يلي: "في مايو من سنة 1984، وبعد 31 شهرًا من الأبحاث المُكثّفة، من المعاينة والإحصاءات المستمرّة التي قامت بها اللجنة المركزية، فإنّ الأرقام المتعلقة بالثورة الثقافية هي كما يلي: 4.2 مليون شخص اعتُقِلوا وخضعوا لأبحاث، 1.7 مليون شخص ماتوا ميتة غير طبيعية، 135.000 شخص لُـقّبوا بـ"أعداء

الثورة" وأعدِموا، 23.700 شخص قُتِلوا، 7.03 ملايين شخص أصيبوا بعاهة مُستديمة جرّاء هجومات مسلّحة، و71.200 عائلت تفكّكت." تُبرز الإحصائيات المُجمّعة على مستوى المقاطعة أنّ 7.73 ملايين شخص ماتوا ميتة غير طبيعية أثناء الثورة الثقافية.

بالإضافة إلى الناس الذين ضُربوا حتّى الموت، أثارت بداية الثورة الثقافية أيضًا موجاتٍ من الانتحار. إنه في تلك الفترة حيث نجد أنّ كثيرًا من كبار المثقفين مثل لاوو شو، فولاي، جيان بوزان، ووهان، وشو آنبينغ وضعوا حدًا لحياتهم.

كانت الثورة الثقافية أكثر فترة يساريّة تقترب من الجنون. أصبح القتل وسيلة منافسة يُظهر الشخص من خلالها وضعيّته الثورية والطرق المستعملة للقضاء على "الأعداء الطبقيين" كانت قاسية وعنيفة إلى أقصى حدّ.

سهّلت سياسة "الإصلاح والانفتاح" مرور المعلومة، الأمر الذي خوّل لبعض الصحفيين الأجانب أن يكونوا شهود عيان على مجزرة ساحة تيانانمن، وأن يبثّوا الصور التي نرى فيها دبابات تدوسُ طلاّبًا على قيد الحياة.

عشر سنين بعدها، وفي 20 يوليو 1999، أطلق دجيانغ زمين قمعه للفالون غونغ. مع نهاية 2002، أكّدت مصادر آتية من الحكومة الصينية أنّ عدد القتلى الغير مُصرّح بهم يتجاوز 7.000 في مراكز الاعتقال، ومخيّمات العمل الإجباري، والسجون، ومستشفيات الأمراض العقلية، مع معدّل يصل إلى 7 قتلى كلّ يوم.

اليوم، يبدو أنّ الح ش ص يقتل بنسبة أقلّ بكثير من الماضي حيث كان الملايين، بل عشرات الملايين يُقتلون. هناك سببان وراء هذا الأمر: الأول هو أنّ ثقافة الحزب قد شوّهت روح الصينيين، وأصبحوا مُستسلمين خاضعين ومُتشائمين. والسبب الثاني هو أنه بسبب الفساد المُشطّ والغشّ والتدليس بين موظفي الحكومة الصينية، أصبح الاقتصاد الصيني "اقتصادًا تحت الحقن" يتوقف على رؤوس الأموال الأجنبية ليُحقق النموّ الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي. العقوبات الاقتصادية التي تلت مجزرة ساحة تيانانمن لا زالت راسخة في ذاكرة الح ش ص وهو يعلم أنّ القتل العلنيّ من شأنه أن يُسبّب انسحاب رؤوس الأموال الأجنبية وربّما يضع نظامه الشموليّ في خطر.

في الحقيقة، لم يكفّ الح ش ص أبدًا عن تقتيل الناس. الفرق هو أنه الآن يتفانى في إخفاء مسرح الجريمة.

II. طرق في القتل على غاية من القسوة

كلّ ما يفعله الح ش ص لا يخدم سوى غاية واحدة: الحصول على السلطة والحفاظ عليها. القتل بالنسبة للح ش ص هو وسيلة أساسية للحفاظ على السلطة. كلّما قُتِل عدد أكبر من الناس وكلّما كانت الطرق المُستعملة قاسية، كلّما نجح ذلك أكثر في ترويع الناس. لقد بدأ هذا الرعب حتّى قبل الحرب الصينية ـ اليابانية.

1- المجازر في شمال الصين أثناء الحرب الصينية ـ اليابانية

كان الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ـ هوفر ـ يوصي بقراءة كتاب "العدوّ الداخليّ" من تأليف الأب ريمون دوجاغر [16] والكاتبة الأمريكية إيرين كوربالي كون، قائلاً أنّ هذا الكتاب يصوّر تصويرًا مجرّدًا رعب الحركات الشيوعية. كان يرى أنّ كلّ شخص يُريد أن يفهم فيم تتمثل تلك القوّة الشريرة الموجودة في العالم، عليه بقراءة ذلك الكتاب.

في هذا الكتاب يروي المؤلفان دوجاغر و كون حكايات تصوّر كيفيّة استعمال الح ش ص للعنف لترويع الناس وإرغامهم على الخضوع. مثلاً في أحد الأيام، طلب الح ش ص أن يتوجّه جميع السكان إلى ساحة القرية. وأن يصطحب المدرّسون أيضًا تلاميذهم إلى الساحة. كان الهدف من هذا التجمّع هو مشاهدة عمليّة تنفيذ الإعدام في 13 من الشبّان الوطنيين. وبعد الإعلان عن التّهم المُفبركة والمُلفّقة للضحايا، أمر الح ش ص مُدرّسة التلاميذ ـ وقد تملك الرعب قلبها ـ أن تجعل التلاميذ يُنشدون أناشيد وطنية. أمامهم على الساحة لم يكن هناك راقصون ليرافقوا الأناشيد برقصهم، بل جلاّد يُمسك بسكّين مشحوذ. لقد كان جنديًا شيوعيًا ذي عضلات مفتولة، قويًا وعديم الرحمة.

اتجه الجندي خلف الضحيّة الأولى ورفع بسرعة سكّينه الكبير وضرب إلى الأسفل، وسقط الرأس الأول..وانبثق الدم كما لو من نافورة بينما كان الرأس يتدحرج على الأرض، وأخذ النشيد الهستيري للتلاميذ يتحول إلى صراخ وبكاء. وكانت المدرسة تواصل توقيع النغم مُحاولة ألاّ ينقطع النشيد، ولكنّ جرسها كان يرنّ وسط الصخب والفوضى.

لقد ضرب الجلاّد 13 مرّة وسقط 13 رأسًا. إثر ذلك، أقبل كثير من الجنود الشيوعيين وشقّوا صدور الضحايا لينتزعوا قلوبهم، ويحتفلوا. كلّ هذه الفظائع جرت على مرأىً ومسمع من التلاميذ. لقد اصفرّت وجوههم رعبًا، والبعض منهم أخذ يتقيّأ. وصاحت المدرّسة على الجنود، ثمّ صفّت التلاميذ في طوابير وعادت بهم إلى المدرسة.

بعد تلك الحادثة، رأى الأب دوجاغر عديد المرات أطفالاً يُرغَمون على مشاهدة الناس يقتتلون. وتعوّد الأطفال على المجازر الدامية، بل وحتّى أنّ بعضهم أصبح يستمتع بتلك المشاهد. ثمّ بدأ الح ش ص يفكّر أنّ مجرّد القتل لم يكن مُرعبًا ومُثيرًا بما فيه الكفاية، فابتدع شتّى أصناف التعذيب القاسية. من ذلك إرغام الشخص على ابتلاع كمّية كبيرة من الملح وعدم السماح له بشرب الماء ـ فكانت الضحيّة تتعذّب إلى أن تموت عطشًا في

النهاية، أو تجريد الضحيّة من ملابسها وجعلها تتمرّغ على قطع من الزجاج المكسور، أو حفر حفرة في جليد نهر مُتجمّد في الشتاء، ورمي الضحيّة هنالك ـ كانت الضحيّة تموت مُتجمّدة أو غريقة.

كما روى دوجاغر وكون أيضًا كيف أنّ عضوًا في الح ش ص من مقاطعة شآنسي اخترع طريقة تعذيب مروّعة. ذات يوم وبينما كان يتجوّل في المدينة، توقف أمام مطعم وأخذ يتأمّل آنية كبيرة ملآنة ماءًا مغليًا. وبعد مرور فترة على ذلك، اشترى عددًا من القدور العملاقة، قبل أن يعتقل بعض أعداء الشيوعية. أثناء المحاكمة الجائرة، أمر بتلك القدور فمُلئت بالماء وسُخّنت إلى درجة الغليان. وبعد المحاكمة جُرّد ثلاثة ضحايا من ملابسهم وألقي بهم في تلك القدور حيث ماتوا حرقًا. وفي بينغشا، رأى دوجاغر أبًا يُسلخُ حيًا تحت أنظار ابنه. كان أعضاء الح ش ص قد أجبروا الابن على مشاهدة والده وهو يموت وسط آلام فظيعة وعلى سماع صراخه. لقد صبّوا خلاً ومادّة حامضة على جسم الأب لينزعوا جلده. بدؤوا بالظهر، ثمّ الكتفين، وسُرعان ما انتُزع باقي الجلد الذي يغطي جسمه، ولم يبق سوى جلد الرأس. وما هي إلاّ دقائق حتّى مات الرجل.

2- الرعب الأحمر أثناء "أغسطس الأحمر" ووحشيّة غوانغسي

بعد أن تأكّد الح ش ص من سيطرته التامّة على البلاد، لم يوقف رغم ذلك عنفه. بل أنه أثناء الثورة الثقافية زاد العنف حدّة.

في أغسطس 1966، التقى ماوو تسي تونغ بممثلين عن الحرس الأحمر في قلعة ساحة تيانانمن، فتقدّمت سونغ بينبين ـ ابنة المسؤول الشيوعي سونغ رنتشيونغ ـ نحو ماوو تسي تونغ وأهدته ساعِدة موشّاة بشعار الحرس الأحمر. وعندما عرف ماوو اسمها: سونغ بينبين، والذي يعني "طيّبة ومهذبة"، قال: "بودّنا المزيد من العنف". فأبدل سونغ اسمها إلى "سونغ ياو وو" والذي يعني حرفيًا: تحبّ العنف.

استشْرَت الهجومات المسلّحة في كامل البلاد. وكان الجيل الأصغر الذي نشأ وتربّى على الإلحاد، لا يخاف ولا يخشى من شيءٍ. تحت زعامة الح ش ص وبقيادة توجيهات ماوو، بدأ أعوان الحرس الأحمر المتعصّبين، الجهلة، والواضعين أنفسهم فوق كلّ قانون، يضربون الناس، وينهبون مساكنهم، في كامل أنحاء الصين. في مناطق عديدة، كانت "الطبقات السوداء الخمس" (مالكو الأراضي والفلاّحون الأثرياء والرجعيّون والعناصر السيّئة واليمينيّون) تتعرّض للتصفية التامة. هي وعائلاتها ـ في ظلّ سياسة دمويّة قائمة على القتل. المثال التالي هو مثال نموذجيّ: في مقاطعة دايسينغ قرب بيكين، قُتِل 325 شخصًا في 48 محافظة في 13 قرية، وذلك فقط في الفترة الممتدّة بين 27 أغسطس و1 سبتمبر 1966. أكبر الضّحايا سنًا كان عمره 80 سنة وأصغرها لا يتجاوز 38 يومًا. قُتِلت 22 أسرة بأكملها، دون أن يبقى منها أحدٌ.

"كان من المألوف أن ترى أحدًا يموت ضربًا في ساحة شارع شاتان، كانت هناك مجموعة من الحرس الأحمر يُعذّبون سيدة مُسنّة مستعملين سلاسل حديدية وأحزمة جلدية، إلى أن أصبحت عاجزة تمامًا عن الحركة. ورغم ذلك واصلت جنديّة من الحرس الأحمر تعذيبها، إذ أخذت تثبُ بقوّة على بطنها لتدقّ معدتها، فماتت السيدة المُسنّة على الفور. بالقرب من شونغوانغ، كان الحرس الأحمر يفتّشون منزل "زوجة مالك أراض"ـ وهي أرملة تعيش بمفردها. ثمّ أجبروا كلّ جار أن يُحضر وعاءًا فيه قليل من الماء المغليّ، وصبّوا ذلك الماء المغليّ شيئًا فشيئًا من ياقة الامرأة المُسنّة إلى صار جسدها وكأنه مطبوخ. وبعد عدّة أيّام وُجدت تلك الامرأة ميّتة على عين المكان، والدود ينهمر من جسمها [...] كانت هناك طرق متعدّدة ومختلفة للقتل منها: القتل ضربًا بالهراوة، قطع الرأس بالمنجل، الخنق بالحبال..الخ [...] أبشع طريقة كانت طريقة قتل الأطفال صغيري السنّ: كان القاتل يمشي على إحدى سيقان الطفل ويجذب بقوّة الساق الأخرى، وهكذا يُقطّع أوصال الرضيع. (التحقيق في مجزرة داسينغ بقلم يو لووان) [17].

ولكن ما فاق مجزرة داسينغ وحشيّة وفظاعة كان أكل لحم الإنسان في غوانغسي. فيما يلي مقطع من كتاب يصف فيه الكاتب جانغ يي أكل لحم الإنسان في غوانغسي؛ والحادثة هنا تنقسم إلى ثلاثة مراحل [18]:

في المرحلة الأولى كانت الفظاعة مُتستّرة ومُرعبة. نجد في أرشيفات الإقليم المشهد النموذجي التالي: مع منتصف الليل يتسلّل القتلة يمشون على أطراف أقدامهم باتّجاه ضحاياهم لكي يفتحوا بطونهم وينتزعوا منها القلب والكبد. كانوا في البداية خائفين وتنقصهم التجربة، لذلك حصل وأن أخطأوا وأخذوا بدل ذلك الرئتين. ثمّ عادوا أدراجهم. ولمّا طبخوا القلب والكبد، أحضر بعضهم مشروبات كحوليّة من منزله، وأحضر البعض الآخر شيئًا من التوابل، ثمّ أكل جميع القتلة تلك الأعضاء البشرية في صمتٍ، على ضوء نور ضئيل مُنبعث من نار الفرن.

المرحلة الثانية كانت أوج فترة أكل لحم الإنسان في غوانغسي، فترة كانت فيها الفظاعة علنيّة وعامّة. في تلك الفترة، اكتسب القتلة خبرة ومهارة في كيفيّة انتزاع قلب الضحيّة وكبدها بينما لا تزال على قيد الحياة، وكانوا أيضًا يُلقّنون ذلك للآخرين، ويُحاولون أن يُحسّنوا تقنياتهم ويُبلوروها. مثلاً عندما يتعلّق الأمر بفتح بطن إنسان حيّ، كان يكفي أن يقوموا بشقّ على شكل صليبٍ على مستوى البطن، ثمّ بالقفز على جسمه (وإن كانت الضحيّة مُوثقة إلى شجرة، كانوا يُعطونها ضربة بالرجل في أسفل البطن) فكان القلب والأعضاء الأخرى تخرج تلقائيًا. كان القلب والكبد والأعضاء التناسليّة من نصيب زعيم القتلة، بينما يأخذ الآخرون البقيّة. كانت هذه المشاهد الفظيعة الوحشية تتمّ تحت خفق الأعلام والشعارات.

المرحلة الثالثة كانت فترة الجنون الشيطاني، وذلك عندما أصبح أكل لحم الإنسان حركة منتشرة بشكل كبير. في إقليم ووشان، كان الناس يأكلون لحم إخوانهم الآدميين بنهمٍ، مثل الكلاب البرّية التي ترتمي على الجثث في فترات الأوبئة. كثيرًا ما كان الأمر يتمّ بالشكل التالي: كانت الضحيّة أوّلاً تخضع لما يُسمّى بـ "النقد العامّ"، ويلي ذلك مباشرةً القتل، ويليه مباشرةً أكل لحم الإنسان. ما إن تسقط الضحيّة، ميّتة كانت أم حيّة، يُخرج الناس السكاكين التي أحضروها ويُحيطون بالضحيّة، كلّ يقتطعُ ما أمكن له من الأجزاء. في تلك المرحلة، كان كلّ المواطنين الصينيين ضالعين في أكل لحم الإنسان. "صراع الطبقات"، مثل إعصار جامح، كان يكنس من النفوس والضمائر كلّ شعور بالخطيئة وكلّ إحساس إنسانيّ. لقد انتشر أكل لحم الإنسان مثل الوباء، وأصبح الناس يجدون متعةً في هذه الاحتفالات الوحشية. كلّ قطعة من الجسم البشري كانت طيّبة ومستساغة، بما في ذلك القلب، العضلات، الكبد، الكِلى، المرفقين، القدمين، والوتر. كانت الأجساد تُطهى بطرق مختلفة: مغليّة، بالبخار، مطبوخة، مقليّة، أو مشويّة. كان الناس يشربون مشروبات كحوليّة قويّة أو خمرًا، ويلهون ويمرحون وهم يأكلون لحم البشر. في أوج تلك الفترة، حتّى الكافيتيريا التابعة لأعلى تنظيم حكوميّ، اللجنة الثورية بإقليم ووسون، كانت تقدّم أطباقًا من اللحم البشريّ.

نرجو ألاّ يذهب ظنّ القارئ إلى أنّ مثل تلك الاحتفالات الوحشية التي يتمّ فيها أكل اللحم الآدميّ كانت لا تعدو أن تكون تصرّفًا همجيّا وغير مُمنهج. كان نظام الح ش ص يُمثّل تنظيمًا شموليّا لا تغفل أنظاره عن أيّ خليّة في المجتمع. دون تشجيعات الح ش ص وتسييره الخفيّ، لم تكن حركة أكل لحم الإنسان هذه لتظهر.

هناك أغنية ألّفها الح ش ص يمتدح فيها نفسه تقول كلماتها: "المجتمع القديم [19] حوّل البشر إلى أشباح، والمجتمع الجديد حوّل الأشباح إلى بشر"... ولكن نحن نرى بوضوح هنا من خلال هذه المجازر وطقوس العربدة الوحشية أنّ الح ش ص يستطيع أن يحوّل الإنسان إلى وحش أو شيطان، لأنّ الح ش ص في حدّ ذاته أقسى من أيّ وحش وأيّ شيطان.

3- اضطهاد الفالون غونغ

عندما دخل الصينيون عصر الحواسيب والرحلات الفضائية، وعندما أصبحوا يتحدّثون على انفراد عن حقوق الإنسان، عن الحرّية والديموقراطية، ظنّوا أنهم ودّعوا فظاعة القتل وتركوها بعيدًا وراءهم. لقد ارتدى الح ش ص ثوبًا متمدّنًا عصريّا وهاهو مستعدّ للتواصل مع العالم.

ولكن ليست تلك الحقيقة للأسف. عندما اكتشف الح ش ص وجود مجموعة لا تهابُ تعذيبه القاسي وجرائمه، لم تزدد طرق السيطرة والمراقبة لديه إلاّ حدّة وكثافة. هذه المجموعة التي أصبحت هدفًا للاضطهاد هي الفالون غونغ.

إن كانت قسوة الحرس الأحمر وأكل لحم الإنسان في مقاطعة غوانغسي يهدفان إلى القضاء على أجساد الضحايا، الذين كانوا يُقتلون في ظرف دقائق أو ساعات، نستطيع القول أنّ اضطهاد ممارسي الفالون غونغ يهدف إلى جعلهم يتخلّوْن عن اعتقادهم في "الحق والرحمة والصبر". أمّا التعذيب فيمكن أن يمتدّ على أيام بحالها، شهور، أو حتّى سنواتٍ. يُقدّر أنّ أكثر من 10.000 ممارس ماتوا تحت التعذيب إلى يومنا هذا.

ممارسو الفالون غونغ الذين ذاقوا مختلف أصناف التعذيب والذين نجوْا من الموت تحدّثوا عن أكثر من 100 طريقة تعذيب مختلفة. فيما يلي بعض الأمثلة على سبيل الذكر لا الحصر:

أكثر الطرق شيوعًا في معاملة ممارسي الفالون غونغ هي الضرب المبرّح. الشرطة والمساجين الأكثر غلظة يضربون مباشرةً الممارسين، كما يُحرّضون مساجين آخرين على فعل نفس الشيء. تحت وقع الضرب، كثير من الممارسين أصيبوا بالصمم، أغشية آذانهم الخارجية تمزّقت، محاجرهم غاصت، أسنانهم انكسرت، حسب الحالات أصيب فيهم من أصيب بكسر في الجمجمة، أو العمود الفقري، أو القفص الصدري، أو الترقوة، أو الحوض، أو الذراعين، أو الساقين. هناك أيضًا من قُطعت ذراعه أو ساقه. هناك مُعذّبون رفسوا خصيتي الرجال وضربوا بأقدامهم الأعضاء التناسلية للنساء. إن لم يُرد الممارسون التخلّي عن اعتقادهم، يُواصلون ضربهم إلى أن يتمزّق الجلد، أو تعمّ أبدانهم جروح فاغرة. تحت التعذيب يتشوّه جسد بعض الممارسين تمامًا ويكتسي بالدم، ولكن الحرّاس يواصلون تعذيبهم إذ يرشّونهم بماء مالح أو يضربونهم بالعصيّ الكهربائية. رائحة الدم واللحم المحترق مُختلطة بصيحات الألم الشديد أو الاحتضار هو أمر لا يُطاق. يستعمل المُعذبون أيضًا أكياسًا بلاستيكية يُغطون بها رؤوس الضحايا، بنيّة أن يستسلم الممارسون خوفًا من الموت اختناقًا.

الصدمات الكهربائية تمثل طريقة أخرى مُستعملة بكثرة في معسكرات الاعتقال الصينية لتعذيب ممارسي الفالون غونغ. إذ تصعق الشرطة بالعصا الكهربائية الأماكن الحساسة في جسدهم كالفم، وقمة الرأس، والأضلاع، والأعضاء التناسلية، والمؤخّرة، والفخذين، وأسفل القدمين، صدور النساء، وذكور الرجال. بعض أعوان الشرطة يجتمعون كلّهم على ممارس واحد يصعقونه جميعًا بالعصيّ الكهربائية في نفس الوقت. في مثل هذه الحالة تنتشر في النهاية رائحة اللحم المحترق، والأماكن المُصابة تصبح بنفسجية اللون أو سوداء. أحيانًا يصعقون بالكهرباء رأس الضحيّة وعانتها في نفس الوقت. في كثير من الأحيان، يستعمل الشرطة عشر عصيّ كهربائية، وحتّى أكثر، معًا في نفس الوقت، ويضربون بها الضحيّة مدّة زمنية طويلة. من المفروض أنّ عصًا كهربائية واحدة تُحدث تيّارًا كهربائيّا قوّته عشرات آلاف الفولت. عندما نشعلها، تُرسل نورًا أزرق وتُحدث صوتًا كهربائيّا. عندما يسري التيّار في جسد الشخص، يُحسّ هذا الأخير كأنه يحترق أو كأن الثعابين تلدغه. كلّ صدمة تضاهي في الألم لدغة الثعبان. أمّا جلد الضحيّة فهو يحمرّ، ثمّ يتشقق، ثمّ يحترق، ثمّ ينقيّح. بعض الهراوات الكهربائية قويّة إلى درجة أنّ قوّة الفولت الشديدة تجعل الضحيّة تحسّ وكأنها تُضرَبُ بالمطرقة.

يستعمل أيضًا الشرطة أيضًا السجائر المشتعلة ليحرقوا أصابعهم، وجوههم، أسفل أقدامهم، أضلاعهم، ظهورهم، حلمات أثدائهم...الخ، كما يحرقون بالقدّاحات أيديهم وأعضاءهم التناسلية. يلجأون أيضًا إلى تسخين أعمدة خصوصيّة من الحديد في أفران كهربائية. ثمّ يحرقون سيقان الممارسين بالحديد الحامي. كما يستعمل الشرطة أيضًا فحمًا خشبيّا ملتهبًا ليحرقوا وجوه ضحاياهم. من بين الحالات كانت هناك حالة ممارس تعرّض لتعذيب وحشيّ ولكنه ظلّ يتنفّس وقلبه بقي يدقّ. لقد قتلوه حرقًا ثمّ ادّعوْا أنه انتحر حرقًا.

يضرب الشرطة النساء على صدورهن وأعضاءهنّ التناسلية. كما يغتصبوهنّ بشكل فرديّ أو جماعيّ. كما يستعملون أيضًا عصيّا كهربائية يصعقون بها صدورهنّ وأعضاءهنّ التناسلية، وقدّاحات يحرقون بها حلمات أثداءهنّ. كما أنهم يُدخلون عصيّا كهربائية في أرحامهنّ ليصعقوهنّ من الداخل. هناك حتّى حالات يشدّون فيها 4 فرشات أسنان إلى بعضها ويولجونها في رحم الممارسات، ثمّ يحرّكونها ويُديرونها ويفركون. كما يثقبون الأعضاء التناسلية للممارسات بواسطة مشكّات ومخاطف حديدية. إنهم يُوثقون أيديهنّ وراء ظهورهنّ ويربطون حول حلمات الثدي أسلاكًا معدنية ثمّ يُرسلون في تلك الأسلاك شحناتٍ كهربائية. أو أنهم يُجرّدوهنّ من ثيابهنّ ثمّ يرموهنّ في زنزانة المساجين الذكور ليغتصبوهنّ.

إنهم يُرغمون ممارسي الفالون غونغ على ارتداء "القمصان الجبريّة" [20] ثمّ إنهم يعقدون أيديهم ويوثقونها وراء ظهورهم، ثمّ يجذبون أذرعهم مُرورًا بأكتافهم ليوصلوها أمام الرأس في مستوى علوّ الصدر، ثمّ يقيّدون أرجل الممارسين إلى إطار نافذة، وفي نفس الوقت يُكمّمون أفواههم بخرقةٍ ليمنعوهم من الصراخ ويضعون في آذانهم سمّاعاتٍ ليُسمعوهم تسجيلاتٍ فيها شتم للاذع للفالون غونغ. حسب شهود عيان، الناس الذين يتعرّضون

لمثل هذا النوع من التعذيب ينتهي بهم المطاف إلى كسر في الذراعين وتمزّق في الوتر وخلع في الكتفين والمعصمين والمرفقين. أمّا أولئك الذين يتعرّضون لهذا التعذيب لفترة طويلة يُصابون بكسر في العمود الفقري ويموتون وسط آلام فظيعة.

من بين ما يفعلونه أيضًا هو رمي الممارسين في حُفر ملآنة بمياه قنوات التصريف، كذلك يُدخلون تحت أصابعهم أعوادًا من القصب، كما يُجبرونهم على العيش في حُجراتٍ رطبة، ذات أسقفٍ مغطاة بالعفونة، حمراء، وخضراء، وصفراء، وبيضاء تزيد من تقيّح جروحهم. كما أنهم يجعلون الكلاب تعضّ الممارسين والثعابين تلدغهم، ويحقنونهم بعقاقير تدمّر الجهاز العصبي. كلّ ما سبق ذكره لا يعدو أن يكون بعض الطرق المستعملة لتعذيب ممارسي الفالون غونغ في مخيّمات العمل الإجباريّ.

III. صراع دون هوادة داخل الحزب

يرتكز الح ش ص على مبادئ الحزب لا على الأخلاقيات والعدالة، لذلك فإنّ ولاء أعضاء الح ش ص، وخصوصًا كبار الموظفين؛ وحتّى كبار المسؤولين والمُسيّرين هي مسألة هامّة ورئيسية. من هذا المنطلق يولي الح ش ص كلّ الاهتمام لخلق مناخ من الرعب، إذ يقتل أعضاءه أنفسهم، ممّا يُرسّخ في ظنّ الباقين أنّ الديكتاتور عندما يُريد قتل شخص مّا، فإنّ هذا الشخص لا يملك أيّ فرصة في النجاة.

إنّ الصراعات الداخلية بين الأحزاب الشيوعية معروفة كثيرًا. كلّ أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الروسي في الفترتيْن الأوليْن ـ باستثناء لينين الذي كان ميّتًا وقتها وستالين نفسه ـ كلهم ماتوا إمّا إعدامًا أو انتحارًا. ثلاثة ماريشالات على خمسة تمّ إعدامهم، القوّاد العامّين العشرة للجيش الثاني أعدِموا و57 قائد فيلقٍ من بين 85 أعدِموا، و 110 قائد فرقةٍ من بين 195 أعدِموا.

يدعو الح ش ص دومًا إلى "صراعات عنيفة وهجومات بلا رحمة". مثل تلك الأساليب لا تستهدف فقط الناس الذين لا ينتمون للحزب. منذ الفترة الثورية في مقاطعة جيانغسي، كان الح ش ص قد قتل عددًا كبيرًا من الناس المنتمين للرابطة المُعادية البولشيفية (الرابطة ض ب = ضدّ البولشيفية) [21] إلى درجة أنه قلائل فقط هم الذين بقوا على قيد الحياة وأمكن لهم الذهاب إلى الحرب فيما بعد. في مدينة يانآن، قاد الحزب حملة "تقويم وإصلاح". وما إن أرسى كيانه السياسي حتّى كان قد قضى على غاوو غانغ، راوو شوشي [22]، هو فانغ، وبانغ داهوي. في عهد الثورة الثقافية تقريبًا كلّ كبار الموظفين في الحزب تمّت تصفيتهم. ولا أيّ أمين عامّ سابق للح ش ص كانت نهايته سعيدة.

ليو شاوتشي، والذي هو رئيس صيني سابق، وكان في يوم من الأيّام الشخصيّة الثانية في البلاد، مات موتةً مأساويّة. يوم عيد ميلاده السبعين، أمر ماوو تسي تونغ و جو آنلاي [23] خصّيصًا وانغ دونسينغ (رئيس حرس ماوو) أن يحمل هديّة عيد ميلاد لليو شاوتشي. الهديّة كانت عبارة عن راديو ليسمع ليو شاوتشي عبره التقرير الرسمي للدورة الثامنة الكاملة للجنة المركزية عدد 12 والذي جاء فيه ما يلي: "الخائن، والجاسوس، والمارق ليو شاوتشي مطرودٌ من الحزب بلا رجعة. استمرّوا في التنديد بليو شاوتشي وشركاءه من أجل جرائمهم المتمثلة في خيانة الأمانة والخيانة العظمى."

سبّب ذلك الخبر انهيارًا نفسيّا وعقليّا لليو شاوتشي، وتفاقم مرضه بسرعة. لقد أوثقوه إلى سرير مدّة طويلة ولم يسمحوا له بالحراك حتّى غطت القشور المتقيّحة رقبته، وظهره، ومؤخرته، وكعب قدميه. في أشدّ درجات عذابه، كان يُمسك بتلابيب شخص آخر، أو بأدباشه، أو بذراعه، ولا يتركها. في النهاية وضعوا في كلّ يد من يديه قارورة من البلاستيك الصلب. عندما فارق الحياة كانت كلّ قارورة ـ من أثر قبضته ـ قد أخذت شكل ساعة رمليّة.

في أكتوبر سنة 1969، كان جسد ليو شاوتشي قد أخذ في الانحلال وكان القيح يبعث رائحة كريهة قويّة. كان الرجل نحيلاً كقضبان سكّة حديدية وكان على شفا الموت. ولكنّ المفتشين الخاصّين باللجنة المركزية للحزب لم يسمحوا له بأخذ حمّام ولا بالتقلّب في سريره لتغيير ملابسه، بل جرّدوه من ثيابه، ولفّوه في بطانية، وأرسلوه بالطائرة من بيكين إلى كايفنغ ليُسجَن في الطابق الأرضيّ لـ"بونكر". عندما كان يعاني من الحمّى الشديدة، لا فقط لم يكونوا يعطونه الأدوية، بل أيضًا نقلوا الفريق الطبّي إلى مكان آخر. عندما مات ليو شاوتشي كان جسمه قد تدهور كليًّا وشعره الأبيض بلغ سبعين سنتيمترًا من الطول. وبعد مرور يومين على وفاته، تمّ إحراق جثته على الساعة منتصف الليل كما درجت العادة على إحراق الناس المصابين بأمراض مُعدية وخطيرة. كذلك الأمر بالنسبة للحافه وغطاءه ومخدّته وكلّ ما تركه وراءه، أحرقت كلّها. أمّا على شهادة وفاته فكُتِب ما يلي الاسم: ليو وايهوانغ. العمل: دون عمل. أسباب الوفاة: مرض. لقد عذب الح ش ص رئيس البلاد السابق وقتله دون حتّى أن يُدلي بالأسباب.

VI. تصدير الثورة، قتل الناس خارج البلاد

زيادةً على قتله للناس داخل الصين بمختلف الطرق، ساهم الح ش ص أيضًا في مجازر بالخارج، وشمل ذلك الصينيين المنفيّين، بعبارة أخرى لقد "صدّر" الثورة. أحد الأمثلة النموذجية على ذلك هو مثال الخمير الحُمر.

لم تدم فترة حكم الخمير الحمر مع بول بوت في كمبوديا أكثر من 4 سنين. ومع ذلك في الفترة الممتدّة بين 1975 و1978 (أي فترة لا تتجاوز ثلاث سنين)، قضى أكثر من مليوني شخص 200.000 منهم صينيّون، في هذا البلد الذي لا يعدّ سوى 8 ملايين شخص.

جرائم الخمير الحمر لا تحصى ولا تعدّ، نحن لن نستعرضها هنا ولكننا سنتحدّث عن علاقتهم بالح ش ص.

كان بول بوت يقدّس ماوو تسي تونغ. في بداية 1965، زار الصين أربع مرّات ليستمع إلى الدروس التي يُلقيها ماوو تسي تونغ شخصيّا. ثمّ مكث بول بوت في الصين ثلاثة أشهر ابتداءًا من نوفمبر 1965، وهناك تناقش مع شان بودا و جانغ شونتشياو حول نظريّات مثل "السلطة السياسية تنبني تحت فوّهة البندقية" و"صراع الطبقات" و"ديكتاتورية البروليتاريا"، الخ...والتي أصبحت لاحقًا ركائز حكومته في كمبوديا. حال عودته إلى كمبوديا، غيّر بول بوت اسم حزبه ليصبح "الحزب الشيوعي الكمبودي" وأرسى قاعدة ثورية على منوال الح ش ص، وهو مُحاصرة المدن انطلاقًا من الأرياف.

في 1968، كوّن الحزب الشيوعي الكمبودي جيشًا بصفة رسميّة. مع نهاية 1969، كان هذا الجيش يعدّ أكثر من 3.000 عنصر. ولكن في 1975، وقبيل مهاجمة مدينة بنوم بنه واحتلالها، كان عبارة عن ميليشيا مُجهّزة كما ينبغي وقوّة عسكريّة قوامها 80.000 جنديّا. وتمّ هذا الأمر بفضل مساندة الح ش ص. هنالك كتاب من تأليف وانغ سيانغن يُدعى "وثائق عن مساندة الفياتنام والحرب ضدّ أمريكا" [24]، في هذا الكتاب يروي المؤلف أنّ الصين سنة 1970 أعطت بول بوت عُدّة عسكرية بما قدره 30.000 جنديّا. في أبريل 1975 احتلّ بول بوت عاصمة كمبوديا؛ ثمّ إثر شهرين من ذلك رجع إلى بيكين ليزور الح ش ص ويستمع إلى تعليماته. من الواضح جدّا أنه بدون نظريّات الح ش ص ومساندته المعنويّة، لم تكن مجازر الخمير الحُمر لتحدث أبدًا.

نسوق مثالاً في هذا الصدد: بعد مقتل ولديْ الأمير سيهانوك من طرف الحزب الشيوعي الكمبودي، تلقّى هذا الأخير أوامر من جو آنلاي بإرسال سيهانوك إلى بيكين، فامتثل للأمر بكلّ طاعة ولين. الكلّ يعلم أنّ الحزب الشيوعي الكمبودي عندما يقتل الناس فهو يقتل حتّى "الأجنّة في الأرحام" ليتفادى كلّ مشكلة يمكن أن تطرأ لاحقًا. ولكن عندما أصدر جو آنلاي أمره، أطاع بول بوت دون نقاش.

لقد أنقذ جو آنلاي سيهانوك، ولكنّ الح ش ص لم يعترض على مقتل 200.000 صينيّ من طرف الحزب الشيوعي الكمبودي. في تلك الفترة قصد الكمبوديون الصينيون سفارة الصين هنالك طالبين منها العون ولكنها تجاهلت مطالبهم.

V. تدمير الأسرة

لا نملك أيّ وسيلة نُحصي بها عدد الناس الذين قُتِلوا في الحملات السياسية للح ش ص. ليس من الممكن أيضًا القيام بأبحاث إحصائية بين المواطنين، نظرًا للحصار المعلوماتيّ والحواجز القائمة بين مختلف المناطق، والجماعات العرقيّة، واللّهجات المحلّية. حكومة الح ش ص من جهتها لن تقوم أبدًا بمثل هذه الأبحاث على كلّ حال، لأنها ستكون كمن يحفر قبره بيده. لذلك هي تفضّل غضّ النظر عن التفاصيل عندما يتعلق الأمر بكشف تاريخها الشخصي.

معرفة عدد الأسر التي دمّرها الحزب هو أمرٌ أصعب وأصعب. في بعض الحالات يكفي أن يموت فردٌ في الأسرة لتتمزّق كلّ الأسرة. في حالات أخرى تتشرذم عائلاتٌ بأكملها. هناك حالات كثيرة لم يُقتل فيها أحدٌ ولكنّ الزوجين اضطرّا للطلاق. واضطرّ الآباء والأبناء إلى التخلّي عن الرابط الدموي الذي يجمعهم. بعضهم صار يعاني من إعاقة عضويّة، وبعضهم جُنّ، والبعض الآخر مات في سنّ الشباب متأثرًا بأمراض خطيرة جرّاء التعذيب. ومع ذلك تبقى أرشيفات هذه المآسي العائلية منقوصة غير تامّة.

أعلنت صحيفة أخبار إيوميوري الموجودة في اليابان أنّ نصف الشعب الصيني وقع تحت اضطهاد الح ش ص. إن كان الأمر كذلك يُمكن أن نُقدّر عدد العائلات التي دمّرها الح ش ص بأكثر من 100 مليون.

مثال جانغ جيسين [25] هو مثال معروف جيّدًا، وكثيرًا ما يتحدّث الناس عمّا عاشته هذه المرأة. الكثيرون يعلمون أنها تعرّضت للتعذيب الجسدي، وللاغتصاب الجماعي، والاضطهاد النفسي. وفي النهاية اختلّ عقلها وقُتِلت رميًا بالرصاص بعد أن قُطِعت حنجرتها. ولكنّ الكثيرين لا يعلمون أنّ هناك قصّة وراء القصّة، قصّة أليمة جدّا. وحتّى أفراد أسرتها اضطرّوا للمشاركة في "دورات تعليمية لعائلات المحكوم عليهم بالإعدام".

فيما يلي جزءٌ من مذكّرات لين لين، ابنة جانغ جيسين:

في ربيع 1975،

في محكمة شانيانغ قال أحدهم بصوتٍ عالٍ: "أمّك عدوّة للثورة، صعبة المراس، وهي ترفض الإصلاح، وهي عنيدة وغير قابلة للإصلاح. إنها ضدّ زعيمنا الكبير ورئيسنا ماوو، وضدّ الأفكار التي لا تُغلَب لماوو تسي تونغ، وضدّ مسار الثورة البروليتارية لرئيسنا ماوو. جرائمها عديدة وحكومتنا تنوي تشديد العقوبة عليها. إن تمّ إعدامها ماذا ستكون ردّة فعلك ؟" لقد فاجأني السؤال ولم أدر ما أجيب...كان قلبي يتفطّر ولكني تظاهرتُ بأني هادئة، وحبستُ دموعي. سبق وأن أوصاني أبي بأننا لا يجب أن نبكي أمام الآخرين، تحت طائلة عجزنا عن التخلّي عن الرابط الذي يجمعنا بأمّنا. وكان والدي هو الذي أجاب بدلاً عنّي: "إن كان الأمر كذلك، فحكومتنا حرّة في أن تفعل ما تراه لازمًا".

وسألني ذلك الشخص في المحكمة مرّة أخرى: "في صورة ما إذا أعدِمت، هل ستطلبون استرجاع جثتها ؟ هل ستطلبون استرجاع أدباشها في السجن ؟" ومرّة أخرى أجاب أبي عنّي: "لسنا في حاجةٍ لشيءٍ". عندما خرجنا من فندق المقاطعة، كان أبي يُمسك بيدينا، أنا وأخي. ورجعنا كلّنا بخطىً متعثرة إلى البيت وسط عاصفة من الثلج. لم نطبخ شيئًا يومها، قطع أبي رغيف خبز الحبوب الوحيد الذي كان لدينا في المنزل، وقسمه بيني وبين أخي، وقال لنا: "كُلوه بسرعة، واذهبوا للنوم باكرًا". واضطجعتُ على فراش الطين دون أن أنبس بكلمة. كان أبي يجلس على كرسيّ ويُحدّق في النور بنظرة خاشعة. وبعد مرور بعض الوقت نظر إلى فراشنا وظنّ أننا نمنا، فنهض، وفتح بلطف الحقيبة التي جلبناها من مسكننا القديم بشانيانغ، وأخرج منها صورة لأمّي، وتأمّلها، ولم يستطع أن يتمالك نفسه عن البكاء.

فنهضتُ من الفراش ووضعتُ رأسي بين ذراعيْ أبي وأخذتُ أبكي بدموع حارقة، فربّت أبي على ظهري برفق قائلاً: "هس، يُمكن أن يسمعنا الجيران"، وعندما سمع أخي بكائي، نهض هو أيضًا. وضمّنا أبي بشدّة إليه. لقد سكبنا أنهارًا من الدموع في تلك الليلة ولكن لم يكن مسموحًا لنا أن نبكي." [26]

كان هناك أيضًا أستاذ جامعيّ يعيش حياة عائليّة سعيدة، ولكنه فيما بعد عاش هو وعائلته مأساة في فترة إصلاح اليمينيّين. بالفعل، في فترة حركة ضدّ اليمينيّين، المرأة التي ستصبح فيما بعد زوجته كانت على علاقة مع شخص كان يُعتَبر من اليمينيين. وتبعًا لذلك، أرسِل هذا الشخص إلى منطقة نائية وتعذب كثيرًا. وبما أنها كانت صغيرة السنّ ولا يُمكن أن تتبعه إلى هنالك، فقد اضطرّت إلى قطع تلك العلاقة وتزوّجت من الأستاذ المذكور آنفًا. ولكن عندما رجع حبّها الأول إلى مسقط رأسه، لم تجد تلك المرأة ـ والتي كانت وقتها أمّا لعدّة أطفال ـ وسيلة تُكفّر بها عن خيانتها له في الماضي وتتخلّص بها من إحساسها بالذنب سوى أن تصرّ على الطلاق من زوجها. في تلك الفترة كان عمر زوجها يتجاوز الخمسين، ولم يتحمّل الزوج ذلك الانقلاب المفاجئ، وطار عقله لذلك الأمر، فنزع كلّ ملابسه، وخرج يجري في كلّ مكان باحثًا له عن مكان يبدأ فيه حياة جديدة. وفي النهاية تركته زوجته هو والأبناء. إنّ الفراق المؤلم الذي يأمرُ به الحزب لا يُمكن أن يُعَوّض بشيء، إنه مرض اجتماعي عضال لا يُمكن سوى أن يُعوّض فراقًا بآخر.

الأسرة هي الخليّة الأساسية في المجتمع الصيني، وهي أيضًا آخر حصْنٍ للثقافة التقليدية في مواجهة ثقافة الحزب. لذلك فإنّ الضرر الذي ألحقه الح ش ص بالأسرة هو الأقسى في تاريخ جرائمه.

بما أنّ الح ش ص يحتكر كلّ الموارد الاجتماعية، فعندما يُعتَبَرُ شخصٌ مّا مناهضًا للديكتاتورية، سيواجه في الحين أزمة بقاءٍ، الكلّ يتّهمه وينتهي به الأمر إلى فقدان كرامته. عندما يتعرّض هؤلاء لظلمٍ كهذا، فإنّ الأسرة تكون الملجأ الوحيد بالنسبة لهم، والعزاء والحيد. ولكنّ سياسة الح ش ص التي تتدخّل في كلّ شيءٍ منعت أفراد العائلة الواحدة من أن يُؤازروا بعضهم البعض، لأنّ في ذلك مُخاطرة: يُمكن أن يُنعَتوا هم أيضًا بكونهم معارضين للديكتاتورية. جانغ جيسين التي أرغِمت على الطلاق هي مثال على ذلك. بالنسبة للكثيرين، خيانة أفراد أسرتهم لهم ـ سواء بالوشاية، أو الخصام الصريح، أو الانتقاد العلنيّ، كان الضربة القاضية بالنسبة لهم. لذلك الكثيرون منهم انتحروا.

VI. أشكال القتل وعواقبه

1- ايديولوجية القتل لدى الح ش ص

لطالما تباهى الح ش ص بموهبته وابتكاره في تطويره للماركسية ـ اللينينية، ولكن الحقيقة روح ابتكاره تتمثل في الشرّ الذي نشره والذي لا مثيل له في التاريخ، ولا في العالم. إنه يستعمل الإيديولوجية الشيوعية للوحدة الاجتماعية ليخدع عامّة الناس والمثقفين. إنه يستغلّ العقيدة التي زعزعها العلم والتكنولوجيا ليدعو إلى الإلحاد المطلق. إنه يستعمل الشيوعية لينبذ الملكية الخاصّة ويستنجد بنظريّات وممارسات لينين في الثورة العنيفة ليسوس البلاد. كما استعمل ودعّم أسوء جزءٍ في الثقافة الصينية، الجزء الذي يتعارض مع التقاليد الصينية الأصيلة.

لقد اخترع الح ش ص نظريّة كاملة وبُنية "ثورة" و"ثورة دائمة" تحت زعامة البروليتاريا؛ وقد استعمل هذا النظام ليغيّر المجتمع ويضمن ديكتاتورية الحزب. نظريّته تحتوي على جُزئين: قاعدة اقتصادية، وتركيبة عليا تحت زعامة البروليتاريا. القاعدة الاقتصادية تُحدّد التركيبة العليا، بينما تؤثر التركيبة العليا بدورها على القاعدة الاقتصادية. لتقوية التركيبة العليا وعلى وجه الخصوص سلطة الحزب، فعليه أن يبدأ الثورة انطلاقًا من القاعدة الاقتصادية، وهذا يشمل:

1- قتل مالكي الأراضي لحلّ مشاكل العلاقات الإنتاجية [27] في الأرياف

و

2- قتل الرأسماليّين لحلّ مشاكل العلاقات الإنتاجية في المدن.

داخل التركيبة العليا، القتل بصفة متكرّرة يصلحُ أيضًا للحفاظ على هيمنة الحزب المطلقة على الايديولوجيا، وهذا يشمل:

(1) حلّ مسألة السلوك السياسي للمثقفين إزاء الحزب

على مدى فترة طويلة، شنّ الح ش ص عديد الحملات المُخصّصة لإصلاح فكر المثقفين. لقد اتّهم المثقفين بالنزعة الفردانيّة البورجوازية، وبالايديولوجيا البورجوازية، وبالآراء اللاّ- سياسية، وبالايديولوجيا "دون طبقات"، وبالليبرالية، الخ. لقد جرّد المثقفين من كرامتهم بإخضاعهم لغسيل المخّ وتدمير ضمائرهم. لقد قضى ـ أو كاد ـ على الفكر الحرّ المستقلّ وعلى خاصّيات أخرى تُميّز المثقفين، مثل إعلاء الصوت لنصرة العدالة، وتسخير الحياة لخدمة العدالة. هذه السنّة المأثورة تعلّم ما يلي: "عدم الإفراط في الثروة والتشريفات. عدم نسيان الهدف من الوجود عندما يكون المرء يعاني من ضنك العيش، أو يكون تحت تهديد العنف، عدم الرضوخ لأسلوب القوّة..." [28]. "أن يكون الشخص أوّل من يُبادر إلى الاهتمام بمستقبل الأمّة وآخر من يُطالب بحصّته من السعادة" [29]. "كلّ فردٍ عاديّ عليه أن يُحسّ بالمسؤولية تجاه نجاحات الأمّة وفشلها" [30]. و "الرجل الفاضل يجب أن يُسدي الخير والإحسان لأمّته أمام أنظار الجميع، أمّا في الخفاء فيعملُ على تحسين نفسه" [31].

(2) إطلاق ثورة ثقافية وقتل الناس للوصول إلى سلطة سياسية وثقافية مطلقة للح ش ص

لقد أطلق الح ش ص حملاتٍ جماهيريّة في داخل البلاد كما في خارجها، وشرع في قتل الناس المنتمين لميدان الأدب، والفنون، والمسرح، والتاريخ، والتربية. في بداية هجوماته استهدف الح ش ص ناسًا معروفين مثل "القرية ذات الأسر الثلاث" [32]، ليو شاوتشي، ووهان، لاوو شو، و جيان بوزان. فيما بعدُ من قُتِل كانت "مجموعة صغيرة داخل الحزب" و"مجموعة صغيرة داخل الجيش"، وفي النهاية انتشر التقتيل واستفحل من كلّ العناصر داخل الحزب والجيش إلى كلّ الأفراد في البلاد. كانت المعارك المسلّحة تقضي على الناس جسديًا؛ والهجمات الثقافية تقتلهم فكريًا. كانت تلك الفترة فترة فوضويّة وعنيفة إلى أقصى حدّ تحت سيطرة الح ش ص. لقد تمّ تضخيم جانب الشرّ في الطبيعة الإنسانية إلى أقصى حدّ بما يخدم مصالح الحزب ويُقوّي نفوذه عن طريق الأزمة. كان الحزب يستطيع أن يرتكب القتل بصفة اعتباطية وذلك باسم "الثورة" وحمايةً لـ"خط السير الثوريّ للرئيس ماوو". لقد كانت ممارسة وطنيّة لم يسبق لها مثيل، تتمثل في القضاء على الطبيعة الإنسانية.

(3) تيانانمن: لقد فتح الح ش ص النار على الطلبة في ساحة تيانانمن في 4 يونيو 1989، كردّ على المطالب الديموقراطية التي تلت الثورة الثقافية.

كانت تلك أوّل مرّة يقتل فيها الجيش علانيّة مواطنين كانوا يتظاهرون ضدّ الغشّ والفساد والتواطؤ بين الموظفين الحكوميّين ورجال الأعمال، ويُطالبون بحرّية الصحافة والتعبير والتجمّع. أثناء مجزرة ساحة تيانانمن، ذهب الح ش ص حتّى إلى وضع تمثيليّة في الشارع: أناسٌ يحرقون عرباتٍ عسكريّة ويقتلون جنودًا، وذلك لإذكاء الكراهية بين العسكريّين والمدنيّين. وكان هذا ما سبّب المأساة التي نرى فيها جيش الشعب يُقتّل الشعب.

(4) قتل الناس من عقائد مختلفة

قتل العقائد الروحية هي مسألة حيويّة بالنسبة للح ش ص. لكي ينخدع الناس بهرطقته، بادر الح ش ص منذ وصوله إلى السلطة، إلى محاولة اقتلاع كلّ الديانات وكلّ الأنظمة العقائدية. عندما برزت مُؤخّرًا عقيدة قديمة ـ وهي الفالون غونغ ـ على السطح، أشهر الح ش ص مرّة أخرى سكّينه الدامي. استراتيجيّة الح ش ص هي استغلال مبادئ الفالون غونغ: "الحق، الرحمة، الصبر" واستغلال كون أولئك الذين يُمارسون الفالون غونغ "لا يستعملون السمّ لقتل الناس"، و"لا يرتكبون أعمال عنفٍ" و"لا يُمثلون أيّ تهديدٍ للاستقرار الاجتماعيّ". من خلال التجربة التي خَبِرها أثناء اضطهاده للفالون غونغ، اكتسب الح ش ص خبرة وفعاليّة أكثر في تصفية المجموعات التي لديها عقائد أخرى. هذه المرّة أتى دجيانغ زمين والح ش ص في المقدّمة ليقتلوا بأيديهم بدل تكليف أشخاصٍ آخرين بفعل ذلك.

(5) قتل الناس لإخفاء الحقيقة

حقّ الناس في معرفة الحقيقة هو نقطة ضعفٍ أخرى للح ش ص؛ إنه يقتل الناس أيضًا ليمنع مرور المعلومة. في الماضي كان "الاستماع للبرامج الإذاعية للعدوّ" يجرّ عقوبة بالسجن. مؤخّرًا سرت الأخبار عن التقاط قنوات تلفزية حكومية توضح الحقيقة بشأن اضطهاد الفالون غونغ، فما كان من دجيانغ زمين إلاّ أن أصدر أمرًا سرّيًا بـ"القتل فورًا ودون رحمةٍ". لقد حرّك الح ش ص المكتب 610 (تنظيم أشبه ما يكون بالغاشتابو النازية موضوع خصّيصًا لاضطهاد الفالون غونغ)، والشرطة، والنيابات العامّة، والمحاكم، وشرطة انترنت رهيبة للتلصّص على الناس في أدنى أفعالهم وحركاتهم.

(6) حرمان الناس من حقّ الحياة في سبيل مصالح الح ش ص

إنّ نظرية الح ش ص المتمثلة في الثورة المستمرّة تعني في الحقيقة أنه لن يتخلّى أبدًا عن سلطته. حاليًا، الغشّ والفساد داخل الح ش ص قد تضخّما إلى درجة أنّ الحكم المطلق صار لا يتناسب مع حقّ الشعب في البقاء. عندما يُكوّن بعض الأشخاص تنظيمًا يُدافعون من خلاله عن حقوقهم دفاعًا شرعيًا، يلجأ الح ش ص إلى العنف، مُشهرًا سكّينه الدامي في وجه أولئك "القادة" المزعومين لتلك الحركات. وقد أعدّ الح ش ص أكثر من مليون شرطيّ مسلّح لبلوغ هذا الهدف. وهو الآن جاهز ومُستعدّ للقتل أفضل بكثير ممّا كان عليه أثناء مجزرة تيانانمن في 4 يونيو 1989 حيث اضطرّ وقتيًا لتعبئة قوّته العسكريّة. لقد زجّ الح ش ص شعبه في مأزق وطريق مسدود، لكنه في نفس الوقت زجّ بنفسه فيه أيضًا. إنّ الح ش ص الآن صار هشًا إلى درجة أنه ـ كما يقول المثل الصينيّ ـ "عندما تهبّ الريح فهو يخال الأشجار والأعشاب أعداء".

ما سبق يبيّن لنا أنّ الح ش ص هو روحٌ شرّيرة بطبعها. مهما تكن التغييرات التي يُمكن أن يقوم بها، وفقًا لمكان أو زمان مُعيّن، للحفاظ على سيادته المطلقة، لن يُغيّر الح ش ص أبدًا تاريخه الدامي: لقد قتل ويقتل وسيظلّ يقتل.

2- أشكال مختلفة للقتل حسب الظروف

أ ـ الدعاية تسبق الفعل

كان للح ش ص مُختلف المقاربات التي يستعملها لقتل الناس، تختلف باختلاف الفترات الزمنية. في معظم الحالات كان الح ش ص يقوم بدعاية قبل أن يقتل الناس. وإثر ذلك كان يتسنّى له القول: "لم نهدّئ الغضب الشعبي سوى بالقتل" كما لو أنّ الشعب هو الذي طلب منه القتل. في الواقع، لقد كان هو الذي يستثير الغضب الشعبي.

مثلاً مسرحيّة "الفتاة ذات الشعر الأبيض" [33]، والتي هي تشويهٌ للأسطورة الشعبية، وقصص جمع الكراء أو البرج الرئيسي التي تتحدّث عنها مسرحيّة "ليو وانتساي" هي أيضًا استُعمِلت لـ"تعلّم" الناس كُره مالكي الأراضي. لقد اعتاد الح ش ص على القدح في أعداءه، مثلما فعل مع الرئيس

السابق ليو شاوتشي. وهذا مثال آخر: في يناير 2001 وضع الح ش ص تمثيليّة الانتحار حرقًا في ساحة تيانانمن ليُثير في قلوب الناس كراهية الفالون غونغ، وإثر ذلك ضاعف حملته في تقتيل الفالون غونغ. لا فقط لم يُغيّر أسلوبه في القتل ولكنه طوّره ونمّقه مُستعملاً تكنولوجيا المعلومات الحديثة. في الماضي كان الح ش ص يستطيع أن يخدع فقط الصينيّين، ولكن اليوم بإمكانه أن يخدع كلّ العالم.

ب ـ تشجيع الشعب على قتل بعضه بعضًا

لا فقط يقتل الح ش ص الناس بواسطة آلته القمعيّة، ولكنه أيضًا يُشجّع الناس على تقتيل بعضهم البعض. حتّى وإن التزم ببعض القواعد في بداية عمليّة القتل، فحالما يُحرّض الناس على المشاركة، لا شيء يعود بإمكانه أن يُوقف المجزرة. مثلاً عندما كان الح ش ص يقوم بالإصلاح الزراعي، كانت كلّ لجنة محلّية تملك حقّ الحياة والموت على مالكي الأراضي.

ج ـ تدمير نفسيّة الشخص قبل قتله جسديًا

هناك طريقة أخرى للقتل وهي تتمثل في تحطيم الشخص نفسيًا قبل قتله ماديًا. عبر تاريخ الصين ووصولاً إلى أكثر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قسوةً (207 ـ 221 ق م)، ما من أحدٍ منهم كان يُدمّر الناس ذهنيًا. لم يترك الح ش ص أبدًا فرصة للناس لكي يموتوا شهداء. لقد أصدروا قوانين مثل: "تخفيف عقوبة أولئك الذين يُقدّمون تنازلات وتشديد العقوبات على أولئك الذين يُقاومون". إرغام الناس على "طأطأة الرأس والاعتراف بجرائمهم هو الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة". يُرغم الح ش ص الناس على التخلّي عن أفكارهم وعقائدهم الذاتية ويتركهم يموتون مثل الأنعام، دون كرامة. بالفعل، أولئك الذين يموتون بكرامة يُمكن أن يكونوا مصدر إلهامٍ للآخرين. ولكنّ الح ش ص لا يتمكّن من "تربية" أولئك الذين سيستلهمون من الضحايا ويُعجَبون بهم إلاّ عندما يموت هؤلاء الضحايا في الذلّ والهوان. السبب الذي من أجله يُضطَهَدُ الفالون غونغ بتلك الوحشيّة هو أنّ ممارسي الفالون غونغ يعتبرون عقيدتهم أثمن من حياتهم. حينئذٍ عندما يجد الح ش ص نفسه عاجزًا عن تلطيخ كرامتهم، فإنه يفعل كلّ ما بوسعه فعله لتدميرهم جسديًا.

د ـ القتل عبر التحالف مع الناس أو استعبادهم

الح ش ص يقتلُ مستعملاً سياسة العصا والجزرة، تارة يربط أواصر الصداقة مع ضحاياه، وتارة يتخلّى عنهم. الح ش ص يُحاول دائمًا أن يُهاجم نسبةً صغيرةً من الشعب، حوالي 5%. هو يُصرّح أنّ غالبيّة الشعب طيّبة، هي فقط في حاجة إلى "التربية". هناك التربية عن طريق الترهيب والتربية عن طريق الترغيب. التربية عن طريق الترغيب تتمثل في إفهام الناس أنهم إن حازوا على ثقة الح ش ص وتحالفوا معه، لا فقط سينعمون بالأمن وإنّما سيكون بإمكانهم أيضًا أن يحصلوا على مِنحٍ وزياداتٍ، أو أشكال أخرى من الانتفاع. قال لين بياو [34]: "جزءٌ صغيرٌ يُحذَفُ اليوم، وجزءٌ آخر غدًا، شيئًا فشيئًا يُصبح المجموع جُزءًا كبيرًا". أولئك الذين هنّؤوا النفس بالنجاة من حركةٍ مّا غالبًا ما كانوا ضحايا الحركة الموالية.

هـ ـ قتل التهديدات المُحتمَلة في الرحم وجرائم القتل اللاّ ـ قانونية والسرّية

مؤخّرًا طوّر الح ش ص نموذجًا من القتل يتمثل في قتل المشاكل وهي ما زالت في "مرحلتها الجنينيّة" والقتل السرّي والخالي من كلّ شرعيّة. مثلاً عندما يقوم مجموعة من العمّال بإضرابٍ أو تتعالى احتجاجات الفلاّحين، فإنّ الح ش ص يقمع تلك الحركات قبل أن تكبر وتنمو مُعتقلاً زعماء تلك الحركات ومُسلّطا عليهم أشدّ العقوبات. الحرّية وحقوق الإنسان هي مواضيع أصبحت منتشرة الآن في العالم ويتّفق عليها الجميع، لذلك فإنّ الح ش ص لم يُسلّط على أيّ ممارس فالون غونغ عقوبة الإعدام. ولكن تنفيذًا لأوامر دجيانغ زمين الذي قال: "إن قتلتم ممارس فالون غونغ، فلن يترتّب عن ذلك أيّ مسؤولية"، من الدارج أن نرى على كامل نطاق البلاد ممارسين يتعرّضون للتعذيب ويموتون ميتة مأساويّة. ورغم أنّ الدستور الصيني يضمن حقّ المواطن في الشكوى إن تعرّض لمظلمة، فإنّ الح ش ص يطلب من الشرطة ذات الزيّ المدنيّ، أو حتّى من المجرمين، أن يُوقفوا المواطنين الذين يتقدّمون بالشكوى ويطردوهم، وحتّى أن يرموهم في مخيّمات العمل الإجباريّ.

و ـ قتل الفرد الواحد يصلح درسًا لبقيّة الأفراد

عمليّات اضطهاد جانغ جيسين، يو كووكو و كين جاوو [35] هي أمثلة على ذلك.

ز ـ استعمال القمع لإخفاء حقيقة القتل

الناس المشهورون الذين لديهم صيت على الساحة العالمية، في الغالب يتمّ قمعهم ولكن ليس قتلهم. الهدف هو إخفاء قتل أولئك الذين لا يملكون جاهًا ولا سلطةً والذين لا يسترعي موتهم الانتباه. مثلاً أثناء حملة قمع الرجعيّين، لم يقتل الح ش ص موظفين مرموقين مثل لونغ يون، فو دزو يي و دو يومينغ، ولكنه قتل ضبّاط وجنود الكومينتانغ البسطاء.

لجوء الح ش ص إلى القتل على مدى فترة زمنية مطوّلة أفسد روح الشعب الصيني. حاليًا في الصين، ناس كثيرون يميلون إلى القتل. عندما هاجم إرهابيّون الولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001، كثير من الصينيين استمتعوا بمشاهدة ذلك على مواقع الانترنت في الصين. كنتَ ترى في كلّ مكان أنصار "حربٍ بلا حدودٍ"، وهذا الأمر مُخيفٌ.

خاتمة

بسبب الحصار المعلوماتيّ الذي يُقيمه الح ش ص، لا نملكُ أيّ وسيلة تُمكّننا من معرفة كم بالضبط من الناس قُتِلوا على مدى مختلف حركات الاضطهاد التي وقعت في حكمه. أكثر من 60 مليون شخصًا قُتِلوا في الحركات المذكورة أعلاه. وزيادة على ذلك، قتل الح ش ص أيضًا أقلّيات عرقيّة في السيندجيانغ، والتيبت، ومنغوليا الداخلية، ويونّان، وفي مناطق أخرى؛ من الصعب معرفة الحقيقة عن تلك المجازر. قدّرت صحيفة الواشنطن بوست أنّ عدد الأفراد الذين ماتوا نتيجة اضطهاد الحزب يصل إلى 80 مليونًا [36].

وبالإضافة إلى الذين قُتِلوا، ليس لدينا أيّ إمكانية لمعرفة الأشخاص الذين أصبحوا معاقين عضويًا، أو مختلّين عقليًا، أو مسعورين، أو مُصابين بالذهان الهذيانيّ جرّاء الاضطهاد الذي تعرّضوا له. كلّ ميتة هي في حدّ ذاتها مأساة تترك جروحًا عميقة في نفوس أفراد عائلات الضحايا.

مثلما ورد ذلك في وكالات أنباء يوميوري في اليابان [37]، الأبحاث التي أجرتها الحكومة المركزية الصينية على 29 مقاطعة ومدينة يُشرف على إدارتها النظام مباشرةً أظهرت أنّ ما يقارب 600 مليون شخص تضرّروا مباشرةً من الثورة الثقافية، أي ما يعادل نصف الشعب الصيني.

كان ستالين يقول: "موت شخص هي مأساة، وموت مليون شخص هي إحصائيّات". عندما أخبِر لي جينغتشوان، أمين الحزب الشيوعي الأسبق في مقاطعة سيشوان، بعدد قتلى المجاعة التي حصلت في سيشوان، علّق كما يلي: "وهل هناك فترةٌ حاكمةٌ لم تشهد موت الناس ؟" قال ماوو تسي تونغ أنّ "كلّ التضحيات لازمة لا مفرّ منها، في كلّ نضال غالبًا ما يكون هناك قتلى"، تلك هي وجهة نظر الشيوعيّين المُلحدة عن الحياة. لذلك مات 20 مليون شخصًا تحت اضطهاد نظام ستالين، أي ما يُعادل نسبة 10% من شعب الاتحاد السوفياتي السابق. لقد قتل الح ش ص 80 مليون شخصًا على الأقلّ، في مختلف حركات الاضطهاد، وهو ما يعادل أيضًا نسبة 10% من الشعب. قتل الخمير الحمر مليوني شخص، وهو ما يُعادل ربع الشعب الكمبودي آنذاك. في كوريا الشمالية، عدد قتلى المجاعة كان يتجاوز المليون. كلّ هذه الدماء هي على عاتق الحزب الشيوعي.

الطوائف السرية تقدّم الناس كقرابين وتُريق دماءهم لتُرضي الأرواح الشريرة. منذ بدايته لم يتوقّف الحزب الشيوعي أبدًا عن القتل. عندما لم يكن يقدر على قتل أولئك الذين هم خارج الحزب، كان يقتل حتّى عناصره هو إحياءًا لذكرى "صراع الطبقات"، "الصراعات الداخلية للحزب"، وغيرها من الأفكار الباطلة. ووصل به الأمر إلى أن يقدّم على هيكل الأضاحي أمينه العامّ، وقوّاده، ووزراءه وكثير آخرون، قربانًا لطقوسه الشريرة.

كثير هم الذين يُفكّرون أنه علينا أن نعطي الح ش ص الوقت لكي يُصلح نفسه، مستشهدين بأنه اليوم أكثر اعتدالاً في ممارسته للقتل. ولكنّ قتل شخص واحد يكفي لإسناد صفة "قاتل" لمن قتل. من منظور أشمل، القتل هو الطريقة رقم 1 للح ش ص لكي يُسيّر نظامه القائم على الرعب، إنه يقتل عددًا صغيرًا أو كبيرًا حسب احتياجاته، لكي يبقى في السلطة. إنّ أفعال الح ش ص غير متوقّعة. عندما لا يحسّ الناس إحساسًا قويًا بالخوف، يقتل الح ش ص المزيد لكي يزيد من الرعب العامّ؛ عندما يكون الناس شاعرين بالخوف، قتل عددٍ قليل فقط يكفي للإبقاء على حالة الرعب تلك؛ عندما يكون الناس غير قادرين على إخفاء شعورهم بالخوف، آنذاك يكفي الح ش ص أن يُعلن نيّته في القتل، دونما حاجةٍ للمرور إلى التطبيق. بعد المرور بعددٍ لا يُحصى من الحركات السياسية السفّاحة، نمّى الناس ردّة فعل لا شعوريّة تجاه الح ش ص، ولم تعد هناك حاجة حتّى إلى إعلان نيّة القتل. هنا يكفي فقط استعمال النقد العامّ بواسطة آلة الدعاية لإذكاء ذكرى الرّعب والهلع في نفوس الناس.

عندما لا يُحسّ الناس بنفس الرعب، يُعدّل الح ش ص من حدّة التقتيل. عدد الأشخاص المقتولين ليس هدفًا في حدّ ذاته؛ النقطة الرئيسية هي القتل بصفة مستمرّة للحفاظ على السلطة. لم يُصبح الح ش ص أكثر لطفًا، ولا هو تخلّى عن سكّينه الدامي. الناس هم الذين أصبحوا مُطيعين أكثر من ذي قبل. إن نهضوا للمطالبة بشيءٍ يتجاوز ما يُطيقه الح ش ص ويقبله، فإنّ هذا الأخير لن يتردّد في القتل.

أكثر أنواع القتل فاعليّة في الإبقاء على الرعب هو القتل العشوائيّ. أثناء مختلف حملات التقتيل التي حدثت، ظلّ الح ش ص غامضًا بشأن هويّة الأشخاص، ونوع الجريمة، ومقاييس الحكم بالإعدام. كان الناس، حرصًا على حياتهم، يُبقون أقوالهم وأفعالهم في حدود مستوياتٍ "آمنةٍ". حدود "الأمان" هذه تتجاوز حتّى ما يفرضه الح ش ص نفسه. لذلك في كلّ حركة، يميل الناس إلى التصرّف على أساس أنهم "إلى اليسار أكثر منهم إلى اليمين". لذلك فإنّ الحركات غالبًا ما تمتدّ على نطاق "أوسع" من النطاق المُحدّد في البداية، لأنّ الناس من مختلف الشرائح يفرضون على أنفسهم ـ بصفة إراديّة ـ قواعد وحدودًا لكي يضمنوا سلامة أرواحهم، كلما كان المستوى متدنيًا كلما كانت الحملة قاسية. هذا التضخيم والتكثيف الإرادي لأنظمة الرّعب على نطاق كلّ البلاد آتٍ من التقتيل العشوائيّ للح ش ص.

على مدى تاريخه الطويل في ممارسة القتل، استحال الح ش ص إلى سفّاح شرّير. عندما يقتل هو يُرضي مفهومه الفاسد والشرّير للسيادة المطلقة وحقّ الحياة والموت على كلّ إنسان. عندما يقتل هو يُخفّف من إحساسه العميق بالخوف. عندما يقتل هو يقمع حالة الاستياء الاجتماعية وعدم الرّضا التي سبّبتها أعمال القتل السابقة. اليوم يحمل الح ش ص على كتفيْه مسؤولية كلّ الدماء التي أهدِرت، لذلك من المستحيل أن تنحلّ هذه المسألة بشكل ودّي. لا يسعه سوى أن يعتمد على ضغط قويّ وعلى سلطة شموليّة لكي يُحافظ على بقاءه إلى أن ينتهي تمامًا. مهما تنكّر الح ش ص ووضع الأقنعة في مناسباتٍ مختلفةٍ، مانحًا تعويضاتٍ لضحايا جرائمه، فإنّ طبيعته السفّاحة لم تتغيّر قط، ومن غير المتوقع أيضًا أن تتغيّر في المستقبل.

ملاحظات:

1ـ رسالة ماوو تسي تونغ إلى زوجته دجيانغ تشينغ (1966).

2ـ التركيبة العليا في إطار النظرية الاجتماعية الماركسية تتمثل في طرق التواصل بين الذاتية البشرية والجوهر المادّي للمجتمع.

3ـ هوفانغ، عالم وناقد أدبيّ كان مُعارضًا للأدب السياسي الذي يستعمله الح ش ص لمذهبة الناس. طُرِد من الحزب سنة 1955 وحُكِم عليه بـ14 سنة سجنًا.

4- حوارات كونفوشيوس.

5- ليفيتيكوس 18: 19.

6- ماركس، بيان الحزب الشيوعي (1848).

7- ماوو تسي تونغ، ديكتاتورية الديموقراطية الشعبية (1949).

8- ماوو تسي تونغ، "يجب علينا أن ندعو بما أوتينا من جهدٍ إلى "قمع الرجعيّين". وهكذا كلّ أسرةٍ تكون على علمٍ بالأمر". (30 مارس 1951).

9- ماوو تسي تونغ، "يجب أن نضرب الرجعيّين بعنفٍ وبدقّة" (1951).

10- المملكة السماوية بتايبينغ (1851 - 1864)، وتُعرَفُ أيضًا بـ"تمرّد تايبينغ"، هي أحد أكثر الحروب دمويّة في تاريخ الصين. كان مُواجهة بين القوى الامبراطورية وأناسٍ يتّبعون هونغ سيونشوان الذي نصّب نفسه بنفسه. كان قادمًا من المجموعة الثقافية الصوفية "هاكّا" وكان أيضًا قد اعتنق المسيحيّة. 30 مليون شخصًا على الأقلّ قُتِلوا في هذه الحرب.

11- مُعطيات مأخوذة من الكتاب الذي نشرته دار شانغمينغ للنشر ومكانها هونغ كونغ.

12- القفزة الكبرى إلى الأمام (1958- 1960) هي حملة قادها الح ش ص. تهدف هذه الحملة إلى إنعاش الصناعات الصينية، وعلى وجه الخصوص صناعة المعادن. وقد تسبّب ذلك في كارثة اقتصادية.

13- نشرتها في 1994 دار العلم الأحمر للنشر. المقولة ترجمها المترجم.

14- وحدة قيس: 1مو = 6.67 آر.

15- بانغ دوهواي (1898 - 1974): زعيم سياسي وماريشال شيوعي صيني. كان بانغ قائدًا عامًا في الحرب الكورية، ووزيرًا أوّلاً مساعدًا في لجنة شؤون الدولة، وعضوًا في المكتب السياسي ووزيرًا للدفاع من 1954 إلى 1959. نُحّي من مهامّه الرسمية إثر عدم استحسانه للمقاربات اليسارية لماوو في الدورة الكاملة للح ش ص بلوشان سنة 1959.

16- جاغر، ريمون - العدوّ الداخلي. كتب غيلد، بولس الكاثوليكي، مُدمج (1968).

17- مجزرة داسينغ حدثت في شهر أغسطس 1966 عندما تمّ تغيير زعيم الحزب في بيكين. في ذلك الحين ألقى سيي فوجي - وزير الأمن العمومي - خطابًا أثناء اجتماع مكتب الأمن العمومي في بيكين، دعا فيه إلى عدم التدخل لمواجهة أفعال الحرس الأحمر ضدّ "الطبقات السوداء الخمس". وسرعان ما مُرّر هذا الخطاب لاجتماع اللجنة التنفيذية لمكتب الأمن العمومي بداسين. بعد الاجتماع ردّ المكتب الفعل بسرعةٍ وكوّن خطة لتحريض جماهير إقليم داسين على قتل "الطبقات السوداء الخمس".

18- جانغ يي، سكارلت ميموريال (الكتاب التذكاري الأحمر) (تايبه: دار النشر التابعة للتلفزيون الصيني، 1993). هذا الكتاب متوفر بالانكليزية: الكتاب التذكاري الاحمر: قصص الوحشية وأكل لحم الإنسان في الصين الحديثة، كتبه يي جانغ، ترجمه ت.ب سيم (بولدر، كولورادو: الصحافة الغربية، 1998).

19- "المجتمع القديم": عبارة يستعملها الح ش ص وتشير إلى الفترة الممتدّة إلى 1949، و"المجتمع الحديث" تشير إلى الفترة التي تلي 1949، بعدما أمسك الح ش ص بزمام البلاد.

20- طريقة التعذيب بواسطة القميص الجبريّ. لمزيدٍ من المعلومات زوروا الموقع التالي:

بالصينية:

http://minghui.org/mh/articles/2004/9/30/85430.html

بالانكليزية:
http://www.clearwisdom.net/emh/articles/2004/9/10/52274.html

21- في 1930، أمر ماوو الحزب بقتل الآلاف من عناصره، من جنود الجيش الأحمر، ومدنيّين أبرياء في مقاطعة جيانغسي بهدف تقوية نفوذه في المناطق الخاضعة لحكم الح ش ص. لمزيدٍ من المعلومات زوروا الموقع التالي (بالصينية):

http://kanzhongguo.com/news/articles/4/4/27/64064.html

22- غاوو غانغ و راوو شوشي: كان كلاهما عضوًا في اللجنة المركزية للح ش ص. بعد فشل محاولة انقلاب في 1954، اتّهما بالتأمر لتقسيم الحزب وطردا من الحزب.

23- جو آنلاي (1898 - 1976): الشخصية الثانية في تاريخ الح ش ص بعد ماوو. وهو أحد الشخصيات الرئيسية في الح ش ص والوزير الأول للجمهورية الصينية من 1949 إلى موته.

24- وانغ سيانغن، وثيقة مساندة الفياتنام والحرب ضدّ أمريكا. (بيكين: شركة النشر الثقافية العالمية، 1990).

25- جانغ جيسين كانت مثقفة عذبها الح ش ص إلى الموت أثناء الثورة الثقافية الكبرى لأنها انتقدت ماوو، وتحدّثت عن فشل القفزة الكبرى إلى الأمام وقالت الحقيقة. جرّدها حرّاس السجن من ثيابها مرّاتٍ عديدة وقيّدوا يديها وراء ظهرها ورموْها في زنزانة المساجين الذكور ليغتصبوها إلى أن جُنّت. عندما تمّ إعدامها، نظرًا لكون مسؤولي السجن كانوا يخشوْن أن ترفع صوتها بالاحتجاج، فقد قطعوا حنجرتها مباشرة قبل إعدامها.

26- تقرير 12 أكتوبر لمؤسسة البحث لاوو غاي:

http://www.laogai.org/news2/newsdetail.php?id=391

(بالصينية).

27- أحد الأدوات الثلاث التي كان ماركس يستعملها لتحليل الطبقات الاجتماعية وهي: وسائل الإنتاج، طرق الإنتاج، وعلاقات الإنتاج. علاقات الإنتاج تشير إلى العلاقات بين الناس الذين يملكون وسائل الإنتاج والناس الذين لا يملكونها، مثلاً العلاقة بين مالكي الأراضي والمُزارعين أوالعلاقة بين الرأسماليّين والعمّال.

28- لمنشيوس- الكتاب 3. مجموعات بانغوان الكلاسيكية، ترجمة د. س. لاوو.

29- مؤلف لغان جونغيان (989 - 1052)، وهو أستاذ صيني معروف، كاتب وموظف سامٍ في مملكة السونغ بالشمال. الشاهد مأخوذ من قصيدته الشهيرة: "تسلّق قلعة يوبيانغ".

30- مؤلّفٌ لغو يانوو (1682 - 1693)، عالم شهير في مطلع فترة حكم التشينغ.

31- لمنشيوس. الكتاب 7. مجموعات بانغوان الكلاسيكية. ترجمة د. س. لاوو.

32- القرية ذات العائلات الثلاث هو اسمٌ مستعارٌ استعمله ثلاثة كتّابٍ في السنوات 1960: دانغ كوو، ووهان، و لياو موشا. وو هو مؤلف مسرحية: "هاي روي يستقيل من منصبه". وقد اعتبر ماوو هذه المسرحية نقدًا سياسيّا لعلاقته مع الماريشال بانغ دوهواي.

33- الفتاة ذات الشعر الأبيض تروي في الأصل قصّة خالدة تعيش في مغارة وتتمتع بقوىً خارقة، وتعمل على مكافأة الخير ومعاقبة الشرّ ونصرة العدل والحدّ من الظلم. ولكن في المسرحية والباليه والأوبرا "العصرية"، يتمّ وصفها بأنها فتاة أجبِرت على الهروب إلى مغارة بعد أن ضربها أبوها ضربًا مبرّحًا لأنها رفضت الزواج من فلاّح عجوز وثريّ. وأصبح شعرها أبيضًا لأنه لم يعد لها ما تقتات عليه. وهكذا بريشة كتّاب الح ش ص، أصبحت هذه المسرحية في الصين الحديثة من أشهر المسرحيّات التي تحرّض على كره الفلاّحين الأثرياء ومالكي الأراضي.

34- لين بياوو (1907 - 1971)، أحد قوّاد الح ش ص المرموقين. عمِل تحت إمرة ماوو تسي تونغ كعضوٍ في المكتب السياسي الصيني، وكنائب رئيس (1958)، وكوزير دفاع (1959). يُعتبَرُ لين مهندس الثورة الثقافية الكبرى بالصين. عُيّن لين خلفًا لماوو في 1966. ولكنه خسر حظوته في 1970. أحسّ لين بسقوطه، وتروي الإشاعة أنه شارك في عملية انقلابٍ وعندما انكشفت المؤامرة حاول الهرب إلى الاتحاد السوفياتي. ولكن في محاولته تلك الهربَ من التتبعات القضائية، تحطمت طائرته في منغوليا مسبّبةً وفاته.

35- كان يوو لووكو مفكّرًا يدافع عن حقوق الإنسان، ومناضلاً قتله الح ش ص أثناء الثورة الثقافية. دراسته الضخمة: عن تاريخ العائلة، التي كتبها في 18 يناير 1967، هي أحد أكثر المقالات شهرةً وأعمقها تأثيرًا من بين الدراسات التي تعكسُ فكرًا حرًا غير تابع للحزب أثناء سنوات الثورة الثقافية. أمّا لين جاوو، فكانت حائزةً على شهادة في الصحافة من جامعة بيكين، وصُنّفت يمينيّة سنة 1957 بسبب فكرها الحرّ ونقدها الصريح للحركة الشيوعية. اتّهمت بالتؤامر على الإطاحة بالديكتاتورية الديموقراطية الشعبية، واعتقِلت سنة 1960. سنة 1962 حُكِم عليها بـ20 سنة سجنًا. ويوم 29 أبريل 1968 قتلها الح ش ص بصفتها عدوّة للثورة.

36- مأخوذ من:

http://www.laojiao.org/64/article0211.html

(بالصينية).

37- مأخوذ من الرسالة المفتوحة التي وجهها سونغ مايلينغ للياو شانغجي (17 أغسطس 1982). المصدر:

http://www.blog.edu.cn/more.asp?name=fainter&id=16445

(بالصينية).

جميـع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة الثامنة: كيف أن الحزب الشيوعي الصيني طائفة شريرة

توطئة

في عهد الثورة الثقافية كانت "الشمس أشدّ حُمرةً" و"العالم أشدّ ظلمة". كلّ فرد كان مُجبرًا على دراسة أقوال ماوو تسي تونغ. (صور غاتّي)

انهار الشقّ الشيوعي في الاتحاد السوفياتي في بداية السنوات 1990 بعد قرابة قرن من الوجود، وكان ذلك الانهيار شاهدًا على فشل الحزب الشيوعي. ورغم ذلك، حافظ الحزب الشيوعي الصيني (الح ش ص) – وبصفة غير متوقّعة- على بقاءه، وهو لا زال اليوم يحكم الصين، أمّة تمثّل خُمس سكّان الأرض. هناك سؤال يطرح نفسه هنا : هل الح ش ص حقّا شيوعيّ ؟

لا أحد في الصين اليوم، بما في ذلك أعضاء الحزب أنفسهم، يؤمن بالشيوعية. بعد خمسين سنة من الاشتراكية، يتبنى الح ش ص اليوم الملكيّة الخاصّة، ويملك حتّى سوق بورصة. كما يسعى لجلب الاستثمارات الخارجيّة ليخلق مؤسّسات جديدة، مستغلاً في ذلك إلى أقصى حدّ ممكن العملة والفلاّحين. هذا يقف على طرف النقيض من مُثُل الشيوعية. ورغم تواطئه مع الرأسماليّة، يبقى الح ش ص مسيطرًا بإحكام على الشعب الصيني. لا يزال الدستور حتّى بعد تنقيح 2004، ينصّ وبصرامة على أنّ "الشعب الصيني بعرقيّاته المختلفة سيستمرّ في الانضواء تحت راية الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية والطريق الاشتراكية تحت زعامة الحزب الشيوعي الصيني، وفيًا لروح الماركسية-اللينينيّة، ولايديولوجيا ماوو تسي تونغ، ولنظريّة دانغ سياوبينغ، ولفكرة "التمثيلات الثلاث""...

وكما يُقال :"مات الفهد، ولكنّ جلده بقي". اليوم، لم يعد للح ش ص سوى "الجلد" [1]. لقد ورث هذا الجلد ويستعمله ليُبقي على سيطرته على الصين.

ما هي طبيعة هذا الجلد الذي ورثه الح ش ص ؟ بعبارة أخرى: ما هو تنظيم الح ش ص من الأساس ؟

I. الخصوصيّات الطائفيّة للح ش ص

الحزب الشيوعي هو بالأساس طائفة شيطانية مضرّة بالإنسانية.

رغم أن الحزب الشيوعي لم يعتبر نفسه أبدًا ديانةً، إلاّ أنه لديه بالضبط خصوصيات المؤسّسة الدينية (انظر أسفله). كان في بداياته يعتبر الماركسية الحقيقة المطلقة للعالم وكان يقدّس ماركس مثل الآلهة الروحية ويدفع الناس إلى أن يُكرّسوا حياتهم للنضال من أجل بناء "جنّة شيوعيّة في العالم البشري".

الطابع الديني للح ش ص

فيما يلي النقاط الأساسية للديانة، والنقاط التي تقابلها لدى الح ش ص:

1-الكنيسة أو القاعدة (المنبر): لجنة الحزب على جميع مستوياتها ، القاعدة تمتدّ من اجتماعات الحزب إلى جميع وسائل الإعلام التي يسيطر عليها الح ش ص.
2-العقائد: الماركسية-اللينينيّة، إيديولوجيّة ماوو تسي تونغ، نظريّة دانغ سياوبينغ، "التمثيلات الثلاث" لدجيانغ زمين، والمجلس التأسيسي للحزب.
3-طقوس اعتناق الديانة: احتفال يُقسم فيه الشخص على الإخلاص مدى الحياة للح ش ص.
4-الانتساب لديانة واحدة لا غير: عضو الحزب الشيوعي لا يمكن أن يعتقد في غير الحزب الشيوعي.
5-القساوسة/الأئمّة: أمناء الحزب والأعوان المسؤولون على شؤون الحزب في كامل المستويات.
6-تقديس الإله: نبذ كلّ الأرباب الآخرين وتنصيب نفسه ربّا "دون اسم".
7-الموت يُسمّى "الصعود إلى الجنّة أو النزول إلى الجحيم"، الموت عندهم يُسمّى "الذهاب لرؤية ماركس".
8-الكتابات المقدّسة: نظريّات وأدبيّات قوّاد الحزب الشيوعي.
9-الدعوة إلى الدين: الاجتماعات بشتّى أنواعها، وخطابات المُسيّرين.
10-حفظ الكتابات المقدّسة وتدارسها والتمعّن فيها: حلقات الدرس السياسية، الاجتماعات أو الأنشطة الروتينيّة لأعضاء الحزب.
11-النشيد المقدّس (النشيد الدينيّ): النّشيد الذي يُعدّد محاسن الحزب.
12-الإسهامات (إجبارية على كلّ الأعضاء): مساهمة إجباريّة في صندوق ميزانيّة الحكومة المُخصّص للحزب، وهو آتٍ من المال الذي تمّ تحصيله بعرق الشعب ودمه.
13-العقوبات التأديبيّة: عقوبات الحزب تمتدّ من "الاعتقال في البيت والبحث"، ومن "الطرد من الحزب" إلى التعذيب إلى حدّ الموت، وحتّى إلى معاقبة الأقارب والأصدقاء.

الحزب الشيوعي يختلف طبعًا عن كلّ الديانات الأورتودوكسيّة. كلّ الديانات الأورتودوكسيّة تعتقد في الله وفي الخير، وكلّها تهدف إلى تعليم الناس مكارم الأخلاق وإلى إنقاذ أرواحهم. الحزب الشيوعي لا يعتقد في الله ويقف على طرف النقيض من المعايير الأخلاقية التقليدية.

أفعال الحزب الشيوعي نفسها تدلّ على أنه طائفة شيطانية. مذاهب الحزب الشيوعي تنبني على صراع الطبقات، الثورة العنيفة، وديكتاتورية البروليتاريا، وأفضت إلى ما يُسمّى بـ"الثورة الشيوعية" المليئة دمًا وعنفًا. دام الرعب الأحمر تحت نير الشيوعية قرابة قرنٍ، وجرّ الشقاء والتعاسة على عشرات البلدان في العالم وكلّف عشرات ملايين الأشخاص حياتهم. العقيدة الشيوعية، التي خلقت جحيمًا على الأرض لا تعدو أن تكون أنذل طائفة في العالم.

الخصوصيات الطائفية للح ش ص يمكن تلخيصها في ستّ نقاط:

1- خلق المذاهب وتصفية المعارضين

الحزب الشيوعي يعتبر الماركسية مذهبه الديني ويُشرعها كـ"حقيقة مطلقة". عقائد الحزب الشيوعي لا تتّصف بالتسامح والطيبة. بالعكس هي طافحة بالعجرفة. كانت الماركسية نتاجًا للفترة الأوليّة للرأسماليّة عندما كانت الإنتاجيّة ضعيفة والعلم لم يتقدّم بعد كثيرًا. لم يكن للماركسيّة أبدًا فهمٌ صحيحٌ للعلاقات القائمة بين الفرد والمجتمع أو بين الإنسان والطبيعة.

للأسف هذه الإيديولوجيا المارقة تحوّلت إلى حركة شيوعية عالمية وألحقت الأذى بالعالم البشري لمدّة تزيد على القرن، قبل أن يهجرها الناس في النهاية، بعد ما اكتشفوا أنها –في التطبيق- غير صحيحة.

منذ لينين، لم يفتأ مسيّرو الطائفة يغيّرون عقائد الطائفة من نظريّة الثورة العنيفة التي أتى بها لينين إلى نظريّة الثورة المستمرّة بزعامة ديكتاتوريّة البروليتاريا التي أتى بها ماوو تسي تونغ وإلى "التمثيلات الثلاث" التي أتى بها دجيانغ زمين، تاريخ الحزب الشيوعي مليء بمثل ذلك النظريّات المليئة بالهرطقة والتفكير الخاطئ. ورغم أنّ ما أنتجته هذه النظريّات على أرض الواقع من كوارث ورغم تناقضها فيما بينها، فإنّ الحزب الشيوعي يواصل اعتبارها حقيقة مطلقة لا بل ويُجبر الناس على دراسة هذه المعتقدات.

تصفية المعارضين هي أكثر الأساليب فعاليّة عند الطائفة الشرّيرة الشيوعيّة لتنشر مذهبها. بما أنّ عقيدة هذه الطائفة الشريرة وتصرّفاتها مُثيران للسخرية، فإنه على الحزب الشيوعي أن يُجبر الناس على قبولها، والاعتماد على القوّة لتصفية المعارضين. بعد أن استولى على زمام الحكم في الصين، قاد الحزب الشيوعي "إصلاحًا زراعيًا" لتصفية طبقة مالكي الأراضي، وقاد "إصلاحًا اجتماعيًا" في الصناعة والتجارة للقضاء على الرأسماليّين، وقاد حركة "تصفية الرجعيّين" للقضاء على الديانات المنتشرة بين الشعب والموظفين الذين كانوا يشغلون مراكز الوظيفة قبل وصول الشيوعيين للسلطة، وقاد حركة "ضدّ-اليمينيين" ليُلجم أفواه المثقفين، وقاد "الثورة الثقافية الكبرى" ليقضي على الثقافة الصينية الأصيلة. قدر الح ش ص على توحيد الصين تحت لواء طائفة الشيوعية والوصول إلى وضعيّة نرى فيها كلّ الناس تقرأ الكتاب الأحمر، وترقص "رقصة الوفاء" و "تسترشد بتعليمات الحزب صباحًا وتقدّم له ملخّص يومها مساءًا". في الفترة التي تلت حكم ماوو تسي تونغ ودانغ، أعلن الح ش ص أنّ الفالون غونغ، وهو ممارسة تقليدية تعتقد في "الحق، الرحمة، الصبر" تنافس مكانته لدى الجماهير ولذا أراد تصفيتها أيضًا. وهكذا مضى في اضطهادٍ دامٍ للفالون غونغ، يستمرّ إلى اليوم.

2- نشر عبادة الفرد وتفوّق الرأي الواحد

من ماركس إلى دجيانغ زمين، نجد صور الحكّام الشيوعيّين تُعرض بصفة علنيّة وواضحة ليتمّ تقديسها. السلطة المطلقة لحكّام الحزب الشيوعي لا تقبل بأيّ نقاش أو مراجعة. كان ماوو تسي تونغ يُعتبَرُ "الشمس الحمراء" و"المُحرّر الأكبر". وقد تحدّث الحزب بطريقة فاضحة عن كتاباته، مُدّعيًا أنّ جملة واحدة من كتاباته تضاهي 10 آلاف جملة عاديّة". أمّا دانغ سياو بينغ، فبصفته "عضوًا عاديًا في الحزب" أصبح حاكمًا وبسط هيمنته على

السياسة الصينية، بينما نظريّة "التمثيلات الثلاث" لدجيانغ زمين، ورغم أنها لا تتجاوز 40 حرفًا بما في ذلك التنقيط، إلاّ أنّ الدورة الكاملة الرابعة للح ش ص أثنت عليها وأعلنت أنها "توفّر أجوبة خلاّقة لإشكاليّات مثل: ماهي الاشتراكيّة ؟ كيف تتبني الاشتراكيّة ؟ ماهو نوع الحزب الذي نُنشؤه وكيف نجعل الحزب يزدهر ؟" وتحدّث الحزب أيضًا بوقاحة عن فكرة "التمثيلات الثلاث"، قائلاً أنها تواصلٌ وتطوير للماركسية-اللينينية، ولفكر ماوو تسي تونغ ولنظريّة دانغ سياو بينغ.

المجازر التي قتّل فيها ستالين الأبرياء، كارثة "الثورة الثقافية الكبرى" التي قادها ماوو تسي تونغ، وأوامر دانغ سياو بينغ بإطلاق مجزرة تيانانمن واضطهاد الفالون غونغ على يد دجيانغ زمين- والذي يتواصل إلى اليوم-هي النتائج المأساوية لديكتاتوريّة الزعيم الروحي، أو "الزعيم الأوحد"، أو ما يُسمّى بـ "الغورو".

من جهة ينصّ الح ش ص في دستوره على أنه "في الجمهورية الشعبية الصينية كلّ السيادة تعود إلى الشعب" وأنّ "الأعضاء الذين يمارس الشعب عبرهم سيادته الحكومية هم: التجمّع الوطني الشعبي والتجمّعات الشعبية على مختلف المستويات". "ليس هناك أيّ شخص بإمكانه أن يتمتّع بامتياز كونه فوق الدستور وفوق القانون" [2]. ولكن من جهة أخرى، اتّفاقيّة الح ش ص تنصّ على أنّ الح ش ص هو النواة التي تقود الهدف الاشتراكي الصيني، وهكذا يضع نفسه فوق البلاد وفوق الشعب. رئيس اللجنة الدائمة للتجمّع الوطني الشعبي ألقى خطابات هامّة عبر البلاد ادّعى فيها أنّ التجمّع الوطني الشعبي، والذي هو أعلى هيئة في الحكومة، يجب أن يعطي شعائر الولاء لزعيم الح ش ص. حسب مبادئ "المركزيّة الديموقراطية" عند الح ش ص، الحزب بأكمله يجب أن يُذعن لأوامر اللجنة المركزية للحزب. وهكذا فإنّ التجمّع الوطني الشعبي يفقد دواعي وجوده- ما يُطالب به التجمّع هو التسيير الديكتاتوري للأمين العامّ، وهذا الأخير محميّ من القانون ومن التشريع.

-3غسل دماغيّ عنيف، تحكّم فكري، تنظيم مُحكم، وبعد الانخراط يُمنَعُ على الشخص منعًا باتّا أن يستقيل

تنظيم الح ش ص تنظيمٌ مُحكمٌ إلى الغاية: لِيُقبلَ الشخص داخل الحزب يجب أوّلاً أن يكون مدعومًا بعضوين من أعضاء الحزب، ثمّ عندما يتمّ قبوله، يُقسم هذا العضو الجديد بالولاء للحزب إلى الأبد، أعضاء الحزب يجب أن يدفعوا حصصهم من الإسهامات، وأن يساهموا في أنشطة التنظيم، وفي حلقات الدرس السياسية الجماعية. في كلّ قرية، وفي كلّ مدينة، وفي كلّ حيّ سكنيّ بدون استثناء، نجد تنظيمات قاعديّة للح ش ص. لا يسيطر الح ش ص على أعضاء حزبه ونشاطاتهم فحسب، ولكن أيضًا على غير الأعضاء، لأنّ النظام بأكمله يجب أن "يُعبّر عن ولاءه لمسيّري الحزب". أثناء السنوات التي كانوا يقودون فيها حملات صراع طبقي، "كهنة" الح ش ص، يعني أمناء الحزب في كلّ المستويات، في غالب الأحيان لم يكونوا يعرفون بالضبط ما إذا كان عليهم فعل شيء آخر سوى تأديب الشعب.

"النقد والنقد الذاتي" في اجتماعات الحزب يُستعملان دون هدفٍ محدّدٍ. إنّهما يُستعمَلان كوسائل عاديّة للسيطرة على عقول أعضاء الحزب. على مدى تاريخه، أطلق الح ش ص مجموعة من الحركات السياسية لـ"تطهير أعضاء الحزب" ، لـ"تعديل الأجواء داخل الحزب"، لـ"القبض على الخونة"، لـ "تصفية رابطة أعداء البولشيفية (الرّابطة أب) [3] "" ولـ"تهذيب الحزب"، مختبرين بصفة دوريّة – "حسّ طبيعة الحزب"، أي مستعملين العنف والرعب ليمتحنوا ولاء الأعضاء للحزب، ويتيقّنوا من بقائهم معه إلى الأبد.

الانضمام إلى الح ش ص، يعني بعبارة أخرى ميثاقًا لا رجعة فيه، يبيع الشخص نفسه فيه كلّيةً – جسدًا وروحًا. بما أنّ قواعد الحزب توجد دائمًا فوق قوانين الأمّة، فإنّ الحزب بإمكانه أن يطرد أيّ عضو متى يشاء، بينما العضو الفرد لا يمكنه أن يغادر الحزب دون أن يعرّض نفسه لعقوبات قاسية. مغادرة الحزب تُعتبَرُ خيانة وعواقبها مُريعة. أثناء الثورة الثقافية الكبرى، وعندما كانت طائفة الح ش ص تمسك بزمام السلطة المطلقة، كان الأمر التالي معروفا لدى الجميع: إن أراد الحزب موتك فلا يمكنك أن تعيش، وإن أراد حياتك فلا يمكنك أن تموت. إن قام أحدهم بالانتحار، تُلصَق به النعوت والاتّهامات: "هو خائف من أن يعاقبه الحزب على جرائمه"، وأفراد عائلته هم أيضًا يصبحون متورّطين ويُعاقَبون.

إنّ مسار القرار داخل الحزب شبيه بالصندوق الأسود، كلّ الصراعات الداخلية للحزب يجب أن تبقى في كنف السريّة المطلقة. وثائق الحزب كلها سرّية، من فرط خوفه أن تنكشف جرائمه، كثيرا ما يهاجم الح ش ص المنشقّين متّهمًا ايّاهم بـ"فضح أسرار الدولة".

4- التحريض على العنف وعلى المجازر وعلى التضحية من أجل الحزب

ماوو تسي تونغ يقول: "الثورة ليست دعوةً على العشاء، أو إلى كتابة مقالٍ، أو إلى رسم لوحةٍ، أو ممارسة التطريز، إنها لا يُمكن أن تكون شيئًا رقيقًا وهادئًا ووديعًا كهذا، شيئًا مُعتدلاً، لطيفًا، مُهذبًا، رصينًا وأريحيّا. الثورة هي انقلاب، عمل عنيف بواسطته تقلِبُ طبقة طبقة أخرى" [4].

دانغ سياوبينغ يقول الملاحظة التالية: "يجوز قتل 200.000 شخص مقابل 20 سنة من الاستقرار".

دجيانغ زمين يأمر: "دمّروهم (ممارسي الفالون غونغ) جسديّا، شوّهوا سمعتهم، أفلسوهم".

يُشجّع الح ش ص على العنف وقد قتل عددًا لا يُحصى من البشر طيلة كلّ حملاته السياسية السابقة. إنه يعلّم الناس أن "يُعاملوا أعدائهم ببرودة كبرودة الشتاء القاسي". لون العلم أحمر لأنه "اصطبغ بدماء الشهداء". يعشق الحزب اللون الأحمر لأنه يحبّ الدم والمجازر.

يقوم الحزب بعرض الأمثلة "البطولية" ليشجّع الناس على االتضحية بأنفسهم من أجل الحزب. عندما مات بانغ سيدو في فرن لإعداد الأوبيوم، أثنى عليه ماوو تسي تونغ وقال أن "موته أثقل من جبل تايي" [5]. أثناء سنوات الهستيريا تلك، كانت عبارات جريئة مثل "لا نخشى المِحن ولا الموت" و"التضحيات الجسام تقوّي العزيمة، نحن سنبعث الشمس والقمر في سماوات جديدة"- كانت تتغنّى بالطموحات والآمال في فترة كان الناس فيها يفتقرون لكلّ شيءٍ.

في نهاية السبعينات، أرسل الفياتكونغ فرقهم وأطاحوا بنظام الخمير الحمر الذي سانده الح ش ص وارتكب جرائم منقطعة النظير في الفظاعة. ورغم غيظه، لم يستطع الح ش ص أن ينشر فرقه لمساندة الخمير الحمر بما أن الصين وكمبوديا ليست لهما حدود مشتركة. ولمعاقبة الفياتكونغ-وبتعلّة الدفاع عن النفس- افتعلت الصين آنذاك حربًا مع الفياتنام على طول حدودهما المشتركة. وهكذا ضحّى عشرات الآلاف من الصينيين بحياتهم ودمائهم في سبيل هذه المعركة بين أحزاب شيوعية. لم يكن موتهم من أجل أرض أو سيادة. ومع ذلك، وبعد مرور سنين عديدة على ذلك، قام الح ش ص- وبكلّ صفاقة- بتأبين أولئك الضحايا و"تخليد" ذكرى تلك التضحية عديمة المعنى بكلّ ذلك الشباب الساذج واليانع واصفًا إيّاها بـ"الروح البطوليّة والثوريّة"، مُستعيرًا عبارات الأغنية المُسمّاة "السلوك الرشيق المُنقّط بالدم"- دون أدنى احترام لهذه الأغنية.

بعد أن مات 154 شهيد صينيّ سنة 1981 أثناء استرجاعهم لجبل "فاكا" في إقليم غوانغسي، أعاده الح ش ص بكل بساطة للفياتنام بعدما أعاد الصين والفياتنام النظر في حدودهما المشتركة.

في بداية سنة 2003، وبينما كان وباء السراس ينتشر بطريقة سريعة ويُهدّد حياة الناس، لم يتردّد الح ش ص في تجنيد عددٍ كبيرٍ من الممرّضات الشابّات. زُجّ بهذه النساء بسرعة داخل المستشفيات لتعتنين بالمرضى المُصابين بالسراس. إنّ الح ش ص يدفع دائمًا بالشباب إلى خط المواجهة الأشدّ خطورة، وذلك ليخلق "صورته المجيدة"، تلك الصورة التي "لا تخشى المِحن ولا الموت". ولكن الح ش ص لا ينبس ببنت شفة عن الـ65 مليون من أعضائه الحاليّين وعن الصورة التي هم بصدد إعطائها عنه.

5- رمي الاعتقاد بالله وقمع الطبيعة البشرية

يُشجّع الح ش ص على الإلحاد ويدّعي أن الدين هو "الأفيون الروحي" الذي يُمكن أن يُسمّم الشعب. وقد استعمل سلطته ليسحق كلّ الديانات في الصين، ثمّ ألّه نفسه، مانحًا السلطة المطلقة لطائفة الح ش ص.

وفي نفس الوقت الذي يُعرقل فيه الديانات، كان الح ش ص يُدمّر أيضًا الثقافة الموروثة. لقد كان يدّعي أن التراث، والأخلاقيات، وقواعد السلوك كانت كلّها أشياء إقطاعيّة، وخرافيّة، ورجعيّة، ومحاها تمامًا باسم الثورة. أثناء الثورة الثقافية الكبرى انتشرت أشياء رهيبة ترمي عرض الحائط بالتقاليد الصينية، كأن نجد مثلاً زوجيْن يشي أحدهما بالآخر، طلبة يضربون أستاذهم، آباء وأبناء يطعن أحدهما في الآخر، حرس أحمر يُقتّلون دون سبب ناسًا أبرياء، متمرّدون يضربون ويُهشّمون وينهبون. كانت تلك النتيجة الطبيعية لما قام به الح ش ص من إخمادٍ للطبيعة الإنسانية.

بعد أن أرسى نظامه، أجبر الح ش ص الأقلّيات القوميّة على الولاء والتبعيّة للمسيّرين الشيوعيين، وهذا يعني ضمنيّا التفريط في ثقافتهم العرقيّة الغنيّة ومتعدّدة الأطياف.

في 4 يونيو 1989، قتّل "جيش تحرير الشعب" المزعوم طلبة كثيرين في بيكين. ونتيجة لذلك فقد الصينيون تمامًا الأمل في مستقبل سياسيّ للصين. ومنذ ذلك الحين لم يهتمّ أفراد الشعب سوى بجمع المال.من 1999 وإلى اليوم، اضطهد الح ش ص الفالون غونغ اضطهادًا عنيفًا، منتصبًا ضدّ "الحق، الرحمة، والصبر"، ممّا يُسرع في وتيرة تدهور المقاييس الأخلاقية.

في مطلع هذا القرن الجديد، قاموا بدفعة جديدة من تحديد لا- قانونيّ للأراضي [6] ومصادرة للموارد الماليّة والماديّة (قام بذلك موظّفو الح ش ص بالتواطؤ مع الانتهازيين)- ورمى هذا الأمر بكثير من الناس إلى أحضان البؤس والشارع. كما أنّ عدد المحتجّين ارتفع بصفة فجئيّة واحتدمت الصدامات. في أحيان كثيرة هناك مظاهرات حاشدة تقع ولكن يقمعها البوليس والقوات المسلّحة بعنف. لقد أصبحت الطبيعة الفاشيّة لهذه "الجمهورية" واضحة للعيان وفقد المجتمع كلّيًا كلّ وعي أخلاقيّ.

في الماضي، لم يكن الصعلوك يعتدي على جيرانه الأقرباء- أو كما يقول المثل "يصيدُ الثعلب بعيدًا عن جحره". في أيّامنا هذه، عندما يُريد الناس ابتزاز أحدهم، يختارون على الأرجح أقربائهم أو أصدقائهم وهم يُسمّون هذا "قتل العلاقات".

في الماضي كان الصينيون يُقدّسون العفّة ويضعونها فوق كلّ اعتبار، بينما نجد الناس الحاليّين يُهزّؤون الفقراء ولكن لا يُهزّؤون العاهرات. إنّ تاريخ تدمير الطبيعة البشرية والأخلاقيات في الصين مُصوّرٌ أحسن تصوير في الأغنية التالية:

"في السنوات الخمسين كان الناس يساعد بعضهم البعض
في السنوات الستين كانوا يتكاتفون في بذل الجهد
في السنوات السبعين كان يبتزّ بعضهم بعضًا
في السنوات الثمانين كان كلّ فرد يهتمّ بنفسه فقط
في السنوات التسعين كان الناس يستغلّون كلّ من يعترضهم"

6- استيلاء الجيش على السلطة، احتكار الاقتصاد، طموحات سياسية واقتصادية لا جماح لها

الهدف الأوحد من إرساء الح ش ص كان الاستيلاء على السلطة بفضل القوات المسلّحة، وهكذا يخلقون نظام ملكيّة حكوميّة تملك فيه الدولة بزمام الأمور وفي ظلّ اقتصاد مُسطّر. إنّ الطموح الجامح للح ش ص يتجاوز بكثير الطوائف الشريرة العادية التي لا تتعدّى كونها تجمع المال.

في بلد يكون فيه الح ش ص هو من يُسيّر ملكيّة العقارات، فإنّ تنظيمات الح ش ص هي التي تملك نفوذا كبيرا، وهذا يعني أن اللّجان والأقسام في مختلف مستويات الح ش ص هي هيئات مفروضة أو أنها تملك البنية التحتية العادية للدولة. إنّ التنظيمات العقارية للحزب تتحكّم في مكنة الدولة

وتأخذ الأموال مباشرة من ميزانيات الحكومة على مختلف الأصعدة والمستويات. مثله مثل مصّاص دماءٍ، ابتلع الح ش ص كمّية هائلة من الثروات التي تنتمي إلى الأمّة.

II. الأضرار التي سببتها طائفة الح ش ص

حالما نذكر حوادث مثل مجزرة أوم شينريكيو (الحقيقة العليا) والتي قتلت ناسًا بغاز "سارين" السامّ، أو عمليّة الصعود إلى السماء التي نفذها "معبد الشمس" بواسطة الانتحار، أو أيضًا عمليّة الانتحار الجماعي لـ900 شخص ينتمون لـ"معبد الشعب"، حالما نذكر أشياء مثل هذه، يرتعش كلّ منّا خوفًا واستنكارًا. ولكنّ الح ش ص هو طائفة ارتكبت جرائم أسوء بألف مرّة، مُلحقةً الضرر بعددٍ لا يُحصى من البشر. ذلك لأنّ الح ش ص يتفرّد بالخصائص التالية، والتي لا نجدها في الطوائف الشريرة العادية.

1- الطائفة تصير دينا حكوميا

في أغلب البلدان، إن كنت لا تعتقد في دين مّا، يظلّ بإمكانك أن تنعم بحياة سعيدة دون أن تكون مُجبرًا على قراءة مبادئ هذا الدين أو الاستماع إليها. ولكن في الصين- والتي هي شبه قارّة- لا يمكن للفرد أن يعيش دون أن يكون مُعرّضًا بصفة دائمة للتعاليم وللدعاية الشريرة للح ش ص، لأنّ الح ش ص قد فرض طائفته ديانة حكوميّة منذ استيلاءه على السلطة.

إنّ الح ش ص يبدأ بغرس مواعظه السياسية منذ الحضانة والمدرسة الأساسية. لا يستطيع الفرد أن يتّبع تعليمًا عاليًا أو يحصل على منحة دون اجتياز الامتحان السياسيّ. ليس هناك أيّ سؤال مطروح أثناء الامتحان السياسيّ يترك مجالاً لحرّية التفكير. أولئك الذين يجتازون الامتحانات، إن أرادوا أن ينجحوا، عليهم أن يحفظوا عن ظهر قلب الأجوبة النمطيّة التي يوفّرها الح ش ص. الصينيون المساكين عليهم أن يُردّدوا مواعظ الح ش ص منذ نعومة أظفارهم، وهم بهذا يُمارسون غسيلاً دماغيًا على أنفسهم مرارًا وتكرارًا. عندما يرتقي إطارٌ مّا إلى رتبة سامية في الحكومة، سواء كان عضوًا في الح ش ص أم لا، فهو مُطالب باتّباع مدرسة الحزب.

في الصين، حيث الحزب الشيوعي هو الدين الحكوميّ هناك، لا يُسمَحُ بوجود جماعاتٍ تتبنّى رأيًا مختلفًا. وحتّى "الأحزاب الديموقراطية"– التي هي مجرّد واجهات سياسيّة وضعها الح ش ص وكنيسة الاستقلاليّات الثلاث (أي استقلالية التسيير، استقلالية الموارد، استقلالية الانتشار) عليها حتمًا أن تعترف بزعامة الح ش ص. حسب المنطق الإقطاعي للح ش ص، فإنّ الولاء للح ش ص هو الأولويّة الأولى، وهو الذي يأتي في المرتبة الأولى قبل كلّ الاعتقادات الأخرى.

2- التحكّم في المجتمع يصل إلى أقصى حدّ

أمكن لهذه الطائفة أن تصبح دينًا حكوميًا لأنّ الح ش ص كانت له الهيمنة المطلقة على المجتمع وكان يحرم الناس من حرّيتهم. هذا النوع من النفوذ هو أمر غير مسبوق، بما أنّ الح ش ص يحرم الناس من الملكيّة الخاصّة في حين أنها إحدى مقوّمات الحرّية. قبل السنوات 1980، أهالي المناطق الحضريّة لم يكونوا يستطيعون كسب قوتهم سوى في المؤسّسات التي يُشرف عليها الحزب. المُزارعون في المناطق الريفيّة كان عليهم أن يعيشوا على الأراضي والضيعات التي تملكها كومونات الحزب. لا أحد كان بإمكانه أن يتخلّص من هيمنة الحزب. في بلد اشتراكيّ مثل الصين، تنظيمات الحزب الشيوعي متواجدة في كلّ مكان، من الحكومة المركزية إلى أسفل طبقات المجتمع، بما فيها تلك الواقعة في القرى والأحياء. من خلال لجانه وأقسامه الواقعة على مختلف المستويات، يحافظ الح ش ص على سلطة مطلقة على المجتمع. هيمنة مُحكمة كتلك تسحق تمامًا الحرّية الفرديّة، وحرّية التحرّك (نظام تسجيل المساكن)، وحرّية التعبير (500.000 شخصًا يمينيًا اضطُهِدَ عبر التاريخ لأنهم مارسوا حرّية التعبير)، حرّية التفكير (لين جاوو وجانغ جيسين [7] قُتِلت كلتاهما لأنهما شكّتا في الح ش ص) وحرّية الحصول على المعلومات (قراءة كتب ممنوعة أو الاستماع إلى المحطات الإذاعية "العدوّة" يُعتَبَرُ أمرًا غير قانونيّ، الاطّلاع على الانترنت يخضع أيضًا للرقابة).

بإمكاننا القول أنّ الملكيّة الخاصّة مُباحة اليوم من طرف الح ش ص، ولكن لا يجب أن ننسى أنّ سياسة الإصلاح والانفتاح هذه لم تحدث سوى عندما بلغت الاشتراكية حدّ أن الناس لم يعُد لديهم ما يكفي من الطّعام والاقتصاد الوطنيّ كان على وشك الانهيار. كان على الح ش ص أن يتراجع قليلاً إلى الوراء ليتجنّب التدمير. ومع ذلك، وحتّى بعد الإصلاحات والانفتاح، لم يتخلّ الح ش ص أبدًا عن هيمنته على الناس. إنّ اضطهاد ممارسي الفالون غونغ الذي يجري إلى اليوم، لا يمكن أن يحدث سوى في بلدٍ يُسيطر عليه الحزب الشيوعي. إن استطاع الح ش ص أن يُصبح عملاقا اقتصاديّا مثلما يتمنّى، فمن المُؤكّد أنه سيُحكم الخناق أكثر على الشعب الصيني.

3- الدعوة إلى العنف واحتقار الحياة

عمليّا كلّ الطوائف الشريرة تسيطر على أتباعها بواسطة العنف، وتقاوم الضغط الخارجيّ بواسطة العنف. ولكنّ قلّةً استعملت هذه الوسائل العنيفة بدون أيّ رادع بالقدر الذي استعمله الح ش ص. حتّى العدد الجمليّ لضحايا كلّ الطوائف الشريرة الأخرى في العالم لا يمكن مقارنته بعدد الأشخاص الذين قتلهم الح ش ص. طائفة الح ش ص لا تعتبر الإنسانية غير أداة تُحقّق بها أهدافها، القتل هو وسيلة لا غير. لذلك فإنّ الح ش ص لا يُبدي أبدًا أيّ تردّد ولا يردعه أيّ رادع أخلاقيّ أمام اضطهاد الناس. أيّ أحدٍ، بما في ذلك الأتباع، الأعضاء ومسيّري الح ش ص، يُمكن أن يُصبح هدفًا لتقتيل الح ش ص.

إنّ الدعم الذي قدّمه الح ش ص للخمير الحمر الكمبوديّين هو حالة نموذجيّة لعنف الحزب الشيوعي واحتقاره للحياة. إنّ الحزب الشيوعي الكمبوديّ الذي يستلهم من تعاليم ماوو واقتدى بها، وتزعّمه بول بوت، أثناء حكمه الذي دام سنتين وثمانية شهور، قتل مليونيْ شخص- أي ما يُضاهي ربع العدد الجمليّ لسكّان هذا البلد الصغير- وذلك بهدف "القضاء على نظام الملكيّة الخاصّة". من بين كلّ هؤلاء القتلى، أكثر من 200.000 كانوا من أصل صينيّ.

تخليدًا لذكرى الجرائم التي ارتكبها الحزب الشيوعيّ ووفاءًا لذكرى الضحايا، فتحت كمبوديا متحفًا يُوثّق ويعرض الفظائع التي ارتكبها الخمير الحمر. المتحف هو في الأصل سجن قديم للخمير الحمر. كان المبنى في الأصل مدرسة عليا حوّلها بول بوت إلى السجن المُسمّى س-21، والذي استُعمِل خصّيصًا لسجناء الرأي. عديد المثقفين اعتُقِلوا فيه وعُذبوا إلى حدّ الموت. مختلف أدوات التعذيب وأيضًا صور بالأبيض والأسود للضحايا قبل أن يتمّ قتلهم نجدها كلّها معروضة في مبنى السجن. الكثير من صور التعذيب الفظيعة معروضة : حناجر مقطوعة، جماجم مثقوبة، أطفال صغار يقع رميهم أرضًا وقتلهم،...الخ. كلّ طرق التعذيب هذه علّمهم إيّاها "خبراء وتقنيّون محترفون" أرسلهم الح ش ص لمساندة الخمير الحمر. بل لقد كوّن الح ش ص مصوّرين مختصّين في أخذ صور للمساجين مباشرة قبل إعدامهم، من قبيل الاهتمام الوثائقي أو من قبيل الاستمتاع.

إنه بالتحديد في هذا السجن س-21 حيث تمّ تصميم واختراع آلة تثقب الجمجمة وتستخرج المخّ البشري ليكون طعامًا لمسيّري الحزب الشيوعي الكمبوديّ. سجناء الرأي كانوا يُوثقون إلى كرسيّ ويُوضعون قبالة هذه الآلة. كان الرعب يبلغ بالضحيّة أقصاه وهي ترى آلة ثاقبة تدور بشكل سريع وتثقب مؤخّرة رأسها وتستخرج الدماغ البشري بخفّة وسرعة، قبل أن تموت.

III. الطبيعة الطائفية للحزب الشيوعي

ما الذي يجعل الحزب الشيوعي طاغية إلى ذلك الحدّ ؟ وشرّيرًا إلى ذلك الحدّ ؟ عندما أتى شبح الشيوعية إلى هذا العالم، أتى وهو يتأبّط مهمّةً تقشعرّ لها الأبدان. بيان الحزب الشيوعي يحتوي في خاتمته على هذا المقطع الشهير:

"الشيوعيون لا ينحدرون إلى مستوى إخفاء آرائهم وبرامجهم، إنهم يُعلنون صراحةً أنّ أهدافهم لا يمكن بلوغها سوى عبر الإطاحة العنيفة بالنظام الاجتماعي البالي. فلترتعد الطبقات المسيّرة خوفًا من قيام ثورة شيوعية ! في هذه الثورة لن تخسر البروليتاريا سوى سلاسلها، ولها أن تفوز بعالم بأكمله".

مهمّة هذا الشبح كانت إذا استعمال العنف لمناهضة المجتمع البشري علانيّةً، وسحق العالم القديم، و"القضاء على الملكيّة الخاصّة"، و"القضاء على طبيعة البورجوازية واستقلاليتها وحرّيتها"، والقضاء على الانتفاع، والقضاء على الأسَر، وجعل البروليتاريا تحكم العالم.

هذا الحزب السياسيّ-الذي صرّح علانيةً برغبته في "الضرب والتحطيم والنهب" لا فقط ينفي عن شخصه صفة السوء، بل وأيضًا يعطي لنفسه الحقّ مثلما يبدو ذلك في بيان الحزب الشيوعي: "الثورة الشيوعية هي القطع الجذريّ مع العلاقات التقليدية، لذلك فليس من الغريب أنّ تطوّرها يحتوي ضمنيّا على القطع الجذريّ مع الأفكار التقليدية".

من أين تأتي الأفكار التقليدية ؟ حسب قانون الطبيعة لدى المُلحدين، الأفكار التقليدية تأتي طبعًا من قوانين الطبيعة والمجتمع، إنها ناتجة عن الحركات المنظّمة للكون. أمّا، بالنسبة للذين يُؤمنون بالإله، فإنّ تقاليد البشر والقيم والأخلاقيّة كلّها صادرة عن الإله. بالنسبة لكافّة الشعوب، المفاهيم الأساسيّة في الأخلاقيّات، وقواعد السلوك والمقاييس التي تحدّد الخير والشرّ هي أشياء ثابتة إلى حدّ مّا؛ وقد كانت قاعدة ومُنطلقًا لتحديد تصرّفات البشر والحفاظ على النظام الاجتماعي مدّة آلاف السنين، فإن فقدت البشرية هذه المفاهيم وهذه المقاييس الأخلاقية للتمييز بين الخير والشرّ، ألن يصبح الناس كالحيوانات ؟ عندما يُعلن بيان الحزب الشيوعي أنه يُريد "القطع النهائي مع الأفكار التقليدية"، فهو يُهدّد أسس الحياة الطبيعية للمجتمع البشريّ. إذا فالحزب الشيوعي لم يكن ليصير سوى طائفة شرّيرة تقود الإنسانية إلى الدمار.

إن بيان الحزب الشيوعي-والذي يعرض المبادئ التي تقود الحزب الشيوعي- مليء بأكمله بالتصريحات المتطرّفة ولا نجد فيه أدنى أثر للرحمة والتسامح. كان ماركس و انجلس يحسبان أنّهما اكتشفا قانون التطوّر الاجتماعي بواسطة المادّية الديالكتيكية. إذًا، وبما أنّ "الحقيقة" صارت بين أيديهم، فقد أعادا النظر في كل شيءٍ ورميا بكلّ شيءٍ. لقد أصرّا على فرض أوهام الشيوعية على الناس، ولم يُظهرا أيّ تحفّظ في دعمهما لاستعمال العنف لتحطيم البُنى الاجتماعية الموجودة وأسس الثّقافة. إذًا في النهاية ما جلبه بيان الحزب الشيوعي لذلك الحزب الشيوعي الذي وُلِد حديثًا هو روح جائرة تعترض على قوانين السماء، تُلحق الأذى بالطبيعة البشرية، وهي متعجرفة، أنانيّة إلى أقصى الحدود، ولا جماح لها.

VI. نظرية الحزب الشيوعي حول نهاية العالم- الخوف من نهاية الحزب

لقد نفخ ماركس و انجلس روحا شرّيرة في الحزب الشيوعي. أسّس لينين الحزب الشيوعي في روسيا مستعملاً عنف الأشرار، وأطاح بالحكومة الانتقاليّة التي نشأت إثر ثورة فبراير [8]، لقد أجهض الثورة البورجوازية في روسيا، واستولى على الحكومة، وحاز على موطئ قدم للطائفة الشيوعية. ومع ذلك فإنّ فوز لينين لم يُمكّن البروليتاريا من غزو العالم، بل بالعكس. كما تُبيّن ذلك الفقرة الأولى من بيان الحزب الشيوعي: "كلّ القوى في أوروبا العجوز دخلت في تحالفات مقدّسة لتستأصل هذا الشيطان...". بعد ولادته مباشرة، واجه الحزب الشيوعي قضيّة حياة أو موت، وظلّ خائفًا كلّ لحظة من الهلاك.

بعد ثورة أكتوبر [9]، لم يمنح الشيوعيون الروسيون –أو البلاشفة- للشعب لا سلمًا ولا خبزًا، لم يمنحوه سوى مجازر مجانيّة. كانت الفرق التي على الجبهة بصدد خسران الحرب، وكانت الثورة تزيد الحالة الاقتصادية للبلاد سوءًا. فبالتالي بدأ الناس يتمرّدون. وسرعان ما امتدّت الحرب الأهليّة إلى كامل البلاد ورفض الفلاّحون تزويد المدن بالغذاء. وبدأت مظاهرة كبيرة بين قوزاق "الدون"، وكانت المعركة مع الحرس الأحمر مجزرة؛ مجزرة كان فيها التقتيل وحشيّا وبربريّا إلى درجة أننا نجد تصويرًا لذلك في كتب مثل "تيخي دان" للكاتب شولوخوف، وفي مجموعة حكايات له أخرى عن "الدون". في مرحلة مّا من المعركة كانت الفرق التي يقودها الأميرال الأسبق للجيش الأبيض - ألكسندر فاليفيتش كولشاك" والجنرال "أنتون دونيكين" على وشك الإطاحة بالحزب الشيوعي الروسي. كما هو الحال بالنسبة لأيّ سلطة سياسية حديثة الولادة وجد الحزب الشيوعي نفسه في مواجهة مع كامل البلاد تقريبا، ربّما أيضًا لأنه كان أسوء من أن يستحوذ على قلوب الناس.

إنّ تجربة الحزب الشيوعي الصيني كانت مُطابقة لنظيرها الروسيّ. منذ "حادثة ماري" و"مجزرة 12 أبريل" [10]، مرورًا بالتعرّض للإبادة خمس مرّات في مناطق تقع تحت نفوذ الشيوعيّين الصينيين، وصولاً إلى حيث وجد نفسه مُجبَرًا على الانطلاق في "مسيرة طويلة" تبلغ 25.000 كيلومتر، ألفى الحزب الشيوعي نفسه دائمًا يواجه خطر الإبادة.

لقد وُلِدَ الحزب الشيوعي وهو مُصمّمٌ على أن يقضي على العالم القديم بجميع الوسائل. فوجد نفسه حينئذٍ بمواجهة مشكل حقيقيّ: كيف يظلّ على قيد الحياة ويتجنّب الإبادة ؟ لقد عاش الحزب الشيوعي دائمًا في خوف دائم من موته. أصبح البقاء على قيد الحياة الهاجس الأوّل بالنسبة لهذه الطائفة، وأولويّتها المطلقة.

وعندما كان الحلف الشيوعي العالمي في ملء فترة الخوف، ازدادت أزمة البقاء بالنسبة للح ش ص حدّةً. منذ 1989، هذا الخوف من النهاية يصبح أكثر فأكثر حقيقةً كلّما اقتربت نهايته فعلاً.

V. الصراع القاسي: سلاح ثمين وفعّال تستعمله هذه الطائفة للبقاء

طالما دعا الحزب الشيوعي إلى: نظامٍ من حديدٍ، ولاءٍ مطلقٍ، ومبادئ تنظيميّة. من يدخل للح ش ص عليه أن يُؤدّي القسَم التالي:

"أنا أريد أن أنخرط في صفوف الحزب الشيوعي الصيني لمساندة دستور الحزب، واتّباع تعليمات الحزب، وتأدية واجباتي كعضو، والحرص على تنفيذ قرارات الحزب، والانصياع التامّ لنظام الحزب، وكتمان أسرار الحزب، وأن أحافظ على نفس الولاء للحزب، وأكون متفانيًا في عملي، وأبذل كل حياتي للشيوعية وأكون على استعدادٍ للتضحية بكلّ شيءٍ من أجل الحزب والشعب وألاّ أخون الحزب أبدًا" (انظر في دستور الح ش ص، الفصل الأوّل، البند السادس).

يسمّي الح ش ص هذه الروح الطائفية أو التكريسيّة تجاه الحزب "حسّ طبيعة الحزب". إنه يطلب من عضو الح ش ص أن يكون في كلّ وقت مستعدًا للتخلّي عن معتقداته ومبادئه الشخصية وأن يُذعن إذعانًا غير مشروط لإرادة الحزب وإرادة قادته. إن أرادك الحزب أن تكون طيّبًا، إذا يجب أن تكون طيّبًا، إن أرادك الحزب أن تكون سيّئًا، فيجب أن تكون سيّئًا. وإلاّ فلن تفي بالمقاييس المطلوب توفّرها في العضو-بما أنك لم تُبرهن على "حسّ قويّ بطبيعة الحزب".

يقول ماوو تسي تونغ: "الفلسفة الماركسيّة هي فلسفة صراع بغاية إذكاء "حسّ طبيعة الحزب" والحفاظ عليه. يعوّل الح ش ص على آليّة الصراع الدوريّ داخل الحزب. إنه يفتعل صراعات عنيفة داخل الحزب وخارجه، وهكذا قضى على المعارضين وخلق الرعب الأحمر. وفي الآن نفسه كان الح ش ص يُخضِعُ أعضاء الحزب بصفة دائمة إلى ما يُسمّيه بـ"التطهير"، ويقوّي أنظمته الطائفية ويُشجّع أعضاءه على احترام "طبيعة الحزب" وذلك لكي يُقوّي قدرته على الصراع. إنه سلاح ثمين يستعمله الح ش ص ليُطيل في أمد حياته.

من بين قادة الح ش ص، كان ماوو تسي تونغ الأمهر في استعمال هذا السلاح الثمين- سلاح الصراع العنيف داخل الحزب. إنّ عنف ذلك الصراع والخبث الموجود في وسائله كان قد بدأ منذ السنوات 1930 في المناطق الخاضعة لسيطرة الشيوعيين الصينيين، تلك المناطق التي كانت تُسمّى "المناطق السوفياتيّة".

في 1930، وفي "المنطقة السوفياتية" بإقليم جيانغسي، بدأ ماوو تسي تونغ بممارسة الرّعب الثوري على نطاق واسع، تحت اسم "تطهير رابطة أعداء البولشيفية" أو الرابطة "أب"، ونتيجة لذلك، آلاف من جنود الحرس الأحمر ومن أعضاء الحزب ومن أعضاء الرابطة ومن مدنيّي القواعد الشيوعية تمّ تقتيلهم تقتيلاً عنيفًا. كانت السيطرة المستبدّة لماوو تسي تونغ هي ما سبّب تلك الحادثة. لم يمرّ وقت طويل على تأسيس ماوو لـ"المنطقة السوفياتية" في إقليم جيانغسي، حتى أخذ الحرس الأحمر ينتقدون تصرّفاته. ولم يُطق ماوو هذه القوى المعارضة وكذلك تنظيمات الحزب في الجنوب الغربي من جيانغسي بقيادة لي وانلونغ التي بصدد التشكّل تحت سمعه وبصره واستعمل الوسائل القصوى لقمع أعضاء الحزب ممّن كان يُشتبَهُ فيهم أنهم منشقّون. ولكي يخلق جوّا مشحونًا متوتّرًا، لم يتردّد في أن يبدأ التطهير بفرق تقع تحت إشرافه هو مباشرةً. من نهاية نوفمبر إلى منتصف ديسمبر، خضعت الجبهة الأمامية للحرس الأحمر لـ"إصلاح عسكريّ سريع". تمّ بعث تنظيمات - في كلّ مستويات الجيش- مُخصّصة لتصفية أعداء الثورة؛ نجدها في كلّ المستويات بما في ذلك الفرقة، والفوج (أو الفيلق)، والكتيبة، والسريّة، واللّفيف. كانت تعتقل وتقتل أعضاء الحزب القادمين من عائلات مالكي الأراضي أو الفلاّحين الأثرياء، أو عائلات أشخاص اشتكى منهم الناس. في ظرف أقلّ من شهر، من بين أكثر من 40.000 جنديّ في الحرس الأحمر، 4.400 صُنّفوا كعناصر من الرابطة (أب)، ومن بينهم 10 قوّاد (قوّاد الرابطة أب)، تمّ إعدامهم كلّهم.

في الفترة التي تلت ذلك، بدأ ماوو يعاقب هؤلاء المعارضين في "المنطقة السوفياتية". في ديسمبر 1930، أمر لي شاووجيو، الأمين العامّ لقسم السياسة العامّة للجبهة الأماميّة للحرس الأحمر ورئيس اللجنة العامّة للحدود بأن يذهب إلى مدينة فوتيان، في إقليم جيانغسي، حيث كانت توجد

الحكومة الشيوعية. وهناك اعتقل لي شياوو جو أعضاء من لجنة الأعمال القرويّة وثمانية من مُسيّري الحرس الأحمر رقم عشرين، من بينهم لوان ليانغبي و لي بايفانغ. وقد استعمل عدّة طرق تعذيب قاسية مثل ضرب الجسم وحرقه. أولئك الذين يتعرّضون للتعذيب كانوا في النهاية يحملون جسمًا مُغطًى بالجراح، وأصابع مُكسّرة، وحروقات في كامل أنحاء الجسم ولا يستطيعون الحراك. بعض الوثائق التاريخية عن تلك الفترة تروي أنّ بكاء الضحايا كان عاليًا إلى درجة أنه "يشقّ السماء"، كانت طرق التعذيب القاسية مُجرّدة من كلّ إنسانيّة فعلاً.

في 8 ديسمبر، قامت زوجتا لي بايفانغ: ما مينغ و جو ميان بزيارة زوجهما في السجن، ولكنهما اعتُقِلتا أيضًا بتعلّة أنهما من عناصر الرابطة (أب) وعُذّبتا بقسوة أيضًا. لقد ضُربتا ضربًا مبرّحًا، وأحرقتا في جسميهما وكذلك في فرجيْهما، وجُرّح صدراهما بالسكاكين. تحت التعذيب القاسي اعترف دوان ليانغبي أنّ جين وانبان، و ليو دي، و جو ميان، و ما مينغ، وآخرون..كانوا قادة الرابطة أب، وأنه يمكن العثور على كثير من أعضاء الرابطة في مدارس الحرس الأحمر.

من 7 ديسمبر مساءًا إلى 12 ديسمبر، أي بالكاد خمسة أيام، اعتُقِل لي شاوو جيو وآخرون في مدينة فوتيان- أثناء حملة تطهير عنيفة للرابطة أب – 120 عضوًا ممّن زعموا أنهم عناصر من الرابطة أب وكذلك العشرات من أعداء الثورة المهمّين، وأُعدِمَ أكثر من أربعين شخصًا. وقد أفضت قسوة لي شاووجيو في النهاية إلى "حادثة فوتيان" [11] في 12 ديسمبر 1930 – هذه الحادثة التي أدهشت الجميع في "المنطقة السوفياتية" (مأخوذ من: أبحاث تاريخية عن تصفية ماوو تسي تونغ لـ"الرابطة أب" في "المنطقة السوفياتية"، إقليم جيانغسي، بقلم غاوو هوا).

منذ "المنطقة السوفياتية" بيانآن، اعتمد ماوو على نظريّة الصراع لديه وعلى ممارسته للصراع وسعى تدريجيًا إلى بسط هيمنته المُطلقة على الحزب. مثلاً، أثناء الجلسة الكاملة الثامنة لثامن اجتماع للّجنة المركزيّة للح ش ص المُنعقد بلوشان سنة 1959، تهجّم ماوو فجأةً على بانغ دوهواي وعزله من منصبه [12]. وكان على كلّ القادة الأساسيّين الذين كانوا حاضرين في الندوة أن يُبيّنوا موقفهم، والقلائل الذين تجرّؤوا على اتّخاذ موقفٍ مختلفٍ نُعِتوا كلّهم بـ"شقّ بانغ دوهواي المُعادي للحزب". أثناء الثورة الثقافية، تعرّض الكوادر القدماء للّجنة المركزية للح ش ص إلى العقاب واحدًا تلو الآخر، ولكنهم كلّهم استسلموا دون مقاومة. من كان يجرؤ على قول كلمة ضدّ ماوو تسي تونغ ؟ لقد نادى الح ش ص دائمًا بوجوب اتّباع نظامٍ حديديّ، والولاء للحزب، ووجود قوانين تنظيميّة، مُطالبًا بطاعة مُطلقة لمن هم أعلى مرتبة في السلّم. وهذه الخاصّية الموجودة في طبيعة الحزب انطبعت بعمق في الصراعات السياسية المتواصلة.

أثناء الثورة الثقافية، أنهكوا لي ليزان- الذي كان في الماضي أحد قادة الح ش ص- وأرهقوه. مع أنه كان يبلغ من العمر 68 سنة، إلاّ أنهم استجوبوه بمعدّل سبع مرّات في الشهر، واعتُبِرت زوجته لي شا "جاسوسة سوفياتية" وقد سبق وأن أُرسِلت إلى السجن، وغاب خبرها عن الجميع. تحت ضغط اليأس، لم يجد لي أمامه من خيار سوى الانتحار، مُبتلعًا كمّية كبيرة من الأقراص المنوّمة. لكن قبل موته، كتب لي ليزان رسالة لماوو تسي تونغ. هذه الرسالة تعكس حقًا "حسّ طبيعة الحزب" الذي لا يجرؤ عضو الحزب عن التخلّي عنه حتّى وهو على مشارف الموت:

"حضرة الرئيس،

أنا الآن على وشك خيانة الحزب انتحارًا ولا أملك أيّ عذر لجريمتي. أريد أن أقول فقط شيئًا: لا عائلتي ولا أنا تعاونّا مع العدوّ، لم يحصل هذا أبدًا. في هذا الصدد، ألتمس من الحكومة المركزية إجراء بحثٍ والتمعّن في المعطيات والوقائع لكي تخرج بخلاصاتٍ تنبني على الحقيقة...

لي ليزان،

22 يولية 1967" [13]

بينما كانت فلسفة الصراع لماوو تجرّ البلاد في النهاية إلى كارثة غير مسبوقة، كان هذا النوع من الحملات السياسية والصراعات الداخلية التي تنتشر "كلّ سبع أو ثماني سنين" يضمن بقاء الح ش ص على قيد الحياة. في كلّ حملةٍ، كان يتمّ القضاء على أقلّيةٍ من 5% والـ 95% الباقون يُقادون إلى الانضواء بإذعانٍ تحت الخط القاعديّ للحزب، وهكذا تزداد قوّة الترابط وقدرة منظّمة الح ش ص على التدمير.

هذه الصراعات قضت أيضًا على الأعضاء "المتردّدين" الذين لا يُريدون التصرّف ضدّ ضمائرهم وهاجمت كلّ القوى التي كانت تتصدّى لها. من خلال آليّات الصراع هذه، أعضاء الح ش ص الذين كانوا يُحبّذون الصراعات أكثر من غيرهم والذين كانوا الأمهر في استخدام وسائل قطاع الطرق هذه- كانوا هم من أمسك بزمام القيادة. قادة هذه الطائفة، طائفة الح ش ص، هم أشخاص لا يخافون من شيءٍ، ومتمرّسون في الصراع، ومُصطبغون بطبيعة الحزب. صراعات قاسية كتلك كانت أيضًا تلقّن من يقوم بتجربتها "درسًا داميًا" وغسلاً دماغيًا عنيفًا. وفي نفس الوقت، ذلك يضخّ باستمرار طاقة جديدة في الح ش ص، ويقوّي أكثر رغبته في الصراع، ويُحافظ على بقاءه ويُجنّبه أن يُصبح مجموعة مُعتدلة تزهد في الصراع.

هذه الخاصّية التي يشترط الح ش ص وجودها في طبيعة الحزب يعود أصلها إلى الطبيعة الطائفيّة للح ش ص. لكي يبلغ أهدافه، يمضي الح ش ص مُصمّمًا أن يقطع مع كلّ المبادئ الموروثة وأن يستعمل كلّ الوسائل لمقاومة كلّ قوّة يمكن أن تُزعجه. لذلك عليه أن يُحوّل كلّ أعضاءه عبيدًا لكي يُصبحوا أدوات في أيدي الحزب، مُجرّدة من القلب، ظالمة، ولا دين لها. طبيعة الح ش ص هذه مُتأتّية من كُرهه للمجتمع البشريّ التقليديّ، ومن الأهمّية الوهميّة التي يراها في ذاته، واحتقاره لحياة الآخر. لبلوغ "مثله الأعلى"، استعمل الح ش ص العنف ليسحق العالم ويُصفّي المعارضين. مثل هذه الطائفة من شأنها طبعًا أن تصطدم بمعارضة أصحاب الوعي والضمير، لذلك كان عليه أن يقضي على الضمير والأفكار الخيّرة لكي يُؤمن الشعب بمذهبه الفاسد. لذلك، لكي يضمن بقاءه، عمد الح ش ص أوّلاً إلى تدمير ضمير الشعب، والأفكار الخيّرة والمقاييس الأخلاقيّة، وحوّل الناس إلى أدواتٍ وعبيدٍ طيّعين. حسب نظريّة الح ش ص، حياة الحزب ومصالحه هي فوق كلّ شيءٍ. إنها تتجاوز حتّى المصالح الجماعيّة لكلّ أعضاء الحزب، ولهذا السبب على كلّ عضو من أعضاء الحزب أن يكون على استعدادٍ للتضحية بنفسه من أجل الحزب.

عندما نتأمّل في تاريخ الح ش ص، نجد الأشخاص الذين حافظوا على طريقة تفكير المثقفين التقليديّين، مثل شان دوسيو وتشو تشيو باي، أو الذين كانوا يشغلون أنفسهم بمصالح الشعب مثل هو ياوو بانغ و جاوو تزيانغ، أو الذين قرّروا أن يبقوْا موظّفين نزهاء مثل جو رونغجي- لا يهمّ مدى

أهمّية الخدمات التي أسدوْها للحزب وزُهدهم في كلّ مصلحة وطموح شخصيّ – لا يهمّ كلّ هذا – كلّهم وبدون استثناء وقعوا ضحيّة للتطهير، أو للطرد، أو لتقليص صلاحيّاتهم من طرف مصالح الحزب ونظامه.

حسّ طبيعة الحزب، أو السلوك إزاء الحزب، الذي نفذ إلى عظامهم أثناء سنوات الصراع، قادهم إلى الثورة وإلى الرضوخ في الأوقات الحسّاسة لأنه في عقلهم الباطن، بقاء الحزب كان الأولويّة الأساسيّة. كانوا يُفضّلون أن يُضحّوا بأرواحهم أو يُشاهدوا القوّة الشرّيرة وهي ترتكب جرائم داخل الحزب على أن يُعيدوا النظر في مسألة بقاء الحزب. نعم، هذا بالضبط نتيجة آليّات الصراع عند الح ش ص: الأشخاص الخيّرون يتمّ تحويلهم إلى أدواتٍ يستخدمها، وطبيعة الحزب تُستَعمَلُ لتقزيم الضمير الإنساني إلى أقصى درجة ممكنة أو حتّى للقضاء عليه تمامًا. عشرات "صفوف القتال" التابعة للح ش ص أطاحت بأكثر من عشرات قوّادٍ رفيعي الشأن أو من كان سيخلفهم ، لم يحظ أيّ قائدٍ رفيع الشأن بنهاية سعيدة. ورغم أنّ ماوو تسي تونغ كان الملك على مدى 43 سنةً، إلاّ أنه بعد وقت قصير من موته، وُضِعت زوجته وحفيدته في السجن، وحيّا الحزب هذا الفعل واعتبره انتصارًا كبيرًا للماويّة. ما هذا ؟ مسرحيّة هزليّة أم مقلب ؟

بعد استيلاء الح ش ص على الحكم، كانت هناك حملات سياسيّة لا نهاية لها، وصراعات داخل الحزب وخارجه. هكذا كان الأمر في عهد ماوو تسي تونغ، ولا يزال الأمر هكذا أيضًا في عهد - ما بعد الماويّة، عهد "الإصلاح والانفتاح". في السنوات 1980، وعندما بدأ الناس يتنفّسون قليلاً نسائم الحرّية ويُفكّرون بحرّية، شنّ الح ش ص حملة "الاعتراض على التحرّر البورجوازيّ" واقترح "المبادئ الأربعة الأساسيّة" [14] لكي يُحافظ على هيمنته المطلقة. في 1989، الطلبة الذين كانوا يُطالبون بالديموقراطيّة بشكل سلميّ تمّ قمعهم قمعًا دمويّا لأنّ الح ش ص لا يسمح بالتطلّعات الديموقراطية. شهدت السنوات 1990 تزايدًا سريعًا في عدد ممارسي الفالون غونغ الذين يُؤمنون بالحق، والرحمة، والصبر، ولكنهم منذ 1999 صاروا هدفًا لاضطهادٍ يُمكن أن نصفه بإباديّ، لأنّ الح ش ص لا يُطيق الطبيعة الإنسانية والأفكار الخيّرة. عليه أن يلجأ للعنف ليدمّر الضمائر ويضمن سيادتهُ. منذ بداية القرن 21، أصبح العالم بأسره مُرتبطا بالانترنت، ولكنّ الح ش ص دفع مبالغ طائلة ليخلق حصارًا في الشبكة مُخصّصًا لاصطياد الليبراليّين الذين يتّصلون بالشبكة، لأنه يخاف أن يصل الناس بحرّية إلى المعلومة.

IV. تدهور الطائفة الشيطانية - طائفة الح ش ص

طائفة الح ش ص تحكم بالأساس منتصبةً ضدّ الطبيعة الإنسانية وضدّ المبادئ السماويّة. الح ش ص معروف بعجرفته والأهمّية التي يُسندها لنفسه، وأنانيّته وأفعاله القاسية. إنه يجلب الكوارث باستمرار على البلاد وعلى العباد، ولكنه لا يعترف أبدًا بأخطاءه ولا يُظهِرُ أبدًا للشعب طبيعته الحقيقيّة. لم يتردّد الح ش ص يومًا في تغيير شعاراته وصفاته- والذين يعتبرهم هو مجرّد أدواتٍ يُحافظ بها على سيطرته. سيفعل كلّ شيءٍ ليحافظ على سلطته، مع الاحتقار التامّ للأخلاقيّات، والعدالة، والحياة البشريّة.

مأسسة هذه الطائفة الشرّيرة وعملها سيقودانها إلى الانهيار. مركزيّة السلطة كان من عواقبها أنها أسكتت الرأي العامّ ودمّرت كلّ آليّات السيطرة، ولم تترك شيئًا يمكن أن يمنع انزلاق الح ش ص في الفساد وفي التفكّك.

اليوم أصبح الح ش ص أكبر "حزبٍ في سرقة الأموال والفساد" في العالم. حسب إحصائيّات رسميّة صينيّة، أثناء العشرين سنة الماضية، من بين عشرين مليون موظفًا، وعونًا وإطارًا من إطارات الحزب أو الحكومة، ثمانية ملايين ثبتت تهمة الفساد ضدّهم وتعرّضوا لإجراءات تأديبيّة أو عقوبات حسب ما تنصّ عليه قوانين الح ش ص أو الحكومة. أمّا إن أخذنا بعين الاعتبار الموظفين الفاسدين غير المعروفين والذين لم يُحتَسَبوا هنا، فسترتفع نسبة الموظفين الفاسدين في الحزب والحكومة إلى ما يفوق الثلثيْن، ولكنّ جزءًا صغيرًا فقط من بينهم خضع للبحث وانكشف أمره.

تحقيق أرباح ماليّة بواسطة الفساد والاختلاس أصبح أمتن رابطة تحافظ على وحدة الح ش ص اليوم. الموظفون الفاسدون يعلمون أنه بدون الح ش ص، لن تكون لهم أيّ فرصة ليجعلوا مصالحهم الشخصيّة تُثمر، وأنه إن سقط الح ش ص، لا فقط سيخسرون نفوذهم ومكانتهم، ولكن أيضًا سيتمّ البحث في شأنهم. "غضب السماء" وهي رواية تصف كواليس موظفي الح ش ص، نجد الكاتب شان فانغ يصرّح في عبارات يقولها على لسان هاوو سيانغشو، المدير المساعد لمكتب بلديّ للح ش ص- بالسرّ الأساسيّ للح ش ص: "الفساد يجعل سلطتنا السياسيّة مستقرّة".

والشعب الصينيّ يُدرك ذلك جيّدًا: "إذا كافحنا الفساد فإنّ الحزب سيسقط، وإن لم نكافح الفساد فإنّ الأمّة ستهلك". ولكنّ الح ش ص لن يُخاطر بحياته ويُكافح الفساد. هو فقط سيقتل بضعة أفرادٍ فاسدين في عمليّة "تضحية" رمزيّة تهدفُ لتمجيد صورته هو. وسيسمح له هذا بتمديد حياته بعض السنين الأخرى على حساب عدد صغير من الأشخاص الفاسدين يدفعون هم الثمن. اليوم، الهدف الأوحد لطائفة الح ش ص الشريرة هو الحفاظ على السلطة والإمساك بزمام الحكم دون خوف من الزوال.

في الصين، تدهورت الأخلاق إلى درجة أنها أصبحت لا تُعرفُ. المنتوجات الرديئة، المومسات، المخدّرات، التواطؤ بين موظفين وشرذمة من الصعاليك، نقابات الجريمة المنظمة، لعب القمار، الرشاوي، مختلف أشكال الفساد منتشرة انتشارًا كبيرًا. وقد تجاهل الح ش ص هذا الانحلال الأخلاقي، في الوقت الذي نجد فيه أنّ كبار المسؤولين يمنحون الحماية لناس خائفين ويبتزّون منهم المال. تساي شاوو تشينغ، وهو خبير في دراسة المافيا والمنظمات الإجرامية في جامعة نانجينغ، يُقدّر أنّ ميدان الجريمة المنظمة في الصين يعدّ على الأقلّ مليون شخص. كلّ شخصيّة نقابية يقع القبض عليها تكشف دائمًا عن وجود شيوعيّين فاسدين في الكواليس، موظفي حكومة، قضاة، أو رجال شرطة.

إنّ الح ش ص يخاف أن يكتسب الشعب شيئًا من الوعي والحسّ الأخلاقي، لذلك هو لا يجرؤ على السماح للناس بأن تكون لهم عقيدة دينية أو حرية فكرية. إنه يستعمل كلّ موارده ليضطهد ناسًا طيّبين، لديهم عقيدة، مثل المسيحيّين المتخفّين، الذين يؤمنون بيسوع وبالإله، وممارسي الفالون غونغ الذين يرنون للعيش وفق مقاييس الحق، الرحمة، الصبر. يخاف الح ش ص أن تضع الديموقراطية حدّا لحكمه – حكم الحزب الواحد، لذا هو لا يجرؤ

على منح الناس حرّيات سياسية. إنه يُسارع إلى وضع الليبراليّين المستقلّين والمناضلين عن الحقوق المدنيّة في السجن، ولكنه يمنح الناس حرّيات مزيّفة.

طالما أنك لا تهتمّ بالسياسة وأنك لا تُعارض خط سير الح ش ص، فيمكنك أن تفعل ما تشاء، حتّى أشياء سيّئة ولا أخلاقيّة، والنتيجة هي أنّ الح ش ص يتدهور بطريقة مُدهشة وأخلاقيّات المجتمع الصينيّ تهوي بطريقة مفاجئة وبشدّة تدعو للقلق.

ليس أفضل من الجملة التالية تعبّر عمّا ألحقه الح ش ص من خرابٍ بالمجتمع الصيني الحالي: "سدّ المنافذ أمام باب السماء وفتح باب الجحيم."

IIV. وقفة تأمّل في الحكم الشرّير للح ش ص

-1ما هو الحزب الشيوعي ؟

هذا السؤال الذي يبدو بسيطا في الحقيقة إجابته ليست بسيطة. بتعلّة أنه "في صفّ الشعب"، وتحت غطاء تسمية "حزب سياسي" خدع الحزب الشيوعي في الحقيقة ملايين الناس. وحتّى أنه ليس حزبًا سياسيًا بالمعنى الشائع، بل طائفة مؤذية وشرّيرة تتملّكها روح شيطانيّة شرّيرة. الحزب الشيوعي هو كيان حيّ يتجلّى في العالم من خلال تنظيمات الحزب. ما يُسيّر الحزب الشيوعي في الحقيقة هو هذه الروح الشرّيرة التي ولجت فيه منذ البداية، وهذه الروح الشرّيرة تصنع الطبيعة الشرّيرة للحزب الشيوعي.

أمّا قادة الحزب الشيوعي، فهم يتصرّفون وكأنهم "غورو" هذه الطائفة - ليسوا سوى ناطقين باسم تلك الروح الشرّيرة وباسم الحزب. عندما تتّفق رغباتهم وأهدافهم مع رغبات وأهداف الحزب يمكنه إذا أن يستعملهم، ويتمّ اختيارهم كقادة. ولكن يوم لا يستجيبون مُجدّدًا لحاجيات الحزب، تقع الإطاحة بهم دون شفقة. آليّة الصراع الموجودة في الحزب تضمنُ أنّ الأكثر دهاءًا والأكثر شرّا والأكثر قسوةً يتشبّثون بمنصبهم: منصب غورو الحزب الشيوعي. قرابة اثنا عشر قائدًا من قوّاد الحزب الشيوعي خسر مكانته، الأمر الذي يُبرهن على صحّة هذا الأمر. في الحقيقة إنّ كبار قادة الحزب يمشون على خطّ ضيّق. فإمّا أن يُفارقوا خطّ سير الحزب ويتركوا بصمة طيّبة في التاريخ – مثل غورباتشوف، أو يكونوا ضحايا للحزب مثلما حدث لعديد وعديد الأمناء العامّين للحزب.

من يقع ضحيّة لاستعباد الحزب وقهره هو دائمًا الشعب. تحت حكم الحزب، الناس ليس لديهم الحقّ في نبذ الحزب، بالعكس هم مُرغمون على الرضا بهيمنة الحزب، بل ودعم الحزب. هم يحضرون كذلك حصصًا منتظمة للغسل الدماغيّ، تحت تهديد الح ش ص. الح ش ص يُرغم الأمّة بأكملها على الإيمان به وعلى مساندة هذه الطائفة الشرّيرة. هذا أمرٌ يندُرُ حدوثه في العالم اليوم، وعلينا أن نعترف بأنّ مهارة الح ش ص في هذا القمع لا مثيل لها.

أعضاء الحزب هم عبارة عن كتلة مادّية استُعملت لتحشو جسم الحزب. الكثير منهم نزهاء وطيّبون ولديهم ربّما حياة اجتماعية مكتملة وناجحة. هؤلاء هم الأشخاص الذين يحبّ الح ش ص كثيرًا أن ينتدبهم، لأنّ سمعتهم وكفاءاتهم يمكن أن يقع استعمالها في خدمة الحزب. كثير آخرون، زيادة على رغبتهم في أن يكونوا موظّفين وأن يتمتّعوا بوضعيّة اجتماعية أحسن، هم مُستعدّون للعمل بكدّ وجُهد للالتحاق بصفوف الحزب ومساعدة الكيان الشرّير. هناك أيضًا من يختار المجيء للحزب لأنهم يُريدون أن يفعلوا شيئًا ذا قيمة في حياتهم، وقد أدركوا أنه في ظلّ الهيمنة الشيوعية هذا الأمر غير ممكن، وأنهم لن يتمكّنوا من فعل ذلك إلاّ إذا انضمّوا للحزب. آخرون انضمّوا للحزب لأنهم يُريدون أن يحصلوا على شقّة أو حتّى على صورة أفضل فقط. وهكذا، ضمن عشرات الملايين من أعضاء الحزب، هناك في نفس الوقت أشخاص جيّدون وآخرون سيّئون. مهما تكن الدواعي، حينما تُقسم ولائك أمام راية الحزب، إن كان بمحض إرادتك أم لا، فهذا يعني أنك وهبت نفسك طوعًا للحزب. ستخضع إذا لعمليّة غسل دماغيّ وذلك بالمشاركة في حلقات الدرس السياسية الأسبوعية. إثر هذه المذهبة على يد الحزب، عددٌ هامّ من الأعضاء لن يكون لهم سوى قليل من التفكير الذاتيّ- إن بقي-، وسيقعون بسهولة تحت سيطرة الشيطان الشرّير، ساكن جسم الح ش ص. هؤلاء الناس سيشتغلون داخل الحزب مثل الخلايا داخل الجسم البشري وسيعملون دون انقطاع من أجل الحزب، حتّى وإن كانوا هم أنفسهم ينتمون للشعب الذي يُعاني من عبوديّة الحزب. وحتّى أتعس من ذلك، عندما تُفرَضُ عليك هذه العبودية المُسمّاة "طبيعة الحزب"، يصير من الصعب جدّا تخليص نفسك من شباكها. حالما تُظهِرُ طبيعتك الإنسانية، تصيرُ ضحيّة للتطهير أو للاضطهاد. كما لا يُمكنك أن تنسحب من الحزب من ذات نفسك، حتّى وإن كنت تُريد ذلك، لأنّ الحزب، مع سياسته التي تقبل مطالب الدخول ولا تقبل مطالب الخروج، سيعتبرك خائنًا. لذلك كثيرًا ما نجد الناس يُمثّلون طبيعة مزدوجة: طبيعة الحزب الشيوعي في حياتهم السياسية، والطبيعة الإنسانية في حياتهم اليومية.

يُشكّل كوادر الحزب مجموعة تُحافظ على السلطة فيما بين أعضائها. رغم أنهم يستطيعون الاختيار بين الخير والشرّ واتّخاذ قراراتهم بأنفسهم في ظروف معيّنة، فإنه في أوقات معيّنة وأثناء أحداث معيّنة، في المُجمل، عليهم أن يتّبعوا مشيئة الحزب. تنصّ المفوّضيّة على مايلي: "الحزب بأكمله يُطيع اللجنة المركزية." كوادر الحزب هم مُسيّرون على مستويات مختلفة؛ إنهم العمود الفقريّ للحزب. هم أيضًا ليسوا سوى أدواتٍ بين يدي الحزب. هم أيضًا وقع خداعهم، واستعمالهم، واضطهادهم أثناء الحملات السياسية الماضية. المقياس المُبطّن للح ش ص هو اختبارك لرؤية ما إذا كنتَ تتّبع "الغورو" المُناسب وما إذا كنتَ صادقًا في ولائك.

-2لماذا يظلّ الناس على جهلهم ؟

لقد تصرّف الح ش ص بطريقة خبيثة وشرّيرة طيلة حكمه للصين على مدى أكثر من 50 سنة. ولكن لِمَ ليس للشعب الصينيّ فهمٌ واقعيّ لطبيعة الح ش ص ؟ ألأنّ الصينيّين حمقى ؟ لا. الصينيّون أمّة من أكثر الأمم حكمة على الأرض، أمّة بإمكانها أن تفخر بتراثها الثقافي والغني وبارث يمتدّ على أكثر من 5000 سنة. ورغم ذلك لا يزال الشعب الصينيّ يعيش تحت نير الح ش ص، وفكرة التعبير عن عدم رضاه تُفزعه كثيرًا. السرّ يكمن في السيطرة على النفوس، هذه السيطرة التي يُمارسها الح ش ص.

لو كان الشعب الصينيّ يتمتّع بحرّية التعبير ويستطيع أن يُناقش بصوتٍ عالٍ مزايا الح ش ص وعيوبه، لنا أن نعتقد أنه كان سيُدرك منذ وقت طويل الطبيعة الشرّيرة للح ش ص وكان سيُحرّر نفسه بنفسه من هذه الطائفة الشرّيرة. لسوء الحظّ، لقد فقد الشعب الصينيّ حرّية التعبير والتفكير منذ نصف قرنٍ مضى، مع قدوم هيمنة الح ش ص. الغاية الكامنة وراء اضطهاد اليمينيّين ضمن المثقفين في 1957 كانت الحدّ من حرّية التعبير والسيطرة على روح الجماهير. في مجتمع يفتقر إلى ذلك الحدّ للحرّيات الأساسيّة، معظم الشباب الذين انكبّوا على دراسة ماركس وانغلس بكلّ إخلاص أثناء الثورة الثقافية، تمّ فيما بعد – ويا لسخريّة القدر- نعتهم بـ: "عُصبة مُعادية للحزب" ثمّ فيما بعد تمّ اضطهادهم. ولكنّ الحديث عمّا ارتكبه الح ش ص من خطإٍ ومن صوابٍ كان – بكلّ بساطةٍ- أمرًا غير ممكنٍ.

عددٌ قليلٌ من الصينيّين حقًا سيتجرّؤون حتّى على التفكير في دواخلهم أنّ الح ش ص طائفة شرّيرة. ومع ذلك كلّ من عاش في الصين لن يعدم أدلّة وبراهين على صحّة هذا الاعتقاد سواءًا من خلال تجاربه الشخصية أو تجارب أصدقائه وأسرته.

لقد حُرم الشعب الصيني لا فقط من حرّية التفكير، ولكن وقعت أيضًا مذهبته بواسطة تعاليم الحزب وثقافة الحزب. وهكذا فإنّ الناس لم يكونوا يسمعون سوى عبارات الثناء والإطراء على الحزب، وقد أفقِرت أرواحهم إلى درجة أنه لم يعد لديهم من تفكير سوى تقوية الح ش ص. خُذوا مثلاً مجزرة ساحة تيانانمن. عندما دوّت الطلقات النارية في 4 يونيو 1989، هرول كثير من الناس بطريقة غريزيّة للاختباء داخل الأجمات. ولكن بعد لحظاتٍ من ذلك، خرجوا من جديدٍ بكلّ شجاعة، رغم المخاطر، مُنشدين "النشيد الأمميّ" بصوتٍ واحدٍ. هؤلاء الصينيّون كانوا حقًا شُجعانًا، وبريئين، وجديرين بالاحترام، ولِمَ كانوا يُنشدون "النشيد الأمميّ"- النشيد الوطنيّ الشيوعيّ في الوقت الذي كانوا يُواجهون فيه التقتيل الشيوعيّ ؟ السّبب بسيط. هؤلاء الناس المساكين ترعرعوا وسط ثقافة الحزب، وكلّ ما كانوا يعرفونه هو الشيوعيّة. ضحايا ساحة تيانانمن لم يكونوا يعرفون سوى "النشيد الأمميّ"، وبعض الأناشيد الأخرى التي تتغنّى بمحاسن الحزب.

-3كيف الخلاص ؟

لقد اقترب الح ش ص من الهلاك. ولكن للأسف، قبل زواله تمامًا، يحاول دائمًا أن يربط مصيره بمصير الأمّة الصينية.

الح ش ص يحتضر، وهو يضعفُ تدريجيّا، وهيمنته على النفوس آخذة في التلاشي. مع زحف وسائل الاتّصال والانترنت، يجد الح ش ص صعوبة في السيطرة على مرور المعلومة وقمع التعبير. في الوقت الذي يواصل فيه الموظفون الفاسدون نهبهم وقهرهم للشعب، بدأ عامّة الناس يستفيقون ويتخلّصون من الأوهام التي يُلَفّقونها على الح ش ص، وكثير منهم بدؤوا يُمارسون العصيان المدنيّ. باضطهاده للفالون غونغ، لا فقط فشل الح ش ص في تحقيق هدفه المتمثل في تدعيم هيمنته الايديولوجية، ولكنه حطّ من مكانته ومن هيبته، إذ أماط اللثام عن قسوته المطلقة. هذا الظرف كان فرصة مناسبة للناس ليُعيدوا النظر في الح ش ص، ويُمهّدوا الطريق أمام الأمّة الصينية لتُحرّر نفسها من الاستعباد الايديولوجي وتقطع نهائيّا مع سيطرة شيطان الشيوعية الشرّيرة.

لقد عاش الشعب الصيني تحت الحكم الشرّير للح ش ص لمدّة تربو على الـ50 سنة، لذلك هو ليس في حاجة إلى ثورة عنيفة، هو بالأحرى في حاجة إلى تخليص روحه. يُمكن تحقيق هذه الغاية عندما يُساعد الشخص نفسه بنفسه، والخطوة الأولى في مسار تحقيق هذه الغاية هي الوعي بالطبيعة الشرّيرة للح ش ص.

سيأتي اليوم الذي فيه سيتسنّى للناس أن يخُلّوا وثاقهم من منظمات الحزب المرتبطة بأجهزة الدولة، ممّا سيُخوّل للنظام الاجتماعي أن يشتغل بصفة فرديّة مستقلّة، تُسنده فقط القوى الأساسية للمجتمع. مع زوال المنظّمة الديكتاتورية للحزب، ستتحسّن نجاعة الحكومة وستتقوّى. وهذا اليوم قريبٌ جدّا. في الحقيقة، منذ السنوات 1980، بدأ مُصلحو الحزب يدعون إلى فكرة "فصل الحزب عن الحكومة" في محاولة منهم لإقصاء الحزب عن الحكومة. ولكن اتّضح أنّ جهود الإصلاح المُنبثقة من داخل الح ش ص غير كافية وغير مُثمرة، لأنّ ايديولوجيّة "الهيمنة المطلقة للحزب" لم يقع التخلّي عنها تمامًا.

ثقافة الحزب هي المحيط اللازم لبقاء الطائفة الشيوعية الشريرة على قيد الحياة. القضاء على تملّك الح ش ص لأرواح الناس قد يكون أصعب من التخلّص من هيمنته عل إدارات الدولة، ولكنّ تطهيرًا كهذا هو الوسيلة الوحيدة لاقتلاع الشرّ الشيوعي من جذوره. هذا لا يُمكن تحقيقه إلاّ بواسطة جهود الشعب الصينيّ نفسه. عندما تُصبح النفوس مستقيمة وتعود الطبيعة الإنسانية إلى أصلها، سيستعيد أخلاقيّاته وسينجح في العبور نحو مجتمع لا- شيوعيّ مُحترمٍ. الدّواء ضدّ هذا التملّك الشيطاني هو إدراك طبيعة الشيطان الشرّير – وقدرته على الإيذاء، واجتثاثه من نفوس الناس، والتخلّص منه بطريقة لا تترك له مكانًا يختبئ فيه. الحزب الشيوعي يضع الثقل على التحكّم الايديولوجي لأنه ليس سوى ايديولوجيّة. هذه الايديولوجيّة ستتلاشى عندما سيلفظ كل الصينيين الأكذوبة الشيوعية خارج صدورهم، وعندما سيقضون بطريقة فعّالة على ثقافة الحزب، وينبذون تأثير الطائفة الشيوعية من طريقة تفكيرهم ومن حياتهم. حين يُخلّص الناس أنفسهم بأنفسهم، سيتحلّل الح ش ص ويختفي.

الأمم التي يحكمها الشيوعيون مرتبطة دائمًا بالبؤس، والشمولية والاضطهاد. لم يبق اليوم سوى أممٍ قليلة جدّا من هذا النوع، منها الصين، والفياتنام، وكوريا الشمالية، وكوبا. وأيّامها معدودة.

مع ذخر الحكمة الصينية، وتاريخ الصين المجيد، ستكون الصين المتحرّرة من التملّك الشرّير للشيوعية أمّةً واعدةً.

خاتمة

الح ش ص لم يعد يؤمن بالشيوعية. لقد ماتت روحه، ولكن ظلّه بقي قائمًا. إنه لم يرث سوى "جلد" الشيوعية، ولكنه يُترجم عن طبيعة طائفة شرّيرة: العجرفة، الغرور، الأنانيّة، والميل إلى سلطة مدمّرة اعتباطيّة. لقد ورث الح ش ص عن الشيوعية إنكار شرع السماء ورفضه للطبيعة الإنسانية مازال على حاله كذلك.

يُواصل الح ش ص اليوم حكم الصين باستعمال وسائل الصراع التي خَبِرها على مدى السنين، وباستعمال شبكة مُحكمة ومُتداخلة من المنظمات، مقرونة بهيمنة "تملّك الحزب" وبدعاية خبيثة تقوم مقام "ديانة حكوميّة". الخاصّيات الستّة للحزب الشيوعي المُبيّنة أعلاه تجعل من الح ش ص يستجيب بدقّة لتعريف "طائفة شرّيرة"؛ إنه لا يجترح الخير، فقط الشرّ.

بما أنها تقترب من نهايتها فإنّ هذه الطائفة الشيوعية تحثّ الخطى نحو الفساد والتدهور. الأمر الذي يدعو للقلق هو أنها تفعل ما تستطيع فعله بعنادٍ وإصرارٍ لتجرّ معها الأمّة الصينية إلى هوّة الفساد والتدهور.

على الصينيّين أن يُمسكوا بأيديهم زمام قدرهم؛ عليهم أن يُفكّروا مليًا، وعليهم أن يتخلّصوا من الح ش ص.

ملاحظات:

1- "مات الفهد ولكنّ جلده بقي" مأخوذة من كتاب نبوؤات صينيّ قديم، قصيدة زهرة البرقوق، لمؤلّف الكتاب شاوو يونغ (1011-1077). يرمز الفهد لرقعة الاتّحاد السوفياتي السابق، التي تُشبه بالفعل شبح فهدٍ يجري. مع انهيار ما كان يُمثّل الاتّحاد السوفياتي، تبدّد جوهر النظام الشيوعي، ولم يترك سوى "الجلد" (الشكل) وهو ما ورثه الحزب الشيوعي الصيني.

2- دستور الجمهوريّة الشعبية الصينية (ترجمة رسمية 1999).

3- أحداث "الكتلة أب" ترمز لعمليّة "كتلة أعداء البولشيفيّة" في السنوات 1930، عندما أمر ماوو بتقتيل الآلاف من عناصر الحزب، ومن جنود الحرس الأحمر، ومن المدنيّين الأبرياء في مقاطعة جيانغسي بهدف تقوية سلطته في المناطق الخاضعة لنفوذ الح ش ص.

4- مأخوذ من "تقرير عن حركة قرويّي هونان" بقلم ماوو سنة 1927.

5- جبل تايي (تايشان) هو الأوّل ضمن الجبال الخمسة الشهيرة في مقاطعة شاندونغ في الصين. وهو مُسجّل لدى الأمم المُتّحدة كجزءٍ من التراث العالميّ.

6- حركة إغلاق الأراضي تُبرز الجانب المظلم من الإصلاحات الاقتصادية الصينية. مثلما حدث في الثورة الصناعية الانكليزية (1750-1850)، فإنّ الأراضي الفلاحية في الصين اليوم تمّ تحديدها لإنشاء مختلف المناطق الاقتصادية على كلّ المستويات في البلاد (إقليم، مدينة، مقاطعة، ودولة). بسبب إغلاق الأراضي، فقد الفلاّحون الصينيون أراضيهم. في المدن، أُجبِرَ سكّان الأحياء والأقاليم القديمة نسبيًا-أجبِروا مرارًا على تغيير محلّ سكناهم مع تعويضات دنيا، ليتركوا المكان للتطوّرالتجاريّ. لمزيد المعلومات، الرجاء زيارة:

http://www.uglychinese.org/enclosure.htm

7- لين جاوو، طالبة في جامعة بيكين، تخصّصت في العمل الصحفيّ، تمّ طردها على أساس أنها يمينيّة سنة 1957- بسبب تفكيرها المستقلّ وانتقادها الصريح للحركة الشيوعية. اتّهمت بالتؤامر للإطاحة بالديكتاتورية الديموقراطية الشعبية، وتمّ إيقافها سنة 1960. في 1962، حُكِم عليها بـ20 سنة سجنًا. وتمّ إعدامها في 29 أبريل 1968 بصفتها عدوّة للثورة.

جانغ جيسين كانت مثقّفة عذبها الح ش ص إلى حدّ الموت أثناء الثورة الثقافية الكبرى لأنها انتقدت فشل ماوو في القفزة الكبرى إلى الأمام وقالت الحقيقة بصراحة. نزع حرّاس السجن مرّات عديدة عنها ملابسها وأوثقوا يديها إلى ظهرها، ورموْها في زنزانة الذكور حيث اغتصبها المساجين بطريقة جماعيّة إلى أن جُنّت. وخشيت إدارة السجن أنها، قبل لحظة إعدامها، ستصرخ بشعارات معارضة، فقطعوا حنجرتها قبيْل إعدامها.

8- "ثورة فبراير" ترمز للبورجوازيّين الروس، الذين استولوْا على عرش التزار/القيصر في فبراير 1917.

9- ثورة أكتوبر، والمعروفة أيضًا بالثورة البولشيفيّة، قادها لينين في أكتوبر سنة 1917. قتّلت هذه الثورة ثوريّي الطبقة الرأسماليّة الذين كانوا قد أطاحوا بالقيصر، وهكذا فقد كتمت أنفاس الثورة البورجوازية الروسية.

10- "حادثة ماري" و"مجزرة 12 أبريل" يرمز كلاهما إلى هجومات الكومينتانغ ضدّ الح ش ص. جرت "حادثة ماري" في 21 مايو 1927 في مدينة شانغشا من مقاطعة هونان. أمّا "مجزرة 12 أبريل" فقد وقعت في 12 أبريل 1927 بشانغهاي. في الحالتيْن، هوجم أعضاء وأنصار الح ش ص، واعتقِلوا وقُتِلوا.

11- ليو دي هو ضابط سياسيّ تابع للحرس الأحمر عدد 20، وقد اتّهِمَ بأنه من أعضاء "الكتلة أب". وقد قاد ثورة في فوتيان من مقاطعة جيانغسي، متّهمًا لي شاوو جيو بأنه ضدّ الثورة. وقد بسط الجماعة نفوذهم على مدينة فوتيان، وأطلقوا سراح أكثر من 100 شخص ممّن اعتُقِلوا بدعوى أنهم "كتلة أب"، وهتفوا مردّدين شعاراتٍ من قبيل "فليسقط ماوو تسي تونغ".

12- بانغ دوهواي (1898-1974): ماريشال شيوعيّ صيني وقائد سياسيّ. كان بانغ القائد الأعلى أثناء حرب كوريا، ونائب الوزير الأوّل لمجلس شؤون الدولة، وعضوًا في المكتب السياسيّ، ووزيرًا للدفاع من 1954 إلى 1959. أقيل من مهامّه الرسميّة بعد أن عبّر عن معارضته للمقاربات اليساريّة لماوو أثناء الجلسة المكتملة للح ش ص في 1959 بلوشان.

13- مأخوذ من "لي ليزان: الشخص الذي أقيمت من أجله أربع حفلات وفاء للذكرى".

14- المبادئ الأربع هي: الطريق الاشتراكية، ديكتاتورية البروليتاريا، هيمنة الح ش ص، الفكر الماركسي-اللينينيّ وفكر ماوو تسي تونغ.

جميـع الحقوق محفوظة للناشر - صحيفة الإيبوك تايمز

المقالة التاسعة: الطبيعة عديمة الضمير للحزب الشيوعي الصيني

الشرطة توقف ممارسي فالون غونغ الذين تظاهروا سلميا في ساحة تيان آن مان للمطالبة بحقهم - 11 مايو 2000 (أ.ف.ب/صور جاتي)

لأكثر من قرن، ملأت الحركة الشيوعية الدنيا صخبًا، ولكنها لم تجلب للإنسانية سوى الحروب، والبؤس، والعنف، والديكتاتورية. مع نهاية القرن الماضي، ومع انهيار الاتحاد السوفياتي والأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية، دخلت هذه الميلودراما الكارثية وعديمة المعنى أخيرا في مرحلتها النهائية. لم يعد أيّ مواطن- بدءًا من الإنسان العاديّ إلى الأمين العامّ للحزب الشيوعي- يُؤمن بأسطورة الشيوعية.

لم ينشأ النظام الشيوعي عن "حكم بالحقّ الإلهي" ولا عن انتخابات ديموقراطية. اليوم، بما أنّ ايديولوجيته قد انهارت، فإنّ شرعيّة حكمه تواجه تحدّيًا لا مثيل له.

الحزب الشيوعي الصيني لا يُريد مفارقة مسرح الأحداث ولا يُريد اتّباع سيرورة التاريخ. بل بالعكس هو يلجأ للوسائل العنيفة التي أرساها طيلة عشرات السنين من الحملات السياسية، ليشنّ من جديد صراعًا هائجًا، باحثًا عن الشرعيّة، ونافثًا نفَسًا جديدًا في حكم قد أشرف على الموت. سياسات الإصلاح والانفتاح التي انتهجها الح ش ص تُخفي نيّته اليائسة في الحفاظ على اهتمام الناس وعلى سلطته الشمولية. رغم سياسات التقشّف فإنّ النجاحات الاقتصادية، والتي هي ثمرة عمل الشعب الصيني طيلة العشرين المنصرمة، لم تقنع الح ش ص بوضع سكّين الجزار جانبًا.

عوضًا عن هذا، هو يُسند هذه النجاحات لنفسه ليُثبّت سيادته، إنّ تصرّفه المجرّد من كلّ مبادئ يصير مراوغًا أكثر فأكثر وكاذبًا أكثر فأكثر. وأكثر شيء مفزع هو أنه يفعل كلّ شيء لتقويض الأسس الأخلاقية للأمّة، محاولاً أن يُحوّل كلّ صينيّ إلى شخص استغلاليّ بالقوّة وذلك ليخلق محيطا ملائمًا له و"يستمرّ في السير عكس الزمن".

في اللحظة التاريخية الراهنة، من الهامّ جدّا أن نفهم بوضوح لِمَ يتصرّف الح ش ص كمجموعة من السفلة وأن نفضح طبيعته الشريرة لكي تتمكّن الأمّة الصينية من الوصول الى استقرار وسلم دائمين، والدخول في أقصر وقت ممكن إلى حقبة لا مكان فيها للح ش ص وإعادة بناء المجد القوميّ.

I. الطبع عديم الذمّة للح ش ص لم يتغيّر أبدًا

لأجل من قام الح ش ص بالإصلاح ؟

على مدى التاريخ، كلّما واجه الح ش ص أزمات، أبدى بعض النيّة في التحسّن، جاعلاً الناس يتعلّقون من جديد بالوهم، وهم الح ش ص. وما حصل هو أنّ هذه الأوهام تلاشت بدون استثناء، الواحد تلو الآخر. اليوم يسعى الح ش ص إلى تحقيق أرباح على المدى القصير، وبهذا التصرّف، يُعطي انطباعًا بالرخاء الاقتصادي يُقنع الناس مرّة أخرى بتصديق أوهام الح ش ص. ومع ذلك فإنّ التضارب بين المصالح الأساسية للح ش ص والمصالح الأساسية للأمّة سينجرّ عنه أن هذا الرخاء المزيّف لن يدوم. إنّ "الإصلاح" الذي تعهّد به الح ش ص وراءه غاية: تمديد حكمه. إنه إصلاح أعرج وتغيير في المظاهر لا في الجوهر. إنّ النموّ غير المتوازن يُخفي أزمة اجتماعيّة كبيرة. عندما ستنفجر هذه الأزمة فإنّ الأمّة والشعب سيتعذبان من جديد.

مع تغيير الحكومة، نجد أنّ الجيل الجديد من قادة الح ش ص لم يشارك في الثورة الشيوعية، لذا فليس لهذا الجيل الجديد مقدار كاف من الهيبة والمصداقية ليسيّر الأمّة. الح ش ص يواجه أزمة شرعيّة، وفي هذه الأزمة يُضحي الدفاع عن مصالح الحزب الضمان الأساسي للحفاظ على المصالح الشخصية لكلّ فرد داخل الح ش ص. طبيعة الح ش ص طبيعة أنانيّة، ولا حدود لهذه الأنانيّة. واهمٌ من يظنّ أنّ حزبًا كهذا يمكن أن يُسخّر نفسه لتنمية البلاد بشكل سلميّ.

فلنأخذ ما تقوله صحيفة "البيبلز دايلي"، لسان الح ش ص، في مقالها الذي يتصدّر الصفحة الأولى من عدد 12 يولية 2004: "إنّ جدليّات التاريخ قد لقّنت أعضاء الح ش ص الدرس التالي: الأشياء التي ينبغي أن تتغيّر عليها أن تتغيّر، وإلاّ فإنّ ما سيعقبُ ذلك هو التدهور والانحلال، والأشياء التي ينبغي ألاّ تتغيّر عليها ألاّ تتغيّر، وإلاّ فإنّ ذلك سيقود إلى الانتحار.

ما اللذي لا يجب أن يتغيّر ؟ تفسّر صحيفة البيبلز دايلي: "الخط القاعدي للحزب، "مركز ونقطتا ارتكاز"، يجب أن يبقى راسخًا بثبات لمدّة قرن دون أيّ اهتزاز".

الناس لا يفهمون بالضرورة ماذا يعني "المركز" وماذا تعني "نقطتا الارتكاز"، ولكن الجميع يعلم أن ما لا يتغيّر أبدًا هو العزم المحموم للحزب الشيوعي على الحفاظ على مصلحته الجماعية وعلى ديكتاتوريّته. لقد هُزمت الشيوعية في مجملها وهي سائرة رويدًا رويدًا نحو لفظ أنفاسها الأخيرة، لا محيد عن هذا القدر. ولكن من جهة أخرى كلّما اقترب الشيء من الموت كلّما كان نزاعه الأخير مُدمّرًا. لذا عندما نتحدّث عن تحسّنات ديموقراطية مع الحزب الشيوعي، فكما لو كنّا نطالب نمرًا بتغيير جلده.

ماذا ستفعل الصين بدون الحزب الشيوعيّ ؟

كلّما اتّجه الح ش ص إلى التدهور أكثر، كلّما اكتشف الناس بطريقة لا مُتوقّعة أنه مدّة عشرات السنين قد نفث شبح الح ش ص الشرّير، بطرقه الغادرة والمتبدّلة دومًا، العناصر المؤذية في كلّ جوانب حياة المواطنين الصينيين.

عند موت ماوو تسي تونغ بكى الكثير والكثير من الصينيين بمرارة أمام صورة ماوو وهم يتساءلون :"ماذا ستصبح الصين بدون الرئيس ماوو ؟" ومن سخريّة القدر، عشرون سنة بعد ذلك التاريخ، وفي الوقت الذي يتساءل فيه العالم عن الشرعيّة السياسية للحزب الشيوعي، هاهو الح ش ص يُطلق حملة دعائيّة جديدة، دافعًا الناس إلى طرح التساؤل مرّة أخرى: "ماذا ستصبح الصين بدون الحزب الشيوعي ؟"

في الحقيقة، السيطرة السياسية المهيمنة للح ش ص قد طبعت الثقافة الصينية المُعاصرة بالحديد الأحمر إلى درجة أنه حتّى المقاييس التي يُقيّم بها الصينيون الح ش ص والحالة الذهنية والنفسية للصينيين آتية من الح ش ص نفسه. إن كان الح ش ص يُهيمن على الناس نتيجة لما حقن فيهم من عناصر ضارّة، فهو اليوم يجني ما زرعه، لأنّ كلّ تلك تالأشياء التي بثّها في نفوس الناس قد هُضمت وامتصّتها كلّ خليّة من خلاياهم. الناس يُفكّرون بمنطق الح ش ص، ويضعون أنفسهم مكان الح ش ص ليُميّزوا بين الصواب والخطأ. بالنسبة لمجزرة الطلبة المتظاهرين في 4 يونيو 1989، بعضهم قالوا: "إذا كنتُ مكان دانغ سياوبينغ، كنتُ أنا أيضًا سأقمع المظاهرات بالدبّابات." بالنسبة لاضطهاد الفالون غونغ، بعضهم يقولون: "لو كنتُ مكان دجيانغ زمين، كنتُ أيضًا سأقضي على الفالون غونغ." بالنسبة لمنع حرّية التعبير بعض الأشخاص يقولون: "لو كنتُ مكان الح ش ص، كنتُ سأتصرّف بنفس الطريقة." لقد تلاشى الحقّ وتلاشى الضمير، تاركيْن المجال لمنطق الح ش ص فحسبُ. هذه هي عاقبة الطرق الشريرة وشديدة العنف التي طبّقها الح ش ص. طالما استمرّ في نفث أخلاقيّاته المسمومة في نفوس الناس، فسيكون قادرًا على شحن الطاقة اللازمة لبقاءه على قيد الحياة.

"ماذا ستفعل الصين بدون الح ش ص ؟" أسلوب التفكير هذا يبقى منحصرًا بالضبط في الإطار الذي يُريده الح ش ص، يُفكّر الناس مُستعملين منطقه هو.

لقد عبرت الصين 5000 سنة من التاريخ دون الح ش ص. ليس هناك بلد واحد في العالم يُوقف تقدّمه الاجتماعيّ بسبب سقوط نظام مهما كان. ورغم ذلك، إثر مرور عشرات السنين تحت نير الح ش ص، لم يعد الناس قادرين على إدراك هذا بوضوح. الدعاية التي ملأ بها الح ش ص أسماع الناس أوصلت الناس إلى درجة أنهم يعتبرون الح ش ص الأمّ التي ولدتهم. سياسة الح ش ص المهيمنة والحاضرة في كلّ جوانب الحياة جعلت من الناس لا يستطيعون تصوّر حياتهم بدون الح ش ص. بدون ماوو لم تغرق الصين، فهل ستغرق يا ترى بدون الح ش ص ؟

ما هو السبب الأصلي للاضطراب ؟

الكثير من الناس يعرفون السلوك الماكيافلّي للح ش ص ولا يستحسنونه، ولقد ملّوا صراعاته وأكاذيبه. ولكنهم يخافون من حركاته السياسية ومن الاضطراب الذي ينتج عنها، ويخشون أن تسود الفوضى الصين من جديد. لذلك عندما يُهدّد الح ش ص الناس بوقوع اضطرابات، يُذعنون في صمتٍ لنفوذه، شاعرين بالعجز أمام استبداد الح ش ص.

في الحقيقة أصل الاضطراب هو الح ش ص نفسه، بفرقه التي يبلغ عددها الملايين وبوليسه المسلّح. المواطنون العاديّون ليست لديهم أيّ مصلحة في اختلاق الاضطرابات، ولا هم يملكون الوسائل والإمكانيّات أيضًا. فقط الح ش ص الذي يوشك أن ينهار يملك من الجنون ما يجعله يقود البلاد إلى الاضطراب. "الاستقرار يعلو على كلّ شيءٍ" و"قتل عناصر عدم الاستقرار وهي في البيضة" هي شعارات أضحت القاعدة النظريّة للح ش ص لقمع الناس. من هو المسؤول الأكبر عن عدم الاستقرار الذي يسود الصين ؟ أليس هو الح ش ص الذي تضلّع في الطغيان وبرع فيه ؟ الح ش ص يُرسي الاضطراب، ثمّ في المقابل يستعمل الفوضى ليُبقي الناس تحت مخالبه. هذا التصرّف يشترك فيه كلّ المجرمين.

II. الح ش ص يُضحّي بالنمو الاقتصادي

1- يبني الح ش ص مصداقيّته على عمل الآخرين وجهودهم

الح ش ص يُطالب بالشرعية ويدّعي أنه يستحقّها، ذريعته في ذلك هو التطور الاقتصادي الذي تحقّق خلال العشرين سنة الماضية. ولكن في الحقيقة الشعب الصيني هو الذي حقّق تدريجيّا هذا التطوّر عندما انفكّت منجلة الح ش ص عنه قليلاً، إذًا هذا لا علاقة له بفضل الح ش ص. ورغم ذلك أشرع الح ش ص هذا التطوّر الاقتصادي على أنه إنجازه هو- إنجازه الناجح، مطالبًا الناس بالاعتراف بالجميل. ما يتطلّع إليه هو أن يعتقد الناس أنه لم يكن لأيّ من هذه التطورات الاقتصادية أن تقع لولاه هو. نحن نعلم جيّدًا أنّ بلدانًا غير شيوعيّة بلغت نموّا اقتصاديّا أسرع من ذاك بوقت طويل.

عندما يربح الرياضيّون ميداليّات أولمبية ذهبية، عليهم أن يشكروا الح ش ص. لم يتردّد الح ش ص في استعمال هذه الصورة المفبركة، صورة "أمّة تحبّ الرياضة وتبجّلها" لكي يمدح نفسه. لقد تعذبت الصين بشدّة من وباء السراس ولكن البيبلز دايلي أوردت في تقاريرها عدّة مرات أن الصين تغلّبت على الفايروس "بفضل اتّباعها لنظريّة الحزب، وخط سيره، ومبادئه، وتجربته". إنّ الأخصّائيّين في علم الفضاء والتكنولوجيا هم من أطلقوا المركبة الفضائية "شانجو-V" – ولكن الح ش ص استعمل هذا الحدث ليبيّن أنّ الح ش ص هو الوحيد القادر على رفع الصينيين إلى مصاف القوى العالمية الكبرى. بينما حيازة الصين على حقّ تنظيم الألعاب الأولمبية في 2008، ما كان ذلك في الحقيقة إلاّ "غصن زيتون" وضعته الدول الغربية في يد الصين لتشجّعها على احترام حقوق الإنسان. وقد استعمل الح ش ص هذا الأمر لكي يُصعّد من مطالبته بالشرعية واستعمله كتعلّة لقمع الشعب الصيني. المستثمرون الأجانب يسعون وراء "السوق الافتراضية الصينية الكبرى"، وهذا عائد إلى القدرة الاستهلاكية للشعب الصيني –الذي يعدّ 1.3 مليار نسمة. أمّا الح ش ص فقد أدار دفّة الأمور لصالحه وحوّل هذه الخاصّية إلى سلاح يُخضِعُ به الدول الغربية ويُجبرها على التعاون معه وفق قواعد يُسطّرها هو.

الح ش ص يُرجِعُ كلّ ما هو سيّء للقوى الرجعيّة وللغايات السرّية لبعض الأشخاص ويُرجِعُ كلّ ما هو إيجابيّ لكفاءة مسيّري الحزب. سوف يستعمل الح ش ص أقلّ نجاح ولو كان ضئيلاً ليزيّن به ادّعاءه للشرعية. الحزب قادر حتّى على استعمال الأخطاء التي ارتكبها وإعادة توظيفها لصالحه ولخدمة أهدافه. مثلا عندما لم يعد الح ش ص قادرًا على حجب الحقيقة بشأن وباء السيدا، خلق لنفسه فجأة هويّة جديدة، لقد عبّأ بعناية آلة الدعاية عنده، مستعملاً كلّ الناس- من الممثّلين المعروفين إلى الأمين العامّ للحزب- ليُقنعوا الرأي العامّ بأنّ الح ش ص – والذي هو المسؤول الأساسي عمّا يحدث – يُحسن للمرضى ويرعاهم، وأنه عدوّ للسيدا ومكافح للمرض. في مواجهة هذه المسألة، والتي هي مسألة حياة أو موت، لم يجد الح ش ص أفضل من استغلال الوضعيّة لتمجيد صورته من جديدٍ. فقط استغلاليّون بحجم فساد الح ش ص قادرون على إتيان تصرّفات عديمة الرحمة ومتهوّرة مثل هذه، وعلى استغلال كلّ شيء وتوظيفه لمصلحتهم متجاهلين الحياة البشرية كلّ التجاهل.

2- المساوئ الاقتصادية الناتجة عن رؤية على المدى القصير

عندما واجه الح ش ص بجدّية "أزمة شرعيّة"، قاد سياسات إصلاح وانفتاح في السنوات 1980، بهدف البقاء في السلطة. نهمه في تحقيق نجاحات سريعة وضع الصين في وضعيّة غير جيّدة يُسمّيها خبراء الاقتصاد بـ: "لعنة المتأخّر".

مفاهيم "لعنة المتأخّر" أو"صفة المتأخّر" مثلما يسمّيها مثقّفون آخرون، تعني أنّ البلدان السائرة في طريق النموّ، والتي بدأت تطوّرها بصفة متأخّرة، يُمكن لها أن تقلّد البلدان المتقدّمة في كثير من الجوانب. هذا التقليد يُمكن أن يتّخذ شكلَيْن: تقليد النظام الاجتماعي أو تقليد الأنماط التكنولوجية والصناعية. تقليد نظام اجتماعي هو في العادة أمر صعب، لأنّ إصلاح هذا النظام يضع في خطر المصالح التي اكتسبتها بعض المجموعات الاجتماعية أوالسياسية. لذلك فإنّ البلدان التي هي في طريق النمو تتّجه في غالب الأحيان نحو التقليد التكنولوجي يُمكن أن يُنتج نموّا اقتصاديّا على المدى القصير، فيُمكن أن ينتج عنه أيضًا كثير من الأخطار الخفيّة أو حتّى فشلٌ على المدى البعيد.

هذه هي "لعنة المتأخّر"، أو طريق الفشل، التي اتّبعها الح ش ص. أثناء العشريّتين الأخيرتين، قاد "التقليد التكنولوجي" الصين إلى بعض النجاحات، والتي استفاد منها الح ش ص ليُبرّر شرعيّته ويستمدّ في استبعاد إصلاحات اقتصاديّة من شأنها أن تُزعزع مصالحه الخاصّة. وهكذا وقعت التضحية بمصالح الأمّة على المدى البعيد.

التطوّر الاقتصادي للح ش ص باهظ الثمن

إن كان الح ش ص يفتخرُ دومًا بتقدّمه الاقتصادي، ففي الحقيقة الاقتصاد الحاليّ للصين يقع في الترتيب العالمي في مرتبة أقلّ من التي كان فيها في عهد تشيانلونغ (1711-1799) أثناء حكم التشينغ. أثناء فترة التشيانلونغ، كان الناتج القوميّ الخامّ للصين يرتفع إلى 51% من الناتج الإجمالي العالمي. في السنوات الأولى التي تلت تأسيس الجمهورية الصينية (الكوومينتانغ) من طرف سون يات سن في 1911، كان الناتج القومي الخام للصين يصل إلى 27% من الإجمالي العالمي. في 1923، نزلت النسبة المائوية، ولكنها ظلّت فوق 12%. في 1949، عندما أخذ الح ش ص السلطة، كانت النسبة 5.7%، ولكن في 2003، لم يعد الناتج القومي الخام للصين يتجاوز الـ4% من الإجمالي العالمي. على عكس التراجع الاقتصادي الذي أتى في فترة الكوومينتانغ- والذي هو عائدٌ إلى عدّة عقود من الحرب- فإنّ التراجع الاقتصادي المستمرّ أثناء حكم الح ش ص أتى في فترة سلمٍ.

ابتداءًا من السنوات 1980 وصولاً إلى نهاية السنوات 1990، زادت رقعة التصحّر في الصين من 1000 كلم مربع إلى 2460 كلم مربع. أمّا مساحة الأراضي الصالحة للزراعة للشخص الواحد فقد هوت أيضًا من 2 مو في 1983 إلى 1.43 مو في 2003. الموجة الكبرى لتسييج الملكيّات من أجل التطوير أفقدت الصين 100 مليون مو من الأراضي الصالحة للزراعة في ظرف بضعة سنين فقط. ومع هذا، لم يقع استعمال سوى43% من الأراضي المُصادرَة. حاليّا يبلغ مجموع صرف المياه المُستعملة 43.95 مليار طن، وهو رقم يتجاوز قدرة البيئة على الاستيعاب بـ82%. في الأنهار الرئيسية السبعة الكبرى، 40.9% من الماء غير صالح لشراب الإنسان ولا الماشية، 75% من البحيرات ملوّثة ومياهها لا تحتوي على قدر كافٍ من الأوكسيجين، ممّا تسبّب في إحداث ظاهرة تجمّع البقايا العضوية العفنة في المياه الآسنة. لم تكن أبدًا الصراعات بين الإنسان والطبيعة في تاريخ الصين خطرة كما هي في عصرنا الحاليّ. لا الصين ولا بقيّة العالم بإمكانهما أن يتحمّلا تطوّرًا سقيمًا كهذا. ليس ما في الأمر غير أنّ الناس بهرهم البريق الخلاّب لناطحات السحاب والمساكن الفاخرة، فغفلوا عن الأزمة البيئيّة القادمة، بل وشيكة الحدوث. عندما يحين الوقت الذي تبدأ فيه الطبيعة في الانتقام من البشر، ستكون العواقب كارثيّة بالنسبة للأمّة الصينية.

وبالمقارنة، فإنّ روسيا بعد أن تخلّت عن الشيوعيّة، قامت بإصلاحات سياسية واقتصادية في نفس الوقت. بعد أن عاشت فترة وجيزة من الاحتضار، انطلقت في عملية نموّ سريع. من 1999 إلى 2003، زاد الناتج القومي الخامّ الروسي بنسبة 29.9% كما تحسّن مستوى العيش للمواطنين الروسيين بطريقة ملحوظة. وأخذت الدوائر الاقتصادية الغربية في مناقشة "ظاهرة الاقتصاد الروسي" وليس هذا فقط بل بدأت في الاستثمار على نطاق واسع في روسيا، مكان الموضة الجديدة. ترتيب روسيا ضمن الأمم الأكثر جاذبية قفز من المرتبة 17 سنة 2002 إلى المرتبة 8 سنة 2003، والتحقت – لأوّل مرّة في تاريخها- بركب الأمم العشر الأولى الأكثر جذبًا للمستثمرين.

وحتّى الهند، والذي هو بلد مرتبط في أذهان أغلب الصينيين بالفقر، وتهزّه صراعات عرقيّة لا تُحصى، تمتّع بنموّ مطّرد وبلغ نسبة نموّ اقتصاديّ من 7 إلى 8% في السنة منذ أن بدأ إصلاحاته الاقتصادية سنة 1991. تتمتّع الهند بنظام تشريعيّ كامل نسبيّا فيما يخص اقتصاد السوق، وبنظام جبائيّ مُتعافٍ، وبنظام ديموقراطي متطوّر وبعقليّة جماهيريّة مستقرّة. لقد شهد الرأي العام العالمي للهند بأنها بلد يتمتّع باحتياطي تنمويّ قويّ.

أمّا الح ش ص فلم يقم سوى بإصلاحات اقتصادية، دون القيام بإصلاحات سياسية. المظهر الخادع لاقتصاد مزدهر على المدى القصير والذي خلق وهم نظام اجتماعي، قد عرقل "النموّ الطبيعي للأنظمة الاجتماعية". إنّ هذا الإصلاح المبتور هو ما زاد في عدم توازن المجتمع الصيني وعمّق الصراعات الاجتماعية. الأرباح المالية ليست دائمًا محميّة من طرف الأنظمة الاجتماعية. وبالإضافة إلى ذلك، في مسار خوصصة أملاك الدولة، استغلّ مسيّرو الح ش ص مناصبهم للإثراء.

الح ش ص يخدع الفلاّحين بطريقة متكرّرة

لقد اتّكأ الح ش ص على الفلاّحين ليفوز بالسلطة. في الفترة الأولى من نموّه، قام قرويّو المناطق الخاضعة للح ش ص بإعطائه كلّ ما يملكون. ولكن حالما أخذ بزمام الحكم في البلاد عانى الفلاّحون من تمييز مرير.

بعد أن أسّس الح ش ص الحكومة أرسى نظامًا جائرًا جدّا: دفتر تعيين محلّ الإقامة. هذا النظام يُقسّم الناس إلى ريفيّين وغير ريفيّين، مُحدثًا تقسيمًا غير متوازن وتعارضًا في كامل البلاد. القرويّون ليس لديهم تأمين على المرض ولا هم يحصلون على منحة عاطل عن العمل، ولا على جراية تقاعد، ولا يستطيعون اقتراض مال من البنوك. الفلاّحون ينتمون إلى أفقر طبقة في الصين، ولكنهم يحملون على عاتقهم أثقل عبءٍ جبائي. عليهم أن يدفعوا منحة إجبارية لصندوق احتياطي، ومنحة أخرى لصندوق رفاه عمومي، وضرائب تصرّف إداريّ، وضرائب خصوصية من أجل التربية، وضرائب لمراقبة الولادات، وضرائب لتنظيم الميليشيات وتدريبها، وضرائب من أجل بناء الطرقات، وضرائب من أجل التعويض العسكري. إلى جانب كلّ هذه الضرائب، عليهم أيضًا أن يبيعوا نصيبًا من محصولهم من الحبوب للدولة بنسب ثابتة، وأن يدفعوا الجبايات الزراعية، وجبايات على الأراضي، وجبايات خاصّة بالإنتاج المحلّي، وجبايات خاصّة بالجزارة، بالإضافة إلى جبايات أخرى كثيرة. المواطنون غير القرويّين ليس عليهم أن يدفعوا كلّ هذه الجبايات والضرائب.

في بداية السنوات 2004، نشير الوزير الأول الصيني "وان جياباوو" "الوثيقة رقم 1" وفيها تصريح بأن الصين القروية تواجه اليوم أصعب وضعيّة منذ الإصلاحات الاقتصادية سنة 1978. مداخيل أغلب القرويّين في ركود أو حتّى أنها تقلّصت. أصبح هؤلاء القرويّون أفقر وأفقر والهوّة بين المدخول الحضري والمدخول القروي لم تفتأ تتّسع.

في ضيعة غابيّة في شرق إقليم سيشوان، وزّعت السلطات العليا 500.000 يوان (ما يعادل تقريبًا 60.500 دولار) لغرض مشروع إعادة بعث الغابات. أوّل ما فعله المشرفون على الضيعة هو دسّ 200.000 يوان في جيوبهم، وتركوا الـ300.000 يوان الباقين لغرس الأشجار. ولكن بما أنه في كلّ مستوى في الحكومة يقع اختلاس نصيب من المبلغ، ففي النهاية لم يبق إلاّ النزر اليسير جدّا للفلاّحين الذين قاموا بغرس الأشجار فعلاً. لم تكن الحكومة تخشى هذا الأمر لأنها متأكّدة أنّ الفلاّحين كانوا لن يرفضوا القيام بالعمل، حتّى ولو كانت الأجور غير كافية. الفلاّحون هم حقّا فقراء إلى درجة أنهم يمكن أن يعملوا حتّى مقابل القليل جدّا من المال. هذا هو أيضًا السبب الذي من أجله نرى البضائع المصنوعة في الصين زهيدة الثمن إلى تلك الدرجة.

الضغط على البلدان الغربية من خلال المصالح الاقتصادية

يظنّ الكثير من الناس أن التجارة مع الصين سوف تُحسّن وضعيّة حقوق الإنسان هنالك، ووضعيّة حرّية التعبير والإصلاحات الديموقراطية. بعد مرور أكثر من عقدٍ من الزمن، يبدو واضحًا للعيان أنّ هذه التخمينات لم تكن سوى أوهامًا. الفرق بين الوسائل التجارية في الصين والغرب شاسع. ما نجده نزاهة وشفافيّة في المجتمعات الغربية نجده محسوبيّة وفسادًا وتدليسًا في الصين. الكثير من المجتمعات الغربية ارتكبت ذنبًا من حيث لا تشعر لأنها عمّقت الفساد الصيني، بل وحتّى أنّ بعض الشركات ساعدت الح ش ص على إخفاء جرائمه في مجال حقوق الإنسان واضطهاده لشعبه.

يتصرّف الح ش ص كأشبه ما يكون بالمافيا التي تلعب ورقة الاقتصاد في مجال الديبلوماسية الخارجية. ما بين فرنسا والولايات المتحدة، البلد الذي سيفوز منهما بعقد تصنيع الطائرات، سيكون عليه أن يصمت عن مسألة حقوق الإنسان بالصين. الكثير من رجال الأعمال والسياسيّين الغربيّين تحرّكهم المصالح الاقتصاديّة مع الصين، وتتحكّم فيهم. بعض شركات أمريكا الشمالية في ميدان الإعلامية التكنولوجية منحت للح ش ص منتوجات مختصّة ليمارس الحصار على الانترنت. بعض مواقع الانترنت، من أجل الحصول على حقّ الدخول للسوق الصينية، قبلت بأن تطبّق الرقابة الذاتيّة، وتصفّي المعلومات التي لا ترق للح ش ص.

وفق معطيات تابعة لوزارة التجارة الصينية، تلقّت الصين في نهاية شهر أبريل 2004 ما يعادل أكثر من 990 مليار دولار استثماراتٍ خارجيّة بفضل عقودٍ عديدةٍ. "الضخّ الدموي الهائل" الذي يصبّ في اقتصاد الح ش ص والآتي من رؤوس الأموال الأجنبية موجود، ولكنّ كلّ عمليّات الاستثمار لرؤوس الأموال الأجنبيّة لم تجلب للشعب الصيني مفاهيم الديموقراطية والحرّية وحقوق الإنسان كمبادئ أساسيّة. يراهن الح ش ص في دعايته على التعاون اللاّ- مشروط للمستثمرين الأجانب والحكومات وعلى سعي بعض البلدان للتملّق له. أمّا موظّفو الح ش ص فهم يستغلّون الازدهار السطحي للاقتصاد الصيني، وأصبحوا بارعين في التصرّف وإدارة العمليّات لاقتسام ثروات الدولة وسدّ الطريق أمام الإصلاحات السياسية.

III. تقنيات غسل الدماغ التي يمارسها الح ش ص تتحوّل من العلن إلى الخفاء

كثيرًا ما نسمع الناس يقولون: "أعرف أنّ الح ش ص كذب كثيرًا في السابق، ولكن هذه المرّة هو يقول الحقيقة." من سخرية القدر أن نجد أنّ هذا ما كان يقوله الناس أيضًا بعد كلّ مرّة ارتكب فيها الح ش ص خطأً في الماضي. هذا يعكس القدرة التي نمّاها الح ش ص على مرّ عشرات السنين، بلجوءه للكذب لخداع الشعب.

لقد تكوّن لدى الناس شعور بالحذر والريبة صاروا يُحسّون به كلّما استمعوا لـ"بطولات" للح ش ص، وكردّة فعل على ذلك أصبحت حيل الح ش ص ودعاياته أكثر "حرفيّةً" وأكثر "تفنّنًا". لقد تطوّرت أكاذيب الح ش ص، مرورًا بأسلوب الشعارات –التي كانت تُرفَعُ في الحملات الدعائية- لتصبح خفيّة أكثر ودقيقة أكثر و"حرفيّة" أكثر. وخصوصًا في مجال الحصار الذي أقامه الح ش ص على الانترنت، إذ يخترع قصصًا تعتمد على أحداثٍ جزء منها موجودٌ فعلاً في الحقيقة – بهدف خداع الناس، وهو أسلوبٌ أشدّ نكاية وأكثر غشًا من أسلوب "الروايات البطوليّة الكبرى" الذي كان يعتمده في الماضي.

تشاينا سكوب، وهي صحيفة ناطقة باللغة الانكليزية، أصدرت مقالاً في شهر أكتوبر 2004، يتناول بالتحليل الحالات التي لجأ فيها الح ش ص إلى أساليب أكثر تفنّنًا في صنع الأكاذيب، بهدف إخفاء الحقيقة. أثناء وباء السراس الذي ظهر في الصين سنة 2003، كان بقيّة العالم يشكّ أن الصين تُخفي معلومات بشأن الوباء، ولكنّ الح ش ص رفض المرّة تلو الأخرى الاعتراف بهذا. لمعرفة ما إذا كان الح ش ص قد قال الحقيقة في تقريره بشأن السراس، قام محرّر مقال تشاينا سكوب بقراءة أكثر من 400 تقرير بشأن السراس على موقع سينهوا منذ بداية الوباء وصولا إلى أبريل 2003.

هذه التقارير تسرد الأحداث التالية : ما إن ظهر السراس حتّى جنّدت الحكومة –على المستويْن المركزي والمحلّي- خبراء لإعطاء الناس علاجًا مناسبًا- وكان المرضى يتمّ تسريحهم حالما يُشفوْن- وكردّ على بعض المشوّشين الذين يُحرّضون الناس على توخّي الحذر وعدم الخروج عندما يكون المرض قد انتشر بسرعة، وضعت الحكومة حدًا للشائعات الجديدة، واتّخذت إجراءاتٍ لكي لا تنتشر تلك الشائعات أكثر، وهكذا تمّ الحفاظ على النظام الاجتماعي. ورغم أنّ عددًا قليلاً من القوى المُعادية للصين كان يشكّ –شكًا لا يستند إلى أيّ أساس- أنّ الحكومة الصينية تُخفي الحقيقة، فإنّ معظم الناس والبلدان لم يُصدّقوا هذه الشائعات. كان المعرض التجاري لغوانغجو آنذاك على وشك أن يستقبل أكبر عددٍ في تاريخه من المؤسّسات المشاركة في المعرض، والآتية من العالم أجمع، وأكّد السيّاح أيضًا أنّ السفر إلى الصين لم يكن أمرًا مُخطرًا. خبراء منظمة الصحة العالمية -من جهتهم- انطلى عليهم خداع الح ش ص، وأعلنوا أن الحكومة الصينية تصرّفت التصرّف الأمثل بتعاونها وباتّخاذ الإجراءات المناسبة بخصوص السراس بحيث أنه لم تعد هناك مشاكل. وأعطى الأخصّائيّون الإشارة الخضراء (بعد تأجيل دام 20 يومًا) لإجراء فحوصاتٍ في مقاطعة غوانغدونغ.

التقارير الأربعمائة تركت لدى قارئها -الكاتب- الانطباع بأنّ الح ش ص كان على الأرجح شفّافًا والتزم بمسؤوليّة حماية صحّة الناس طيلة تلك الشهور الأربعة، لذلك فقد دعى الناس إلى عدم تصديق أنّ الح ش ص قد أخفى شيئًا، مهما يكُن. ولكن في 20 أبريل 2003، وأثناء ندوته الصحفيّة التي عقدها، قام مكتب الصحافة التابع لمجلس شؤون الدولة بالإعلان أنّ السراس كان قد انتشر بالفعل في الصين، وهكذا فقد اعترف بطريقة ضمنيّة بأنّ الحكومة قد أخفت الوباء. فقط آنذاك اكتشف ذلك الكاتب الحقيقة وأدرك الوسائل الخبيثة والمُخادعة للح ش ص والتي "ازدادت مع مرور الزمن".

أثناء الانتخابات التي جرت في تايوان، لجأ الح ش ص إلى نفس الطريقة "المُتدرّجة" و"الخفيّة"، وأوهم الناس بأنّ انتخاباتٍ رئاسيّة ستقود إلى كارثة، وإلى ارتفاع في نسبة الانتحار، وإلى انهيار لسوق البورصة، وإلى ازديادٍ في نسبة "الأمراض الغريبة"، وإلى اضطرابات عقليّة، وإلى هجرة سكّان الجزيرة منها، وإلى خلافاتٍ عائليّة، وإلى مرارة جماعيّة، وإلى تراجع اقتصاديّ، وإلى طلقات ناريّة تُضرَبُ في الشوارع دون هدفٍ مُحدّدٍ، وإلى احتجاجاتٍ، وإلى مظاهراتٍ أمام مقرّ مبنى الرئاسة، وإلى اضطرابات اجتماعيّة، وإلى مهزلة سياسيّة، الخ. لقد أعاد الح ش ص هذا يوميًا على أسماع الشعب الصيني في شبه القارّة الصينية، بهدف أن يقتنع الناس بفكرة أنّ "انتخاباتٍ يُمكن أن تتسبّب في هذا النوع من الأحداث"، وأنه علينا "ألاّ نُجري أبدًا انتخابات ديموقراطية".

بالنسبة للفالون غونغ، أظهر الح ش ص براعةً أكثر، باختلاقه لأكاذيب تُجرّم الفالون غونغ. لقد ألّف الح ش ص مسرحيّة تلو المسرحيّة. لا غرو إذًا أنّ كلّ ذلك العدد من الصينيّين تمّ خداعهم. إنّ الدعاية الخبيثة للح ش ص مُضلّلة إلى درجة أنّ الناس الذين يستمعون إلى أكاذيبها يميلون إلى تصديقها ويعتقدون أنّ ما يُقال لهم هو الحقيقة.

على مرّ عقودٍ من السنين، أصبحت البروباغاندا التي يقوم بها الح ش ص عبر غسله للأدمغة أكثر تخفّيًا واكتسبت أكثر فنّياتٍ، وازدادت هكذا قدرتها على الخداع، وهذه نتيجة طبيعية للخاصّية التي يملكها الح ش ص والمتمثلة في: انعدام الضمير.

IV. خداع الح ش ص بشأن حقوق الإنسان

من استخدام الديموقراطية للاستحواذ على السلطة إلى السلطة الاستبدادية والخداع بشأن حقوق الإنسان

"في أمّة ديموقراطية، يجب أن يكون الحكم بيد الشعب، وهو ما يتّفق مع القوانين السماوية والأرضية. في صورة وجود أمّة تدّعي أنها ديموقراطية ولكن حكمها لا يستند إلى إرادة شعبها، فهذا يعني أن الطريق الذي سارت فيه ليس الطريق الصحيح، ولا يُمكن إلاّ أن يكون انحرافًا عن الطريق الصحيح، هذه الأمّة إذًا ليست أمّة ديموقراطية [...] كيف يكون حكمٌ ديموقراطيّ مّا ممكنًا بدون انتهاء هيمنة الحزب وبدون انتخابات شعبيّة ؟ أعيدوا للشعب حقوق الشعب !" ستظنّون ربّما أنّ هذا المقال كتبه بعض "الأعداء الأجانب" الذين يُريدون أن ينالوا من الح ش ص. ولكن في الحقيقة هذا التصريح مأخوذ من مقال صادر بصحيفة سينهوا دايلي، الصحيفة الرسمية للح ش ص، بتاريخ 27 سبتمبر 1945.

الح ش ص الذي طالما صدح بشأن "انتخابات شعبية" وطالب بـ"عودة حقوق الشعب للشعب" هو نفسه من اعتبر أنّ "الاستفتاء الشعبي" مُحرّم منذ أن استولى على السلطة. الناس الذين من المفروض أنهم "أسياد وأصحاب الدولة" ليس لهم الحقّ في اتّخاذ قراراتهم الخاصة. تعوزنا العبارات فعلاً لوصف طبيعة الح ش ص عديمة الضمير.

أنتم مخطئون إن كنتم من بين أولئك الذين يظنون أن الماضي قد فات وأنّ طائفة الح ش ص الشريرة، التي ازدهرت بفضل القتل وسيّرت أمّة بواسطة الأكاذيب، ستشرع الآن في إصلاح نفسها، بنيّة صادقة في التصرّف تصرّفًا طيّبًا وإرجاع "حقوق الشعب للشعب". في صحيفة البيبلز دايلي، قال الناطق الرسمي باسم الح ش ص، في 23 نوفمبر 2004، أي 60 عامًا بعد التصريح السابق: "إنّ السيطرة الثابتة على الايديولوجيا هي الأساس الايديولوجي والسياسي الأساسي لحكومة الحزب."

مُؤخّرًا اقترح الح ش ص "مبدأ الـ"لا" الثلاثة" (يزعم أنها مبادئ جديدة)- الـ"لا" الأولى هي "التنمية دون جدال"، الهدف الحقيقي للح ش ص ليس "التنمية" ولكنه يُريد أن يُؤكّد على "دون جدال"، مُرسيًا مبدأ "صوت واحد، مجموعة واحدة" كهدف حقيقيّ للح ش ص.

لمّا سأل مراسل السي بي آس الصحفيّ الشهير "مايك ولاّس" دجيانغ زمين سنة 2000 عن السبب الذي من أجله لم تُنظّم الصين انتخابات، أجابه أن "الشعب الصيني ليس متعلّمًا بما فيه الكفاية".

ومع ذلك، في 25 فبراير 1939 كان الح ش ص يصدح في صحيفته السينهوا دايلي بما يلي: "هم (الكومينتانغ) يظنّون أنه من غير الممكن تطبيق سياسات ديموقراطية في الصين اليوم، وأنه لا يمكن تطبيقها سوى في ظرف بضعة سنوات. هم يظنّون أن السياسات الديموقراطية يجب أن تنتظر أن تبلغ المعرفة والمستوى التعليمي للصينيّين مستوى الطبقة البورجوازية الديموقراطية في بلدان أوروبّا وأمريكا [...] ولكن تعليم الناس وتكوينهم لا يتيسّران سوى في ظلّ نظام ديموقراطيّ."

هذا النفاق وهذا التباين بين ما قالته السينهوا سنة 1939 وبين ما قاله دجيانغ زمين سنة 2000 يعكس جيّدًا الطبيعة الجائرة للح ش ص. بعد مجزرة ساحة تيانانمن سنة 1989، أعاد الح ش ص الظهور من جديد على الساحة العالمية، مصحوبًا بسمعة مُزرية فيما يتعلّق بحقوق الإنسان. لقد منح التاريخ للح ش ص فرصة الاختيار، فإمّا أن يتعلّم أن يحترم شعبه ويُحسّن وضعيّة حقوق الإنسان، وإمّا أن يستمرّ في رفض حقوق الإنسان مُدّعيًا في الظاهر وأمام العالم الخارجي أنه يحترمها وذلك ليتجنّب الإدانة الدوليّة.

للأسف، فإنّ الح ش ص قام باختيار يتّفق مع طبيعته المنافقة، فاختار الطريق الثاني. لقد جمع معًا عددًا كبيرًا من أصحاب الخبرات والمواهب في المجالات العلميّة والدينيّة- واختصّ بالاختيار أشخاصًا يفتقرون للنزاهة والأمانة- ودعمهم، وكلّفهم بمهمّة القيام بدعاية كاذبة يتغنّون بها في الخارج، فحواها أنّ الح ش ص آخذ في التحسّن فيما يتعلّق بحقوق الإنسان. وقد انتقى مجموعة من "الحقوق المزيّفة" التي لا مُبرّر لوجودها مثل "حقّ العيش" و"حقّ السكن" و"حقّ الملجأ"، وكانت حججه كما يلي: "عندما يجوع الناس، أفليس لهم الحقّ في التعبير ؟ وحتّى إن لم يكن الجائعون يستطيعون التعبير، أيحقّ لأولئك الذين ملئوا معدتهم أن يُعبّروا لصالح الجائعين ؟" لقد حاول الح ش ص حتّى أن يخدع الشعب الصيني والديموقراطيات الغربية مُتلاعبًا بحقوق الإنسان، لقد وجد الجرأة ليقول: "الفترة الحاليّة هي الأفضل فيما يخصّ حقوق الإنسان".

الفصل 35 من الدستور الصيني ينصّ على أنّ مواطني الجمهورية الشعبية الصينية لهم حقّ التعبير، وحقّ النشر، وحقّ التجمّع، وحقّ إنشاء جمعيّات، وحقّ الاحتجاج والتظاهر. الح ش ص يلعب على الكلمات، هذا ما في الأمر. في ظلّ حكم الح ش ص، حُرم عدد لا يُحصى من الناس من حقّ الاعتقاد، وحقّ التعبير، وحقّ النشر، وحقّ التجمّع...بل لقد صرّح الح ش ص أنه لا يحقّ لبعض المجموعات أن تطالب بحقّها لدى السّلط العليا، وأنّ ذلك غير قانونيّ. في 2004، حدث مرّات عديدة أنّ مجموعاتٍ من المدنيّين تقدّمت بطلب السماح لها بالتظاهر في بيكين. فماذا فعلت الحكومة ؟ بدل أن تمنحهم الترخيص، اعتقلتهم. سياسة "دولة واحدة ونظامان" في هونغ كونغ، والتي أقرّها دستور الح ش ص، هي أيضًا كمين. لقد ادّعى الح

ش ص أنه لن يُغيّر شيئًا في هونغ كونغ طيلة 50 سنة، ولكن لم تمرّ خمس سنوات بعدُ من تاريخ إرجاع هونغ كونغ للصين حتّى كان يُحاول أن يُلغي النظام المزدوج ويُعوّضه بالنظام الواحد بواسطة تشريع استبداديّ، الفصل 23 من القانون المِلاك.

المؤامرة الرهيبة الجديدة التي استخدمها الح ش ص هي استعمال ما يُشبه "تساهلاً في الكلام" ليُخفي عمله المُكثَّف في المراقبة والسيطرة. يبدو أنّ الصينيّين يتكلّمون بحرّية أكثر اليوم والانترنت جعلت الأخبار تتنقّل بسرعة أكبر. وهكذا فإنّ الح ش ص يُعلن للجميع أنه الآن يسمح بحرّية التعبير ويبدو أن الكثيرين يُصدّقونه. ولكن كلّ هذا ليس سوى أكذوبة. ليس ما في الأمر أنّ الح ش ص أصبح طيّبًا، ولكن أنّ الحزب لم يكن بإمكانه أن يمنع التطوّر الاجتماعي والتقدّم التكنولوجي. فلنر الدور الذي يلعبه الح ش ص بخصوص الانترنت: إنه يحجب بعض مواقع الانترنت، ويُصفّي المعلومة، ويُراقب الحوارات على مواقع التواصل، ويقوم برقابة على الايميلات، ويحكم على بعض مستعملي الانترنت بدفع غرامات ثقيلة. كلّ ما يقوم به هو ذو طبيعة قمعية. اليوم، وبمساعدة الرأسماليين الذين لا يهتمّون لا بحقوق الإنسان ولا بصوت ضمائرهم، شرطة الح ش ص مزوّدة بوسائل تكنولوجيا عالية يراقبون بها - دون أن يبرحوا مكانهم في سيارات دوريّات الشرطة- كلّ ما يقوم به مستعملو الانترنت. عندما نتأمّل تدهور الح ش ص الذي يرتكب أفعالاً شرّيرة في وضح النهار وفي سياق عامّ يتّصف بالتوجّه نحو الحرّية والديموقراطية، كيف لنا أن نرتجي منه أن يحقّق تقدّمًا فيما يتعلّق بحقوق الإنسان ؟ لقد لخّص الح ش ص بنفسه الوضعيّة مستعملاً العبارات التالية: "لقد حدث تساهل باتّجاه الخارج، ولكن نحن نُضيّق المنجلة باتّجاه الداخل." الطبيعة عديمة الضمير لم تتغيّر أبدًا في الحقيقة.

في سنة 2004، ولكي يُعطي عن نفسه صورة إيجابية أثناء انعقاد لجنة الأمم المتّحدة لحقوق الإنسان، مثّل الح ش ص مسرحيّة: قام بمحاسبة أولئك الذين ارتكبوا انتهاكات في مجال حقوق الإنسان ومعاقبتهم بشدّة. ولكن هذه الأحداث كانت مُعَدّة ليراها الغرباء لا غير ولم يكن لديها أيّ قيمة جوهريّة. السبب هو أنّ أكبر مجرم في مجال انتهاكات حقوق الإنسان هو الح ش ص نفسه، وأيضًا دجيانغ زمين، الأمين العام الأسبق للجنة السياسية والقضائية، والوزير دجو يونغكانغ ونائب الوزير لوي دجينغ عن وزارة الأمن العمومي. وضع الثقة في مثل هؤلاء لمعاقبة من انتهك حقوق الإنسان هو بمثابة تكليف رئيس عصابة بأن يقبض على لصوص.

يُمكن لنوضّح الأمر أن نُشبّه ذلك بسفّاح اعتاد-عندما يكون بمعزل عن الأنظار-أن يعتدي على عشرة نساء في اليوم. أمّا وهناك كثير من الناس حوله، لا يستطيع أن يعتدي سوى على امرأة واحدة من الجمع. هل بإمكاننا القول أنّ هذا السفّاح تطوّر إيجابيًا ؟ عندما يمرّ من الهجوم الخفيّ إلى الهجوم العلنيّ على مرأىً ومسمع من الناس، فهذا على العكس يدلّ على أنه أصبح أكثر شرّا وأكثر وقاحة من ذي قبل. طبيعة السفّاح لم تتغيّر قطّ. ما تغيّر هو أنّ ارتكاب الجريمة لم يعد سهلاً بالنسبة له كالسابق.

الح ش ص لا يختلف عن السفّاح أو المغتصب. طبيعته الديكتاتورية وخوفه الغريزيّ من فقدان السلطة يجعلانه لا يحترم مطلقًا حقوق الإنسان. الموارد البشرية، والمادية، والمالية المُستخدمة لغرض إخفاء سوابقه في مجال حقوق الإنسان تجاوزت بكثير ما بذله حقًا من جهودٍ لتحسين وضعيّة حقوق الإنسان. أكبر مصيبة للشعب الصيني كانت عنف الح ش ص على مدى المجازر والاضطهادات القاسية التي أدمت أرض الصين.

ارتكاب أفعال مُشينة من وراء قناع والتخفّي وراء القانون

لحماية أرباح بعض المجموعات ذوات المصالح، ألغى الح ش ص من جهةٍ واجهته القديمة وتخلّى تمامًا عن العملة والفلاّحين والشعب، ومن جهةٍ أخرى التجأ إلى وسائل غير نظيفة وفاسدة، في الوقت الذي كانت فيه انتهاكات حقوق الإنسان التي اقترفها الح ش ص تتكشف أكثر وأكثر لأنظار المجتمع الدّولي. لقد استعمل الح ش ص مصطلحات شعبيّة متداولة مثل "سلطة القانون"، "السوق"، "من أجل الشعب"، و"الإصلاح" بهدف بثّ الحيرة في نفوس الناس.

الح ش ص لا يستطيع تغيير طبيعته الشريرة حتّى وإن ارتدى "ثوبًا غربيًا". مثل هذه الصورة هي ببساطة أكثر خداعًا من الح ش ص وهو "في ثوب ماوو". في مزرعة جورج أورويل (1945)، بدأت الخنازير تتعلّم الارتفاع والمشي على قائمتين من قوائمها. صحيح أنّ هذه الموهبة التي اكتسبتها أضفت عليها صورة جديدة، ولكنّ طبيعتها بقيت طبيعة خنازير.

أ- خلق قوانين وتراتيب تخرق الدستور الصيني

هناك تراتيب وقوانين تخرق الدستور يتمّ تمريرها كـ"قاعدة قانونية" إلى الموظفين المسؤولين عن حفظ النظام، وذلك للقضاء على جهود الناس التي تناضل ضدّ الاضطهاد، وتدافع عن حرّيات وحقوق الإنسان.

ب- المشاكل غير السياسية تُعالَجُ بطرق سياسية

مشكل اجتماعي عادي يتمّ تحويله إلى "صراع ضدّ الحزب من أجل الجماهير"، إلى "التسبّب في اضمحلال الحزب واضمحلال البلد"، إلى "تمرّد"، وإلى "قوى مُعادية". مشكل ذو طبيعة غير سياسية يتمّ "تسييسه" عمدًا لكي يتسنّى للح ش ص أن يستعمل الحركة السياسية كآلة بروباغاندا لحضّ الناس على الكراهية.

ج- المشاكل السياسية تُعالَجُ بطرق غير سياسية

آخر مؤامرةٍ للح ش ص لمهاجمة المدنيّين الديموقراطيّين والمثقفين ذوي التفكير المستقلّ هي وضع "شراك" لاعتقالهم. هذه "الشراك" تحتوي على اتّهامات باطلة بمخالفة القانون المدني مثل ممارسة البغاء وعدم تسديد الضرائب، ولكنّ المُعتدين لا يظهرون للنور أبدًا ليتجنّبوا الإدانة من جماعات خارجية. هذه الجرائم، والتي هي كافية لتدمير سمعة المتّهمين، تُستَعمَلُ أيضًا لإهانة الضحايا على الملأ.

إن كان ثمّة تغيير قد حصل في الطبيعة عديمة الضمير للح ش ص، فهو أنه قد أصبح جشعًا أكثر ومُجرّدًا من الإنسانية أكثر.

الح ش ص يُمسك بأكثر من مليار شخص رهائن لفلسفته الفاسدة

تخيّلوا أنّ مُجرمًا لا تزجره عقيدة أو قانون يدخل منزل امرأة ويغتصبها. أثناء محاكمته يُدافع المُغتصِب عن نفسه قائلاً أنه لم يقتل الضحيّة بل فقط اغتصبها. ولأنّ القتل أخطر من الاغتصاب، فهو يُؤكّد أنه بريء وأنه يجب إطلاق سراحه على الفور؛ ويقول أيضًا أنه يجدُرُ بالناس أن يُهنّؤوه بكونه لم يقتل بل لم يفعل سوى أن اغتصب. هذا المنطق يبدو مُثيرًا للضحك والسخرية. ولكن المنطق الذي استعمله الح ش ص ليُبرّر مجزرة ساحة تيانانمن في 4 يونيو 1989 هو تمامًا نفس منطق المجرم المذكور أعلاه. لقد شدّد الح ش ص على أنّ "قمع الطلبة" تمّ بفضله تلافي "فوضى داخليّة" في الصين. إذًا بهدف "تلافي فوضى داخلية" يُصبح "قمع الطلبة" مُبرّرًا.

"القتل أم الاغتصاب، أيّهما أحسن ؟" إن طرح أحد المجرمين هذا السؤال على قاضٍ في المحكمة فهذا لا يدلّ سوى على مدى انعدام الضمير لدى هذا المجرم. بنفس الشكل، بخصوص مجزرة ساحة تيانانمن، لم يُفكّر الح ش ص وعُصبته في مسألة ما إذا كانوا مُذنبين بالقتل أم لا. بل على العكس طلبوا من المجتمع: "ما الأفضل، قمع الطلبة أم فوضى داخلية يُمكن أن تقود إلى حرب أهلية ؟"

يُسيطر الح ش ص على كلّ مكنة الدولة وكلّ وسائل الدعاية. بعبارة أخرى، الـ1.3 مليار صيني هم رهائن لدى الح ش ص. مع 1.3 مليار رهينة بحوزته، يُمكن للح ش ص المُضيّ قدُمًا في "نظريّة الرهينة" قائلاً أنه إن لم يقمع بعض المجموعات من الناس، فإنّ الأمّة بأكملها ستسقط في القلاقل أوالكوارث. مع عُذر كهذا في الواجهة، يُمكن للح ش ص أن يقمع أيّ فرد وأيّ مجموعة مثلما يشاء، ويكون قمعه دائمًا مُبَرّرًا. إذا تأمّلنا مثل هذه الحُجج غير النزيهة، ومثل هذه الاستدلالات العقيمة، هل هناك مُجرمون في العالم أكثر صفاقة من الح ش ص ؟

الجزرة والعصا، من منح "الحرّية" إلى تصاعد القمع

الكثير من الصينيين لديهم الانطباع أنهم الآن يتمتّعون بأكثر "حرّية" من السابق، لذلك لديهم الأمل أنّ الح ش ص سيتحسّن في الآتي من الأيام. في الحقيقة درجة الحرّية "المُعطاة" للناس مُرتبطة كثيرا بخوف الح ش ص من حالة الاحتقان. الح ش ص على استعدادٍ لأن يقوم بكلّ شيءٍ ليُحافظ على المصالح الجماعية للحزب، بما في ذلك منح الناس ديموقراطية أو حرّية أو حقوق إنسان مزعومة.

ورغم ذلك، تحت حكم الح ش ص، هذه "الحرّية" المزعومة التي منحها ليست محميّة من أيّ قانون. "حرّية" كهذه لا تعدو أن تكون أداةً لتخدير الناس والتحكّم فيهم وهي في نفس الوقت اتّباع لمسار التوجّه العالمي العامّ نحو الديموقراطية. هذه "الحرّية" هي في الأساس في صراع مع ديكتاتوريّة الح ش ص. حالما يتجاوز صراعٌ كهذا الحدود التي يسمح بها الح ش ص ويقبلها، فإنّ الح ش ص يسحب على الفور كلّ "حرّية". في تاريخ الح ش ص، كانت هناك عديد الفترات التي نجد فيها الخطابات مُتحرّرة نسبيًا، ولكن كلّ تلك الفترات تلتها فترة سيطرة مُحكمة. هذا النوع من الأحداث الدورية موجود بكثرة في تاريخ الح ش ص، الأمر الذي يدلّ على طبيعته الجائرة.

في العصر الحاليّ-عصر الانترنت- لو تزور الموقع الرسمي سينهوا أو موقع البيبلز دايلي، ستكتشف أنه في الحقيقة هناك عددٌ من الأخبار التي تحتوي على معلومات سلبيّة عن الصين. ذلك لأنه، أوّلاً هناك عددٌ كبيرٌ جدّا من الأخبار السلبية يتمّ تناقلها في الصين حاليًا، ووكالة الأخبار عليها نقل هذه الأخبار لكي تحافظ على مصداقيّتها. ثانيًا، وجهة نظر مثل تلك الريبورتاجات تخدم مصلحة الح ش ص، لأنه مثلاً "انتقادات صغيرة تُساعد كثيرًا". في هذه الريبورتاجات، يتمّ دائمًا إسناد الأخطاء إلى ناس لا علاقة لهم بالحزب أبدًا، وهكذا تتمّ تزكية مصداقيّة الح ش ص ومنحه الثقة لإيجاد الحلول. يتحكّم الح ش ص بمهارة في كلّ ما يجب أن يُنقَلَ وما لا يجب أن يُنقَلَ، وإلى أيّ حدّ يجب أن يُنقَلَ، وما إذا كانت وسائل الإعلام الصينية أو وسائل الإعلام الأجنبية الخاضعة لإشراف الح ش ص هي التي تتولّى نقله.

الح ش ص خبيرٌ في معالجة الأخبار السّيئة بطريقة تتحوّل بها إلى أداةٍ تُمكّنه من كسب قلوب الناس. الكثير من الشباب في الصين لديهم الانطباع أنّ الح ش ص الآن يمنح درجة طيّبة من حرّية التعبير، لذا يظلّ لديهم الأمل ويستحسنون الح ش ص. إنّهم يقعون "ضحيّة" للاستراتيجيّات "البارعة" لوسائل الإعلام الجائرة التي تتحكّم فيها الدولة. بالإضافة إلى ذلك، عندما يخلق الح ش ص وضعيّة كارثيّة في المجتمع الصيني ثمّ يقوم بتغطية إعلاميّة مُعيّنة لها، يتسنّى له حينها أن يُهدّد الناس مُدّعيًا أن لا أحد غير الح ش ص يُمكنه أن يقود زمام مجتمع كارثيّ كذاك ويتمكّن في النهاية من إجبار الناس على الرّضا بهيمنة الح ش ص.

كذلك لا يجب أن نخطئ ونفكّر أنّ الح ش ص قد تغيّر من تلقاء نفسه إذا رأينا علامات تحسّنٍ في مجال حقوق الإنسان. تاريخيًا، عندما خاض الح ش ص حربًا للإطاحة بحكومة الكومينتانغ، ادّعى وقتها أنه يخوض حربًا من أجل الديموقراطية للأمّة. الطبيعة الشرّيرة للح ش ص تدلّ على أنّ ولا واحدًا من وُعوده هو محلّ ثقةٍ.

V. نواح مختلفة من طبيعة الح ش ص عديمة الضمير

بيع أرض الأمّة زهوًا وافتخارًا وخيانة البلاد تحت مُسمّى "الوحدة الوطنية"

"تحرير تايوان" و"توحيد تايوان" كانا شعارا بروباغاندا الح ش ص أثناء هذه العقود الأخيرة. بواسطة هذه البروباغاندا، تصرّف الح ش ص كما لو كان وطنيّا وقوميّا ومُناضلاً. هل يهتمّ الح ش ص حقّا بسلامة أراضيه وسيادتها ؟ أبدًا بالمرّة. تايوان ليست سوى مشكل تاريخيّ وُلِد في خضمّ المعركة بين الح ش ص والكومينتانغ وهو الطريقة التي استعملها الح ش ص لمهاجمة غريمه وكسب تأييد الشعب.

أثناء السنوات الأولى، عندما أرسى الح ش ص "السوفيات الصيني" أثناء فترة حكم الكومينتانغ، كان الفصل 14 من دستوره يقول أنّ "كلّ مجموعة عرقيّة أو كلّ مقاطعة في الصين يُمكن لها أن تُطالب باستقلالها". بهدف الامتثال للاتّحاد السوفياتي، شعار الح ش ص لتلك الفترة كان "حماية السوفيات". أثناء الحرب الصينية-اليابانية، كان الهدف الأعلى للح ش ص هو اغتنام الفرصة للتوسّع أكثر من محاربة المُعتدي الياباني حقّا. في 1945، دخل الجيش الأحمر الروسي إلى شمال شرق الصين وارتكب السطو، والقتل، والاغتصاب، ولكنّ الح ش ص لم يُبدِ ولا مرّة اعتراضًا. ونفس الشيء، لمّا ساند الاتّحاد السوفياتي استقلال منغوليا الخارجية التي كانت تُريد أن تنفصل عن الصين، لزم الح ش ص مرّة أخرى الصمت.

في نهاية 1999، وقّع كلّ من الح ش ص وروسيا على اتّفاقيّة صينية - روسية بشأن مراقبة الحدود، وفي هذه المعاهدة يُذعن الح ش ص لكلّ الاتّفاقيات اللاّ- مشروطة المُبرَمة قبل مائة عامٍ بين العائلة الحاكمة التشينغ وروسيا، وباع بذلك أكثر من مائة مليون كيلومتر مربّع من الأرض لروسيا- وهي مساحة تضاهي أكثر من 12 مرّة مساحة تايوان. سنة 2004، أمضى الح ش ص وروسيا على اتّفاقية صينية - روسية إضافيّة لمراقبة الحدود على الشرق، وبالتالي فإنّ الصين فقدت من جديد –لصالح روسيا- سيادتها على نصف جزيرة هايسيادري في مقاطعة هايلونغجيانغ.

بخصوص مسائل حدودية أخرى مثل جزيرة ناتشا و دياويو، لم يعد الح ش ص يُحسّ نفسه معنيّا بالأمر، لأنّ هذه المسائل ليس لها تأثير على سلطة الح ش ص. لقد أعلن الح ش ص على أسماع الجميع مسألة "توحيد تايوان" ولكنّ ذلك لم يكن سوى سحابة من الدخان ووسائل ملتوية لِيُذكي مشاعر القومية العمياء ويصرف أنظار الناس عن الصراعات الأهلية.

رجال سياسة خونة وعديمو الأخلاق

الحكومة يجب أن تكون دائمًا مُراقبَة. في البلدان الديموقراطية فصل السلطات، بالإضافة إلى حرّية التعبير والصحافة، تمثّل كلّها آليّات جيّدة للمراقبة. العقيدة الدينية تجلب المزيد من الاعتدال الأخلاقي.

الح ش ص من دُعاة الإلحاد، وبالتالي فإنه لا توجد أيّ طبيعة إلهية لتضع حدودًا أخلاقيّة لتصرّفاته. الح ش ص هو ديكتاتورية وبالتالي فليس هناك قانون ليحُدّه من الناحية السياسية؛ ممّا ينتج عنه أنّ طبيعة الح ش ص المُستبدّة الشرّيرة حينما تظهر فلا عقلانيّة تميّز سلوك الح ش ص ولا رادع يزجره. حسب الح ش ص، من الذي يتولّى مراقبته ؟ "الح ش ص يُراقب نفسه بنفسه !" هذا هو الشعار الذي استعمله لكي يخدع الشعب طيلة عقودٍ كاملة. في الفترة الأولى كان ذلك يُسمّى "النقد الذاتيّ" ثمّ "مراقبة ذاتيّة"، ثمّ "البلورة الذاتية لحكومة الحزب"، ومؤخّرًا: "التحسين الذاتي لقدرة الحزب على ممارسة الحكم". الح ش ص يضع الثقل على قدرته المزعومة على "التحسّن الذاتي". الح ش ص لا يكتفي فقط بقول ذلك ولكنه يُبادر حقّا بالقيام بأعمال مثل إرساء "اللجنة المركزية للتفقّد التأديبي"، "مكتب المناداة"، ومكاتب أخرى مماثلة. هذه التنظيمات يُمكن أن تكون جذابة ولكنها عديمة الفائدة- فائدتها لا تتجاوز فائدة أصص الأزهار- هي مجعولة فقط لخداع الناس ونشر البلبلة بينهم.

دون ضوابط أخلاقية ولا تشريعية، "التحسّن الذاتي" للح ش ص يُذكّرنا بذلك المثل الشعبي الصيني :"الشياطين تولد من قلبه". إنها فقط تعلّة يُقدّمها الح ش ص لكي يُغلق الباب أمام أيّ مراقبة خارجية ولكي يستمرّ في رفض السماح بصحافة حرّة وأحزاب سياسية حرّة. أوغاد السياسة يستعملون هذه الألعوبة لخداع الناس وحماية شرعيّة الح ش ص ومصالح المجموعة المستحوذة على الحكم.

الح ش ص خبير في المؤامرات السياسية. "الديكتاتورية الديموقراطية الشعبية"، "المركزية الديموقراطية"، "الاستشارة السياسية" وهكذا، إنها كلّها طرق خدّاعة. باستثناء كلمة "ديكتاتورية"، كلّ الباقي كذب.

استعمال الحيلة: من المقاومة الكاذبة أثناء الغزو الياباني إلى مكافحة الإرهاب المضلّلة

طالما ادّعى الح ش ص أنه قاد خُطى الشعب الصيني نحو الانتصار على الغازي الياباني. ومع ذلك أرشيفات تاريخية كثرة جدّا تُبيّن أنّ الح ش ص تجنّب المعارك بصفة مقصودة في الحرب الصينية-اليابانية، فقد أخّر الح ش ص الجهود المُناهضة للاعتداء الياباني مُغتنمًا فرصة أنّ الكومينتانغ كان طرفًا في الحرب ليُقوّي سلطته هو.

المعارك الكبرى الوحيدة التي قادها الح ش ص كانت معركة عنق بينغسينغ ومعركة المائة كتيبة. في معركة عنق بينغسينغ، لم يكن الح ش ص القوّة المُحرّكة أو المُهيمنة في هذه المعركة ولم يكن هو من يُسيّرها. بالعكس، فرق الح ش ص لم يفعلوا سوى أن نصبوا كمينًا للمعسكر الاحتياطي الياباني. بالنسبة لمعركة المائة كتيبة، كان هناك الاعتقاد من داخل الح ش ص أنّ المشاركة في هذه المعركة يخرق القواعد الاستراتيجية للحزب المركزي. بعد هاتين المعركتين، لم يدخل ماوو وفرقه، فرق الح ش ص – في أيّ معركة هامّة، ولم يُخرجوا للوجود أبطالاً في الحرب الصينية – اليابانية مثل دونغ تسونري أثناء الحزب ضدّ الكومينتانغ سنة 1948 و هوانغ دجيغوانغ أثناء حرب كوريا. أثناء الحرب الصينية – اليابانية، لم يفقد

الح ش ص سوى عددٍ صغيرٍ من القيادات العليا لجيشه على أرض المعركة مع العدوّ الياباني. مازال الح ش ص إلى اليوم لا يجرؤ على نشر إحصائيّات بخصوص جرحاه أثناء الحرب الصينية – اليابانية، كما لا نجد على كامل التراب االصيني الشاسع كثيرًا من المعالم التي تُؤرّخ لأبطال الح ش ص في الحرب الصينية-اليابانية.

في تلك الفترة، وضع الح ش ص "حكومة مناطق حدوديّة" في مقاطعات شآنسي و غانسو و نينغسيا، بعيدًا عن مواقع المعارك. باستعمال عبارة حاليّة كان الح ش ص يقود "بلدًا ذا نظاميْن" أو "صينان" في صين واحدة. قوّاد الح ش ص لم يكن ينقصهم الحماس في مواجهة اليابانيّين، ولكن الموظّفين السامين لم يكونوا صادقين في النضال أثناء الحرب الصينية –اليابانية. وبدلاً عن ذلك، اتّخذوا إجراءاتٍ ليُحافظوا على مواردهم ويستعملوا الحرب كفرصةٍ ليُقوّوا أنفسهم. عندما استأنف الصين واليابان علاقاتهما الديبلوماسية سنة 1972، كشف ماوو تسي تونغ لرئيس الوزراء الياباني كاكواي تاناكا أنّ الح ش ص مدين بالشكر لليابان لأنه لولا الحرب الصينية – اليابانية، ما كان الح ش ص ليصعد أبدًا إلى سدّة الحكم في الصين.

هذه هي الحقيقة بالنسبة للادّعاء الكاذب للح ش ص: ادّعائه بأنه قاد الشعب الصيني للمقاومة والصمود في وجه الحرب ضدّ اليابان لمدّة ثماني سنين كاملة إلى أن بلغ النصر في النهاية.

بعد نصف قرن من ذلك وعقب حادثة 11 سبتمبر الإرهابية في الولايات المتّحدة، أصبحت المكافحة ضدّ الإرهاب محطّ اهتمام الجميع في العالم؛ ولجأ الح ش ص مرّة أخرى إلى استراتيجيا كاذبة شبيهة بتلك التي استعملها أثناء الحرب الصينية –اليابانية. فقد اتّخذ ذريعة مقاومة الإرهاب ليُلصق تهمة الإرهاب بالعديد من أتباع الديانات والمعارضين والمجموعات التي لديها فيما بينها صراعات على الأرض وصراعات عرقيّة، وتحت غطاء الانضمام للموجة العالمية لمكافحة الإرهاب، أطلق مجموعة من الإجراءات القمعيّة العنيفة.

في 27 سبتمبر 2004، ذكرت وكالة شينهوا للأنباء صحيفة سيندجينغ قائلةً أنّ بيكين سوف تضع ربّما أوّل مكتب لمكافحة الإرهاب في كلّ مقاطعات الصين ومدنها. كثير من وسائل الإعلام الأجنبيّة الموالية للح ش ص وضعت في عناوينها الكبيرة أنّ "مكتب 610 ينضمّ إلى جهود مكافحة الإرهاب" ("مكتب 610" هو شبكة وُضِعت خصّيصًا لاضطهاد ممارسي الفالون غونغ)، مُؤكّدةً أنّ هذا المكتب المكافح للإرهاب سوف يُركّز جهوده على مقاومة "المنظمات الإرهابية" ومنها الفالون غونغ.

يُلصق الح ش ص تهمة "إرهابيّ" بناس لا يملكون أيّ سلاح، يتحلّوْن بنبذ العنف عندما يتعرّضون للهجوم أو للإهانات ويذهبون بطريقة سلميّة للمطالبة بحقّهم في حرّية الاعتقاد. لقد اغتنم الح ش ص فرصة المناخ السائد وهو مقاومة الإرهاب، وعبّأ "قوّته الخاصة المناهضة للإرهاب" وشحنها بالأسلحة ليُمعن في قمع هذه المجموعة المسالمة والعزلاء. وزيادة على ذلك اتّخذ من مكافحة الإرهاب ذريعة ليهرب من الاهتمام العالمي ومن الإدانة بسبب اضطهاده للفالون غونغ. مختلف أشكال الكذب المستعملة اليوم لا تختلف عن تلك التي استعملها الح ش ص أثناء الحرب الصينية –اليابانية وهي طريقة مُخجلة لمعالجة قضيّة جدّية مثل الجهود العالمية ضدّ الإرهاب.

التظاهر بالصدق وقبول الأشياء ظاهريّا مع رفضها في الباطن

الح ش ص لا يُؤمن بمذاهبه ولكنه يُجبر الآخرين على الإيمان بها. إنها واحدة من أكثر الطرق مكرًا من التي تستعملها طائفة الح ش ص. الح ش ص يعلم أنّ مذاهبه مغلوطة وأنّ فكرة الاشتراكية خاطئة. هو لا يُؤمن بمذاهبه الخاصة ولكنه يُجبر الناس على الإيمان بها. وهو يضطهد الناس التي لا تُؤمن بها. إنّ الح ش ص يُدخل على الدستور –وبطريقة وقحة فجّة- ايديولوجيا خادعة ويعتمدها كما لو كانت أساس الدولة الصينية. في الناحية العملية، يُمكن أن نلاحظ ظاهرة هامّة: وسط الصراع، يفقد الكثير من الموظّفين مراكزهم وذلك بسبب الفساد الذي ينخر الساحة السياسية الصينية. هؤلاء الأشخاص هم أنفسهم من يدّعون الأمانة والنزاهة والتجرّد أثناء الاجتماعات العامّة، بينما هم في الخفاء يُمارسون الغشّ، والفساد، وسلوكيّات أخرى منحطّة. الكثير من هؤلاء الذين يزعمون أنهم "خدّام الشعب" سقطوا بتلك الطريقة، ونذكر منهم لي دجيانتينغ- الوالي السابق لمقاطعة يونّان، ليو فانغران- أمين الحزب في مقاطعة غيشو، شانغ وايغاوو- أمين الحزب في مقاطعة هيباي، تيان فانغشان-وزير الأرض والموارد، ووانغ هوايجونغ-لواء ووالي مقاطعة آنهوي. ومع ذلك لو تأمّلنا في خطاباتهم، سنكتشف أنه في كلّ مرّة بدون استثناء، كانوا يُساندون حملات مناهضة الفساد، ويأمرون بصفة متكرّرة موظّفيهم بتوخّي النزاهة، بينما هم أنفسهم كانوا يسرقون المال من الخزينة العامّة ويأخذون الرشاوي.

رغم أنّ الح ش ص مكّن الكثير من الإطارات المثالية من الصعود ورغم أنه جلب ناسًا مثاليّين ونشطين للالتحاق بالحزب وذلك بُغية تلميع صورته، الكلّ يستطيع أن يرى اليوم في أيّ حالة مُزرية توجد الأخلاق في الصين، وهي لم تفتأ تنحدر. لماذا لم تفعل بروباغاندا الح ش ص شيئًا من أجل قيام "حضارة روحيّة" لإصلاح هذا الأمر ؟

في حقيقة الأمر، لمّا تغنّى قادة الحزب الشيوعي بـ"الميزات الأخلاقية للشيوعية" أو رفعوا شعار "في خدمة الشعب"، كانوا يُمارسون الكذب بعينه. إنّ التناقض بين القول والفعل لدى القادة الشيوعيّين يمكن أن نجده عند الأب الروحيّ لهم، مؤسس الشيوعية: كارل ماركس. لقد أنجب ماركس طفلاً غير شرعيّ. أمّا لينين فقد أصيب بمرض السيفيليس لكثرة معاشرته للمومسات. ستالين وقع تتبّعه قضائيّا لأنه أجبر راقصة على إقامة علاقة جنسيّة معه. ماوو تسي تونغ كان يعيش في عربدة مطلقة. دجيانغ زمين إنسان مهووس جنسيّا بحقّ. كلّ أفراد عائلة القائد الشيوعي الروماني تشاوسيسكو أثروْا ثراءًا فاحشًا. القائد الشيوعي الكوبيّ كاسترو يُكدّس مئات ملايين الدولارات في أرصدة بنوك أجنبية. سفّاح كوريا الشمالية الشيطاني كيمII تسونغ وأبناؤه يعيشون حياة كلّها بذخ وانحراف.

المواطنون العاديّن في الصين-في سائر الأيام- يتقزّزون من دورات الدروس السياسية، ويجدونها جوفاء. إنهم يتحدّثون اليوم بطريقة ملتبسة أكثر فأكثر عن الشؤون السياسية، لأنّ الكلّ يعلم أنّ هذه الدورات كلّها خداع. ولكن لا أحد من بينهم، لا المُحاضر ولا المستمعون يجرؤ على الحديث بصراحة عن هذه الأكاذيب. إنه "سرّ شائع". الناس يُسمّون هذه الظاهرة: "التمثيل الصادق". المفاهيم التي يصدح بها الح ش ص، مثل "التمثيلات الثلاث" التي ظهرت منذ بضعة سنين، أو "تحسين القدرة على الحكم" التي أتت بعدها، أو "القلوب الثلاثة" التي ظهرت اليوم- أو "تدفئة قلوب الناس،

وتهدئة قلوب الناس، وكسب قلوب الناس" – كلّها ترّهات. من هو الحزب الحاكم في الدنيا الذي لا يعرض امتيازات على شعبه ؟ من هو الحزب الحاكم في الدنيا الذي لا يهتمّ بتحسين قدرته على الحكم ؟ من هو الحزب الحاكم في الدنيا الذي لا يحاول كسب قلوب الناس ؟ كلّ حزب يُهمل هذه النواحي سيجد نفسه سريعًا مطرودًا خارج الحلبة السياسية. ولكنّ الح ش ص يتعامل مع هذه الشعارات الفارغة كما لو كانت نظريّات معقّدة وعميقة ويُجبر الشعب بأكمله على تدارسها.

لقد طغى التمثيل على تفكير الملايين من الناس وعاداتهم وشكّلها، لقد صار هذا ثقافة الحزب، لذلك فقد أصبح المجتمع بأكمله مزيّفًا، ومتكبّرًا، وغبيًا، مجتمع يفتقد للنزاهة والثقة هو مجتمع في أزمة. لماذا خلق الح ش ص مثل هذه الظروف ؟ في الماضي كان هذا من أجل ايديولوجيّاته والآن هو من أجل مصلحته. أعضاء الح ش ص يعرفون أنهم يُمثّلون، ولكنهم يستمرّون في التمثيل. لو لم يكن الح ش ص يُشهر شعارات وإجراءات مثل تلك، فلن يكون بإمكانه أن يسوم الشعب العذاب. إن كان الأمر كذلك، فكيف سيجعل الناس يتبعونه ويخافونه ؟

التخلّي عن الضمير والتضحية بالعدل في سبيل مصالح الحزب

في كتابه "التطوّر الأخلاقي للحزب" نجد لي شاوو تشي يفسّر بالأساس حاجة "أعضاء الحزب لجعل مصالحهم الشخصية في خدمة مصالح الحزب". الأشخاص المُستقيمون الذين يشغلون أنفسهم بمصلحة البلاد ومصلحة الشعب لم ينقطعوا أبدًا من صفوف الحزب، وكذلك الموظّفون النزهاء الذين كانوا فعلاً في خدمة مصالح الشعب. ولكنّ هؤلاء الموظّفين لا يستطيعون أن يبقوْا ويواصلوا طريقهم في ظلّ الآلة الجهنمية للمصالح الشخصية داخل الح ش ص. تحت الضغط المستمرّ لـ"وضع اعتبارات طبيعة الحزب فوق اعتبارات إنسانيتهم"، اكتشفوا أنه يستحيل عليهم أن يواصلوا في ذلك الطريق دون أن يُعرّضوا أنفسهم لخطر العزل من وظائفهم أو أسوء من ذلك: أن يصبحوا فاسدين بدورهم.

لقد عاش الشعب الصيني بنفسه تجربة عنف نظام حكم الح ش ص وأحسّ بهذا العنف في أعماقه، ونمّى في أعماقه خوفًا دفينًا من عنف الح ش ص. لذلك نجد الناس في الصين يخافون من تأييد صوت العدالة ولم يعودوا يعتقدون في القوانين السماوية. في البداية هم ينصاعون لسلطة الح ش ص، ثمّ تدريجيّا يفقدون الإحساس ولا يعودون يعتبرون أنفسهم معنيّين بمواضيع لا تمسّهم مباشرة. حتّى المنطق الذي تخضع له أفكارهم وقع تكييفه وتشكيله بعناية ليخضع لنفوذ الح ش ص. هذه هي نتيجة الطبيعة الإجرامية العصابويّة للح ش ص.

الح ش ص يستغلّ المشاعر الوطنية ليعبّأ الشعب

يستعمل الح ش ص شعارات "وطنيّة" و"قوميّة" لاستنفار الناس. هذه الأخيرة لم تعد فقط الصيحات الأساسية التي تجمع الناس تحت لواء الح ش ص، ولكنها أيضا أوامر تُعطى بصفة متكرّرة واستراتيجيّات تمّ اختبارها على مرّ الزمن. عندما يقرأ بعض الصينيّين القاطنين في الخارج الدعاية القومية في النّسخ الناطقة بالأجنبية لصحيفة البيبلز دايلي،- يمكن أن يجعلهم ذلك قوميّين أكثر من الصينيين القاطنين في الصين أنفسهم-على الرغم من أنهم يعيشون في الخارج منذ عقودٍ من السنين ولم يجرؤوا على العودة للعيش في الصين. بفعل الأصابع الخفية الح ش ص، نجد الشعب الصيني- والذي لم يجرؤ على قول "لا" أمام كلّ سياسة الح ش ص، استبدّ به التهوّر ودفعه لمهاجمة سفارة وقنصليّة الولايات المتحدة في الصين، وقذفها بالبيض والحجارة، وحرق سيّاراتٍ وأعلامًا أمريكيّة، كلّ هذا تحت مُسمّى "الوطنية".

كلّ مرّة واجه فيها الحزب الشيوعي وضعيّة حرجة تقتضي طاعة الناس، استعمل "الوطنية" و"القومية" لتعبئتهم سريعًا. في كلّ الحالات، وخصوصًا بشأن تايوان، وهونغ كونغ، وفالون غونغ، وحادثة اصطدام طائرة تجسّس أمريكية بطائرة قتال صينية، استعمل الح ش ص مزيجًا من طرق الترويع العنيف وغسيل الدماغ الجماعي ليوصل الناس إلى الإحساس بأنهم في حالة حرب. هذا التصرّف يشبه تصرّف الفاشيّين الألمان.

عندما يمنع مرور أيّ معلومة، يُصبح غسل الدماغ المُبرمج من قِبل الح ش ص نجاحًا منقطع النظير. الشعب الصيني، رغم أنه لا يحبّ الح ش ص، يُفكّر بالطريقة العوجاء التي زرعها فيه هذا الأخير. مثلاً أثناء الحرب التي شنّتها أمريكا على العراق، الكثير من الناس تحمّسوا وهو يشاهدون التحليل اليوميّ للأوضاع على القناة التلفزيونية سي سي تي في. أصبحوا يُحسّون بكُره شديد، وبحبّ الانتقام، وبرغبة في الصراع في نفس الوقت الذي يلعنون فيه حربًا أخرى.

انعدام الضمير- وضع الحزب في مرتبة قبل البلاد وإجبار الناس على اعتبار عدوّهم مثل والدهم

إحدى الجمل التي كثيرًا ما يستعملها الح ش ص لتهديد الناس هي "اندثار الحزب واندثار البلاد"- لاحظوا أنه يضع "الحزب" قبل "البلاد". المبدأ القاعديّ في الصين هو: "لن تكون هناك صين جديدة بدون الح ش ص". منذ نعومة أظفارهم، تتمّ تربية الناس على "الاستماع لما يقوله الحزب" و"التصرّف مثل أبناء الحزب الأبرار". يتغنّوْن بمحاسن الحزب: "أنا أعتبر الحزب مثل أمّي"، "آه، أيّها الحزب، يا أمّي الحبيبة"، "الرحمة المُخلّصة للحزب أعمق من المحيط"، "حبّي لأبي ولأمّي لا يستطيع أن يفوق حبّي للحزب". ويستجيبون لـ: "اذهب وقاتل حيث يأمرك الحزب أن تذهب". عندما تقدّم الحكومة مساعدة في حالة وقوع كارثة، كان الناس يشكرون "الحزب والحكومة"- "الحزب" أوّلاً ثمّ "الحكومة". هناك شعار عسكريّ يقول: "الحزب يتحكّم في فوّهة البندقية". وحتّى عندما حاول الخبراء الصينيّون ابتكار بدلة القضاة في المحاكم، وضعوا أربع أزرار ذهبية على ياقة البدلة، هناك أزرار مُصفّفة من الأعلى إلى الأسفل، وترمز بالترتيب إلى: الحزب، الشعب، القانون، والبلد. هذا يعني أنه حتّى وإن كنت قاضيًا، يظلّ الحزب دائمًا فوق القانون، وفوق البلد، وفوق الشعب.

لقد أصبح الحزب هو "الذات العليا" في الصين وأصبح البلد مجرّد تابع للحزب. البلد يحيا من أجل الحزب والحزب يُعتبَرُ تجسيدًا للشعب ورمزًا للبلد. محبّة الحزب، ومحبّة قائد الحزب، ومحبّة البلد اختلطت بعضها ببعض، وهو السبب الذي من أجله تشوّه مفهوم الوطنية في الصين.

تحت التأثير الخفيّ ولكن الدّؤوب لبرامج التربية ولدعاية الح ش ص، الكثير من الناس، سواءً أكانوا أعضاء في الحزب أم لا، بدؤوا يخلطون الحزب مع البلد، سواءًا عن وعي أو عن غير وعي. وانتهى بهم الأمر إلى الاعتقاد بأنّ "مصالح الحزب" أعلى من كلّ شيءٍ آخر، وإلى تأييد كون "مصالح الحزب تضاهي مصالح الشعب والبلد". عواقب مذهبة الح ش ص خلقت أخيرًا مناخًا يخون فيه الحزب المصالح القومية.

لعبة "الإصلاح" ووصف أعمال إجرامية بأنها "نجاحات كبرى"

ارتكب الح ش ص كثيرًا من الهفوات في تاريخه، ولكنه ألقى باللاّئمة دائمًا على بعض الأشخاص أو المجموعات باستعمال "الإصلاح وإعادة التأهيل". من نتائج هذا الأمر أنه لا فقط جعل الضحايا ممتنّين عميق الامتنان للح ش ص ولكنه أيضًا خوّل للح ش ص أن يغسل عنه اعماله الإجرامية. يدعو الح ش ص إلى "لا خوف من ارتكاب الأخطاء، المهمّ هو إصلاح الأخطاء" وقد أضحى هذا الشعار الوصفة السحرية للح ش ص لتجنّب الإدانة مباشرةً. لهذا يظلّ الح ش ص إلى الأبد "عظيمًا، ومجيدًا، وعادلاً".

ربّما في يوم مّا يُقرّر الح ش ص أن يكفّر عن مجزرة ساحة تيان آن مان وإعادة الاعتبار لسمعة الفالون غونغ. ولكنها لن تكون سوى خُططٍ ماكيافلية في إطار محاولة يائسة لتمديد أجل حياته التي توشك على الانطفاء. الح ش ص لا يملك أبدًا الشجاعة للتفكّر في أمره، ولعرض جرائمه على الملأ ولدفع ثمن هذه الجرائم.

VI . شرّ الح ش ص يظهر في لجوءه لإرهاب الدولة لمهاجمة مبادئ "الحق، الرحمة، الصبر"

حادثة الانتحار حرقًا في ساحة تيان آن مان، والتي كانت تمثيليّة من إخراج الح ش ص، يمكن اعتبارها كذبة القرن. بهدف القضاء على الفالون غونغ، بلغ الشرّ بهذه الحكومة إلى درجة أن تقوم بإقناع خمسة أشخاص بالتظاهر بكونهم ممارسو فالون غونغ وأن تعدّ مشهد تظاهرهم بالانتحار حرقًا. هؤلاء الأشخاص الخمسة، بتحالفهم مع الباطل ومع الكذب، وقّعوا بدون أن يشعروا على وثيقة موتهم، بعضهم ضُرب إلى حدّ الموت على أرضيّة الميدان نفسها، والآخرون قُتِلوا فيما بعد. إنّ الإعادة البطيئة لتسجيل فيديو الانتحار حرقًا كما بثّته السي سي تي في، يُظهر بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ ليو تشونلينغ، أحد الأشخاص الخمسة الذين أضرموا النار في أنفسهم، مات على الفور متأثّرًا بالضرب الذي تلقّاه من ضابط الشرطة. هناك أشياء أخرى تدلّ على انعدام التسلسل المنطقي للأشياء نجدها تظهر في مختلف اللقطات، مثل كيفيّة جلوس وانغ دجيندونغ، القارورة البلاستيكية (التي يُفتَرَضُ أنها ملآنة بنزينًا) التي ظلّت كما هي بين ساقيْ الرجل حتّى بعد أن وقع إطفاء النار، الحديث الذي دار بين الدكتور و ليو سيي بينغ، أصغر الضحايا سنّا، وتواجد المصوّر مع الكاميرا، جاهزًا للتصوير من قبل أن تقع الحادثة حتّى. لدينا ما يكفي من الأدلّة التي تُظهِر أنّ هذا الانتحار حرقًا كان مسرحيّة إجراميّة ألّفها ووضعها نظام دجيانغ زمين الفاسد لكي يُطيح بالفالون غونغ.

لقد لجأ الح ش ص لطرق لا توصف في قسوتها في سعيه للقضاء تمامًا على الفالون غونغ. لقد اختلس موارد ماليّة للأمّة وقع تجميعها على مدى الـ20 سنة الأخيرة من الإصلاح الاقتصادي والانفتاح. لقد عبّأ الحزب، والحكومة، والجيش، والشرطة، والجواسيس، والديبلوماسيين الأجانب، ومنظمات أخرى حكومية وغير حكومية؛ كما تحكّم في نظام التغطية الإعلامية، واضعًا حصارًا منيعًا على المعلومات بواسطة أجهزة مراقبة فرديّة وبواسطة تقنيات عالية. كلّ هذا من أجل هدف وحيد: اضطهاد مجموعة من الناس مسالمة تعتقد في الفالون غونغ، وهي طريقة ممارسة تشيكونغ صينية تقليدية للجسم والروح، وفق مبادئ "الحق، الرحمة، الصبر". اضطهاد ناس بريئين بمثل ذلك العنف، اضطهادهم من أجل عقائدهم يكشف عن الطبيعة المنحطّة للح ش ص.

لم يكذب أيّ كائن شرّير بطريقة أكثر مكرًا وأكثروقاحةً كما كذب دجيانغ زمين والح ش ص. إنهم يستعملون أكاذيب مختلفة، كلّ منها موجّه بدقّة لمختلف المفاهيم والأفكار التي يملكها الناس ويهدف للتحكّم فيها واستخدامها، ممّا يخوّل لهم خداع الناس بأكثر سهولة، ويخوّل للحزب أن يُحرّض الناس على كره الفالون غونغ. أتعتقد في العلم ؟ سيقول الح ش ص أنّ الفالون غونغ يُروّج للخرافات. أترى أنّ السياسة كريهة ؟ سيقول الح ش ص أنّ الفالون غونغ ناشط سياسيّا. أتغارُ من الأثرياء سواءً كانوا في الصين أم في الخارج ؟ سيقول الح ش ص أنّ ممارسي الفالون غونغ يُكدّسون الثروات. أأنت ضدّ المنظمات ؟ سيقول الح ش ص أنّ الفالون غونغ منظمة سرّية. أكرهتَ عبادة الفرد الواحد التي توجد في الصين منذ عقودٍ ؟ سيقول الح ش ص أنّ تمارين الفالون غونغ تمارس سيطرة ذهنية ونفسية على الشخص. أمُغرمٌ أنت بالوطنية ؟ سيقول الح ش ص أنّ الفالون غونغ هو ضدّ الصين. أتخشى الفوضى ؟ سيقول الح ش ص أنّ الفالون غونغ زعزع الاستقرار. أتؤمن بأنّ الفالون غونغ يدعو إلى الحق والرحمة والصبر ؟ سيقول الح ش ص أنّ الفالون غونغ ليس صادقًا ولا رحيمًا ولا متسامحًا. بل إنه شوّه حقيقة الأشياء لدرجة أنه ادّعى أنّ الرحمة يُمكن أن تُذكي الرغبة في القتل.

هل تظنّ أنّ الحكومة غير قادرة على صنع هذه الأكاذيب ؟ الح ش ص يخترع أكاذيب أكبر من هذه وأفظع من هذه، تمتدّ من أخبار الانتحار إلى الانتحار حرقًا، ومن مقتل الأقارب إلى جرائم القتل الجماعي – أكاذيب كثيرة وكثيرة من الصعب عليك ألاّ تصدّقها. هل تتعاطف مع الفالون غونغ ؟ إذًا فالح ش ص سيُقيّمك من وجهة نظر سياسية في إطار اضطهاد الفالون غونغ: إن ذهب ممارسو الفالون غونغ الذين أنت مسؤول عنهم إلى بيكين للمطالبة بحقوقهم، فسيتمّ تخفيض رتبتك أو تنحيتك من وظيفتك، أو حرمانك من منحتك. باختصار يُجبرونك على أن تكون عدوّا للفالون غونغ.

لقد اختطف الح ش ص ممارسي فالون غونغ لا يُحصى عددهم وأخضعهم لحصص غسل دماغيّ يهدف لإرغامهم على التخلّي عن معتقدهم، وعلى الطعن في الفالون غونغ وشتمها، ولانتزاع وعدٍ منهم بالتوقّف عن ممارسة الفالون غونغ. لقد استعمل الح ش ص مختلف الوسائل الشريرة لإقناعهم، مُستعيناً تارة بأقربائهم ليتدخّلوا، وطورًا بوضع مستقبلهم المهني والتعليمي في الميزان، كوسيلة للضغط عليهم، معرّضًا إيّاهم لمختلف أنواع التعذيب القاسية وبلغ به الأمر حتّى لمعاقبة أفراد عائلتهم وزملائهم. ثمّ بعد ذلك، يستعملون ممارسي الفالون غونغ الذين نجحوا في غسل دماغهم لغسل أدمغة الآخرين. إنّ الح ش ص الفاسد يسعى لتحويل ناس خيّرين إلى شياطين ويقودهم إلى السير في طريق مظلمة بقيّة حياتهم.

VII. اشتراكية جائرة بخصوصيّات صينية

إنّ عبارة "خصوصيّات صينية" تصلح للتستّر على جرائم الح ش ص. يُنادي الح ش ص منذ القديم بأنّ الثورة الصينية مدينة بنجاحها لـ"تنزيل الماركسية-اللينينية في صلب الواقع المعيش للثورة الصينية". طالما استعمل الح ش ص عبارة "خصوصيّة" وأساء استعمالها إذ صارت هذه العبارة قاعدة ايديولوجيّة لسياسته متقلّبة الأهواء والمؤذية.

طرق مزاجيّة وخدّاعة

تحت التسمية الخادعة لـ"خصوصيّات صينية"، لم يفعل الح ش ص غير الإمعان أكثر في الجنون.

كان هدف الح ش ص في الثورة هو الاستيلاء على الممتلكات العامّة تحت مُسمّى "الإنتاجية"؛ لقد خدع عددًا كبيرًا من الشباب وجعلهم يلتحقون بالحزب متأثرين بالمثل الشيوعية العليا التي تدعو إلى الترابط والتلاحم. الكثير منهم خانوا عائلاتهم مانحين ممتلكات العائلة للح ش ص. ولكن 83 سنة بعد انطلاق الح ش ص، ظهرت الرأسمالية من جديد كجزءٍ لا يتجزّء من الح ش ص نفسه الذي كان في الأصل يرفع شعار المساواة.

الكثير من أبناء قادة الح ش ص وأقاربهم اليوم أصبحوا الرأسماليين الجدد الأثرياء، والكثيرون من أعضاء الحزب يُريدون هم أيضًا أن ينضمّوا للأثرياء الجدد. لقد قضى الح ش ص على أصحاب الأراضي والرأسماليين باسم الثورة وسرق ممتلكاتهم. الآن، بواسطة الاختلاس والفساد، نرى أنّ "مَلكيّة" الح ش ص الجديدة أخرجت للوجود رأسماليين أكثر ثراءًا من ذي قبل. أولئك الذين اتّبعوا الحزب في ثوراته الأولى يتنهّدون اليوم بحسرة: "لو كنتُ أعلم ما ستؤول إليه الوضعيّة فيما بعد، ما كنتُ اتّبعتهم." بعد عقودٍ عديدةٍ من الجهود، والصراعات، والعذاب، والمعارك، اكتشفوا أنهم أعطوْا بكلّ بساطة ممتلكات إخوانهم وآبائهم وممتلكاتهم الخاصّة للايديولوجيا الفاسدة للح ش ص.

يتحدّث الح ش ص عن قاعدة اقتصادية تحدّد البناء الفوقي، في الحقيقة "البناء الفوقي المستبدّ" تفرضه قاعدة اقتصادية وبيروقراطية من موظفي الح ش ص الفاسدين- بناء فوقيّ يعتمد على العنف لكي يعيش. وبهذه الطريقة أصبح قمع الشعب السياسة الأساسية للح ش ص.

خاصّية أخرى جائرة للح ش ص هي أنه يُغيّر تعريف كلّ مفهوم ثقافي، إذ يُراجعه ويُصحّحه، ثمّ يستعمل هذا التعريف الخاص به –تعريفه هو للأشياء- لينتقد الناس ويتحكّم فيهم. كلمة "حزب" مثلاً هي أحد هذه المفاهيم. منذ القديم أنشِأت الأحزاب في الخارج سواءًا في الصين أو في خارجها. ولكن الحزب الشيوعي هو الوحيد الذي يمارس سلطته خارج الإطار الجماعي: إن التحقت بالحزب، فسيتحكّم في كلّ جوانب حياتك، بما في ذلك وعيك، وسيلة كسب قوتك، وحياتك الشخصية. عندما يستحوذ الح ش ص على السلطة السياسية، يتحكّم أيضًا في المجتمع، وفي الحكومة، وفي جهاز الدولة. ويفرض وجهة نظره في كلّ الميادين، وفي مواضيع شديدة الأهمّية مثل اختيار رئيس الدولة أو وزير الدفاع. إنه هو من يُقرّر القوانين وهو من يُقرّر كيفيّة تنفيذ القوانين، وصولاً إلى أصغر الشؤون، مثل المكان الذي يجب أن يُقيم به الشخص، ومن يمكنه أن يتزوّج، وكم من الأطفال يمكنه أن يُنجب. إنّ الح ش ص يلجأ لكلّ وسائل التحكّم التي يمكن تخيّلها.

باسم الديالكتيكية، دمّر الح ش ص تمامًا الفكر الكلاّني، وملكة التفكير الرشيد، والعقل الفلسفي. لقد أوهم الناس بمسألة "التوزيع بحسب المساهمة" وانخرط في مسار السماح لبعض الناس بالإثراء أوّلاً باستعمال وسيلة "التوزيع حسب السلطة". يتخفّى الح ش ص وراء تعلّة "خدمة الشعب بكلّ ما أوتي من جهدٍ" ليخدع أولئك الذين يُؤمنون بمُثُلٍ كتلك، ثمّ يغسل أدمغتهم غسلاً تامّا ويتحكّم فيهم، مُحوّلاً إيّاهم تدريجيّا إلى أدواتٍ طيّعةٍ "تخدم الحزب بكلّ ما أوتيت من جهدٍ" ولا تجرؤ على التعبير لنُصرة حقوق الشعب.

حزب ماكيافلّي بـ"خصوصيّات صينية"

بواسطة المبدأ الذي يضع مصالح الحزب فوق كلّ اعتبار آخر، شوّه الح ش ص المجتمع الصيني على طريقة طائفة شرّيرة عندما اعتمد مبدأ وضع مصالح الحزب فوق كلّ اعتبار آخر، وخلق كائنًا غريبًا حقّا على نطاق البشرية كلّها. هذا الكائن مختلف عن كلّ دولة أخرى، وعن كلّ منظمة أخرى. مبدئه هو أن لا مبدأ له، وخلف ابتسامته لا توجد ذرّة من الصدق. ولكن الناس الذين يملكون قلبًا طيّبًا لا يستطيعون فهم الح ش ص. عندما يعتمدون على المعايير الأخلاقية الكونية، يُصبح من الصعب عليهم تصوّر أنّ كيانًا مؤذيًا بتلك الصفة يُمكن أن يُمثّل بلدًا. تحت رداء "الخصوصيّات الصينية"، احتلّ الح ش ص له مكانًا في صفوف باقي الأمم في العالم. لقد أصبحت عبارة "خصوصيّات صينية" بمثابة تورية وتلطيف لما هو في الحقيقة "الخصوصيّات الخبيثة للح ش ص". حسب منطق "خصوصيّات صينية"، الرأسمالية المبتورة في للصين أضحت "اشتراكيّة"؛ والبطالة تسمّى "في انتظار شغل"؛ و"معزول من الوظيفة" يسمّى "خارج نطاق الخدمة"؛ بينما الفقرُ يسمّى "المرحلة الابتدائية للاشتراكيّة"؛ وأمّا "حقوق الإنسان" وحرّية التعبير والمعتقد فاختُزلت جميعها في مجرّد حقّ البقاء على قيد الحياة.

الأمّة الصينية تواجه أزمة أخلاقية لم يسبق لها مثيل

في بداية السنوات 1990، كان هناك مثل صيني شعبي رائج يقول: "أنا صعلوك ولست أخشى أحدًا". إنها من بين العواقب المُؤسفة لعقودٍ عدّة من هيمنة الصعلوك-التي بسطها الح ش ص...بما أنّ الدولة هنا استحالت إلى صعلوك. هناك انهيار أخلاقيّ سريع في جميع نواحي المجتمع يُرافق الازدهار الكاذب للاقتصاد الصيني.

ممثّلو التجمّع الشعبي الوطني الصيني يتطرّقون دائمًا في مؤتمراتهم لموضوع "النزاهة والثقة"، ممّا يدلّ على أنّ فقدان النزاهة والثقة وتدهور الأخلاق أصبحت أزمة غير مرئيّة ولكنها موجودة حقّا وفي كلّ مكان في المجتمع الصيني. فساد، تزوير، تزييف، كذب، خبث، وقواعد اجتماعية متدهورة، أصبحت خبزًا يوميّا للصينيين، والثقة الفطرية البدائية بين الناس انعدم وجودها.

البعض يقول أنه راضٍ عن تحسّن مستوى العيش؛ أليس الاستقرار في الحياة أولويّتهم ؟ ما هو أهمّ عامل من عوامل الاستقرار ؟ إنّه الأخلاق. مجتمع توجد أخلاقه علىً منحدر لا يعود بإمكانه التمتّع بالأمان.

إلى حدّ يومنا هذا، هاجم الح ش ص تقريبًا كلّ الأديان المعروفة، وفكّك نظام القيم المتوارثة. الطريقة التي يستحوذ بها الح ش ص على الثروات ويخدع الناس مع انعدام تامّ للضمير كان من نتائجها أنها جذبت الناس إلى الأسفل، وأفسدت المجتمع بأكمله وقادت الشعب إلى انعدام الأمانة. يحتاج الح ش ص الذي يحكم بطرق ملتوية إلى مجتمع فاسد كي يعيش فيه، لذلك يحاول الح ش ص قدر المستطاع أن يجعل الناس ينحدرون إلى مستواه، وأن يحوّل كلّ الشعب الصيني بدرجات متفاوتة إلى متآمرين. هكذا تقضي الطبيعة المُخادعة للح ش ص على الركيزة الأخلاقية التي أسندت قوام الشعب الصيني لزمن طويل.

خاتمة

"تغيير مجاري الأنهار وأماكن الجبال أسهل من تغيير المرء لطبعه". لقد أثبت التاريخ أنه في كلّ مرّة أطلق الح ش ص قليلاً قبضته وخفّف من هيمنته، فعل ذلك دون أن تكون له نيّة التخلّي عنهما. بعد المجاعة الكبرى التي حدثت سنة 1960، تبنّى الح ش ص برنامج "حرّيات ثلاث وعقد" – سان دزي يي باوو- الذي يهدف لإصلاح الإنتاج الزراعي، ولكن دون أن تكون له نيّة تغيير وضعيّة الفلاّحين الصينيين الفقراء التي كانت عبارة عن وضعيّة "عبيد". الإصلاح الاقتصادي والتحرّر اللذان وقعا في السنوات 1980 لم يمنعا الح ش ص من رفع سكّين الجزّار على شعبه سنة 1989. في المستقبل سيستمرّ الح ش ص في تغيير واجهته، ولكنه لن يُغيّر طبيعته الجائرة.

بعض الناس يمكن أن يُفكّروا أنّ الماضي ينتمي للماضي، وأنّ الوضع تغيّر، وأنّ الح ش ص الحاليّ لم يعد هو ذاك الح ش ص القديم. البعض يقتنعون بهذا المظهر الخادع وحتّى أنهم يرونْ ويعتقدون –خطأً- أنّ الح ش ص قد تحسّن أثناء مسار الإصلاحات التي خاضها وأنّ لديه النيّة في التغيّر. بهذه الطريقة هم لا يفتأون يُزيحون جانبًا ذكريات الماضي المزعجة. كلّ هذا لا يُمكن إلاّ أن يمنح لهذه الشرذمة من الصعاليك فرصة البقاء أكثر على قيد الحياة والاستمرار في تهديد الإنسانية.

كلّ الجهود التي قام بها الح ش ص الهدف منها هو محو الماضي من ذاكرة الناس. كلّ الصراعات التي يخوضها الناس تذكّرنا بالمظالم التي عانوْا منها على يد الح ش ص.

في الحقيقة تاريخ الح ش ص هو تاريخ يُصيب الناس بمرض فقدان الذاكرة، تاريخ لا يعرف فيه الأبناء ماذا عاشه آباءه وما مرّ عليهم، تاريخ يعيش فيه مئات ملايين المواطنين صراعًا داخليّا تتقاذفهم فيه تارة الرغبة في أن يلعنوا الماضي الدموي للح ش ص وتارة أخرى الأمل في مستقبل هذا الحزب.

عندما ابتُلي العالم البشري بشبح الشيوعية الشرير، أطلق الحزب الشيوعي في الطبيعة حثالة المجتمع، واعتمد على تمرّد الصعاليك لكي يستولي على السلطة السياسية. ما فعله بواسطة المجازر والطغيان، هو إرساء الاستبداد والإبقاء عليه في صورة "تملّك الحزب". بواسطة ايديولوجيا "الصراع" المزعومة-هذه الايديولوجيا التي تتناقض مع الطبيعة، ومع قوانين السماء، ومع الطبيعة البشرية ومع الكون، يُدمّر الحزب الشيوعي الضمير الإنساني والطيبة ويُدمّر الحضارة الموروثة والأخلاقيّات. بواسطة المجازر الدمويّة وغسل الدماغ، أرسى طائفة شيوعية فاسدة، مُخرجًا للوجود أمّة من النفوس الشرّيرة وذلك بهدف قيادة البلاد. تاريخ الح ش ص مكوّن من فترات عنيفة بلغ فيها الرعب الأحمر أقصاه، وفتراتٍ صعبة شارف فيها الح ش ص على الهلاك. وفي كلّ مرّة لجأ الح ش ص إلى وسائل ملتوية لكي يخرج من الأزمة، فقط ليدخل في دورةٍ جديدةٍ من العنف، مستمرّا في خداع الشعب الصيني.

عندما سيُدرك الناس الطبيعة المؤذية للح ش ص ويكفّون عن الانخداع بمظاهره الكاذبة، حينئذٍ ستدقّ ساعة النهاية بالنسبة للح ش ص ولطبيعته عديمة الضمير.

****

مقارنة مع الـ 5000 سنة من الحضارة الصينية، تُعَدّ السنوات الـ55 من حكم الح ش ص بمثابة طرفة عين. قبل ظهور الح ش ص، خلقت الصين أبهى حضارة في تاريخ الإنسانية. ولكن الح ش ص استغلّ الاضطرابات الداخليّة في الصين والهجومات الخارجية ليجرّ الأمّة الصينية في الفوضى. عشرات ملايين الأشخاص لقوا حتفهم، وأسرٌ لا يُحصى عددها تمزّقت والموارد البيئيّة التي يعتمد عليها بقاء الصين دُمّرت. والشيء المُدمّر أكثر هو تدمير كلّ الأخلاق الصينية تقريبًا وتدمير موروثها الثقافي الغنيّ.

ما هو مستقبل الصين ؟ ما هو الاتّجاه الذي ستختاره الصين ؟ أسئلة بهذه الخطورة لا يمكن تناولها بطريقة سطحيّة. ولكنّ هناك شيئًا أكيدًا: إن لم تستقم أخلاق الأمّة من جديدٍ، إن لم يسترجع الناس علاقة الانسجام بينهم وبين الطبيعة، بينهم وبين السماء والأرض، إن لم تُسهم العقيدة أو الثقافة في

تحقيق التعايش السلمي بين الأفراد، فلن تتمتّع الأمّة الصينية بمستقبل زاهر. بعد عقودٍ عديدةٍ من الغسيل الدماغي ومن القمع، حقن الح ش ص شيئًا فشيئًا في حياة الشعب الصيني طريقته في التفكير ومقاييسه في الحكم على ما هو جيّد وما هو سيّء. وانتهى الأمر بالناس إلى قبول الأمر ووجدوا أعذارًا لشرور الح ش ص وخداعه وهم بهذا قد ساهموا في الأكذوبة، ووفّروا المناخ الايديولوجي لبقاء الح ش ص على قيد الحياة.

استئصال المذاهب الفاسدة التي زرعها الح ش ص في حياتنا، وتمييز طبيعته عديمة الضمير، وإعادة تقويم طبيعتنا الإنسانية وضميرنا- هذه هي الخطوة الأولى على طريق الانتقال اللطيف نحو مجتمع متحرّر من الح ش ص.

يمكن اتّباع هذه الطريق بشكل ثابت وسلميّ لو أنّ كلّ صيني يتغيّر من الأعماق. يبدو وكأنّ الح ش ص يمتلك كلّ الموارد والآليّات العنيفة في بلادنا، ولكن لو أنّ كلّ مواطن آمن بقوّة الحق وحافظ على الأخلاق، فإنّ شبح الح ش ص الشرّير سوف يفقد دعائم وجوده؛ ويمكن أن تعود كلّ الموارد في الحال لأيدي الناس الأخيار؛ ويومها ستكون نهضة الصين.

فقط بدون الحزب الشيوعي يمكن أن تكون هناك صين جديدة.

فقط بدون الحزب الشيوعي ستستعيد الصين الأمل.

فقط بدون الحزب الشيوعي سيتسنّى للشعب الصيني العادل والطيّب أن يُعيد بناء تاريخ الصين الرائع من جديدٍ.

ملاحظات:

1- حسب الفكر الكونفوشيوسي التقليدي، يمارس الأباطرة والملوك الحكم بالحقّ الإلهي. لكي يكونوا جديرين بتلك السلطة، فإنّ مستوياتهم الأخلاقية يجب أن ترقى لمستوى هذه المسؤوليّة العظيمة. في "مانشيوس"، نجد فكرة شبيهة بهذه. في الآية المدعوّة: "من يمنح الحكم الملكيّ ؟" عندما سألوا مانشيوس من أعطى للامبراطور شؤون الأرض والحقّ في الحكم، أجاب: "هذا آتٍ من السماء" نجد أيضًا فكرة الحكم بالحقّ الإلهي في التراث المسيحيّ. في إحدى آيات التوراة 13: الروم (نسخة الملك جايمس)، نجد مثلاً ما يلي: "فلنترك كلّ نفسٍ تخضع للسلطات العليا، لأنه ما من سلطةٍ أعلى من سلطة الإله؛ والسلطات مفوّضة من طرف الإله."

2- المركز يعني النموّ الاقتصادي بينما نقطتا الارتكاز هما: الحفاظ على المبادئ الأساسية الأربعة (الطريق الاشتراكية، ديكتاتورية البروليتاريا، سلطة الح ش ص، الفكر الماركسي-اللينيني، وفكر ماوو) والاستمرار في سياسة الإصلاح والانفتاح.

3- معطيات آتية من مقال صادر عن وكالة سينهوا للأنباء في 4 مارس 2004.

4- "مو" هي وحدة لقيس المساحات في الصين. الـ"مو" الواحد يعادل 0،165 أكرًا.

5- معطيات مأخوذة من وكالة سينهوا للأنباء في 29 فبراير 2004.

6- "مبدأ الـ"لاّ" الثلاثة" ظهر في الماضي. في 1979، اقترح دانغ سياوبينغ "مبدأ الـ"لاّ" الثلاثة" ليشجّع الناس على التعبير عن آرائهم: دون بروتوكولات، دون مهاجمة، ودون تصيّدٍ للأخطاء. هذا من شأنه أن يُعيد إلى ذاكرة الناس أمرًا مُشابهًا وهو تشجيعات ماوو سنة 1950، هذه التشجيعات التي أعقبها اضطهاد عنيف لأولئك الذين تجرّؤوا على الكلام. أمّا حاليّا فالاقتراح الجديد الداعي إلى "اللاّ الثلاثة" يُشير إلى: "تنمية بدون جدال، تنمية بدون صراعات، وتنمية بدون قناعة".

7- الفصل 23 من القانون الإطار الخاصّ بهونغ كونغ تمّ اقتراحه سنة 2002 من طرف هونغ كونغ تحت ضغوطاتٍ من بيكين. كان هذا الفصل يمثّل اعتداءًا لا يُستهان به على الحرّية وعلى حقوق الإنسان في هونغ كونغ، ويُزعزع سياسة "بلد ونظامان" التي وعد بها الح ش ص.

قوبل الفصل 23 بالرفض إجمالاً ووقع في النهاية التخلّي عنه سنة 2003.

8- ليو شاوتشي، رئيس الصين ما بين 1959 و1968 كان يُعتبر خليفة ماوو تسي تونغ. أثناء الثورة الثقافية (1966-1968) وقع اضطهاده ووصفه بالخائن، والجاسوس والمرتدّ، مات سنة 1969، بعد أن تعرّض لسوء المعاملة والسجن من طرف الح ش ص.

9- سي سي تي في (التلفزيون المركزي الصيني) هو ملكٌ للحكومة المركزية التي تُشرف مباشرة على إدارته. وهو يُمثّل شبكة البثّ الرئيسيّة في الصين.

10- هذه الشواهد هي عناوين أغاني كُتِبت وأنشِدت في عهد ماوو، في السنوات 1960 وبداية السنوات 1970.

11- قال ماوو أنّ "فكرة ارتكاب أخطاء تُفزعنا، ولكننا نهتمّ بإصلاحها".

12- نجد تحليلاً مفصّلاً لفيديو الانتحار حرقًا على موقع الانترنت الموالي:

http://www.clearharmony.net/articles/200109/1165.html

13- البنية الفوقيّة في إطار نظريّة الماركسية الاجتماعية تُشير إلى أشكال التفاعل بين ذات الإنسان والكيان المادّي للمجتمع.

14- مثل صيني يُؤكّد على ثبوت طبع المرء. تُرجِمَ هذا المثل أيضًا إلى: "يستطيع الثعلب أن يغيّر جلده ولكن لا يستطيع أن يغيّر عاداته".

15- عُرفت سياسات الإصلاحات الاقتصادية بـ"برنامج حرّيات ثلاثة وعقد" (سان دزاوو يي باوو) الذي اقترحه ليو شاوو تشي الذين كان رئيس الصين حينها. كان البرنامج يقترح قطع أراضٍ للاستعمال الخاصّ، والسوق الحرّة، وينصّ على أنّ المؤسّسات تتحمّل وحدها مسؤوليّة أرباحها أو خسارتها، ومسؤوليّة تحديد نسبة الإنتاج على قاعدة الأسرة الواحدة.